الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
قسم التاريخ وعلم الآثار

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب الإسلامي

علاقات دول المغرب الإسلامي بدول المماليك سياسيا وثقافيا بين القرنين السابع والتاسع هجريين
7- 9هـ / 13- 15م

إعداد الطالب:
عبد الرحمن بالأعرج

إشراف الأستاذ الدكتور:
مبخوت بودواية

السنة الجامعية

1434/1433هـ - 2013/2012م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

أتقدم بالشكر والعرفان إلى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور مبخوت بودواية الذي كان نعم الموجه والناصح منذ اختيار الموضوع إلى غاية الفراغ من إنجازه.

كما لا يفوتني التنويه باللجنة المناقشة الموقرة كل باسمه خاصة الأستاذ الدكتور عبدلي لخضر.

المقدمة

ارتبطت بلاد المغرب ببلاد المشرق منذ العصور القديمة، وخير دليل على ذلك الهجرات التي كانت تحدث بين الحين والآخر بين الإقليمين المتصلين جغرافيا، مما ساعد في عملية التواصل الدائم على كل الأصعدة السياسية والثقافية والتجارية والاجتماعية.

ومع الفتح الإسلامي لبلاد المغرب توطدت هذه الروابط، حيث أصبحت بلاد المغرب جزءا لا يتجزأ من العالم الإسلامي والخلافة الإسلامية التي تغير مقرها من دمشق أيام حكم الأمويين، إلى بغداد أيام حكم العباسيين، ثم إلى القاهرة زمن المماليك.

إن الدارس لتاريخ العلاقات المغاربية المشرقية يلاحظ منذ الوهلة الأولى أنها علاقات تواصل وترابط أكثر منها علاقات تنافر وعداء، وتجلت في مجموعة من المظاهر، مثل تبادل الرسائل بين الحكام، ورحلات العلماء، وحركة الحجيج التي زادت من تقوية هذه العلاقات.

في هذا الإطار يندرج موضوع هذه الرسالة المعنونة بـ:" **علاقات دول المغرب الإسلامي بدولة المماليك سياسيا وثقافيا بين القرنين السابع والتاسع الهجريين/ 13 - 15م**" .

ويكتسي الموضوع أهمية خاصة من حيث بعده وإطاره الزماني والمكاني، إذ يغطي فترة تميزت بالكثير من التحولات السياسية والفكرية في بلاد المغرب والمشرق على السواء، ويهدف إلى تبيان دور التواصل بين أقطار العالم الإسلامي في إرساء معالم النهضة الحضارية الشاملة للأمة الإسلامية.

وكان اختياره مبنيا على دوافع وعوامل موضوعية وأخرى ذاتية، حيث أن قلة الدراسات التي تخصصت في الروابط المغاربية المشرقية عبر كل مراحل التاريخ قد جعلتنا نهتم بتتبع هذه العلاقات في شقيها السياسي والثقافي خلال المرحلة الأخيرة من العصور الوسطى، كما أن طبيعة الدراسات الموجودة تركز على البعد السياسي وتهمل أو تغفل ذكر الروابط الثقافية التي كانت انعكاسا للعلاقات السياسية ومدعمة لها في الكثير من الأحيان، إضافة إلى تعاملي مع موضوع العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والمماليك في مذكرة الماجستير قد فتح الباب أمامي لمحاولة استطلاع علاقات بقية دول المغرب التي عاصرت الزيانيين مع المماليك.

أما العوامل الذاتية فكانت محاولة تلبية رغبة كامنة في نفس الباحث، تتمثل في إظهار المكانة الحقيقية للغرب الإسلامي أمام المشرق سياسيا وثقافيا في ظل تغييب دور المغرب الإسلامي في صناعة الحضارة الإسلامية في الكتابات المشرقية، وكذلك إظهار المكانة التي ارتقاها علماء بلدان المغرب أمام نظرائهم من المشرق.

وعليه ترتسم إشكالية الموضوع التي مفادها: ما هي طبيعة العلاقات التي سادت بين دول المغرب الإسلامي ودولة المماليك خلال الفترة الممتدة بين القرنين السابع والتاسع الهجريين/ 13-15م؟ وتندرج تحتها التساؤلات التالية:

- بما تميز الواقع السياسي لبلاد المغرب والمشرق الإسلاميين خلال القرنين السابع والتاسع الهجريين/ 13-15م؟

- ما هو موقف دويلات المغرب الإسلامي من قيام دولة المماليك، وكيف تعاملوا مع هذا العنصر الطارئ على سدة الحكم في أقوى دولة إسلامية بالعالم الإسلامي؟

- كيف تعامل المماليك مع أحداث المغرب الإسلامي والصراع الذي كان دائرا بين الكيانات المستقلة طيلة الفترة المدروسة؟

- بما تميز الواقع الثقافي لدول المغرب الإسلامي ودولة المماليك خلال الفترة المدروسة؟

- ما دور الرحلة والعلماء في توطيد وتوثيق العلاقات الثقافية بين المغرب والمشرق؟

- وما هي أبرز مظاهر الروابط الثقافية ؟ وكيف تم استثمارها في رسم معالم الوحدة الثقافية الإسلامية؟

وللإجابة على هذه التساؤلات اتبعنا المنهج التاريخي الذي يقوم على جمع المادة التاريخية من أصولها ودراستها ونقدها وتحليلها واستخراج ما أمكن من المعلومات التي تخدم موضوع الدراسة والبحث، واستعنا بالمنهج المقارن لمعرفة أوجه التقارب والاختلاف في ما يخص المواقف السياسية بين الدول، وكذلك طبيعة الإنتاج الفكري بين المغرب والمشرق، كما استعملنا أداة الإحصاء للتعرف على أعداد ونسب العلماء المرتحلين بين الحواضر المغربية والمشرقية طيلة فترة الدراسة.

أما خطة الرسالة فهي مكونة من مقدمة وفصل تمهيدي وبابين ينقسم كل منهما إلى أربعة فصول وخاتمة.

تعرضنا في الفصل التمهيدي للأوضاع السياسية التي عرفها المغرب الإسلامي خلال الفترة المدروسة والممتدة بين القرنين السابع والتاسع الهجريين/13 -15م، حيث شهد قيام الكيانات المستقلة عن دولة الموحدين والمتمثلة في الدولة الحفصية بالمغرب الأدنى، والدولة الزيانية بالمغرب الأوسط، والدولة المرينية بالمغرب الأقصى، والدولة النصرية بالأندلس. وبالمقابل شهدت بلاد المشرق في الفترة نفسها قيام دولة المماليك بمصر والشام عقب ضعف السلطة الأيوبية، فتعرضنا لذكر أصل المماليك وأدوار دولتهم البحرية والجركسية.

وفي الباب الأول المعنون بالعلاقات السياسية كان الدخول المباشر إلى لب موضوع الرسالة، وقد قسمناه إلى أربعة فصول، خصصنا الفصل الأول للعلاقات السياسية بين الحفصيين والمماليك مركزين على بعض المحطات مثل مسألة الخلافة الإسلامية التي وقع عليها التنازع بين تونس والقاهرة، وموقف المماليك من الحملة الصليبية الثامنة على المغرب الأدنى، والمراسلات والهدايا التي كانت متبادلة بين سلاطين الدولتين.

وخصص الفصل الثاني للحديث عن العلاقات الزيانية المملوكية، مبرزين موقف بني زيان من الدولة المملوكية في إطار تحالف هذه الأخيرة مع بني مرين الأعداء التقليديين لبني عبد الواد، والمراسلات التي تم توجيهها من تلمسان إلى القاهرة، وذلك زمن المماليك البحرية والجراكسة.

أما الفصل الثالث فحمل عنوان العلاقات المرينية المملوكية، وكانت الدولة المرينية بالمغرب الأقصى أكثر دول المغرب الإسلامي تعاملا مع المماليك وأكثر اتصالا بهم بالمراسلات والهدايا، لأنها كانت تمثل الدولة الحامية للجناح الغربي للعالم الإسلامي.

أما الفصل الرابع فتعرضنا فيه للعلاقات بين الدولة النصرية في غرناطة مع الممليك، والمراسلات التي تمت بينهما في إطار الوضع المتأزم الذي شهدته الأندلس أمام اشتداد حركة الاسترداد النصرانية، ومحاولة النصريين الاستنجاد بالقوة المملوكية لإنقاذ الموقف.

أما الباب الثاني فأفرد لمعالجة الشق الثاني من موضوع الرسالة وهو الروابط الثقافية بين دول المغرب الإسلامي والدولة المملوكية، وقسمته بدوره إلى أربعة فصول، تعرضنا في الفصل الأول إلى معالم الحياة الثقافية بالمغرب الإسلامي ومدى مساهمة الحكام في ازدهارها من خلال إنشاء المؤسسات التعليمية والثقافية في أبرز المراكز الثقافية مثل تونس وبجاية وتلمسان وفاس وغيرها، وأصناف العلوم وأشهر العلماء في كل دولة من الدول المغاربية.

وفي الفصل الثاني تناولنا بالدراسة الحياة الثقافية بدولة المماليك التي صارت حواضرها مثل القاهرة ودمشق والمدينة المنورة ومكة المكرمة منارات علمية بما احتوت عليه من مدارس ومساجد وخوانق وزوايا كثيرة جدا بالمقارنة مع بلاد المغرب الإسلامي، ومدى النشاط الثقافي الذي بلغته في ظل اهتمام السلاطين المماليك بهذا الجانب.

أما الفصل الثالث فخصصناه للحديث عن ظاهرة الرحلة بين المغرب والمشرق، وكانت العامل الأساسي في مد وتقوية الروابط الثقافية، فذكرنا تعريفها ومسالكها ومصاعبها وأصنافها مركزين على رحلة الحج والدور الذي قام به الحجيج في مد جسور التواصل الثقافي بين أقطار العالم الإسلامي في

المشرق والمغرب ودور مدينتي مكة والمدينة المنورة في هذا الجانب، ودراسة ظاهرة المجاورة التي اعتاد المغاربة القيام بها أمام المشاهد النبوية، وكذلك والرحلة في طلب العلم، مع ذكر عينات من العلماء الذين ارتحلوا من المغرب نحو المشرق وكذلك من المشرق إلى المغرب طلبا للعلم أو للتدريس أو لتولي مناصب في الدولة أو لأخذ الإجازة أو للمناظرة.

وكان الفصل الرابع خاتمة هذا الباب وخص لذكر أبرز مظاهر التواصل الثقافي بين بلاد المغرب الإسلامي وبلاد المشرق، وما خلفته اللقاءات المتكررة بين العلماء من تبادل للعلوم والتصانيف، وما حدث بينهم من مناظرات وتبادل للإجازات، وكذالك انتقال التيارات الفكرية، والمذاهب الفقهية والطرق الصوفية ونمط التعليم في المؤسسات التعليمية.

وختمت الرسالة بخاتمة هي عبارة عن استنتاجات عامة حول موضوع البحث.

كما دعمناه بمجموعة من الملاحق هي عبارة عن نصوص للمراسلات التي تم تبادلها بين حكام دول المغرب الإسلامي ودولة المماليك، وخرائط تتعلق بالحدود السياسية للكيانات المغاربية والدولة المملوكية وخط الرحلة وأبرز مسالكها، وصور للمنشآت الثقافية التي كانت قائمة بالحواضر المغاربية والمشرقية.

ولا ننفي مصادفتنا لجملة من الصعوبات واجهتنا أثناء القيام بإنجاز الرسالة، خاصة ضرورة التوفيق بين العمل البيداغوجي والتدريس وإعداد المحاضرات والقيام بمهمة البحث الأكاديمي، وكذلك تناثر مادة الموضوع بين المكتبات الوطنية وبعض المكتبات في الخارج مما اضطرنا للقيام بالسفر من أجل توفيرها.

ونأمل أن يكون هذا البحث إضافة علمية بمنهجية أكاديمية في مجال تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط وعلاقته مع دول الجوار.

دراسة المصادر:

فرضت طبيعة الموضوع الاعتماد على مجموعة من المصادر المغربيّة والمشرقيّة، من كتب التاريخ العام أو الخاص بإحدى الدول المستقلة بالمغرب الإسلامي بعد الموحدين أو الدولة المملوكية، إضافة إلى كتب التراجم والطبقات والمناقب والفهارس والأثبات، ومصنّفات الرّحالة والجغرافيين.

أ – المصادر المغربية:

– كتاب "**تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**" لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي الذي كان حيّا سنة 894 هـ/1488م، وتعرض فيه لتاريخ الدولة الموحدية المؤمنية وتلاه بتاريخ الدولة الحفصية

إلى عصره اعتبارا أن هذه الأخيرة هي امتداد للأولى، وهو غني بالأحداث السياسية وذكر المنشآت الثقافية.

- كتاب"**الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**" لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن الشماع الذي ألفه سنة 861هـ/1457م، وهو خاص بذكر سلاطين بني حفص والإشادة بأعمالهم السياسية والعسكرية والثقافية ومنجزاتهم العمرانية.

- كتاب " **روضة النسرين في دولة بني مرين**" لمؤلفه الأمير اسماعيل بن الأحمر النصري الذي كتبه خصيصا لذكر ملوك بني مرين ذكرا كرونولوجيا مختصر، كما ذكر بالموازات مع ذلك ملوك تلمسان من بني عبد الواد لكنه كان متحاملا عليهم واصفا إياهم بأقبح الأوصاف.

- كتاب "**اللمحة البدرية في الدولة النصرية**" للوزير الغرناطي لسان الدين بن الخطيب السلماني (ت:776 هـ/1374م) والذي أرخ فيه لتاريخ دولة بني الأحمر من قيامها إلى غاية القرن الثامن الهجري /14م.

- كتاب "**فصل الخطاب في ترسيل أبي بكر بن خطاب**" لابن خطاب المرسي الذي وفد من الأندلس على تلمسان وصار الكاتب الخاص للأمير يغمراسن بن زيان وابنه أبي سعيد عثمان، وقد حققه الدكتور أحمد عزاوي بعنوان المغرب والأندلس في القرن السابع /13م.

- كتاب "**بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**" ، لأبي زكرياء يحي بن خلدون (ت:780هـ/1378م)، و هو في جزأين، خصّص الأوّل للتعريف بإقليم المغرب الأوسط وتاريخه إلى قيام الدّولة الزيانيّة و ذكر سلاطينها حتّى انتهاء الدّور الأوّل من تاريخها، كما احتوى هذا الجزء على تراجم مهمّة للعلماء لا توجد في غيره من المصادر. أمّا الجزء الثاني فقد خصّص لعهد أبي حمّو موسى الثاني وما شهده من نشاط سياسي وثقافي، وقد نشر الجزأين معًا ألفرد بل بين 1903-1910، كما قام الدكتور عبد الحميد حاجيات بتحقيق ونشر الجزء الأوّل.

- كتاب "**العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**" لـ: عبد الرّحمن بن خلدون (ت:808 هـ/1406م)، خاصّة الجزء السّابع الذي خصّصه للحديث عن قبيلة زناتة وفروعها بني مرين وبني عبد الواد ودولتيهما وتطور مسارهما السياسي، إضافة إلى حديثه عن الدولة الحفصية،كما اهتم بذكر علاقاتها الخارجيّة، وانفرد بإيراد الرّسالة الّتي بعث بها السلطان الزياني أبي حمو موسى الأوّل إلى الملك النّاصر محمّد بن قلاوون المملوكي في خضم تطوّر العلاقات الزيانيّة المملوكية، وذكر بعض المراسلات والهدايا التي تبادلها

المرينيون والحفصيون والمماليك. كما تكمن أهمية هذا المصدر في كون مؤلّفه قد عاصر الأحداث في المغرب والمشرق ويعد شهادة حية فيما يخص العلاقات الحفصية المملوكية في عهد السلطان المملوكي الظاهر برقوق الجركسي الذي وفد عليه ابن خلدون وأكرمه وراسل بسببه السلطان الحفصي في مسائل شخصية. وتعد "**المقدمة**" لكتاب العبر من المصادر الهامّة لهذه الدّراسة لكونها تضمّ الجانب الثقافي والعلمي للدّول الإسلاميّة عمومًا، وتعرض فيها ابن خلدون لمناهج العلوم والتعليم وتطورها بالمشرق والمغرب، ما يمكن الباحث من المقارنة بين المستوى الثقافي لكلّ من الإقليمين خلال القرن الثامن الهجري/14م على وجه التحديد.

- "**تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدّر والعقيان في بيان شرف بني زيان**" لأبي عبد الله محمّد بن عبد الجليل التنسي (ت:899 هـ/1493م)، وقد حقّقه محمود بوعياد ونشر سنة 1985، وتناول فيه صاحبه الأدوار التاريخيّة للدّولة الزيانيّة منذ قيامها حتّى عهده، كما اهتم بذكر ملوك بني زيان ومنجزاتهم الثقافيّة، وقد اعتمد في تأليفه على المؤرخين الذين سبقوه، كاِبني خلدون، لكنّه أورد أحداثا لم تذكرها المصادر الأخرى، كما تناول العلاقات الزيانية – المملوكية من خلال ذكر الهدية التي بعث بها أبو زيان محمّد بن أبي حمو إلى الملك الظّاهر برقوق أوّل ملوك الجراكسة بمصر.

-كتاب "**المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن**" لأبي عبد الله محمّد بن مرزوق الخطيب التلمساني (ت:781 هـ/1379م)، وقد اشتمل على معلومات تخصّ الجانب الثقافي للمغربين الأوسط والأقصى في عهد المرينيين، كما تكمن أهميته في مقدّمة المحققة ماريا خيسوس بغيرا الّتي اعتنت بالترجمة لعلماء أسرة المرازقة وخاصّة ابن مرزوق الخطيب، الّذي يعدّ من أبرز النماذج الّتي تتجلى من خلالها العلاقات الثقافيّة بين المغرب الإسلامي وبلاد المشرق. إضافة إلى كتابه " **المناقب المرزوقية**" لابن مرزوق الذي تعرض فيه إلى أسرة المرازقة وتاريخها وترجم لإفرادها من العلماء وشيوخهم، واستخلصنا منه الجو العام للحياة الثقافية بتلمسان والمغرب الإسلامي عموما إضافة إلى إشارات إلى الروابط الثقافية والروحية لعلماء أسرة المرازقة مع نظرائهم من المصريين والحجازيين.

ب – المصادر المملوكية:

- "**زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة**" للأمير المملوكي ركن الدّين بيبرس المنصوري الدّوادار، (ت:725 هـ/1324م)، وكان أحد كبار الأمراء المماليك وشارك في الأحداث السياسيّة لعصره، كما كان من العلماء البارزين، ويعدّ كتابه زبدة الفكرة من أدقّ المصادر التاريخيّة للفترة المدروسة، وقد

اعتمد عليه الكثير من المؤرخين الذين جاؤوا بعده، ويشتمل في جزئه التاسع المحقّق من طرف زبيدة محمد عطا على الفترة ما بين 656 هـ/1217م إلى 709 هـ/1309م بطريقة الحوليات، حيث عالج كلّ سنة وما جرى فيها من أحداث سياسيّة واقتصاديّة واجتماعيّة ومنجزات ثقافيّة، وضمّنه جملة كبيرة من الرّسائل والوثائق المملوكية، وتعرّض للعلاقات بين مصر وبلاد المغرب وباقي الدّول المجاورة، كما اعتنى بذكر وفيات أشهر العلماء بشكل مختصر في نهاية كلّ سنة .

- "**نزهة الأنام في تاريخ الإسلام**" لصارم الدّين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي المعروف بابن دُقماق (ت:1406/809م)، وقد كان جنديا في الجيش المملوكي، ثمّ اتجه لطلب العلم وألّف الكثير من الكتب التاريخيّة. وقد اعتمد في كتابه هذا على أسلوب التاريخ الحولي، وأورد تفاصيل مهمّة عن كيفيّة انتقال الحكم من الأيوبيين إلى المماليك، كما ترجم لبعض العلماء والأعلام، واهتم بذكر بعض الأحداث الطبيعيّة كالزلازل والفيضانات وغيرها.

- "**كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك**" لتقي الدّين أبي العبّاس أحمد بن علي المقريزي (ت:845 هـ/1442م)، وقد كان من ضمن كتاب الإنشاء، كما تقلّد مناصب القضاء والحسبة، ويعدّ كتاب السلوك من أهم المصادر المملوكية و قد رتّبه على السّنين في عدّة أجزاء وأقسام، وأرخ فيه للفترة الممتدّة بين 577- 844 هـ/1181-1440م، وركّز على الأحداث السياسيّة، ورغم ذلك لم يهمل ذكر بعض المنجزات الثقافيّة لسلاطين المماليك كما ترجم لبعض العلماء. كما يعد كتابه : "**المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار المعروف بالخطط المقريزية**" المصدر الأساسي الذي اعتمدناه في التعريف بالمؤسّسات التعليمية المصرية في عصر المماليك، حيث يعدّ هذا الكتاب سجلاّ شاملا لخطط مصر العمرانية والجغرافية وأحوالها الزراعية والصناعية والمالية والإدارية فضلا عن الثقافية، كما ترجم فيه صاحبه لمجموعة من السلاطين المماليك.

- "**عقد الجمان في تاريخ أهل الزّمان**" لبدر الدّين العيني (ت:855 هـ/1451م)، وهو تاريخ كبير، لكن الّذي يهمنا منه الأجزاء الثلاثة الأولى الّتي خصّصها صاحبها لعصر المماليك وهي محقّقة ومنشورة، و فيها ذكر الوقائع التاريخية بالاستناد إلى المصادر التي سبقته.

- "**النجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة**"، لأبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت:874 هـ/1469م)، الّذي كان أبوه من جملة الشخصيات السياسية بمصر، ما ساعده على التعرف على الوقائع بشكل دقيق، ويقع هذا الكتاب في عدّة أجزاء وفيه تناول المؤلّف تاريخ مصر والقاهرة منذ الفتح الإسلامي حتّى سنة 857 هـ/1453م وخصّص لتاريخ المماليك ثمانية أجزاء كاملة

من كتابه، وتناول سيرة كلّ سلطان وما جرى في عهده من أحداث سياسيّة ومنجزات ثقافيّة وختم كلّ سيرة بملخّص، كما ترجم للكثير من العلماء المشارقة والمغاربة، وانفرد بذكر مقياس فيضان نهر النيل كلّ سنة متّبعًا طريقة الحوليات.

- "**نهاية الأرب في فنون الأدب**" لأبي العبّاس شهاب الدّين أحمد بن عبد الوهاب بن أحمد النّويري (ت:732 هـ/1332م)، وقد كان أحد رجال السلطان النّاصر محمد بن قلاوون، وتولى نظارة الجيش، كما اشتهر بموسوعته نهاية الأرب الّتي بلغت 31 مجلدا بها خمسة فنون، وكلّ فنّ به خمسة أبواب، أطولها الفنّ الخامس وهو التاريخ الّذي خصّصت له قسما هامًا من كتابه وقد تناول في الأجزاء الأخيرة منه تاريخ المماليك مفصلاً كما عقد للظاهر بيبرس جزءًا خاصًا به، ولم يكفي بالأحداث السياسيّة بل أورد الكثير من المنجزات الثقافيّة وتراجم بعض العلماء.

- "**صبح الأعشى في صناعة الإنشا**" لأبي العبّاس أحمد بن علي القلقشندي (ت:821 هـ/1418م)، ويعتبر هذا الكتاب موسوعة و من أهم ما كتب بالعربيّة عن تاريخ مصر خلال عصر المماليك، خاصة وأنّ كاتبه اشتغل بديوان الإنشاء لفترة طويلة، ما مكنّه من الإطلاع على الوثائق الرّسميّة والمراسلات المملوكيّة الّتي قام بتوثيقها في موسوعته، كما سجّل لنا مواقع المدن والبلدان والممالك الإسلاميّة وأحوالها العامّة بما فيها الثقافية والعلميّة، واعتنى بذكر المؤسّسات التعليميّة بمصر، وأفادنا في التعرف على معاني المصطلحات المملوكيّة، والأهم من ذلك أنّه تفرد بإيراد الكثير من نصوص الرسائل التي تم تبادلها بين سلاطين المماليك والمغرب الإسلامي.

- "**الذّيل على العبر في خبر من عبر**" لأبي زرعة أحمد بن أبي الفضل عبد الرّحيم بن الحسين بن العراقي (ت:826 هـ/1423م)، و هو عبارة عن تاريخ حولي لدولة المماليك، كما يتميّز هذا المصدر بإيراده لتراجم العلماء بنحو من التفصيل.

- "**تاريخ ابن قاضي شهبة**" للقاضي تقي الدين بن قاضي شهبة الدّمشقي (ت:851 هـ/1448م)، الّذي عالج فيه تاريخ دولة المماليك وترجم لجملة من العلماء.

- "**حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**" لجلال الدّين عبد الرّحمن السيوطي (ت:911 هـ/1505م)، وقد جمع فيه تاريخ مصر ملخّصا منذ بداية الخليفة حتّى عصره، وأفادنا في كونه ترجم ولو بإيجاز للأعلام والعلماء المصريين وذكر نبذة من تاريخ المؤسّسات التعليميّة من المساجد والمدارس. إضافة إلى كتاب آخر له وهو "**تاريخ الخلفاء**" الّذي أورد فيه قائمة للخلفاء العبّاسيين بالقاهرة وعرّف بهم وبأحوال مصر في عهدهم و علاقة السلاطين بهم.

- "**بدائع الزّهور في وقائع الدّهور**" لمحمد بن إياس الجركسي الحنفي (ت:930 هـ/ 1523م)، وقد اشتغل بعدّة وظائف سامية وتمكّن من تحرّي الدّقة في مؤلّفه الّذي خصّصه لتاريخ مصر مركّزًا على الفترة المتأخرة من عصر المماليك حتى سقوط دولتهم، وقد رتّبه على الشهور والأعوام إلى غاية سنة 928 هـ/1521م، وضمّنه تراجم السلاطين والأعلام وذكر المنجزات الثقافيّة.

- "**البداية والنهاية**" لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدّمشقي (ت:774 هـ/1372م)، وهو عبارة عن تاريخ عام ومطوّل، وقد اعتمدنا على الأجزاء المتعلّقة بالفترة المدروسة خاصّة الثالث عشر والرّابع عشر وفيها ترجم للأعلام والعلماء من مختلف العالم الإسلامي.

ج – كتب الطبقات و التراجم:

- "**كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**" لأبي عبد الله محمّد المليتي التلمساني المعروف بابن مريم (كان حيّا سنة 1025 هـ/1611م)، و هو عبارة عن تراجم لعلماء تلمسان والمغرب الأوسط وبعض المغاربة والمشارقة بنوع من التفصيل الّذي ذكر فيه شيوخ المترجم له وتلاميذه ورحلاته العلميّة ومؤلفاته.

- "**كتاب نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج**"، لأبي العبّاس أحمد بن أحمد المعروف ببابا التنبكتي (ت:1032 هـ/1624م)، الّذي ترجم فيه لعلماء المغرب والأندلس والمشرق تراجم وافية، وقد طبع على هامش "**الدّيباج المذّهب في معرفة أعيان المذهب**" لبرهان الدين بن علي بن محمّد بن فرحون اليعمري (ت:799 هـ/1397م)، والّذي خصّص لتراجم علماء المالكية بدءًا بالإمام مالك حتّى عصر المؤلّف.

- "**نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب و ذكر وزيرها لسان الدّين بن الخطيب**"، لأبي العبّاس أحمد بن محمّد المقرّي التلمساني (ت:1041 هـ/1631م)، وهو عبارة عن موسوعة تراجم لأدباء وفقهاء المغرب والأندلس، وتعرّض من خلالها إلى رحلاتهم نحو مصر والشام والحجاز ومن التَقَوْهُ من نظرائهم هناك وأخذوا عنهم وذَكَر مصنفاتهم وتلاميذهم.

- "**شجرة النّور الزّكيّة في طبقات المالكيّة**" لمحمد بن محمد مخلوف المالكي، وفيه تراجم لعلماء المالكيّة من مصر والشام والحجاز والمغرب الإسلامي.

- "**الوفيات**" لأبي العبّاس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب بن قنفذ القسنطيني (ت:810 هـ/1406م)، و فيه تعرّض لذكر وفيات الأعلام من العلماء في الأقطار الإسلاميّة بإيجاز.

إضافة إلى كتاب "**عنوان الدّراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**" لأبي العبّاس أحمد بن أحمد الغبريني (ت:704 هـ/1307م) ، وكتاب "**تعريف الخلف برجال السّلف**" لأبي القاسم الحفناوي.

- "**المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**" لأبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي صاحب النّجوم الزّاهرة، ويتكوّن من عدّة أجزاء محقّقة، وفيه تراجم لأكثر من 2500 شخصيّة بين سلطان وأمير وخليفة وقاض وأديب ومتصوّف وطبيب وشاعر، مرتبا على الحروف.

- "**الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**" للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت:852 هـ/1449م)، في عدّة أجزاء خصّصها المؤلّف لتراجم مشاهير علماء ورجال القرن الثامن الهجري (14م مرتبا على حروف المعجم.

- "**الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**" لشمس الدّين السّخاوي (ت:902 هـ/1498م)، وهو تكملة لكتاب الدّرر الكامنة، وفيه جمع تراجم مشاهير القرن التاسع الهجري/ 15م من العلماء والقضاة والرّواة والأدباء والشعراء والخلفاء والملوك والأمراء من المشرق والمغرب ورتّبه على حروف المعجم، وهو يكتسي أهميّة كبيرة سوى ما نجده من بعض التحامل على بعض المترجمين لهم من العلماء .

- "**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان**" لابن خلّكان (ت:681 هـ/1283م)، و فيه تراجم لمشاهير علماء وشخصيات العالم الإسلامي حتّى عصر المؤلّف، وكتب ابن شاكر الكتبي (ت:764 هـ/1362م) ذيلا على هذا الكتاب سمّاه "**فوات الوفيات**" رتّبه على حروف المعجم وفيه ترجم لجملة من المشارقة والمغاربة.

- "**طبقات الأولياء**" لسراج الدّين أبي حفص عمر بن الملقّن المصري (ت:804 هـ/1400م)، وقد خصّصه لتراجم رجال التصوف الإسلامي في المشرق والمغرب حتّى عصره.

- "**سير أعلام النّبلاء**" لشمس الدّين الذّهبي (ت:748 هـ/1347م)، خاصّة الجزأين السّادس عشر والسّابع عشر المخصّصين لتراجم والملوك والأمراء والخلفاء وخاصّة العلماء من الفقهاء والأدباء والشعراء من المشرق والمغرب والأندلس.

- "**نظم العقيان في أعيان الأعيان**" لجلال الدّين عبد الرّحمن السيوطي، وهو عبارة عن تراجم لمشاهير أهل القرن التاسع الهجري/15م في مصر وبلاد الشام والمغرب، ولسائر البلاد الإسلاميّة،

إضافة إلى كتابه "**بغية الوعّاة**" الّذي خصّصه للّغويين والنّحاة في مصر وبعض البقاع الإسلاميّة، و"**طبقات الحفّاظ**" الذي خصّصه لحفّاظ وعلماء الحديث، وقد جاء مختصرًا ومفيدًا.

- "**الطبقات الكبرى**" لعبد الوهاب الشعراني (ت:973 هـ/1565م) في جزأين وهو عبارة عن قاموس لرجال التصوّف الإسلامي مشرقا ومغربًا.

- "**شذرات الذّهب في أخبار من ذهب**" لابن العماد الحنبلي (ت:1089 هـ/1678م) في ثمانية أجزاء، ترجم فيه للعلماء و الحكّام عبر العصور الإسلامية حتى القرن العاشر الهجري/16م.

- "**البدر الطّالع بمحاسن من بعد القرن السّابع**" للشّوكاني (ت:1250 هـ/1834م) في جزأين، وقد احتوى على تراجم لأعلام المشرق والمغرب من القرن السّابع حتّى عصر المؤلّف.

إضافة إلى كتاب "**نكت العميان في نكت العميان**" لخليل بن أيبك الصّفدي (ت:764 هـ/1362م)، وبعض الكتب الحديثة كالأعلام للزركلي.

د – كتب الرّحّالة و الجغرافيين:

تكتسي هذه المصادر قيمة توثيقيّة تاريخيّة هامّة في مثل هذه الدّراسات لكونها تجسّد مدى التواصل الذين كان موجودًا بين أقاليم الدّول الإسلاميّة، وفي مجال العلاقات بين المغرب الإسلامي وبلاد المشرق تأتي في مقدّمة ذلك المصادر:

-"**النفحة المسكية في الرحلة المكية**" لابن سعيد المغربي (ت 685هـ/1286م) وهو من الرحالين المغاربة الأوائل الذين زاروا الحجاز زمن المماليك.

- "**ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة**" لمحمد بن عمر بن رشيد السبتي (ت721هـ/1321م) دون فيها تراجم من لقيهم في رحلته إلى الحجاز من العلماء والحفاظ والفقهاء والأدباء في المدن المشرقية، وأوضح طرق التعليم التي كانت متبعة آنذاك، والبرنامج الدراسي الذي كان سائدا، والكتب التي أجيز فيها، فضلا عن ذكر أماكن التحصيل العلمي من المدارس والمساجد وبيوت الفقهاء.

– "**الرحلة المغربية**" محمد العبدري (مجهول تاريخ المولد والوفاة)، وصف فيه البلدان التي زارها في المغرب والمشرق وأحوال ساكنيها بشكل من الموضوعية ودون مبالغة، ولفت انتباهه قلة إقبال أهل المدن على العلم.

– "**مستفاد الرحلة والاغتراب**" للقاسم بن يوسف التجيبي السبتي (ت 730هـ/1329م)، تحدث فيه عن القاهرة وجدة ومكة وتراجم العلماء الذين أخذ عنهم، كما صنف كتاب

"**البرنامج**" وهو عبارة عن تراجم مستخلصة من الكتاب الأول، واعتنى في الرحلة بتدوين المشاهدات الجغرافية والعمرانية وضبط أسماء المدن وفيها إشارات سياسية واقتصادية واجتماعية كثيرة ، كما أعطى وصفا دقيقا للمسجد الحرام وحالة مكة المكرمة الدينية والعلمية والعمرانية.

- "**رحلة ابن خلدون**" لعبد الرّحمن بن خلدون والتي هي عبارة عن سيرة ذاتية كتبها لنفسه وعرّف فيها بشيوخه، وتعرّض لأحوال الدّول الّتي مرّ بها وعمل فيها بالمغرب والأندلس ومصر، والعلاقات فيها بينها والهدايا الّتي كانت متبادلة بين ملوك المغرب ومصر.

– "**رحلة عبد الباسط بن خليل**" المعروفة بالرّوض الباسم في أخبار العمر والتراحم لعبد الباسط بن خليل المصري (ت:920 هـ/1514م)، و قد نشر الجزء الخاص ببلاد المغرب المستشرق الفرنسي روبرت برونشفك مترجما و محقّقا بالفرنسيّة إضافة إلى النّص العربي في كتاب رحلتان سنة 1936 بباريس. وتعدّ هذه الرّحلة سجلاّ هاما لرحّالة مصري زار المغرب الإسلامي خلال القرن 9 هـ/15م، حين قضى مدّة بتونس والجزائر وتلمسان ووهران والأندلس مكّنته من الالتقاء بالعلماء وتبادل المعارف معهم، كما قدّم لنا في رحلته وصفا للحياة السياسيّة والتجاريّة والاجتماعيّة والثقافيّة عمومًا.

– "**رحلة القلصادي**" المسماة "**تمهيد الطالب ومنتهى الرّاغب إلى أعلى المنازل والمناقب**" لأبي الحسن علي بن محمد القرشي البسطي المعروف بالقلصادي (ت:891 هـ/1486م)، وتكمن أهميتها في التراجم الّتي أوردها القلصادي لشيوخه الذين أخذ عنهم بالمغرب الإسلامي ومصر.

– "**رحلة ابن بطوطة**" المسماة تحفة النّظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار لمحمّد بن عبد الله اللّواتي الطنجي (ت:776 هـ/1373م)، وهي رحلة حافلة بالمشاهدات والأحداث التاريخيّة، كما تضمّنت وصفًا لمظاهر الحياة الثقافيّة فضلا عن السياسية والاقتصادية والاجتماعية للأقطار الّتي زارها ابن بطوطة خاصّة مصر والبلاد المشرقيّة عمومًا.

- "**وصف إفريقيا**" للحسن بن محمّد الفاسي المعروف بليون الإفريقي (ت:957 هـ/1552م)، والّتي سجّل فيها وصف المدن و الأقاليم الّتي مرّ بها خاصّة بالمغرب الأوسط و مصر.

إضافة إلى ذلك يمكن ذرك **رحلة ابن جبير** لأبي الحسن بن جبير (ت:614 هـ/1217م)، وكتاب "**نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**" لأبي عبد الله الشريف الإدريسي (ت:548 هـ/1154م) في جزئه الخاص بإفريقيا والأندلس والّذي حقّقه إسماعيل العربي، وكتاب "**المغرب في ذكر بلاد إفريقيّة**

والمغرب" لأبي عبيد الله البكري (ت:487 هـ/1094م) وقد أفادتنا في التعريف بالمواقع الجغرافيّة من مدن وأقاليم.

وتكملة لما أوردته المصادر حول الموضوع استعنّا بمجموعة من المراجع والدّراسات الحديثة المنشورة وغير المنشورة، وهي متخصّصة في تاريخ دول المغرب الإسلامي أو الدولة المملوكية سياسيا وثقافيّا، ومن تلك المراجع:

- كتاب " **ورقات عن حضارة المرينيين**" للمؤرخ المغربي محمد المنوني، وهو سجل لأحداث الدولة المرينية سياسيا وثقافيا بمنهج أكاديمي، وكتاب " **السلطنة الحفصية**" لمحمد العروسي المطوي، وهو دراسة وافية عن الأحوال السياسية التي شهدها المغرب الأدنى خلال الفترة المدروسة، وكتاب "**غرناطة في ظل بني الأحمر**" ليوسف شكري فرحات، وكتاب " **قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (6هـ - 9هـ /12م-15م) دراسة في دورها السياسي والحضاري**" للدكتور مفتاح خلفات، وهو من الكتب الأكاديمية الغنية بالأحداث السياسية والثقافية التي شهدتها منطقة المغرب الأوسط والأدنى مع عناية خاصة بدور علماء هذه القبيلة المغربية في بلاد مصر والشام.

كتاب "**أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره**"للأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات، وكتابي "**تلمسان عبر العصور**" و "**الروابط الثقافيّة بين الجزائر والخارج** "لمحمّد بن عمرو الطّمار، و" **تلمسان في العهد الزياني**" لعبد العزيز فيلالي، وكتاب "**نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية** "لبوزياني الدراجي وكتاب "**الدّولة الزيانية في عهد يغمراسن دراسة تاريخيّة وحضارية** للأستاذ الدكتور خالد بلعربي، وكتاب "**الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي**" لمجموعة من المؤلفين وكتاب "**تاريخ الجزائر العام**" للشيخ العلامة عبد الرّحمن الجيلالي، و"**العلماء الجزائريون في البلدان العربيّة و الإسلاميّة**" لعمار هلال، وكتاب " **مدخل إلى تاريخ العلوم بالغرب المسلم حتى القرن 15/9م**" بأجزائه الثلاثة لإبراهيم حركات.

وكتاب "**المماليك**" للسيد الباز العريني، و "**الدّولة المملوكيّة**" لأنطوان خليل ضومط ، وكتاب "**دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر**" لعبد المنعم ماجد، وكتابي "**المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك**" و "**مصر والشام في عصر الأيوبيين و المماليك**" لسعيد عبد الفتاح عاشور، و"**تاريخ دولة المماليك في مصر**" للسير وليم موير، و "**الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأوّل**" لعبد اللطيف حمزة، و"**خانقاوات الصوفيّة في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي**" بجزأيه لعاصم محمد رزق.

ومن الدّراسات الأكاديمية رسالة الأستاذ الدكتور لخضر عبدلي الموسومة "**الحياة الثقافيّة بالمغرب الأوسط خلال عهد بني زيان**"، ورسالة الأستاذ الدكتور مبخوت بودواية حول "**العلاقات الثقافيّة بين المغرب الأوسط والسودان الغربي خلال عهد بني زيان**".

إضافة إلى بعض المراجع باللّغة الأجنبيّة مثل كتاب: **les Etats de l'Occident musulmane** أو دوّل المغرب الإسلامي خلال القرن 13-15م لعطاء الله دهينة، وكتاب **Tlemcen** لجورج مارسي وبعض المقالات المتخصّصة المنشورة في الدوريات والمجلات أوردناها في قائمة البيبليوغرافيا.

إنّ نظرة نقدية إلى مادّة الموضوع تبين لنا مدى تفاوت المصادر في عرض المعلومات والأفكار والّتي تخدم موضوع البحث، وحاولت استثمار هذه المادة قدر الإمكان، ولجأت فيما يخص الروابط الثقافية إلى استنتاج ذلك من خلال تراجم العلماء المتوفرة في كتب الطبقات والتراجم، ومن خلال رحلات الحجيج والطلبة من المغرب إلى المشرق أو من المشرق إلى المغرب والمدونة في كتب الرّحلات.

الفصل التمهيدي

الواقع السياسي بالمغرب والمشرق الإسلاميين بين القرنين السابع والتاسع الهجريين/13-15م

1- الواقع السياسي بالمغرب الإسلامي

1-2- دولة بني أبي حفص

1-2- دولة بني عبد الواد الزيانية

1-3- دولة بني مرين

1-4- إمارة العزفيين بسبتة

1-5- أوضاع الأندلس ودولة بني نصر

2- أوضاع المشرق الإسلامي

2-1- التعريف بدولة المماليك

2-2- أصل المماليك

2-3- قيام دولة المماليك

2-4- دولتا المماليك

2-4-1- دولة المماليك البحرية

2-4-2- دولة المماليك الجراكسة

شهد العالم الإسلامي خلال النصف الأوّل من القرن 7هـ/13م عدّة تحولات حاسمة مسّت مشرقه ومغربه على حدّ سواء، كان أبرزها تغير الخريطة السياسيّة بسقوط دوّل وقيام دوّل جديدة توزّعت حكم رقعته الشاسعة، وبرزت أخطار هدّدت الوجود الإسلاميّ في كثير من أقاليم المشرق والمغرب، تمثلت على وجه التحديد في حركة المغول الذين اتحدّت قبائلهم بزعامة تموجين (جنكيزخان)، وأسّسوا دولة توسّعت على حساب الأراضي الإسلاميّة، وكانوا عند مرورهم بالحواضر والمدن في بلدان ما وراء النّهر وخراسان وفارس والعراق يتلفون مظاهر الحضارة والعمران[1]، كما كانت الحركة الصليبية لا تزال نشطة، وعمل الصليبيون ما في وسعهم للاستيلاء على الثغور والأماكن المقدسة في بلاد الشام وفلسطين ومصر[2].

أمّا في الأندلس فقد اشتدّت حركة الإسترداد الّتي تزعمها ملوك الدويلات النصرانيّة الفتيّة بشبه الجزيرة الإيبيريّة، وتساقطت المدن الإسلاميّة تباعًا، وتعرّض الأندلسيون للاضطهاد[3].

وفي خضم هذه التطورات كانت كلّ من بلاد المغرب والمشرق الإسلاميين تشهد أفول نجم دولتين كانتا من أقوى الدّول في التاريخ الإسلامي هما الدولتان الموحدية والدولة الأيوبية.

---

[1] – محمد بن علي بن نظيف الحموي، **التاريخ المنصوري تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان**، تح : أبو العيد دودو، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1990، ص 73-77- أبو الحسن بن الأثير الجزري، **الكامل في التاريخ**، ط 2 ، ج9، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967، ص 383-385- أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، **البداية والنهاية**، ط 6، ج 13، مكتبة المعارف، بيروت، 1985، ص 117-121- شهاب الدين النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج 27، تر: سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، 1985، ص 248 وما يليها- جلال الدين السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، تح: أحمد إبراهيم زهوة، سعيد بن أحمد العيد روسي، دار الكتاب العربي، بيروت، 2005، ص 357فؤاد عبد المعطي الصياد، **المغول في التاريخ**، ج1، دار النهضة العربيّة، بيروت، 1970، ص 19 وما يليها ؛ أحمد صادق سعد، "المغول"، **مجلة آفاق عربيّة**، ع 4 ديسمبر 1976، ص 98.

[2] – عماد الدين الأصفهاني، **الفتح القسي في الفتح القدسي**، المطبعة الخيريّة، مصر 1322هـ ، ص 14 وما يليها – ستيفن رنسيمان، **تاريخ الحروب الصليبيّة**، تر: الباز العربي، دار الثقافة، بيروت، 1954، ص 453 – عبد المنعم ماجد، **الدّولة الأيوبيّة في تاريخ مصر الإسلاميّة**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997، ص 33.

[3] – عادل سعيد بشتاوي، **الأندلسيون المواركة**، المقطم للنشر والتوزيع، القاهرة، 1983، ص 91 – 92 – لوي كردياك، **الموروسكيون والمسيحيون**، تر: عبد الجليل التميمي، منشورات المجلة التاريخيّة المغربيّة، ديوان المطبوعات الجامعيّة، تونس – الجزائر، 1983، ص 89-120-

Jean Brignon, (et autres) **, Histoire du Maroc**, Librairie Nationale, Casablanca, 1967, P137.

1 – الواقع السياسي بالمغرب الإسلامي:

كانت الدولة الموحدية من الدول الإسلامية التي استطاعت أن تحكم المغرب الإسلامي من إفريقية شرقا إلى غاية المحيط الأطلسي غربا، ومن أعماق الصحراء الإفريقية الكبرى إلى غاية الأندلس، **وقد** تأسّست هذه الدولة على يد المهدي محمد بن تومرت[1]، وعرفت بالدّولة المؤمنية نسبة إلى عبد المؤمن بن علي[2]، وانطلق الموحدون من بلاد السوس الأقصى، وبنوا عقيدتهم على التوحيد[3]، وشنوا حربا فكريّة وعسكرية على المرابطين، ووصفوهم بالتجسيم[4] وتمكنوا من إسقاط عاصمتهم مراكش وتوحيد أقاليم المغرب[5].

ولم تلبث دولة الموحدين أن عرفت عدّة اضطرابات عجّلت بسقوطها، خاصة ثورة بني غانية[6] واضطرابات الأندلس وموقعة العقاب سنة 609 هـ/1212م[7]، وظهرت بوادر الانفصال في أقاليم الدّولة، فتأسّست دويلات وإمارات جديدة ببلاد المغرب الإسلامي هي:

1–1– دولة بني أبي حفص بإفريقية:

[1]– ولد سنة 485هـ/1092م وارتحل لطلب العلم بالمشرق، ثمّ عاد إلى المغرب وبويع سنة 515 هـ/ 1121م، توفي سنة 524 هـ/1130م. أبو بكر علي الصنهاجي البيذق، **أخبار المهدي بن تومرت**، تح: عبد الحميد حاجيات، المؤسّسة الوطنيّة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص 33 – لسان الدين بن الخطيب، **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام**، تح: أحمد مختار العبادي ، إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964، ص 266 Rachid Bourouiba, **Ibn Tumart**, SNED, Alger, 1982, p 9 -

[2] – أصله من تاجرا قرب هنين، حكم من 524- 558 هـ/1130-1163م. عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 2006، ص 148 – أبو عبد الله الزركشي، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تح: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966، ص 13.

[3] – محمد بن تومرت، **أعز ما يطلب**، تح: عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 267.

[4] – محمد بن تومرت، المصدر نفسه، ص 242 – البيذق، المصدر السابق، ص 85.

[5]– عبد الحميد حاجيات، **تاريخ الجزائر السياسي في عهد الموحدين**،ضمن كتاب:**الجزائر في التاريخ**، ج3،المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص308.

[6] – هم من بقايا المرابطين، قدموا من الجزائر الشرقية (البليار)، واستولوا على عدّة أقاليم بالمغرب وأحدثوا خللاً كبيرًا للدولة الموحدية.المراكشي، المصدر السابق، ص195 – 198 – عبد الرّحمان بن خلدون، **كتاب العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ج 6، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981،ص395 – عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادي، **تاريخ البحرية الإسلاميّة في المغرب و الأندلس**، دار النّهضة العربيّة، بيروت، 1969، ص 270 – 282.

[7] – عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج6، ص 522 – Brignon (et autres) ،op-cit, p147

ينتسب الحفصيون إلى أبي حفص عمر بن يحيى بن عمر الهنتاتي، وهناك من يرفع نسبهم إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه[1]، وهم من قبيلة هنتاتة البربرية أكبر قبائل المصامدة بالمغرب الأقصى، والتي كانت السباقة إلى نصرة دعوة محمد بن تومرت، هذا الأخير الذي كنى جدهم عمر زعيم هنتاتة بأبي حفص وضمه إلى جماعة العشرة المقربين منه، وأصبح في عهد عبد المؤمن بن علي من كبار رجال الدولة حتى وفاته سنة 571هـ/1175م[2].

وترك أبو حفص عمر كثيرا من الأولاد تولوا عدة مناصب في ولايات الدولة الموحدية بالمغرب والأندلس، وكان منهم أبو محمد عبد الواحد الذي أصبح من كبار أشياخ الموحدين، ولما اشتدت حركة بني غانية على تونس وكامل بلاد المغرب الأدنى نهض إليه الخليفة الموحدي الناصر بن يعقوب المنصور (595-610هـ/1199-1214م)[3]، وكلف أبا محمد عبد الواحد بملاحقته وتمكن من هزيمته هزيمته قرب مدينة قابس[4].

وعقب عودة الخليفة الموحدي إلى مراكش قرر أن يجعل عبد الواحد الحفصي واليا على إفريقية وذلك سنة 603هـ/1206م، فعمل الوالي الجديد على إخماد ثورة بني غانية وتنظيم شؤون إفريقية والاهتمام بكل جوانب الحياة حتى وفاته سنة 618هـ/1221م[5].

وأجمع شيوخ الموحدين على تعيين ابنه أبي زيد عبد الرحمن، غير أن الخليفة الموحدي المستنصر لم يوافق على التعيين مخافة أن تصبح ولاية إفريقية في ملك البيت الحفصي بالوراثة، وتم تعيين أبي العلاء بن أبي يعقوب من بني عبد المؤمن[6]، لكن عهده تميز بعودة نشاط بني غانية، فقرر الخليفة

---

[1] - عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج6، ص577 - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الشماع، **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تح: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984، ص48 - محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني ابن أبي دينار، **المؤنس في أخبار إفريقية و تونس**، ط 3، دار المسيرة، بيروت، 1993، ص153 – 200.

[2] - ابن الشماع، المصدر السابق، ص 49 – روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، ج1، تر: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص 42.

[3] - الزركشي، المصدر السابق، ص17.

[4] - ابن الشماع، المصدر السابق، ص 49. ومدينة قابس تقع بين طرابلس الغرب وصفاقس وتبعد عن البحر بحوالي ثلاثة أميال. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص289.

[5] - المصدر نفسه، ص52 – ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص131.

[6] - عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص 587-588 – الزركشي، المصدر السابق، ص 19.

العادل الموحدي[1] تعيين أبي محمد عبد الله بن الشيخ عبد الواحد سنة 627هـ/1225م بعد أن أدرك مدى أهمية بني حفص في حفظ النظام والأمن بالمغرب الأدنى، وولى عبد الواحد أخاه أبا زكرياء يحيى على مدينة قابس وأبي إبراهيم على بلاد قسطيلية[2]، وسعى إلى القضاء النهائي على بقايا بني غانية الذين تمكنوا من الاستيلاء على مدينة بجاية[3] وتدلس[4] والجزائر ومازونة[5] وعاثوا فيها فسادا.

وفي منتصف سنة 624هـ/ 1226م تمكن الشيخ أبو عبد الله محمد من تحرير الأراضي الموحدية التي استولى عليها بنو غانية ولاحقهم إلى غاية سجلماسة ثم عاد إلى تونس في شهر رمضان من السنة نفسها.

وعقب مقتل الخليفة العادل خلفه يحيى المعتصم، لكن والي إشبيلية أبو العلاء إدريس تحرك نحو مراكش واستولى على الخلافة وتلقب بالمأمون، وبعث إلى والي إفريقية أبي محمد يطلب منه البيعة والولاء، لكن أبا محمد رفض فاتصل المأمون بأخيه أبي زكرياء فوافق وأخذ له البيعة على قابس وبعث له الخليفة الموحدي بالتقليد على كامل ولاية إفريقية، وكسب أبو زكرياء في البداية تأييد بني مكي[6] أعيان قابس، ثم أعلن ولايته على كامل إفريقية من القيروان سنة 625هـ/1227م، ولما علم أخوه أبو محمد بذلك خرج لقتاله لكن شيوخ الموحدين تخلو عنه ثم بايعوا أبا زكرياء يحيى [7].

---

[1] – أبو محمد عبد الله بن يعقوب المنصور بن أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الملقب بالعادل (621-624هـ/1224-1227م). الزركشي، المصدر السابق، ص20.

[2] – تقع بإقليم الجريد وأهم مدنها نفطة وتوزر. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص348.

[3] – **بجاية**: مدينة قديمة، كانت عاصمة لدولة بني حماد، وصارت خلال ق 8هـ/14م عاصمة لفرع من الحفصيين، وكانت تعرف ازدهارًا تجاريا وثقافيًا كبيرًا. الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 50- يحي بوعزيز، "مركز بجاية الحضاري" ، **مجلة الحضارة الإسلاميّة**، ع1، أبريل 1993، ص1 – 16 مولاي بلحميسي، "دور بجاية في البحر الأبيض المتوسط في عهد الحماديين والحفصيين"، **الملتقى الثامن للفكر الإسلامي**، بجاية 1974، ص 561

[4] – تدلس مدينة ساحلية تقع بين بجاية والجزائر. الحميري، المصدر السابق، ص132.

[5] – **مازونة**: أسست سنة 565**هـ** على يد بني منديل من مغراوة، وكان موقعها يمتاز بوفرة المباني وخصوبة الأراضي، الإدريسي، المصدر السابق، ص172 – الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 36 .

[6] – هم من قبيلة لواتة البربرية وكانو منتشرين في قابس وصفاقس، واستقلوا عن الدولة الحفصية وكونوا إمارة مستقلة عن تونس دامت إلى سنة 796هـ/1396م. عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص 945-957.

[7] – الزركشي، المصدر السابق، ص 23 – ابن الشماع، المصدر السابق، ص 54.

ويبدو أن أبا زكرياء كان يسعى للوصول إلى الحكم منذ الوهلة الأولى، وكانت سياسته تقتضي التحالف الظرفي مع الخليفة المأمون، لكنه ومباشرة بعد استتباب الأمر له دعا ليحيي المعتصم بن أخي المأمون ومنافسه على الخلافة الموحدية، كما أرسل إلى عمال ولاية إفريقية بخلع أبي العلاء إدريس المأمون وذلك سنة 627هـ/1229م وتلقب بالأمير وذلك أول بادرة من الحفصيين لإعلان استقلالهم عن مراكش[1].

وتمكن أبو زكرياء الحفصي من الاستيلاء على عمالات الموحدين في قسنطينة[2] وبجاية وأخضع قبائل شلف. وفي سنة 634هـ/ 1237م بويع البيعة الثانية وأصبح يذكر في الخطبة بعد اسم محمد بن تومرت. وفي635هـ/1238م وصلت بيعة زيان بن مردنيش[3] صاحب شاطبة بالأندلس رفقة الحافظ والأديب أبي عبد الله محمد بن الأبار[4]، وفي سنة 639هـ/1242م، توجه أبو زكرياء إلى مدينة تلمسان تلمسان وضمها إلى حكمه[5]، وفي 640هـ/1243م وصلت البيعة من سجلماسة وطنجة ثم توالت البيعات من مدن الأندلس إشبيلية والمرية وغرناطة[6].

واستمر أبو زكرياء الحفصي في حكمه لإفريقية مستقلا عن سلطة الموحدين لكن حافظ على تقاليدهم الدينية وعلى الدعوة الموحدية وتعاليم إمامهم محمد بن تومرت الملقب بالمهدي، ومعترفا به من طرف جل الكيانات السياسية الناشئة ببلاد المغرب الإسلامي حتى وفاته في جمادى الآخرة سنة 647هـ/أكتوبر 1249م[7].

---

[1] – ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص 293 - عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج 6، ص594 – 595.

[2] – **قسنطينة**: مدينة قديمة كانت محصنة ومنيعة واشتهرت منذ عهد الرومان بقناطرها. البكري، المصدر السابق، ص 63 – الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 55.

[3] – عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص601.

[4] – هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي الأندلسي البلنسي الشهير بابن الأبار (595-658هـ/1199-1259م) فقيه ومحدث وحافظ ومقرئ ونحوي وأديب ولغوي وكاتب ومؤرخ. من أشهر تآليفه كتاب تكملة الصلة والحلة السيراء والمعجم. الغبريني، عنوان الدراية، ص183.

[5] – عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص608 – ابن الشماع، المصدر السابق، ص59.

[6] – ابن الشماع، المصدر السابق، ص59-60.

[7] – عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص 400.

وتولى بعده ابنه وولي عهده محمد الملقب بالمستنصر بالله وعقد له البيعة عمه أبو عبد الله اللحياني[1] الذي سرعان ما قام بثورة ضده بتدعيم من الوزير محمد بن أبي مهدي الهنتاتي، الذي أراد الحد من سلطة المستنصر ونفوذ الأندلسيين الذين احتلوا المناصب العليا في الدولة الحفصية ونافسوا الموحدين، لكن هذه الثورة كان مصيرها الفشل[2]. إضافة إلى إخماده لكثير من الثورات الأخرى بالمغربين الأدنى والأوسط. واستمر بنو زيان وبنو مرين في مبايعة بني حفص كما ذاع صيته بالمشرق وبايعه شريف مكة سنة 657هـ/1259م عقب سقوط الخلافة العباسية ببغداد على يد المغول سنة 656هـ/1258م[3].

وبعد وفاة المستنصر سنة 675هـ/1275م انتهى العصر الذهبي للدولة الحفصية وبدأ عهد من الاضطرابات والانقسامات والتفكك في أنحائها بسبب اشتداد الصراع حول السلطة بين أبناء البيت الحفصي، واستمرت بين مد وجزر مما أغرى الإسبان بها حيث انتقصوا منها الكثير من المدن الساحلية، وبقيت تحت وصايتهم إلى غاية دخول الأتراك العثمانيين سنة 981هـ/1574م[4].

1 – 1 - دولة بني عبد الواد بالمغرب الأوسط[5]:

تنسب الدّولة الزيانيّة إلى بني عبد الواد، وهم فرع من فروع الطبقة الثانية من زناتة[6]، وأصل تسميتهم عائد إلى جدّهم عابد الوادي، وهم من ولد سجيح بن واسين بن يصليتن بن

---

[1] – عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص402.

[2] – ابن الشماع، المصدر السابق، ص92 – الزركشي، المصدر السابق، ص118.

[3] – انظر الفصل الخاص بالعلاقات السياسية بين الدولتين الحفصية والمملوكية.

[4] – برونشفيك، المرجع السابق، ص 310.

[5] – يطلق اسم المغرب الأوسط على الإقليم الواقع بين إفريقية والمغرب الأقصى، وتحديدًا من بلاد الزاب شرقا إلى نهر ملوية غربًا. أبو القاسم بن حوقل النصيبي، **كتاب صورة الأرض،** ط 2، ج1، ليدن، 1938 ، ص 60-90 ؛ يحيى بن خلدون، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد،** ج1، تح: عبد الحميد حاجيات، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1980، ص 84. لخضر عبدلي، **الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان،** رسالة دكتوراه في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2005، ص 18-19.

[6] – زناتة من قبائل البتر البربرية، ويرجع النسابة أصلها إلى شانا أو جانا بن يحي بن صولات بن ورماك بن ضرى بن زحيك بن مادغيس بن بر، وكانوا عدة فروع إضافة إلى بني الواد منهم: بنو مرين – مغراوة – توجين – مليكش – بنو يفرن. ابن حزم الأندلسي، **جمهرة أنساب العرب،** تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، 1962، ص 495 – ابن خلدون،

مسرى بن زكيا بن ورسيج بن مادغيس الأبتر، كانوا عدّة بطون هي: بنو ياتكتن، بنو وللو، بنو تومرت، بنو ورسطف وبنو مصوجة، ويضاف إليهم بنو القاسم الذين ينتسب إليهم بنو زيان حكام الدّولة الزيانيّة[1].

وذكرت بعض المصادر[2] أن القاسم بن محمد من نسل السليمانيين[3] كان حاكما على مدينة تلمسان من قبل الأدارسة[4]، ولما تغلب عليه الفاطميون دخل بني عبد الواد الذين كانوا يسكنون بالصحراء جنوب تلمسان، فأصهر فيهم وعقّب"**عقبا مباركًا**"، وإليه ينتسب ملوك بني زيان[5]، وقد فنّد عبد الرّحمان بن خلدون هذه الرواية وكذلك قضية النسب الشريف للزيانيين، وذكر أن يغمرا سن بن زيان لما سئل عن ذلك أجاب قائلا:" **إذا كان هذا صحيحا فينفعنا عند الله وأمّا الدنيا فإنّما نلناها بسيوفنا**"[6].

العبر، ج7، ص 4- 12- ابن حوقل، المصدر السابق، ج1، ص 106-محمد بن عميرة، **دور زناتة في الحركة المذهبيّة بالمغرب الإسلامي**، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1984، ص 15-21.

[1] – ابن خلدون، العبر، ج7، ص 149 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 186 – محمد بن عبد الله التنسي، **تاريخ بني زيان مقتطف من نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان**، تح: محمود بوعياد، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1985، ص 109.

[2] – محمد بن عبد الله التنسي، **تاريخ دولة الأدارسة من كتاب نظم الدر والعقيان**، تح:عبد الحميد حاجيات،المؤسّسة الوطنية للكتاب،الجزائر، 1984، ص67.

[3]– السليمانيون من بني سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أخوة الأدارسة، تملكوا المغرب الأوسط خلال ق 3 هـ/9م وتوزّعوا إمارات تلمسان – أرشكول- تاهرت – تنس. ابن حزم، المصدر السابق، ص 48 – ابن خلدون، العبر، ج 4، ص 34 – التنسي، تاريخ دولة الأدارسة، ص 65-68- أبو عبيد الله البكري، **المغرب في ذكر بلاد إفريقيّة و المغرب مقتطف من المسالك و الممالك**، ترجمة و تحقيق بالفرنسيّة، البارون دي سلان، مكتبة أمريكا والشرق، باريس، 1965، ص 77 – محمد علي الدين الحسني النجفي، **كتاب بحر الأنساب المسمى المشجر الكشاف لأصول السادة و الأشراف**، مصر، (د.ت)، ص 25.

[4] – الأدارسة: من ولد إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الذي فرّ من المشرق وقدم بلاد المغرب الأقصى وأسّس دولته وفتح تلمسان سنة 173 هـ . ابن حزم، المصدر السابق، ص 49 - ابن خلدون، العبر، ج4، ص 23-34- التنسي، تاريخ دولة الأدارسة، ص35.- علي الدين النجفي، المصدر السابق، ص 25- السلاوي الناصري، **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج1، تح: جعفر و محمد الناصري، دار الكتب، الدار البيضاء، 1954، ص 143-155.

5- التنسي، تاريخ دولة الأدارسة، ص 67 – تاريخ بني زيان، ص 109-110.

[6] – ابن خلدون، العبر، ج7، ص 149.

وكان بنو عبد الواد عبارة عن قبائل رحل يجوبون صحراء المغرب الأوسط بحثا عن المراعي بين سجلماسة[1] ومنطقة الزاب[2] بإفريقيّة، ولما قام عقبة بن نافع الفهري[3] بحركته في بلاد المغرب فاتحًا، ساندوه وشكلوا فرقة من جيشه تابعت معه فتوحاته غربًا[4].

ولما حلّ عرب بني هلال[5] بالمغرب انزاح بنو عبد الواد أمامهم من الزّاب واستقروا في منطقة جنوب وهران[6]، وفي عهد المرابطين حضروا مع يوسف بن تاشفين[7] معركة الزلاقة[8].

[1] – **سجلماسة:** مدينة تقع ناحية تافيلالت جنوب شرق مدينة فاس على تخوم الصحراء، و كانت من أهم المراكز التجاريّة على طريق الذهب القادم من بلاد السودان الغربي. البكري، المصدر السابق، ص 148 – ابن حوقل، المصدر السابق، ج1، ص 91.

[2] – **الزاب:** منطقة سهلية تقع بين جبال أولاد نايل غربا و جبال الأوراس شرقا، أشهر حواضرها طبنة و بسكرة. أبو عبد الله الشريف الإدريسي، **القارة الإفريقيّة و جزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق،** تح: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 164 – ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 123.

[3] – عقبة بن نافع الفهري فاتح المغرب و باني مدينة القيروان، استشهد في موقعة تهودة ضد البربر سنة 63 ﻫ/682م. عز الدين بن الأثير، **أسد الغابة في معرفة الصحابة،** ج3، دون مكان و تاريخ نشر و طبع، ص 420 – أبو نعيم الأصبهاني، **معرفة الصحابة،** ج4، تح: محمد حسن – مسعد عبد الحميد، دار الكتب العلميّة، بيروت، 2002، ص 16. ابن عذارى المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب،** ج1، تح: كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1980، ص 19-38.

[4] – يحي بن خلدون، المصدر السابق،ج1، ص 186.

[5] – بنو هلال: بطن من عامر بن صعصعة، وكانوا أهل بلاد صعيد مصر، ثمّ دخلوا بلاد المغرب خلال ق 5 ﻫ/11م فيما عرف بتغريبة بني هلال. ابن خلدون، العبر، ج6، ص 27 – محمد أمين البغدادي السويدي، **سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب،** دار الكتب العلميّة، بيروت، (د.ت)، ص 160.

[6] – **وهران:** أحد أهم موانئ المغرب الأوسط شمال شرق تلمسان. البكري، المصدر السابق، ص 81 – أحمد بن سحنون الراشدي، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني،** تح: المهدي بوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1973، ص 185.

Henri Leon Fey، Histoire d'Oran, Edition Dar El-Gharb, Oran, 2002, p.33-54.

[7] – هو أمير المرابطين، تولى الحكم من سنة 452 ﻫ/1060م حتّى 500 ﻫ/1106م. ابن الخطيب، **أعمال الأعلام** (تح: الكتاني والعبادي)، ص 231.

[8] – كانت معركة الزلاقة الّتي وقعت سنة 479 ﻫ/1086م من المعارك الحاسمة في التاريخ الإسلامي، انتصر فيها المسلمون على النصارى، المراكشي، المصدر السابق، ص 99 – ابن الخطيب، أعمال الأعلام، (تح: العبادي)، ص 242– مؤلف مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية،** تح: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، المغرب، 1979، ص 24-38.

ودخل بنو عبد الواد في طاعة الموحدين عند قيام دولتهم، وساندوا عبد المؤمن بن علي عندما استنجد بهم لرد أموال و غنائم سلبها منه بنو مرين[1]، وظلوا يجوبون نواحي تلمسان في بعض تنقلاتهم حتّى مطلع القرن 7 هـ/13م، حيث صاروا يرتادون التل أكثر من الصحراء لِما وجدوا فيه من خصوبة الأراضي، وتوفّر المراعي المخضرّة والمياه، فبدؤوا ينتقلون من طور البداوة والترحال والرّعي إلى طور الاستقرار و الزراعة في عهد الدّولة الموحديّة، خاصة بعدما أقطعهم الموحدون عامّة بلاد بني يلومي[2] وبني وامانو[3]، وقويت عصبيتهم[4] وسيطروا على القبائل المجاورة لهم، واستغلوا فرصة اضطراب اضطراب الدّولة الموحديّة أواخر عهدها وسعوا للسيطرة على تلمسان، فبسطوا نفوذهم على أحوازها، واقتطعوا أراضيها لأنفسهم، وكانت قائدهم هو جابر بن يوسف بن محمد[5].

وفي سنة 627هـ/ 1229م، قام والي تلمسان أبو سعيد عثمان أخ المأمون الموحدي[6] بالقبض على مشايخ بني عبد الواد في محاولة منه للقضاء على نفوذهم الّذي ازداد في المنطقة، فسعى للشفاعة فيهم أحد رجال الحامية وهو إبراهيم بن إسماعيل بن علان الصنهاجي اللمتوني، لكن شفاعته لم تقبل، فغضب لذلك وثار واعتقل والي تلمسان وأطلق مشايخ بني عبد الواد، وخلع طاعة الموحدين، وكان الغرض من حركته نصرة ثورة بني غانية الّتي كانت تهدف إلى إحياء دولة المرابطين في بلاد المغرب[7].

---

[1] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 189.

[2] – بنو يلومي: من قبائل زناتة كانت مواطنهم على الضفة الغربيّة لواد مينا والبطحاء وسيق وسيراط وجبل هوارة وبني راشد. ابن خلدون، العبر، ج7، ص 114.

[3] – بنو وامانو: أحد فروع زناتة شرق وادي مينا بمنداس أسفل شلف. ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 114.

[4] – كانت العصبية القبلية من أسس قيام الدول في العصور الوسطى خاصة في بلاد المغرب. ابن خلدون، المقدّمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981، ص 230.

[5] – ابن خلدون، العبر، ج7، ص 151 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 198 – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 112.

[6] – أبو العلاء إدريس بن المنصور الموحدي (624-629 هـ/1228-1232م)، قام بدور كبير في إبطال المهدوية الّتي كانت عماد دولة الموحدين. ابن خلدون، العبر، ج6، ص 528-532 - مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 163. روجي لي تورنو، **حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر و الثالث عشر**، تر: أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، 1982، ص 108-111.

[7] – عبد الحميد حاجيات، **تاريخ الجزائر السياسي في عهد الموحدين، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ**، ج3، المرجع السابق، ص 309 – 313.

ولما أراد إبراهيم بن علان الصنهاجي إتمام مخططه، والتخلّص من مشيخة بني عبد الواد، اكتشف أمره فقبض عليه وعلى أعوانه وقُيّدوا، ودخل جابر بن يوسف وإخوته مدينة تلمسان وأعاد الدّعوة للمأمون الموحدي، وأصبح أميرها من قبله، فضبط أمورها، وقام بحركة لضمّ بطون بني عبد الواد إلى سلطته، و لما أراد إخضاع مدينة ندرومة[1] وحاصرها أصابه سهم أودى بحياته آواخر سنة 623 هـ/1231م[2].

بعد وفاة جابر بن يوسف، خلفه ابنه الحسن الّذي تولى لمدّة ستّة أشهر، ثمّ تخلى عن الحكم لعمه عثمان بن يوسف مطلع سنة 630 هـ/1232م، وخلفه أبو عزة زيدان بن زيان، وكان قويّا وشجاعًا، وأطاعته جميع البطون والقبائل وامتنع عن مبايعته بنو مطهر[3] وبنو راشد[4]، فحاربهم وقتل في إحدى المعارك سنة 633 هـ/1235م[5]، فخلفه يغمراسن بن زيان الذي يعتبر المؤسّس الحقيقي للدولة الزيانية.

وهو يغمرا سن بن زيان بن ثابت بن محمد، ولد حوالي 603 هـ/1206م، وتولى حكم إقليم تلمسان في عهد الخليفة الموحدي عبد الواحد الرّشيد بن المأمون[6] الّذي كتب له بالعهد على ولاية المغرب الأوسط وعاصمته تلمسان، وكان ذلك بداية ملكه[1].

---

[1] – **ندرومة**: مدينة تقع شمال غرب تلمسان، وهي قريبة من ميناء هنين، أسّس بها المرابطون مسجدًا. البكري، المصدر السابق، ص 80 – الحسن بن محمد الوزان الفاسي، **وصف إفريقيا**، ج2، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 13.

[2] – ابن خلدون، العبر، ج7، ص 153 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 199 – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 112 – 113 – لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 31 – بوزياني الدراجي، **نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص 24-25.

[3] – بنو مطهر: من قبائل زناتة و هم أبناء عمومة بني عبد الواد. ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 148.

[4] – بنو راشد: من بطون زناتة، كانت مواطنهم بالصحراء ثمّ استوطنوا الجبال شرق تلمسان. ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 315.

[5] – ابن خلدون، العبر، ج7، ص 157 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 200 – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 115-116.

[6] – حكم من 630 هـ/1232م إلى 640 هـ/1242م، و في عهده ازداد اضطراب دولة الموحدين وضعفت كثيرًا ممّا سمح للقبائل الزناتية بالاستقلال و تأسيس دول وإمارات. ابن خلدون، العبر ج6، ص 532 – روجي لي تورنو، المرجع السابق، ص 112-113.

وكان يغمراسن بن زيان يتميّز بصفات وخصال أهلته للقيام بدور كبير في وضع الأسس المتينة لدولة بني عبد الوادي الناشئة، وتميز بمواقفه الحربية الكثيرة، خاصة ضد قبائل بني توجين[2] ومغراوة[3] حيث خرّب مواطنهم في منه محاولة لإخضاعهم وضمتهم إلى سلطته، كما كانت له مع بني مرين بالمغرب الأقصى عدّة حروب وكذلك مع بني حفص شرقا، ورغم هزائمه أمامهم، كان يدافع عن مملكته محاولا حمايتها من الأخطار الّتي كانت تتهددها شرقا وغربًا[4]، وبدأ في توسيع حدودها على حساب أقاليم الدّولة الموحديّة الّتي كانت تتداعى إلى السقوط، ثمّ قام بإلغاء سلطة الموحدين على تلمسان واستقلّ بها مع إبقائه على الدعاء والخطبة للخليفة الموحدي وذكر اسمه في السكة[5]، ونازعه بنو مطهر وبنو راشد، لكنّه هزمهم، وأقام الدّولة على قواعد متينة، فاتخذ الوزراء والكتاب والقضاة[6]، واستمر عهده حتّى سنة 681هـ/1282م ما مكّنه من توطيد ملكه وتأسيس نظم دولة جديدة بالمغرب الأوسط

وشغلت الدّولة الزيانية إقليم المغرب الأوسط، وعمل حكامها بدءًا بجدّهم يغمراسن بن زيان على توسيع حدودها وتثبيت قواعدها وضم القبائل إلى سلطتهم.

---

[1] - ابن خلدون، العبر، ج7، ص 162 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 204 – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 115 – 116 – عطاء الله دهينة، **الدّولة الزيانية في عهد يغمراسن**، ضمن كتاب: الجزائر في التاريخ، ج3، المرجع السابق، ص 360 – خالد بلعربي، **الدّولة الزيانية في عهد يغمراسن دراسة سياسية و حضاريّة، 633-681 هـ/1235-1282م**، تلمسان، 2005، ص 50 – عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني**، ج1، المؤسّسة الوطنية للفنون المطبعة، الجزائر، 2002، ص 21 – عبد الرّحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج1، ديوان المطبوعات الجامعيّة، دار الثقافة، الجزائر – بيروت، 1982، ص 148 – مبخوت بودواية، **العلاقات الثقافية و التجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي خلال عهد بني زيان**، رسالة دكتوراة، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2005-2006، ص 15-

Charles André Julien Histoire de l'Afrique du Nord, T2, SNED, Alger, 1975, p.154-156-

Brignon, op.cit, p.136. Barges (L.J.L), complément de l'Histoire des Beni-Zeiyan Rois de Tlemcen, Paris, 1887, p.21 Sidi-Ahmed Bouali, les deux grands sièges de Tlemcen, ENAL, Alger, 1984, p.26.

[2] - بنو توجين : من قبائل زناتة، كانت مواطنهم شرق تلمسان في منطقة المدية و الونشريس. ابن خلدون، العبر، ج7، ص318- مبارك الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم و الحديث**، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ت)، ص 471.

[3] - مغراوة: من قبائل زناتة، كانت مواطنهم شمال ونشريس ووادي شلف إلى غاية البحر، ومن المتيجة إلى وادي مينا. ابن خلدون، العبر، ج7، ص50 – الميلي، المرجع السابق، ج2، ص 467 – محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص 19.

[4] - Bouali, op.cit, p.27.

[5] - ابن خلدون، العبر، ج7، ص 162- خالد بلعربي، المرجع السابق، ص 53 – Julien, op.cit, p.156

[6] - يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 205.

وتمكن يغمراسن من التوسع غربًا، وصار الحد الفاصل بينه وبين دولة بني مرين بالمغرب الأقصى وادي ملوية، كما امتدّ نفوذه إلى مدينة وجدة[1] وتاوريرت وإقليم فجيج[2] في الجنوب الغربي، وتوسع في الداخل وأخضع مازونة وتنس[3] والونشريس والمدية ومواطن مغراوة وتوجين، وسهل المتيجة حتّى أطراف مدينة بجاية، أمّا جنوبًا فامتدت دولته حتّى تخوم الصحراء[4].

وحاول خلفاؤه تثبيت الحدود الّتي ورثوها عن مؤسّس دولتهم، وكان يغمراسن قد ترك وصية لخليفته ينصحه فيها بالتوسع على حساب الأقاليم الشرقيّة، واتقاء خطر بني مرين[5].

وفي عهد أبي حمو موسى الأوّل[6] وابنه أبي تاشفين عبد الرّحمان الأوّل[7]، توغلت جيوش بني عبد الواد في الأراضي الحفصية شرقا وبلغت بجاية وقسنطينة وعنابة[8] وحاصرتها، بل وصلت مدينة

[1] – مدينة غرب تلمسان على بعد 3 مراحل بنيت سنة 440 هـ. البكري، المصدر السابق، ص 8 -88- الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 12 – مارمول كربخال، **إفريقيا**، ج2، تر: محمد حجي وآخرون، مطابع المعارف الجديدة، الرباط، 1989، ص294.

[2] – إقليم مكون من ثلاث كور وسط الصحراء تُحيط به الواحات، و كان بها تجارة المنسوجات مع بلاد السودان – الوزان، المصدر السابق، ج2، ص132-133 .

[3] – **تنس**: مرسى صغير أسسه الفنيقيون للتجارة، وعمّره المهاجرون الأندلسيون سنة 262هـ - البكري، المصدر السابق، ج2، ص 35- كربخال، المصدر السابق، ج2، ص354- لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 85.

[4] – حول توسعات يغمراسن يمكن الرجوع إلى: ابن خلدون، العبر، ج7، ص 168-188 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 205 – 207 – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 115-128.

[5] – ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 189.

[6] – حكم من 707هـ/1307 – 1318م، وكان حاز ما في سياسته الداخليّة والخارجيّة واستطاع إخضاع عدّة أقاليم بالمغرب الأوسط. يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 213 – 215 – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 132.
Gaïd, les Berbères dans l'histoire, T2, Edition Mimouni, Alger (S.D), p.199-200.

[7] – تولى بعد قتل أبيه أبي حمو موسى الأوّل سنة 318هـ/1318م و استمرّ حتى 737هـ/1377م، وكان عهده خاتمة الدور الأوّل من تاريخ دولة بني زيان. يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 216 – 219 – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 139 – Gaïd, op.cit, p.201

[8] – **عنابة**: أو بونة، مدينة قديمة كان يقصدها التجار من أوروبا، وكان بها بساتين وأراضيها خصبة. ابن حوقل، المصدر السابق، ج1، ص 75 – الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 61.

تونس عاصمة بني حفص نفسها، في عهد أبي تاشفين، لكنّها تراجعت إلى حدود بجاية، وكان ذلك أقصى اتساع للدولة من جهة الشرق[1].

لم تكن حدود الدّولة الزيانية ثابتة ومستقرّة، بل كانت في تمدد وتقلص تبعًا للظروف السياسيّة والأخطار الخارجيّة، وكانت لا تتجاوز في بعض عهودها أسوار العاصمة تلمسان، مثلما حصل أيام الحصار المريني لها سنة 699 هـ إلى 706 هـ/1299 – 1307م[2]، بل اختفت معالمها نهائيا عندما هاجمها أبو الحسن المريني[3] سنة 737 هـ/1337م، إلى غاية إحيائها من جديد على يد أبي حمو موسى الثاني سنة 760 هـ/1359م[4].

ومجمل القول أن حدود الدّولة الزيانية كانت تمتد من تخوم بجاية وبلاد الزاب شرقا إلى وادي ملوية غربًا، ومن ساحل البحر شمالاً إلى إقليم توات[5] جنوبًا، وبقيت هذه الحدود في مد وجزر بسبب بسبب هجمات بني مرين غربًا وبني حفص شرقًا وكانت العاصمة مدينة تلمسان.

---

[1] – ابن خلدون، العبر، ج7، ص 220 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 213-216. التنسي، المصدر السابق، ص 136-144 – عطاء دهينة، العصر الذهبي للزيانيين، ضمن كتاب: **الجزائر في التاريخ**، ج3، ص 383-386. عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص 40.

[2] – حول هذا الحصار يمكن الرّجوع إلى: عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص 194 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 210 – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 130- عطاء الله دهينة، **الحصار الطويل**، ضمن كتاب: الجزائر في تاريخ، ج3، ص 369-379- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص 27 – مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص 24 –Bouali, op.cit, p.373-Brignon, op.cit, p.142

[3] – حكم من 732 هـ/1334م إلى 749 هـ/1351م. و قام بدور كبير في جهاد الممالك النصرانية بالأندلس، ثمّ قام بحركة كبيرة لإخضاع وتوحيد بلاد المغرب. محمد بن مرزوق الخطيب، **المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن**، تح: ماريا خيسوس بغيرا، الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 125 وما يليها – أبو الوليد اسماعيل بن الأحمر، **روضة النسرين في دولة بني مرين**، تح: عبد الروهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1962، ص 25– ابن خلدون، العبر، ج7، ص 532- عطاء الله دهينة، الغزو المريني، في كتاب : الجزائر في التاريخ، ج 3، ص 389 – الحلل الموشية، ص 179 - Jean Brignon, op.cit,p149 – Bouali, op.cit, p.140

[4] – عبد الحميد حاجيات، **إحياء الدّولة الزيانية**، في كتاب، الجزائر في التاريخ، ج9، ص 401-402. وحكم أبو حمو موسى الثاني من 760-791 هـ/1359-1389م وكان سلطانا ومفكرًا وأديبًا. حاجيات، **أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره**، للشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1934، ص 69 و ما يليها .

[5] – إقليم توات: هو المنطقة الواقعة جنوب المغرب الأوسط على تخوم بلاد السودان الغربي، وكان عبارة عن مجموعة من القصور والواحات، وارتبط بعلاقات تجارية وثقافيّة مع السودان الغربي والأوسط، واشتهر بقضية اليهود التي أثارها الشيخ محمد بن عبد

1 2 – دولة بني مرين بالمغرب الأقصى:

يعود أصل بني مرين إلى قبيلة زناتة وهم أبناء عمومة بني عبد الواد[1]، وينسبون إلى جدهم مرين[2]، وكانوا بدوا يجوبون بأنعامهم في القفار والصحاري في نطاق يمتد من جنوب مدينة القيروان إلى صحراء بلاد السودان [3]، ووصفهم ابن أبي دينار في قائلا:"**وبنو مرين كانوا يسكنون بلاد القبلة من زاب إفريقية وينتقلون من مكان إلى مكان وجل أموالهم الإبل والخيل وطعامهم اللحوم والتمر** "[4].

ويذكر صاحب الذخيرة السنية أن المرينيين كانوا " **لا يعمرون القفار ولا يؤدون لسلطانهم بدرهم ولا دينار ولا يدخلون تحت حاكم ولا سلطان ولا يرضون بذل ولا هوان لهم همم عالية ونفوس إلى معالي سامية لا يعرفون الحرث ولا التجارات ولا يشتغلون بغير الصيد والغارات جل أموالهم الإبل والخيل ودأبهم الحرب وخوضان الليل وسمتهم إكرام الضيف وضرب أعدائهم بالسيف**"[5].

وحدد عبد الرحمن بن خلدون مجال إقامة القبائل المرينية بالقفر من فكيك إلى سجلماسة في الجنوب، إلى ملوية في الشمال وربما تقدموا شرقا إلى بلاد الزاب[6]، أما محمد بن مرزوق الخطيب فيذكر في المسند أن بني مرين تملكوا مساحات شاسعة تنقلوا فيها من بلاد الجريد إلى ناحية المغرب، حيث شمل ملكهم من بلاد الزاب إلى تيهرت وجهات تلمسان[7].

الكريم المغيلي. للمزيد من التفصيل انظر: الصديق حاج أحمد آل المغيلي، **التاريخ الثقافي لإقليم توات**، ط2، منشورات الحبر، الجزائر، 2011، ص27 وما يليها – مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص 238-243.

[1] – مؤلف مجهول، **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**،نشره: محمد بن شنب، الجزائر، 1920، ص 15.

[2]– ابراهيم حركات ، **المغرب عبر التاريخ**، ط2، ج2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء ، 1984، ص09.

[3]– مؤلف مجهول، الذخيرة السنية، ص 23.

[4]– محمد عيسى الحريري، **تاريخ المغرب والأندلس في العصر المريني 610-869هـ/ 1213-1465م**، ط2، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987م، ص 4-5.

[5]– مؤلف مجهول، الذخيرة السنية، المصدر السابق، ص 23-24.

[6]– عبد الرحمن بن خلدون، العبر ، ج7، ص 167 .

[7]– ابن مرزوق الخطيب، **المسند**، ص 18 .

وتولى أمر بني مرين خلال هذه المرحلة مجموعة من الأمراء لعل أبرزهم الأمير الأعذر بن العافية بن عسكر بن محمد بن ورزير بن فجوس بن جرماط بن مرين المعروف بالمخضب، (ت 540هـ/1145م) ، ثم حمامة بن محمد، ثم أبو بكر بن حمامة (ت 561هـ/1166م)[1]، ثم الأمير محيو بن أبي بكر بن حمامة الذي شارك في غزوة الأرك مع الخليفة الموحدي يعقوب المنصور وعقد له على كامل قبائل بني مرين وتوفي متأثرا بجراحه سنة (592هـ/1197م)[2].

ويعتبر عبد الحق بن محيو المريني (542 – 614هـ/1147-1216م) أول من نقل بني مرين من حالة البداوة في الصحراء إلى حالة التفكير في إقامة دولة لهم بالمغرب الأقصى[3].

واتصف هذا الأمير بالعديد من الصفات جعلته مؤهلا لقيادة القبائل المرينية، فعرف بالتقوى والصلاح والبركة والورع العدل، فحاولوا منذ اللحظة الأولى التي وضعوا فيها أقدامهم في بلاد المغرب الأقصى أن يعملوا على استتاب الأمن في المناطق التي بسطوا فيها سلطانهم وعملوا على حماية كل من نزل في جوارهم أو استجار بهم مع رغبة أكيدة في الوفاء بالعهود والوقوف مع الحدود وكان شعارهم في ذلك التقوى والحق[4].

وظل بنو مرين طيلة ثلاث سنوات وحتى سنة 613هـ /1216 م يوسعون رقعة نفوذهم في المغرب الأقصى، مستغلين صغر سن الخليفة الموحدي يوسف المستنصر وانشغاله بأحوال الصبا وجنونه عن تدبر أمر دولته[5]، ولما أدرك أن الأمر بات يهدده حشد جيشا من الموحدين بلغ تعداده عشرة آلاف مقاتل بقيادة أبي علي بن وانودين، وانضم إليه مقاتلون من قبائل مكناسة وتسول والبرانس وسدراته وهوارة وصنهاجة وغيرهم من قبائل فاس والرباط بقيادة أبي إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي والي فاس، وطلب منهم المستنصر إبادة المرينيين واستئصالهم[6].

---

[1]- أبو الوليد اسماعيل بن الأحمر، **روضة النسرين**، ص13.

[2]- ابن الأحمر، المصدر نفسه، ص14.

[3] – مؤلف مجهول، الذخيرة السنية، ص 21.

[4] – ابن الأحمر، روضة النسرين، ص15.

[5] – ابن مرزوق الخطيب، المسند، ص 18.

[6] – ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ط2، ج4، تح: إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، 1967، ص 251.

ووصلت الأخبار إلى بني مرين بتقدم الجيش الموحدي نحوهم وفي هذه الفترة كانوا قد بسطوا نفوذهم في جهات كثيرة من بلاد الريف حتى بلاد بطوبة، فرأوا أن يتركوا أثقالهم وأمتعتهم وحريمهم بحصن تاروطا في منطقة الريف حتى تخفف حركتهم ويسهل عليهم مقاومة الموحدين والتقى الجيشان بوادي نكور، فهزم المرينيون جيش الموحدين بعد معركة استمرت أكثر من أربعة أيام[1].

وقد تضخمت قوة المرينيين بعد هذه المعركة إلى درجة كبيرة بما اغتنموه من أثاث وسلاح وأموال وخيل وعبيد وقد أصبح قوة عظيمة، فاستطاعوا بعد ذلك مهاجمة مدينة رباط تازة وتم لهم الاستيلاء عليها بعد أن هزموا حاميتها. لكن سرعان ما تعرضوا إلى انقسام داخلي هدد كيانهم الناشئ، ففي سنة 614هـ/1217 م تحركت عوامل الحقد في نفوس بني عسكر بن محمد المريني لاستقلال بني عمهم بن محمد بالرياسة في بني مرين ولما حققوه من انتصارات ضد الموحدين رفعت من شأنهم في بلاد المغرب الأقصى، ووصل الأمر ببني عسكر إلى انضمامهم إلى قبائل عرب رياح الذين كانوا أقوى القبائل في المغرب الأقصى وأكثرها أموالا ضد أبناء عمومتهم[2]، والتقوا بهم على مقربة من وادي سبو على أميال قريبة من قرية تافراطاست، ووقعت بينهم عدة معارك قتل فيها الأمير عبد الحق في 22 جمادى الثاني 614هـ/1217م وولده إدريس[3]، ثم زحف المرينيون نحو بني عسكر وعرب رياح وانتصروا عليهم وغنموا ما كان معهم من أموال وخيل وإبل ودواب وفرضوا على عرب رياح إتاوة يدفعونها كل سنة[4].

تولى أبو سعيد عثمان بن عبد الحق سنة 614هـ/1217م[5] فأنهى الحرب بين المرينيين وعرب رياح وسعى إلى بسط نفوذه على البوادي والضواحي والأرياف، وأمر شيوخ بني مرين إلى القيام بأمر الدين والدنيا والنظر إلى صلاح المسلمين، كما قام بحركة واسعة لضم القبائل في بوادي المغرب الأقصى إلى النفوذ المريني، خاصة وأن الموحدين قد فقدوا سيطرتهم عليها تماما[6].

---

[1] – عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص169.

[2] – مؤلف مجهول، الذخيرة السنية، ص27.

[3] – ابن سماك العاملي، الحلل الموشية، ص242.

[4] – عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 170.

[5] – ابن الأحمر، روضة النسرين، ص16.

[6] – ابن أبي زرع، الأنيس المطرب،ص288.

ومن القبائل التي دخلت في طاعته المرينيين: هوارة[1]، وزكارة، مكناسة، تسول، وفشتالة، وسدراتة، وبهلولة، ومديونة[2].

وفي سنة 620هـ/1222م قام الأمير أبو سعيد بغزو بلاد فازاز ومن بها من قبائل زناتة وغيرهم فأخضعهم وردعهم عن إلحاق الأذى بالناس، وفي سنة 622هـ/1225م هاجم فحص أزغار[3]، وما إن حلت سنة 625هـ/1228م حتى قوي شأن المرينيين بالمغرب وخضعت لهم معظم قبائله وتملكوا المنطقة الممتدة من وادي ملوية إلى رباط الفتح[4].

ولعل من أبرز قادة بني مرين خلال هذه المرحلة الأمير محمد بن عبد الحق (638 – 642هـ/1240-1244م) الذي دخل في حرب مع السعيد الموحدي الذي جهز جيشا مكونا من عشرة آلاف جندي من العرب والروم والمصامدة و قبائل هسكورة التقى بالمرينيين بالقرب من مدينة فاس وقتل الأمير محمد بن عبد الحق 642هـ/1244م، ولحقت الهزيمة ببني مرين وارتدوا بسرعة من أحواز فاس إلى مناطق البوادي وبايعوا أخاه أبا بكر بن عبد الحق[5]، الذي بايع الحفصيين الذين كانوا كانوا يسعون لإحياء تعاليم المهدي بن تومرت التي أهملها الموحدون وعجزوا عن حمايتها، وتسنى له أن يأمن جانب بني حفص، في ظل تحالف يغمراسن بن زيان مع الخليفة السعيد الموحدي وعاهد على قتال بني مرين لكن بني حفص سارعوا لاتخاذ إجراءات وقائية لتدمير هذا التحالف أسفرت عن استيلاء الحفصيين على تلمسان أواخر سنة 640هـ/1243م، وتعيين يغمراسن واليا عليها من قبل بني حفص بعد أن رضخ لشروطهم[6].

وقاد بنو مرين سلسلة من الحملات للاستيلاء على المدن الكبرى فاستولى على مكناسة[7] سنة سنة 643هـ/1245م[1]، ثم تازا 646هـ/1248م[2]، ثم فاس[3]، ثم سلا[4] ورباط الفتح [5]،لأن الاستيلاء

---

[1] – هوارة: قبيلة بربرية من البرانس تنسب إلى هوار بن أوريغ بن برنس، وبطونها كثيرة، وكانت مواطنها أيام الفتح بنواحي طرابلس إلى برقة. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص497.

[2] – ابن سماك، الحلل الموشية، ص262-263.

[3] – السلاوي، الاستقصا، ج2، ص 55.

[4] – ابن أبي دينار، المؤنس، ص 128.

[5] – مؤلف مجهول، الذخيرة السنية،ص66.

[6] – ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج5، ص 425-428.

[7]– **مكناسة**: مدينة بالمغرب على البر بينها وبين مراكش أربعة عشرة مرحلة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص 123.

الاستيلاء على هاتين المدينتين كان من شأنه أن يقطع كل اتصالات الموحدين بشمال المغرب الأقصى، وذلك بين سنتي 649هـ/1251م 653هـ/1255م[6].

وجه المرينيون اهتمامهم بعد ذلك إلى سجلماسة ودرعة[7] لأهميتهما الاقتصادية والتجارية، فمدينة سجلماسة متوسطة في صحراء المغرب الأقصى والمسافة بينها وبين فاس وتلمسان ومراكش متساوية تبلغ تسع مراحل[8]، وكان ذلك بين سنة 653هـ/1255م و 655هـ/1257م، وقد ظلوا طيلة سنة 655هـ/1257م يعملون على تثبيت أقدامهم في هذه المدن.

وبداية من سنة 659هـ/1260م التقت جيوش بني مرين بجيوش الموحدين التي حشدها المرتضى عند بطن وادي أم الربيع، فهزم الموحدون[9]، وكان لهذه الهزيمة وقع عظيم في العاصمة الموحدية مراكش، وم يمضى وقت طويل حتى عبأ الأمير يعقوب بن عبد الحق المريني جيشا سار به العاصمة الموحدية مراكش ووصل في تقدمه حتى جبل ايكليز وأقام به ثلاثة أيام، وفي اليوم الرابع ركب في جموع جيشه أمامها وبرز عليها فتحصن المرتضى خلف الأسوار[10]، وخرجت جيوش الموحدين بقيادة أبي العلاء إدريس المعروف بأبي دبوس لمقاتلة المرينيين في معارك استمرت قرابة الشهرين[11].

---

[1]- ابن القاضي المكناسي ، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس،** ج1، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973، ص101.

[2]- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج5،ص 474.

[3]- ابن القاضي، المصدر السابق ،ص:102

[4]- **سلا:** إسمها بالعجمي شلا وهي مدينة قديمة أزلية تقع على ضفة وادي الرومان الذي يصب في المحيط وهي تجاور رباط الفتح بينها وبين مراكش تسع مراحل. مجهول، الاستبصار ، ص 140 .

[5]- **رباط الفتح:** بناها المصامدة على ساحل البحر المحيط بينها وبين سلا وادي الرومان. كربخال، المصدر السابق، ص129.

[6]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 186 .

[7] – **درعة:** تعرف درعة بواديها الذي يجري من المشرق إلى المغرب ومنبعه من جبل درن وعليه عمارة متصلة نحو سبعة أيام ومنها أسواق كثيرة. مجهول، الاستبصار، ص 187 .

[8] – عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 357 .

[9]- مؤلف مجهول، الذخيرة السنية، ص105.

[10] – السلاوي، الاستقصا، ج2، ص17.

[11] – مؤلف مجهول، الذخيرة السنية، ص108.

وفي سنة 663هـ/1264م تقدم يعقوب بن عبد الحق مجددا للاستيلاء على مراكش، ووصل في تقدمه إلى أحوازها وهناك بايعته أكثر القبائل المحيطة بالمدينة من العرب والمصامدة، ثم عاد إلى فاس ولاحقه أبو العلاء إدريس، وجرت مفاوضات بينهما أبي يوسف وتكشف نوايا أبي دبوس حين قال لأبي يوسف تعطيني جيشا من بني مرين وطبولا وبنودا وتعينني بما أنفقه على ذلك في طريقي وأنا أضمن لك فتح مراكش وأحوازها فان أكثر من بها من الجيوش والقواد والأشياخ شيعة لي وإذا ملكتها يكون بيننا ملكا مشتركا نصفها لك ونصفها لي[1]، لذلك فقد سعى يعقوب بن عبد الحق في تهيئة كل كل عوامل النجاح لحملة قادها أبو دبوس لفتح مراكش فأصدر أبو يوسف أوامره بإمداده بخمسة آلاف من جنود بني مرين ، وأمده كذلك بكثير من آلات الحرب والقتال تضخم هذا الجيش كثيرا بمن انضم إليه من الخارجين على المرتضى الذي كان بمراكش غافلا عن تحركات أبي دبوس، فكانت أسوار المدينة خالية من الحراس والحامية وقد أعطى ذلك لأبي دبوس فرصة عظيمة لاقتحام المدينة بسهولة، وتمكن من دخولها من باب أغمات[2].

وصلت أنباء استيلاء أبي دبوس على مراكش إلى أبي يوسف يعقوب، فبعث إليه رسولا يهنئه بالفتح ويطلب منه الوفاء بالعهد الذي قطعه على نفسه لكن أبا العلاء خذله[3]، فقرر أبو يوسف يعقوب مهاجمة أبي دبوس والقضاء عليه، فحشد قوات ضخمة خرج بها إلى مراكش وأحكم حصار المدينة وأطلق سرايا الجيش المريني في جهات مراكش ونواحيها[4].

ثم دخل مراكش في يوم الأحد 2 محرم 668هـ/1269م[5]، وبذلك سقطت الدولة الموحدية، وأصبح بنو مرين يسيطرون على سائر أنحاء المغرب الأقصى من وادي ملوية وحبال الأطلس الوسطى شرقا حتى المحيط الأطلنطي غربا، ومن رباط تازا وجبال غمارة شمالا حتى مراكش ووادي تنسيفت جنوبا.

واستمرت الدولة المرينية في حكم المغرب الأقصى وتوسعت في المغربين الأوسط والأدنى في عهد أبي الحسن المريني، كما تدخلت في شؤون الأندلس لمساعدة مملكة غرناطة على مقاومة حركة

[1] – ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 304.

[2] – عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص261 .

[3] – ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص129 .

[4] – عبد الرحمن بن خلدون، نفسه، ج7، ص 180 .

[5] – ابن الأحمر، روضة النسرين، ص19.

الاسترداد النصرانية، وكانت الدولة الأكثر قوة في بلاد المغرب الإسلامي خلال الفترة المدروسة، وسقطت بعد استيلاء بني وطاس على الحكم في مدينة فاس .

1 3 – إمارة العزفيين بسبتة (647-728هـ/1249-1327م):

شكلت حالة الضعف والوهن التي دبت في أوصال جسم دولة الوحدين وبوجه خاص بعد موقعة العقاب سنة 609هـ/1212م[1] دافعا قويا لتحول بعض مدن المغرب العربي ومنها سبتة عن طاعتها وتقديم ولائها للدولة الحفصية ، إذ تقدم أهالي سبتة وأرسل حاكمها المعروف بابن خلاص البلنسي سنة 643هـ/1245م وفدا برئاسة ابنه في أسطول يحمل هدية إلى الأمير أبي زكريا يحي الحفصي، ولكن الأسطول غرق بما فيه، وكان رد الأمير الحفصي إرسال ابن أبي خالد البلنسي وابن الشهيد الهنتاني لحكم سبتة وذلك في سنة 644هـ/1246م[2]، ولكن ابن أبي خالد تمادى في ظلمه وطغيانه لأهل سبتة، وهذا ما أثار الحقد والضغينة بينه وبين قائد الأسطول أبي العباس أحمد الرنداحي[3].

ولما توفي الأمير أبو زكريا الحفصي وبويع ابنه الملقب بالمستنصر وجد السبتيون الفرصة للتخلص من تبعيتهم للحفصيين بعد أن ضاقوا ذرعا من ظلم وجور بن أبي خالد، وتغافل ابن الشهيد، فاجتمع القائد الرنداحي مع الفقيه أبي القاسم العزفي[4] الذي ترجع إليه أصول الأسرة العزفية وحرضه على التخلص من ابن خالد وابن الشهيد وجعل رئاسة سبتة بيده، ووعده بأخذ الأمر على عاتقه وتحقيق هذه المهمة بنفسه ووافقه أبو القاسم العزفي.

وقام الرنداحي بوضع خطة تم بموجبها القبض على ابن أبي خالد وقتله وتعليقه على سور المدينة، ونفي ابن الشهيد إلى الأندلس[5]، ثم أعلن أبو القاسم العزفي إمارته على سبتة واستقلاله بها وذلك في سنة 647هـ/1248م أيام الخليفة عمر المرتضى الموحدي (647-665هـ/1249-

---

[1] – سبق التعريف بها في الحديث عن عوامل سقوط دولة الموحدين.

[2] – ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص379.

[3] – أحد الرنداحي قائد الأسطول الموحدي، وكانت أسرة الرنداحي قد تولت هذه الخطة بمدينة سبتة إلى غاية 720هـ/1320م. المنوني، ورقات، ص79.

[4] – شهاب الدين أحمد بن محمد المقرى، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، الرباط، إحياء التراث الإسلامي، 1978، ح2، ص.274 – لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص11.

[5] – عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص186.

1266م)[1]. ثم قام بضم طنجة حيث تقدم أهلها بطاعتهم إليه عندما رأوا ضعف وتدهور سلطة الموحدين وظهور قوة المرينيين، فقام بإرسال قوة من الرجال والرماة على رأسهم القائد أبو الفضل العباسي وكان من كبار أعيان سبتة وبصحبته يوسف ابن محمد بن الأمين. وبعد توطيد الوضع في طنجة، عاد القائد أبو الفضل إلى سبتة وترك ابن الأمين واليا عليها[2].

وبعد مرور سنة، استبد ابن الأمين بطنجة وانشق عن العزفي ودعا للحفصيين ثم للخليفة العباسي في بغداد وأخيرا لنفسه[3]، ولكن سرعان ما عادت طنجة إلى طاعة العزفيين، وذلك في سنة 665هـ/1266م إذ بعد أن ملك بنو مرين المغرب الأقصى دخل طنجة ثلاثمائة فارس منهم واستوطنوا فيها وضيقوا على أهلها، فطلب ابن الأمين منهم أن يكفوا أذاهم عن الأهالي مقابل دفع مبلغ من المال لهم، ولكنهم أضمروا له الغدر وقتلوه، فثار عليهم عامة طنجة وقتلوهم واجتمعوا حول ابنه، ثم فخاطبوا أبا القاسم العزفي وطلبوا نجدته، فأرسل إليهم قواته برا وبحرا وأعاد طنجة إلى ملكه، وعين واليا عليها يعرف بابن حمدان يشاركه في حكمها وإدارتها جماعة من أشرافها[4].

وضم أبو القاسم العزفي إلى إمارته مدينة أصيلا حيث دخلتها قواته البحرية سنة 663هـ/1264م، وقامت بهدم أسوارها وقصبتها خشية أن يسيطر عليها العدو ويتمنع فيها[5].

واستمرت رئاسة مؤسس الإمارة أبي القاسم العزفي مدة ثلاثين سنة حتى وفاته سنة 677هـ/1278م[6]. ثم خلفه في الحكم ابنه أبو حاتم أحمد بن محمد بن أحمد العزفي الذي دام حكمه سنة واحدة حيث تنازل عن الإمارة لأخيه أبي طالب عبد الله بن محمد بن أحمد العزفي[7] الذي وصف وصف بأنه كان من أهل الجلالة والصيانة، عظيم الهيئة والشأن، عالي الهمة وشديد البأس، معظما عند الملوك، بعيد النظر مطاع السلطان، حكم بلاده، وأدارها إدارة جيدة، ولكن حدث أن ثار عليه بعض أهله وأحاطوا بمركز حكمه، ولكنه لم يتخذ أي إجراء ضدهم سوى أنه خرج إليهم وتحدث

---

[1] – ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص400.

[2] – المصدر نفسه، ج3، ص 415.

[3] – ابن خلدون، العبر، ج7، ص 186 – الناصري، الاستقصا، ج3، ص34.

[4] – ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص 415 – السلاوي، الاستقصا، ج3، ص 34-35.

[5] – ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص402.

[6] – ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص11.

[7] – المقري، أزهار الرياض، ج2، ص377.

معهم وأنكر عليهم فعلتهم، وسلمهم لقضاء الله سبحانه وتعالى، حيث قال لهم: "قال رسول الله: كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل"[1].

واستمر حكم أبي طالب لسبتة مدة سبع وعشرين سنة حتى خلع سنة 705هـ/1350م، وتوفي مخلوعا في فاس سنة 713هـ/1313م، وجاء خلعه بخيانة وغدر من الأمير محمد بن الأحمر المعروف بالمخلوع[2]، حيث وجه ابن عمه أبي سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف بن الأحمر الذي داهم سبتة بأساطيله واحتلها وقبض على بني العزفي ونقلهم إلى الأندلس[3].

ولكن هذا الاحتلال لم يدم طويلا، بل سرعان ما عاد العزفيون إلى بلدهم بعد أن استرد السلطان أبو الربيع سليمان (708-710هـ/1308-1310م) سبتة وأخرج بني الأحمر منها فاستأذنه بنو العزفي بالسماح لهم بالعودة إلى المغرب والقدوم عليه فأذن لهم واستقروا بفاس[4]. ثم عادوا إلى حكم بلادهم في عهد السلطان أبي سعيد عثمان المريني (710-731هـ/1310-1330م) حيث تولى رئاسة الإمارة أبو عمر يحيى بن أبي طالب سنة 710هـ/1310م والذي كان على قدر كبير من الشجاعة، ولكن الظروف لم تكن تساعد على استرجاع بني العزفي لمجدهم الأول، ولهذا نجد أن الأمير أبا عمر لم يمكث في الإمارة إلا سنة وستة أشهر ثم خلع سنة 711هـ/1311م، وعاد ثانيةسنة 714هـ/1314م واستمر في الحكم حتى وفاته سنة 719هـ/1319م[5]، وتولى من بعده ابنه أبو القاسم محمد بن يحيى الذي كان آخر أمراء البيت العزفي، فقد خلع بعد ستة أشهر من حكمه في سنة 720هـ/1320م، وغادر إلى غرناطة ثم انتقل إلى فاس وعمل كاتبا لبني مرين، وزهد في تولي المناصب الكبرى في الحكم، حيث أراد السلطان أبو عنان فارس المريني (752-759هـ/1352-1358م) أن يستعمله على قسنطينة، لكنه اعتذر لبعد المسافة عن ولده وبلده، وبقي يعمل كاتبا بالحضرة المرينية حتى وفاته[6].

---

[1] - ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2، ص433

[2] - عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص288.

[3] - المقري، أزهار الرياض، ج2، ص377 - السلاوي، الاستقصا، ج3، ص82.

[4] - الناصري، الاستقصا، ج3، ص113.

[5] - المقري، أزهار الرياض، ج2، ص377.

[6] - ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص300

وتغلب على الإمارة من بعده ابن عمه محمد بن علي بن الفقيه أبي القاسم الذي كان يعمل قائدا للبحرية في سبتة مكان القائد يحيى الرنداحي الذي رحل إلى الأندلس، وقد اضطربت أحوال سبتة في عهده، واختلط الأمر على بني العزفي، فانتهز السلطان أبو سعيد المريني الفرصة وزحف بقواته إلى سبتة، وأسقط إمارة العزفيين وذلك في سنة 728هـ/1327م[1].

بعد وفاة الأمير أبي زكريا يحيى بن أبي طالب العزفي سنة 719هـ/1319م، تولى الحكم ابنه الأمير أبو القاسم محمد بن أبي زكريا العزفي، لكنه لم يدم طويلا في حكمه إذ خلع سنة 720هـ/1320م، وانتقل إلى غرناطة[2]، وسيطر على الإمارة ابن عمه محمد بن علي بن الفقيه أبي القاسم الذي خلف يحيى الرنداحي في قيادة الأساطيل لسبتة، وقد عمت الفوضى واضطربت الأحوال في عهده، فانتهز السلطان المريني أبو سعيد الفرصة، وجهز جيشا قاده بنفسه وتوجه نحو سبتة، فتمكن من دخولها وذلك في سنة 728هـ/1327م، وبادر بنو العزفي وجموع أهالي سبتة بتقديم فروض الطاعة والولاء للسلطان أبي سعيد الذي قام بتعيين حاجبه عامر بن فتح مدين العثماني على جبايتها والنظر في مبانيها وإخراج الأموال للنفقات فيها/ وكافأ الملأ من مشيختها بتقديم الهدايا والإقطاعات لهم، ثم عاد إلى عاصمته سنة 729هـ/1328م[3].

وبذلك انتهى دور هذه الإمارة التي استمرت ما يقارب قرنا من الزمن، تأرجح حكم العزفيين فيها بين القوة والضعف، مما أثر على طبيعة العلاقة بينهم وبين الدولة المرينية، تلك العلاقة التي تأرجحت هي أيضا بين علاقة استقلال وتعاون وعلاقة طاعة وتبعية.

وجمع العزفيون بين العلم والسياسة ، وبرز فيهم العديد من اللغويين والأدباء والفقهاء مما انعكس إيجابا على مجمل النشاط العلمي ورعايتهم المتميزة للعلم والعلماء في هذه الإمارة.

---

[1] – الناصري، الاستقصا، ج3، ص115.

[2] – ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص11.

[3] – الناصري، الاستقصا، ج3، ص115.

1 4 – دولة بني نصر[1] بالأندلس:

شهدت الأندلس التي تعد جزءا لا يتجزء من بلاد المغرب الإسلامي أوضاعا مضطربة جدا عقب انهيار السلطة الموحدية، ففي سنة 616هـ/1217م قام أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود بثورة بمدينة مرسية، وبويع له في 625هـ/1225م وذاع صيته ودعا للخليفة العباسي المستنصر بالله ببغداد، والذي بعث إليه بالخلع والمراسيم ولقبه بمجاهد الدين سيف الدولة أمير الأندلس سنة 628 هـ /1231م وانضم إليه أهل إشبيلية وماردة وجيان وبطليوس[2].

تعرضت إمارة بني هود للخطر النصراني وهزم أمام الملك ألفونسو التاسع ملك ليون، ثم أمام ملك قشتالة فرديناندو الثالث.وبالمقابل هجم ملك أرغون خايمي الأول بحملة على الجزر الشرقية (جزر البليار) واحتل جزيرة ميورقة ويابسة وظلت منورقة بيد المسلمين حتى سنة 647 هـ /1247م[3].

ولم يكن ابن هود هو الوحيد الذي حاول الانفصال بالأندلس، فقد كان منافسه ابن مردنيش قد أعلن إمارته المستقلة عن سلطة الموحدين في مدينة بلنسية[4]، لكن ابن هود لم يكن يخشى بن مردنيش بل كان يخشى من تفشي خطر محمد بن يوسف بن الأحمر[5]، فعقد معه صلحا ثم حاول شراء الصلح مع القشتاليين بالمال الذين استولوا على مدينة قرطبة سنة 633هـ/1236م، وتمكن والي ألمرية من اغتيال ابن هود سنة 635هـ/ 1238م[6].

أما محمد بن يوسف بن الأحمر فقد بدأ في توسيع رقعة نفوذه بالأندلس بعد أن تسلم إمارة مدينة أرخونة سنة 629هـ/ 1232م، ودخول مدينتي جيان ووادي آش في طاعته سنة 633هـ/ 1233م، لكنه لم يتمكن من الاحتفاظ بإشبيلية وقرطبة، ودخل في طاعة بن هود، لكن بعد سقوط

---

[1] – ينتسب بنو نصر إلى أميرهم الأول الشيخ عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن نصر بن قيس الخزرجي الذي يرتفع نسبه إلى سعد بن عبادة أمير الأنصار بالمدينة المنورة. ابن خلدون، العبر، ج4، ص170 – المقري، نفح الطيب، ج1، ص447.

[2] – المقري، نفح الطيب، ج1، ص445-447.

[3] – المصدر نفسه، ج4، ص469.

[4] – يوسف شكري فرحات، **غرناطة في ظل بني الأحمر**، دار الجيل، بيروت، 1993، ص18.

[5] – هو الغالب بالله مير المسلمين الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن نصر بن قيس الخزرجي (629هـ – 672هـ/1232– 1273م) ويرتفع نسبه إلى سعد بن عبادة الأنصاري وهو مؤسس الدولة النصرية. المقري، نفح الطيب، ج1، ص447.

[6] – عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج4، ص169.

قرطبة وثورة أهل غرناطة على والي بن هود دخل بن الأحمر المدينة في شهر رمضان 634هـ/ماي 1237م، وجعلها مقرا لحكمه بدلا من مدينة جيان وساعده في بسط نفوذه بنو أشقيلولة، واستمر حكمه إلى غاية 672هـ/1273م[1].

وقد واجهت المملكة في طور نشوئها مشاكل جمة، لعل أهمها اشتداد حركة الاسترداد النصرانية بقيادة مملكة قشتالة، حيث راحت جيوش القشتاليين تغير على جيان واستولوا على حصن أرخونة سنة 642هـ/1245م، ثم حاولوا احتلال غرناطة لكنهم لم يتمكنوا منها[2]. ثم عقد ت اتفاقية هدنة بين الطرفين استغلها ابن الأحمر لتوطيد دعائم الدولة بالرغم من الضغوطات القشتالية[3].

وحاول محمد بن يوسف بن الأحمر التوسع في عدوة المغرب وضم سبتة إلى حكمه بمساعدة القشتاليين، لكنه انهزم سنة 660هـ/1262م[4].

وقد قام ابن الأحمر بالكثير من الإنجازات على الصعيد الداخلي، حيث أرسى قواعد النظام وعمل على تنشيط حركة العمران وأهم إنجاز له هو بناؤه لقصر الحمراء، وإقامة مدرسة في غرناطة وكان يعقد للناس كل أسبوع مجلسا عاما للمظالم والحاجات[5].

وتولى بعده ابنه محمد المعروف بالفقيه نظرا لما تميز به من انتحاله للعلم وقراءته للقرآن وحكم بين سنتي (672-701هـ/1273-1302م)، وكان على الأمير الجديد أن يواجه الاضطرابات الداخلية والخارجية التي أثارها بنو أشقيلولة، والتجأ إلى طلب مساندة المرينيين ثم الزيانيين والنصارى القشتاليين، وهو بذلك قد حاول إيجاد توازن في القوى يضمن به عدم فقدان مملكته[6].

وتولى من بعده مجموعة من الأمراء لعل أبرزهم محمد الخامس الملقب بالغني بالله الذي حكم على فترتين، الأولى بين (755-760هـ/1354-1359م) والثانية بين (762-794هـ/1361-

---

[1] – لسان الدين بن الخطيب، **اللمحة البدرية لفي الدولة النصرية**، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1978، ص33-47.

[2] – ابن خلدون، العبر، ج7، ص190 – المقري، نفح الطيب، ج4، ص456.

[3] – شكري فرحات، المرجع السابق، ص22.

[4] – شكري فرحات، المرجع السابق، ص 22.

[5] – لسان الدين بن الخطيب، اللمحة البدرية، ص44.

[6] – عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج4، ص172.

1392م) ، ويعد من أشهر حكام بني نصر وحاول اتباع الطرق الدبلوماسية في التعامل مع النصارى القشتاليين، وعين لسان الدين بن الخطيب وزيرا له، وبلغت الدولة في عهده أوج ازدهارها[1].

وسار على هذا النهج من حكم بعده[2]، لكن الخطر النصراني كان شديدا ولم تفلح تدخلات بني مرين ولا بقية القوى الإسلامية في حوض البحر المتوسط في الاحتفاظ بالأندلس التي ظلت مهددة من طرف النصارى حتى سقوطها سنة 897هـ/ 1492م، وكانت ضربة قاسية للمسلمين في المغرب والمشرق، وخسارة لمركز من مراكز الحضارة العربية الإسلامية في أوروبا.

2- الواقع السياسي بالمشرق الإسلامي:

قامت الدولة الأيوبية على أنقاض دولة الفاطميين[3]، ومؤسّسها هو صلاح الدين يوسف بن أيوب[4]، وتوسعت في بلاد الشام والحجاز، واستمرّت لغاية 648 هـ/1250م[5].
ولم تسلم هذه الدّولة من ظاهرة الانفصال بالحصون والأقاليم البعيدة عن مقر السلطة المركزية بالقاهرة أواخر عهدها، ممّا أتاح الفرصة لبروز المماليك واستيلائهم على الحكم.

2-1- التعريف بدولة المماليك:

---

[1] - لسان الدين بن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ص 110 - 115.

[2] - انظر جدول سلاسة بني نصر في الملاحق.

[3] - الفاطميون إحدى طوائف الشيعة العلويّة الإسماعليّة، أسّسوا دولتهم بالمغرب ثم انطلقوا إلى مصر وأسسوا مدينة القاهرة. تقي الدين المقريزي، **كتاب المقفي الكبير**، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص 53، 99، 331- حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الدولة الفاطمية**، ط2، مكتبة النهضة العربيّة، القاهرة، 1958. ص 82.

[4] - هو صلاح الدين يوسف بن أيوب الكردي، تولى وزارة العاضد الفاطمي، وتلقب بالملك الناصر ثمّ أبطل رسوم الدولة الفاطمية وحارب الشيعة من مصر واستبد بالدّولة من 567 - 589هـ. شهاب الدين المقدسي (أبو شامةُ)، **كتاب الروضتين في أخبار الدولتين**، ج1، تح: محمد أحمد ومحمد مصطفى زيادة، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، 1962، ص 680 – تقي الدين المقريزي، **كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك**، ج1، تح: محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1956، ص 41-114.

[5] - المكين جرجس بن العميد، **أخبار الأيوبين**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت)، ص 6 – 38 عبد المنعم ماجد، الدولة الأيوبية، المرجع السابق، ص 138.

حكمت دولة المماليك[1] مصر[2] والشام من سنة 648هـ إلى 922 هـ/1250-1517م، والّذي ميز تاريخ هذه الدّولة عن غيرها من دول العالم الإسلامي هو أن حكامها وجيشها كانوا عبارة عن رقيق أو مماليك، وكانوا طبقة غريبة عن المجتمع المصري، واتسم تاريخهم بغلبة الطابع العسكري والاغتيالات والحروب، وإدخال نظم واصطلاحات جديدة في الحكم لم تكن معروفة من قبل في مصر.

2-2- أصل المماليك:

عرف استخدام الرقيق في الجيوش الإسلاميّة في عهد الدولة العباسيّة، عندما استكثر منهم الخليفة المعتصم بالله[3]، وخصص لهم الأرزاق من بيت المال، وقد استبدّ هؤلاء بالحكم وتسيير شؤون الدولة و حجروا على الخليفة العبّاسي[4].

كما اعتمد السلاجقة[5] على الرقيق في جيشهم، وهم أوّل من أسّس لقواعد تربية المماليك وحدّدوا علاقتهم بالحكام[6].

---

[1] – يطلق لفظ المملوك على فئة من العبيد كان يختص بها الخلفاء والأمراء لتكوين فرق خاصة في جيوشهم. ابن منظور المصري، **لسان العرب**، مج10، دار صادر، بيروت، 1990، ص 493.

[2] – سميت مصر نسبة إلى مصراييم بن حام بن نوح، وحدّد الجغرافيون طولها من رفح والعريش إلى أسوان، وعرضها من برقة إلى أيلة في مسيرة 40 ليلة في مثلها. أبو القاسم عبيد الله بن خردّاذبة، **المسالك و الممالك**، طبعة ليدن، 1889، ص 82-84 – المقريزي، **كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، ج1، ط2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1987، ص 14-18- ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج5، دار صادر، بيروت، 1986، ص 137.

[3] – أبو إسحاق محمد المعتصم بالله العباسي (218-227 هـ/833-842م)، بويع بعد وفاة المأمون وكان يلقب بالمثمن . المطهر طاهر المقدسي، **كتاب البدء و التاريخ**، مج6، مكتبة الثقافة الدينية، مصر (د.ت)، ص 114-120.

[4] – أحمد بن واضح اليعقوبي، **البلدان**، تح: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، 2002، ص 55 – محمد بن علي بن طبا طبا، **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلاميّة**، تح: عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، حلب (سوريا)، 1997، ص 228.

[5] – السلاجقة: سلالة من الترك حكموا المنطقة الممتدّة من بلاد الروم والأناضول والشام إلى بلاد فارس وما وراء النهر من 432-589 هـ. المقريزي، السلوك، ج1، ص 31-41- النويري، نهاية الأرب، ج26، ص 267.

[6] – منى محمد بدر محمد بهجت، **أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الإسلامي على الحضارتين الأيوبية والمملوكية بمصر**، ج1، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة، 2002، ص 17-26.

أمّا في مصر، فكان الطولونيون[1] والإخشيديون[2] أوّل من استخدم المماليك، ونهج نهجهم الفاطميون[3].

ولما تمكن صلاح الدين يوسف بن أيوب من إسقاط الدّولة الفاطميّة وتأسيس الدّولة الأيوبيّة، اعتمد على العناصر المملوكية متبعًا في ذلك التقاليد السلجوقية[4]، وكان للظروف السياسيّة بالمشرق خاصة الحروب الصليبيّة دافع مهم لإكثار الأيوبيين من المماليك لتقوية جيشهم. وعقب وفاة صلاح الدين الأيوبي توزعت دولته إلى إمارات صغيرة كان يحكمها أفراد من البيت الأيوبي وجرى التناحر فيما بينهم، ممّا دفع بالأمراء إلى جلب المزيد من المماليك لتقوية جانبهم ضد خصومهم، وعملوا على تنشئتهم وتدريبهم[5].

وفي أواخر عهد الدّولة الأيوبيّة بمصر تمكّن هؤلاء المماليك من الاستيلاء على الحكم وتأسيس دولتهم.

ويعود أصل المماليك الذين تنسب إليهم الدّولة المملوكية إلى أجناس مختلفة أهمها الترك[6]، وكانت مواطنهم في المنطقة الممتدّة من شمال الصين والهند إلى بلاد القوقاز مرورا بالتركستان[1]، ومنطقة

---

[1] – الطولونيون: نسبة إلى أحمد بن طولون، حكموا مصر من 254 على 292 هـ/868 – 905م. محمد بن يوسف الكندي، **ولاة مصر**، دار صادر بيروت، (د.ت)، ص 239-240- النويري، نهاية الأرب، ج28، ص 11-34.

[2] – الإخشيديون: ينسبون إلى محمد بن طغج الإخشيد الذي أسس دولته بمصر و دامت من 323 -358 هـ/935-969م. الكندي، المصدر السابق، ص 301-310. صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، **تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب**، ط2، تح: إحسان بنت سعيد الخلوصي، زهير حميدان، دار صادر، بيروت، 1999، ص 277.

[3] – النويري، نهاية الأرب، ج28، ص 37 – المقريزي، المقفى الكبير، ص 382، 408.

[4] – منى بهجت، المرجع السابق، ج1، ص 95.

[5] – ابن نظيف الحموي، المصدر السابق، ص 28.

[6] – الترك من ولد ترك بن كومر بن يافث حسب النسابة . وكانوا عدة شعوب أهمها: القفجاق وهم الخفشاخ والتتر أو الططر والخزلخية والخور وهم الغز الذين كان منهم ملوك السلاجقة، والعلان والشركس أو الجركس والروس وغيرهم. أبو العباس القلقشندي، **نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب**، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتبا المصري – دار الكتاب اللبناني، القاهرة – بيروت، 1990، ص 25-26- زكريا بن محمود القزويني، **آثار البلاد و أخبار العباد**، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص 580-588. ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص 31 – النويري، نهاية الأرب، ج26، ص 386-387.

ومنطقة بحر قزوين، وكان المسلمون منذ فتحهم لهذه المناطق في عهد الأمويين يسبون منهم ويتخذونهم للمهن والخدمة[2].

ولما قامت دولة المغول وتوسعت على حساب الأراضي السابقة الذّكر، كثر السبي بين شعوب و قبائل الترك، خاصة القفجاق[3] والرّوس[4] والجركس[5]، وامتلأت أيدي تلك النواحي برقيقهم، واشتراهم التجار وباعوهم للملوك الأيوبيين بمصر، والذين أخذوا يستكثرون منهم لتقوية وأصبحت تجارة المماليك تجارة رسمية، وصار سلاطين بني أيوب يكلفون بعض التجار بجلب عصبيتهم طالما كانوا أكرادًا غرباء عن أرض مصر[6].

وأصبحت تجارة المماليك تجارة رسمية، وصار سلاطين بني أيوب يكلفون بعض التجار بجلب أنواع معيّنة من الرقيق ليختصوا بها، وازدهرت هذه التجارة، واشترك فيها التجار الأروبيون لما كانت تدرّه من أرباح وأنشأ البنادقة والجنويون محطات لتجارة المماليك على شواطئ البحر الأسود، وامتد نشاطهم إلى أوروبا وكانوا يبيعون اليونانيين والسلاف والصّرب والألبان والأرمن والجورجيين، وذلك رغم صدور قرار تحريم هذه التجارة من طرف البابا[7].

---

[1] – **التركستان:** اسم جامع لجميع بلاد الترك، حدها من الصين إلى بحر قزوين، وكانت أرضها مليئة بقبائل الترك الذين كانوا يعيشون على النهب والصيد والغارات. القزويني، المصدر السابق، ص 514.

[2] – ابن خلدون، العبر، ج5، ص 798-799.

[3] – القفجاق أو القبجاق فرع من الأتراك كانت مساكنهم جنوب روسيا. والقبجق كلمة جركسية معناها النازح من سفح الجبل. المقريزي، السلوك، ج1، ص 633.

[4] – الرّوس قوم من الصقالبة كانوا يعيشون شمال بحر فروين وغربه. ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص 154 – القزويني، المصدر السابق، ص586 – ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 79 – أحمد الشتاوي، **دائرة المعارف الإسلاميّة**، مج10، مصر، (د.ت)، ص 223.

[5] – الجركس جنس من الترك تنسب إليهم دولة المماليك الجراكسة.

[6] – صارم الدين بن دقماق، **نزهة الأنام في تاريخ الإسلام**، تح: سمير طبارة، المكتبة العصرية، بيروت، 1999، ص 210 – ابن خلدون، العبر، ج5، ص 803.

[7] – عبد المنعم ماجد، **دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1964، ص 12 – أنطوان خليل ضومط، الدولة المملوكية، ط2، دار الحداثة، بيروت، 1982، ص 25-26.

وكان المماليك يصلون إلى الموانئ المصرية خاصة دمياط[1] والإسكندرية[2]، ومنها كانوا ينقلون إلى القاهرة أين خصصت أماكن لبيعهم حسب أثمانهم[3]، وبعد ما يقتنيهم السلاطين والأمراء كانوا يلحقون بمكان يسمى الطباق، وهو عبارة عن مدرسة عسكرية وفيه يتعلمون الخط والقرآن، ويدرّبون على فنون الحرب والفروسية كركوب الخيل والقتال بالسيف والرمح، وكان يشرف عليهم أساتذة متخصصون يتبعون في تعليمهم نظامًا دقيقًا جدّا، وبعدها يعتق المملوك ويسلم له سلاح وفرس ولباس خاص وإقطاع يبقى ملكا له، ثمّ يترقى المماليك في الرّتب حتّى يصلون مرتبة الإمارة الّتي كانت تهيؤهم للوظائف العليا في البلاط والجيش وحتى السلطة[4].

2-3- قيام دولة المماليك:

كانت مصر قبل مجيء المماليك تحت حكم الأيوبيين، وكان السلطان صلاح الدين الأيوبي وأخيه الملك العادل أبي بكر[5] ثمّ خلفاؤهم من بعدهم قد أكثروا من جلب المماليك، واختص منهم الملك الصالح نجم الدين أيوب[6] بالمبالغة في ذلك، حتى أصبح عامّة جيشه وخاصته من المماليك

---

[1] - **دمياط**: من أشهر الموانئ المصرية على البحر الرومي وعلى جانب النيل، وكانت مخرج التجارة المصرية إلى أوروبا، و كان يقصدها التجار البنادقة بالخصوص، واشتهرت بصناعة السكر. المقريزي، الخطط، ج1، ص 213-225 – ابن حوقل، المصدر السابق، ج1، ص 152 – القزويني، المصدر السابق، ص 193.

[2] - **الإسكندريّة**: ثغر مصر على البحر الرومي، وإحدى أكبر المراكز التجارية والثقافية في مصر المملوكية. المقريزي، الخطط، ج1، ص 87-175 – ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 182.

[3] - أنطوان خليل، المرجع السابق، ص 26.

[4] - المقريزي، السلوك، ج2، ص 524-525 – ابن خلدون، العبر، ج5، ص 803 – السيد الباز العريني، **المماليك**، دار النهضة العربية، بيروت، 1967، ص 84 – 264.

[5] - الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب ولد سنة 540هـ/ 1143م. وتوفي سنة 615هـ/1218م. ابن نظيف الحموي، المصدر السابق، ص28 – ابن كثير، المصدر السابق، ج13، ص 78-79 – الأصفهاني، الفتح القسي، ص 360 – 363 – الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ص406. النويري، نهاية الأرب، ج 29، ص 9.

[6] - الملك الصالح نجم الدين أبو الفتوح بن السلطان الكامل محمد بن الملك العادل، ولد سنة 603هـ/1203م وتوفي سنة 647 هـ/1248م، وكانت مدّة حكمه من637هـ/1239م إلى غاية وفاته. المقريزي، السلوك،ج1، ص 296-339– ابن كثير، المصدر السابق، ج 13، ص 153 – 177 – النويري، نهاية الأرب، ج 29، ص 268. شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج 16، تح: خيري سعيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (د.ت)، ص 445-448.

الذين سماهم البحرية و أسكنهم معه في القلعة[1] الّتي بنهاها بإحدى جزر النيل قرب فسطاط مصر، وكان من كبرائهم: عز الدين أيبك الجاشنكير التركماني[2] وفارس الدين أقطاي الجمدار[3] وركن الدين بيبرس البندقداري[4].

وقد أبلى هؤلاء المماليك البلاء الحسن في قتال الفرنج الذين استولوا على دمياط سنة 647 هـ/ 1248م بقيادة ملكهم لويس التاسع[5] فيما عرف بالحملة الصليبيّة السابعة، وكانت هذه الحملة قد انطلقت من ميناء مرسيليا بفرنسا في 4 جمادي أولى 646 هـ/ 25 أوت 1248م، ووصلت دمياط في 21 صفر 647 هـ/جويلية 1249م، ودخل الفرنج المدينة دون قتال بعدما هجرها أهلها، وبقيت بدون دفاع، فقام الملك الصالح نجم الدين أيوب بجمع قواته في المنصورة[6] ونظم منها دفاعه رغم مرضه، وتوفي بعد ذلك بقليل في شعبان 647 هـ/22 نوفمبر 1249م بعد أن عهد لابن تورانشاه بولاية العهد[7].

---

[1] – بنيت على جزيرة الروضة، و تحول إليها كرسي الملك بعدما كانت قلعة الجبل التي بناها صلاح الدين هي مقر الحكم. المقريزي، الخطط، ج2، ص 201-236، أبو العباس القلقشندى، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، ج3، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنّشر، القاهرة، 1985، ص 368.

[2] – المعز عز الدين أيبك التركماني الصالحي، كان من مماليك الصالح نجم الدين أيوب، وترقى في الوظائف حتى صار جاشنكيرًا أي المتصدي لذوق المأكول و المشروب السلطاني. خوفا من السم. أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ج7، تح: إبراهيم علي طرخان، المؤسّسة المصرية العامة، القاهرة (د.ت)، ص 4 – النويري، نهاية الأرب، ج 29. ص 419.

[3] – فارس الدين أقطاي: كان من فرسان مماليك الصالح أيوب، أقطع الإسكندرية ومات مقتولا سنة 652 هـ/1252م. و كان جمادارًا أي الّذي يتولى إلباس السلطان ثيابه النويري، نهاية الأرب، ج29، ص 429 – القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص 20 – ابن خلدون، العبر، ج5، ص812- الذهبي، المصدر السابق، ج17، ص 451.

[4] – ابن دقماق، المصدر السابق، ص 210.

[5] – الملك لويس التاسع و كان يلقب بريدافرانس عند المسلمين، ولد سنة 612 هـ/ 1214م، قام بحملة صليبية على دمياط، و أخرى على تونس مات خلالها بالطاعون سنة 669 هـ/1270م. الذهبي، المصدر السابق، ج17، ص 62 – ستيفن رنسيمان، المرجع السابق، ص 453.

[6] – مدينة بناها الملك الكامل سنة 616 هـ/1218م عندما ملك الفرنج دمياط للمرة الأولى سنة 615 هـ/1218م , وصارت مدينة كبيرة بها الحمامات والفنادق والأسواق. المقريزي، الخطط، ج1، ص 231 – ابن نظيف الحموي، المصدر السابق، ص 71-72- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص 212.

[7] – ابن العميد، المصدر السابق، ص 38 – المقريزي، السلوك، ج1، ص 939 – النويري، ج29، ص 337.

تدبّرت زوجة الملك الصالح شجر الدّر[1] الأمر وكتمت خبر موت زوجها، وأرسلت في استدعاء تورانشاه الّذي كان حاكما بإحدى الحصون شمال العراق. وتسرب خبر موت الملك الصالح إلى لويس التاسع، فسارع بقواته إلى المنصورة، وعندئذ ظهر المماليك البحرية، فتركوا الصليبيين يدخلون المدينة، فتاهوا في أزقتها وانقضّوا عليهم وهزموهم[2].

ولما قدم الملك تورانشاه، اصطدم المماليك بالفرنج مرّة أخرى في فارسكور[3] في المحرم 648 هـ/أبريل 1250م، و هزموهم وقتل منهم الكثير وأسر ملكهم لويس التاسع وسجن بالمنصورة[4]، وتمّ إفشال الحملة الصليبية السابعة على مصر، لكن ورغم هذه الانتصارات الّتي حققها المماليك، فإنّ الملك تورانشاه أعرض عنهم وأساء إليهم واعتقل الكثير منهم وهدد شجر الدّر وطالبها بمال أبيه الملك الصّالح، فاستاء المماليك من أفعاله الّتي أضرّت بهم كثيرًا، ونفروا منه واتّفقوا على قتله ونفذوا ذلك في 29 محرم 648 هـ/ماي 1250م، وبقتله انقرضت دولة بني أيوب[5].

اتفق المماليك البحريّة على إقامة زوجة الملك الصالح شجر الدّر عصمة الدّين أم خليل ملكة على مصر، وحلفوا لها في 10 صفر 648 هـ/1250م، ورتبوا الأمير عزّ الدّين أيبك التركماني الصالحي أحد كبراء المماليك مقدما للعسكر ونائبا للسلطنة[6].

---

[1] – أصلها تركي، كانت محظية عند الملك الصالح و أنجبت منه ابنا اسمه خليل مات صغيرًا. ابن كثير، المصدر السابق، ج13، ص 199 – المقريزي، السلوك، ج1، ص 361 – النويري، نهاية الأرب، ج 29، ص 362- ابن تغري بردي، **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، ج6، تح: محمد أمين، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1990، ص219- بدر الدين العيني، **عقدالجمان في تاريخ أهل الزمان**، ج1، تح: محمد أمين،دار الكتب، القاهرة، 1978، ص165.

[2] – ابن كثير، المصدر السابق، ج13، ص 180 – المقريزي السلوك، ج1، ص 351 – ابن العميد، المصدر السابق، ص 38 – السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 356- عبد الفتاح عاشور، **مصر و في الشام عصر الأيوبيين والمماليك**، دار النهضة العربيّة، بيروت، 1972، ص 111 – عبد العزيز سالم، سحر السيد عبد العزيز سالم، **دراسة في تاريخ الأيوبيين والمماليك**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندريّة، 1997، ص 176 .

[3] – من قرى مصر قرب دمياط. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص 227.

[4] – النويري، نهاية الأرب، ج29، ص 355 – المقريزي، السلوك، ج1، ص 356 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص 367 – ابن كثير، المصدر السابق، ج13، ص 178.

[5] – ابن العميد، المصدر السابق، ص 38 - المقريزي، السلوك، ج1، ص 353 – 361 – النويري، نهاية الأرب، ج29، ص 360.

[6] – النويري، نهاية الأرب، ج29، ص 362 – 363 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 4.

وكانت شجر الدّر تدبّر أمور الدّولة، و توقّع على المناشير، وكان يُخطّب باسمها على منابر مصر والقاهرة، وفي 29 ربيع ثاني 648 هـ/1250م، تزوّجت الأمير عزّ الدين أيبك، وتنازلت له على السلطنة بعدما حكمت لمدّة ثمانين يومًا(1)، وكانت فترة حكمها الفاصل بين سقوط الدّولة الأيوبيّة وقيام دولة المماليك، وإن كان بعض المؤرخين يضعها على رأس قائمة سلاطين المماليك بالديار المصرية[2].

2-4- دولتا المماليك:

تقسم دولة المماليك تاريخيا إلى عصرين أو دولتين، هما دولة المماليك البحرية ودولة المماليك الجراكسة.

2-4-1- دولة المماليك البحرية: 648-784 هـ/1250-1382م :

وتسمى أيضا بالدولة التركية لأن أغلب حكامها كانوا من أصل تركي، وهم الذين اختص بهم الملك الصالح نجم الدين أيوب واعتمد عليهم في توطيد ملكه وأسكنهم معه في قلعة جزيرة الرّوضة في نهر النيل وسمّاهم البحرية، وكانوا دون الألف مملوك[3].

وكان عدد سلاطين هذه الدّولة 24 سلطانًا، أولهم السلطان عز الدين أيبك التركماني الصالحي الّذي تولى سنة 648 هـ/ 1250م، وآخرهم الملك السلطان الصالح صلاح الدين حاجي بن شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون الّذي خلعه الجراكسة سنة 784 هـ/1381م[4].

[1] - ابن دقماق، المصدر السابق، ص 194-195.

[2] - يقول عنها المقريزي: "وهي أوّل من ملك مصر من ملوك الترك المماليك". انظر : السلوك، ج1، ص 363.

[3] - المقريزي، الخطط، ج2، ص 236 – ابن خلدون، **التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا و غربا**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981، ص1143.

[4] - المقريزي، الخطط، ج2، ص 240 – عبد الرحمان الجبرتي، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، المطبعة العامرية، مصر، 1322 هـ، ص20.

واشتهر من سلاطين هذه الدّولة المظفر سيف الدين قطز الّذي تولى الحكم سنة 657 هـ/1259م، وهو ثالث ملوكهم[1]، وذكر بعض المؤرخين أنّه ابن أخت خوارزم شاه جلال الدّين وأنّ اسمه الأصلي محمود[2]، و في عهده وقعت معركة عين جالوت بأرض فلسطين، الّتي أوقفت زحف التتار نحو الدّيار المصرية في يوم الجمعة 25 رمضان 658 هـ/1260م[3]، وتمكن المظفر قطز عقبها من تحرير كثير من أراضي الشام، حتّى دخل دمشق، وعند عودته إلى مصر اغتيل وتولى الحكم مكانه الملك الظاهر بيبرس البندقداري[4]، الّذي يعد المؤسّس الفعلي للدّولة المملوكية وواضع نظمها، وفي عهده توسع نفوذ المماليك إلى بلاد الشام والحجاز، وصار الظاهر بيبرس يلقّب بسلطان الدّيار المصريّة والبلاد الشامية والأقطار الحجازيّة[5]، ولعلّ أهم عمل قام به هو إحياؤه لرسوم الخلافة العبّاسيّة بالقاهرة سنة 659 هـ/1261م بعد ما اختفت معالمها منذ تخريب بغداد على يد المغول سنة 656 هـ/1258م، وقتل الخليفة العباسي المستعصم بالله[6]، وأمسى المسلمون في العالم في

---

[1] – ابن العميد، المصدر السابق، ص 48 – النويري، نهاية الأرب، ج29، ص 469 – ابن دقماق، المصدر السابق، ص 254 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 72 – المقريزي، السلوك، ج1، ص 417 – بيبرس الدوادار، **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة**، تح: زبيدة محمد عطا، عين للدراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة، القاهرة، 2001، ص 71 – 72.

[2] – الذهبي، المصدر السابق، ج17، ص 453 – الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ص 456.

[3] – أسهبت المصادر التاريخية في ذكر هذه المعركة لأهميتها التاريخية. انظر: أبو الفداء الملك المؤيد، **المختصر في أخبار البشر**، ج2، تح: محمود ديوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ص 314 – الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ص 455 – ابن العميد، المصدر السابق، ص 53 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 79 – ابن دقماق، المصدر السابق، ص 263- المقريزي، السلوك، ج1، ص 427-429 – ابن كثير، المصدر السابق، ج13، ص 220-222 – النويري، نهاية الأرب، ج29، ص 472 – ابن إياس، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ج1، تح: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1983، ص 306 – السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 363.

[4] – أصله تركي، أخذ من بلاده وبيع بدمشق و اشتراه الأمير علاء الدين أيدكين الصالحي (ت 684 هـ) و به سمي البندق داري أي الذي يحمل جراوة البندق خلف حضرة السلطان، ثم صار من ممالك الصالح نجم الدين أيوب الذي اعتقه و قدمه على طائفة الجمدارية لما كان له من الفطنة والذكاء وحضر واقعة دمياط، وهو الذي قتل سيف الدين قطز. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 94-25 – المقريزي، السلوك، ج1، ص 436 - ابن كثير، المصدر السابق، ج13، ص 222 – الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ص 458 – ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ص 307 – النويري، نهاية الأرب، ج30، ص 15 – القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص 458.

[5] – بيبرس الدوادار، المصدر السابق، ص 83 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 94.

[6] – هو أبو أحمد عبد الله المستعصم بالله آخر خلفاء بني العبّاس بويع سنة 640 هـ/1242م، استولى هولاكو على بغداد و قتله قتله مع جملة كبيرة من سكان المدينة و خرّبها. ابن تغري بردي، المنهل الصافي ، ج7، ص 126-129 – ابن كثير، المصدر السابق، ج13، ص 160 – ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 317 – السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 355- فؤاد

موقف لم يعتادوه منذ عهد الرّسول صلى الله عليه وسلم، واستغل الظاهر بيبرس فرصة وصول أحد أبناء البيت العباسي إلى دمشق وهو الأمير أحمد بن الظاهر بن الناصر العباسي[1] فأرسل في استدعائه إلى مصر، واستقبله السلطان بحفاوة كبيرة وإكرام، وعقد له مجلسًا بالقلعة، وجمع القضاة والعلماء والأمراء ليشهدوا بصحة ثبوت نسب ذلك الأمير إلى آل العبّاس، وبعد إثبات نسبه بايعه السلطان كخليفة جديد وتلقت بالمستنصر بالله، وتبعه القضاة والعلماء وسائر النّاس، كما قام الخليفة بدوره بتقليد الظاهر بيبرس السلطنة وسط حفل كبير[(2)]، وبذلك صار للمماليك شرف الزعامة الروحية على العالم الإسلامي بعدما صارت عاصمتهم مدينة القاهرة مقرّ رسميا للخلفاء العباسيين.

ثمّ قام الظاهر بيبرس بحركة واسعة لتحرير حصون الشام من بقايا الصليبيين، وتمكن من طردهم ومناصفتهم في حصون أخرى ووضع عمّاله ونوابه فيها[3]، واستمرّ عهده حتّى وفاته سنة 676 هـ/1279م[4].

و يعتبر عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون[1] تاسع ملوك البحرية عصر الأوج في الحكم المملوكي بمصر، وكانت فترة حكمه الأطول بين سلاطين المماليك، حيث امتدّت من 693

عبد المعطي، المرجع السابق، ص 249 – رشيد عبد الله الجميلي، حملة هولاكو على بغداد (656هـ)، **مجلة المورد**، مج8، ع4، بغداد 1919، ص 62-64.

[1] – هو أبو القاسم أحمد الظاهر (ت 660 هـ/1263م)، كان معتقلا ببغداد ثمّ نجا إلى الشام، وهو الخليفة الثامن والثلاثون من خلفاء العباسيين. الذهبي، المصدر السّابق، ج16، ص 432 – السويدي، المصدر السّابق، ص 394- السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 365.

[2] – ابن خلدون، العبر، ج5، ص 895 – بيبرس الدوادار، المصدر السابق، ص 86 – ابن دقماق، المصدر السابق، ص 276 – النويري، نهاية الأرب، ج30، ص 29. ويرى بعض المؤرخين أنّ إعلان الظاهر بيبرس للخلافة العبّاسيّة بالقاهرة كان كرد فعل على إعلان المستنصر الحفصي للخلافة بتونس ومبايعة شريف مكة له. انظر: ابن خلدون، العبر، ج6، ص 634 – ابن أبي دينار، المصدر السّابق، ص 315-316. أحمد مختار العبادي، **في تاريخ المغرب و الأندلس**، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2003، ص 125 – و لم تكن للخلفاء العباسيين بالقاهرة سلطة تذكر سوى ذكرهم في الخطبة و السكة. انظر: السويدي، المصدر السابق، ص 397.

[3] – النويري، نهاية الأرب، ج30، ص 229 و ما يليها – محمد بن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات و الذيل عليها**، ج1، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1951، ص 166 – عزمي عبد أبو عليان، **مسيرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في عهد المماليك**، دار النفائس، عمان، 1995، ص 27 – 69.

[4] – بيبرس الدوادار المصدر السابق، ص 159-160 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 177 – المقريزي، السلوك، ج1، ص636 – النويري، نهاية الأرب، ج30، ص 369.

ﻫ/1295م حتى وفاته سنة 741 ﻫ/1341م ، وتخللتها عدّة اضطرابات سياسيّة وثورات[2]. وقد أكثر هذا السلطان من جلب المماليك خاصّة من بلاد الرّوم، وأبطل كثيرًا من النظم خاصّة نيابة السلطنة وتفرّد بالحكم، وامتدّ نفوذه من بلاد المغرب إلى الشام والنوبة والحجاز والسودان، وهاداه وراسله ملوك الهند والصين والحبشة والتكرور والترك والإفرنج والرّوم والمغرب[3]، واستمرّ الحكم في ذرّيته حتى قيام دولة الجراكسة[4].

2-4-2- دولة المماليك الجراكسة: 784-923 ﻫ/1382-1517م:

سميت هذه الدّولة باسم الجراكسة أو الشراكسة لأنّ سلاطينها كانوا من جنس الجركس، كما تسمى بالبرجية أيضا نسبة إلى أبراج القلعة أين كان يقطن مؤسّسوها[5].

ونشأت فرقة المماليك الجراكسة في عهد السلطان المنصور قلاوون[6]، الّذي أراد تكوين طائفة جديدة من المماليك تكون موالية له دون غيره من الأمراء المنافسين له، فكوّنها من جنس الجركس الّذين كانوا ينتشرون شمال بحر قزوين وشرقي البحر الأسود، بعدما اشترى أعدادًا كبيرة منهم وأسكنهم بجواره في أبراج القلعة[7]، وتعهدهم بنفسه، وأشرف على تربيتهم وتدريبهم فنون الفروسيّة،

---

[1] - ولد سنة 684 ﻫ/1286م، وحكم و عمره 9 سنوات على 3 فترات بين عزل و عودة . محمد بن علي الشوكاني، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، ج2، مطبعة السعادة، القاهرة 1348 ﻫ، ص 236-235 – النويري، نهاية الأرب، ج31، ص 7. أحمد مختار العبادي، **في التاريخ الأيوبي و المملوكي**، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندريّة، 1992، ص 250.

[2] - سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر و الشام، المرجع السابق، ص 204-215.

[3] - القلقشندى، صبح الأعشى، ج8، ص 63 – 119.

[4] - المقريزي، الخطط، ج2، ص 239-240.

[5] - المقريزي، الخطط، ج2، ص 241 – السير و ليم موير، **تاريخ دولة المماليك في مصر**، تر: محمد عابدين، سليم حسن، مكتبة مدبولي، القاهرة 1995، ص 40.

[6]- أصله من القفجاق، و بيع بألف دينار في مصر فسمي بالألفي، ثم ملكه الصالح أيوب وترقى إلى رتبة أتابك العسكر في عهد العادل سلامش بن الظاهر بيبرس، وازداد نفوذه حتى اختير سلطانا سنة 679 ﻫ/1280م. انظر: بيبرس الدوادار، المصدر السابق، ص 176-178 – ابن تغري بردي، النجوم الزّاهرة، ج7، ص 292 – ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ص 361 – محمد إسماعيل الحداد، **السلطان المنصور قلاوون**، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998، ص 15-27 – العبادي، في التاريخ الأيوبي و المملوكي، ص 233.

[7] - المقريزي، الخطط، ج2، ص 241 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 327 – سماعيل الحداد، المرجع السابق، ص 42-43.

وأغدق عليهم المال والطعام، والملبس، وبلغ عددهم في نهاية عهده ما بين ثلاثة آلاف وسبعة آلاف مملوك[1].

واقتفى السلطان الأشرف خليل[2] بن المنصور أثر أبيه، واشترى حوالي ألفي مملوك جركسي، فأصبح الجراكسة قوّة كبيرة وتطلع أمراؤهم إلى السلطنة والحكم، وساعدهم على ذلك سماح السلطان خليل لهم بالنزول من أبراج القلعة إلى القاهرة فاختلطوا بغيرهم من المماليك وشاركوا في الصّراع الذي كان قائما بين الطوائف المملوكيّة حول الحكم[3].

اصطدم الجراكسة بالمماليك الأتراك، وحدث بينهم صراع خطير اتخذ أبعادًا عنصرية وطائفية[4]، وبرز من بين الأمراء الجراكسة شخصيّة برقوق الجركسي العثماني[5]، الذي كان يمتاز بالذكاء بالذكاء و قوة التدبير، فاستغل الفوضى السياسيّة الّتي حدثت في أواخر عهد المماليك البحريّة، ورسم خطّة مبنية على : العمل في الخفاء على ضرب الأمراء الكبار بعضهم ببعض، وتولي منصب هام يمكنه من التحكم في الجيش، و إخفاء تعصّبه لعنصره[6].

وشرع برقوق في تنفيذ مخططه، فترقى إلى أمير طبلخانة[7]، ثمّ رقّاه الأمير يلبغا الناصري[1] إلى إمرة مائة وتقدمة ألف[2]، ثمّ صار أتابكا على العسكر وقائد للجيش، ومهّد للقضاء على أصحابه ومنافسيه، وجمع حوله الجراكسة واستغل جميع الفرص المتاحة للوصول إلى الحكم[3].

---

[1] – ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ص 361– المقريزي، السلوك، ج1، ص 755 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 327.

[2] – حكم من 687 هـ/1288م إلى 693 هـ/1293م و في عهده فتحت عكا آخر معقل للصليبيين ببلاد الشام و فلسطين في 690 هـ/ماي 1291م. بيبرس الدوادار، المصدر السابق، ص 288 – 312.

[3] – بيبرس الدوادار، المصدر السابق، ص 289–300 – الباز العريني، المرجع السابق، ص 85.

[4] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج8، ص 41-160.

[5] – هو برقوق بن أنص الظاهر أبو سعيد الجركسي العثماني بنسبة إلى حالبه من بلاد جركس الخواجا عثمان، اشتراه الأمير يلبغا الناصري، وسمي برقوقا لنتوء في عينيه. شمس الدين السخاوي، **الضوء اللامع لأهل القرن التّاسع**، ج3، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)، ص 11– ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج12، ص 1 و ما يليها – أحمد دهمان، **ولاة دمشق في عهد المماليك**، ط2، دار الفكر، دمشق، 1981، ص 247.

[6] – أنطوان خليل، المرجع السابق، ص 281–283.

[7] – أمير طبل خانة: من مراتب أرباب السيوف، كان صاحبها يلي في الرّتبة أمير مائة مقدم ألف، وسمي كذلك لأحقيته في دق الطبول على أبوابه كما كان يفعل السلاطين و الأمراء المئين، و يسمّى أيضا أمير 40 لترأسه 40 فارسًا. القلقشندى، صبح الأعشى، ج4، ص 15.

وفي سنة 783 هـ/1381م، توفي السلطان شعبان، وجمع برقوق الخليفة والأمراء وأقاموا حاجي ابنه على العرش وكان عمره تسع سنوات[4]، وتقوّى مركز برقوق، وبدا يتقرّب إلى المجتمع المصري بإلغاء المكوس فرخصت الأسعار فسرّ الشعب وأعجب به[5].

وفي 784 هـ/1382م دعا برقوق إلى اجتماع ضمّ الخليفة والأمراء والقضاة، فتكلّم أحد القضاة قائلاً: "إنّ أحوال المملكة قد فسدت، وزاد فساد العربان وخامر غالب نواب الشام[6]، وخرجوا عن الطاعة، والأحوال غير مستقيمة، وإن الوقت قد ضاق، ومحتاجون إلى إقامة سلطان كبير تجتمع فيه الكلمة ويسكن الاضطراب"[7]، فخُلِع الصالح حاجي بن شعبان، وتسلطن برقوق مكانه و تلقب بالملك الظاهر[8]، وبذلك انقرضت دولة المماليك البحريّة، وتولى الحكم مكانهم المماليك الجراكسة.

وبلغ عدد سلاطين هذه الدّولة 25 سلطانا[9]، وأبرز ما ميّز عهد الجراكسة عن عهد البحريّة هو أنّ ملوكها لم يعرفوا نظام وراثة العرش، بل كان الأمراء يصلون إلى السلطة بعد المؤامرات والتصفيات

---

[1] – يلبغا الناصري: كان من كبراء أمراء المماليك، أصبح نائبا للشام في فترة حكم برقوق، و قام بثورة كبيرة و حكم لبعض الوقت ثمّ قبض عليه. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج12، ص 32-33 – ابن خلدون، التعريف، ص 1139-1163 – الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ص 543 – أحمد دهمان، المرجع السابق، ص 188.

[2] – أمير مائة مقدم ألف: أعلى رتبة في الجيش بالنسبة للأمراء المماليك، و كانت خاصة بأرباب السيوف، و كان في خدمة صاحبها 100 مملوك، و كان يختار من طبقتها نواب السلطنة و كبار موظفي الدولة. القلقشندى، صبح الأعشى، ج4، ص 14.

[3] – المقريزي، السلوك، ج3، ص 277-405.

[4] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص 207 – ولي الدين بن العراقي، **الذيل على العبر في خبر من عبر**، ج2، تح: صالح مهدي عبّاس، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، 1989، ص 506.

[5] – السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص 11.

[6] – كانت بلاد الشام عبارة عن مجموعة نيابات عليها نواب وكان أهمها: دمشق – حلب – حماه. الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ص 455-543 – أحمد دهمان، المرجع السابق، ص 15-16 – محمود السيد، **تاريخ عرب الشام في العصر المملوكي**، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندريّة، (د.ت)، ص 41 – القلقشندي، صبح الأعشى، ج 12، ص 199.

[7] – المقريزي، السلوك، ج3، ص 474.

[8] – تقي الدين بن قاضي شهبة، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، مج1، ج3، تح: عدنان درويش، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربيّة، دمشق، 1977، ص 86 – ابن العراقي، المصدر السابق، ج2، ص 532 - المقريزي، السلوك، ج3، ص 474 - السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج2، ص 384.

[9] – يمكن الرّجوع إلى أسمائهم ضمن مجموعة الملاحق.

والاقتتال، كما تغيّرت النظم السياسيّة والاقتصادية بشكل جذري بسبب تفضيل العنصر الجركسي في المناصب العليا للدولة دون مراعاة الأصول القديمة الّتي كانت متبعة في الدولة الأولى من تربية المملوك في الطباق والتدرج في المناصب والرّتب. واستمرّ الجراكسة في حكم مصر إلى غاية 923 هـ/1517م[1].

[1] - كان آخر ملوكهم قانصوه الغوري (ت922 هـ/1516م) الذي قتل في مرج دابق أمام العثمانيين وطومان باي (ت923 هـ/1517م) – الشوكاني، البدر الطالع، ج2، ص 54- 55.

الباب الأول

العلاقات السياسية بين دول المغرب الإسلامي ودولة المماليك بين القرنين 7 – 9 هـ / 13- 15 م

تمهيد : العوامل المؤثرة في العلاقات السياسية بين دول المغرب الإسلامي ودولة المماليك

الفصل الأول: العلاقات السياسية الحفصية المملوكية

الفصل الثاني: العلاقات السياسية الزيانية المملوكية

الفصل الثالث: العلاقات السياسية المرينية المملوكية

الفصل الرابع: العلاقات السياسية النصرية المملوكية

تمهيد:

ربطت دول المغرب الإسلامي علاقات متنوّعة وقويّة مع دولة المماليك، وكان مردّ ذلك إلى جملة من العوامل يمكن ذكرها كالآتي:

- رابطة الدّين الإسلامي:

حيث أن المسلمين إخوة وواجب بينهم التواصل، وعمل الحكام والسلاطين والعلماء على تقوية هذا الرابط، ويظهر ذلك من خلال المكاتبات والمراسلات التي كانت عادة ما تبتدئ بذكر أواصر التواصل الدينية، كما أن الحفاظ على الدين الإسلامي ومكتسبات الأمة الإسلامية وأقاليمها وحدودها وثرواتها كان مهمة جميع المسلمين دون استثناء سواء في المشرق أو في المغرب، وقبيل قيام الدويلات المستقلة بالمغرب الإسلامي مطلع القرن السابع الهجري/13م كان المنصور الموحدي على صلة وثيقة مع الناصر صلاح الدين الأيوبي وتمت بينهما المراسلة فيما يخص صد العدوان الصليبي على الأراضي الإسلامية في خطوة لتوحيد الصف الإسلامي في وجه الخطر والعدوان المتكرر للصليبيين على السواحل البلدان الإسلامية[1].

- رابطة الجوار:

كانت دولة المماليك في المشرق تسيطر على مساحة واسعة من مصر والشام وبلاد الحجاز، وكانت لها حدود برية من جهة الغرب مع الدولة الحفصية التي امتد سلطانها إلى إقليم طرابلس في ليبيا[2]، ما دفع إلى إيجاد علاقات سلمية وتعاون بين القوتين الإسلاميتين خاصة مع وجود التهديدات النصرانية.

. رابطة الخلافة:

ظلت الخلافة الإسلامية منذ العهد الراشدي اللحمة التي جمعت أشتات العالم الإسلامي تحت راية واحدة، وبعد سقوطها في بغداد سنة 656هـ/1258م وانتقال مقرها إلى القاهرة، صارت عاصمة المماليك محط أنظار المسلمين لكونها مقر الخليفة الذي يمثل العهد الموروث عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا شك أن المسلمين في شتى أصقاع الأرض وعلى مر التاريخ الإسلامي كانوا يتوقون إلى مقر الخلافة وإلى الخليفة الذي وإن كان في عهد المماليك له وجود شكلي إلا أن مبايعته

---

[1] - عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص330.

[2] - أنظر الملاحق الخاصة بخريطة الدولة المملوكية وحدودها.

كانت واجبة على كل ملوك الأقطار الإسلامية عدا ما وقع من مشكلة الخلافة الحفصية التي ظهرت فجأة لكنها لم تستمر رغم مبايعة مجموعة من الإمارات الإسلامية للخليفة الحفصي، إلا أن إشعاع الخلافة العباسية في القاهرة كان أقوى[1]

- رابطة الخطر المشترك:

حيث كان العالم الإسلامي مهددا من القوى الصليبية بغرب أوروبا، واهتم المماليك بأحداث المغرب والأندلس، وكان حكام بني الأحمر في غرناطة يستنجدون بسلاطين المماليك لنصرتهم ضد هجمات النصاري[2]، ما زاد في التلاحم الإسلامي ضد القوى النصرانية.

- رابطة الحج:

خاصة وأنّ أهم طريق للحجيج المغاربة كان يمرّ عبر الأراضي المملوكيّة بمصر[3]، وكان الرعيل الأول من أهالي بلاد المغرب قد شغف بالرحلات التي كانت لها أثر في صلتهم بإخوانهم في الدين ببلاد المشرق الإسلامي، وكانت مدينتا مكة والمدينة المنورة المنبع الأساسي للدين الإسلامي مقصد المغاربة المسلمين منذ الفتح الإسلامي.

---

[1] - أنظر الفصل الأول الخاص بالعلاقات السياسية بين الدولة الحفصية والمملوكية.

[2] - ابن الخطيب، **كناسة الدكان**، ص 43 – المقري، **نفح الطيب**، ج7، ص 369 - القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج8، ص 106-115.

[3] - سعيد عبد الفتاح عاشور، **مصر والشام**، المرجع السابق، ص 342.

الفصل الأول

العلاقات السياسية بين الدولة الحفصية والمماليك

شكلت الدولة الحفصية بحدودها التي امتدت شرقا لتلامس الحدود المملوكية الدولة الأولى من دول المغرب الإسلامي التي تعاملت مع المماليك على الصعيد السياسي بحكم الجوار وبحكم كونها

كانت المرشحة لخلافة دولة الموحدين، وقد كانت على مقربة من الوقائع التي أدت إلى سقوط الدولة الأيوبية وقيام الدولة المملوكية، ومما أتيح لنا من المصادر أمكن رسم معالم العلاقات التي ربطت بين الحفصيين والمماليك البحرية والجراكسة.

1 – بداية العلاقات الحفصية المملوكية:

يمكن إرجاع بداية العلاقات بين دولة الحفصيين والمماليك إلى أواخر عهد الدولة الأيوبية والأشهر الأولى لميلاد دولة المماليك البحرية، ويذكر ابن قنفذ القسنطيني في كتابه **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**[1]، وابن الشماع في كتابه **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**[2] أن علاقة مودة وصداقة كانت تجمع بين السلطان الحفصي أبي زكرياء صاحب تونس، والملك الصالح أيوب، ويمكن إجمال مظاهر هذه العلاقات في تبادل المعلومات حول التحركات الصليبية التي كانت تهدد السواحل المغربية والمشرقية على حد السواء.

وفي هذا الصدد أوفد السلطان الحفصي سفارة إلى الملك الصالح أيوب في القاهرة، يعلمه بتخطيط وعزم الملك الفرنسي لويس التاسع على غزو مصر فيما عرف بالحملة الصليبية السابعة، وتضمن كتاب الرسول اعتذار أبي زكرياء عن عدم تمكنه من صد الهجوم الصليبي بنفسه نظرا للأخطار التي كانت تهدد دولته من جانب صاحب صقلية، وكذلك خطر الأعراب الذين كانوا دائمي الثورة والانتقاض بإفريقية[3].

وقد ذكرت المصادر الأخرى المعاصرة أن المعلومات التي وردت الملك الصالح أيوب كانت من طرف ملك الإمبراطورية الرومانية المقدسة **فريديريك الثاني** الذي كان قد نشأ في صقلية في كنف المسلمين والحضارة الإسلامية[4]، لكن الظاهر أن الخطر المشترك الذي كان يهدد العالم الإسلامي من جهة الحوض الغربي للمتوسط قد ساهم في إرساء قواعد اتصالات دبلوماسية وتبادل للمعلومات التي تخص الجانبين الحفصي والمملوكي، خاصة وأن الحملات الصليبية التي كانت تقصد المشرق غالبا ما كانت تمر بالسواحل التونسية.

---

[1]-ابن قنفذ، الفارسية، ص 112.

[2]- ابن الشماع، الأدلة البينة، ص53.

[3]- ابن قنفذ، الفارسية، ص112.

[4]- المقريزي، الخطط، ج1، ص385.

وكان بنو حفص على علم بالأحداث السياسية التي أدت إلى سقوط حكم البيت الأيوبي وانتقال الحكم إلى طائفة المماليك البحرية، وكان لزاما عليهم التعامل مع نظام الحكم الجديد الذي طرأ في القاهرة، لكن مع اشتداد الخطر المغولي على بغداد وسقوط الخلافة العباسية بها تعكر جو العلاقة التي صارت تنافسية حول منصب الخليفة أكثر منها تعاونا ضد الأخطار الأجنبية الصليبية من الغرب والمغولية من الشرق.

2- مسألة الخلافة الإسلامية بين الحفصيين والمماليك:

شكلت مسألة الخلافة الإسلامية الميزة التي صبغت العلاقات الحفصية المملوكية في بدايتها، وقد تسامع عامة المسلمين خبر سقوط بغداد على يد المغول سنة 656هـ/1258م، وقتل الخليفة العباسي المستعصم بالله[1]، وأمسى المسلمون في العالم في موقف لم يعتادوه منذ عهد الرّسول صلى الله عليه وسلم، فالتفتت الأنظار للبحث عمن يمكن أن يلقب بالخليفة ويجدد رسومها، فبادر أهل الحجاز لتعيين الخليفة، وتوجهت أنظارهم إلى الدولة الأيوبية التي كانت في فترة السقوط وانتقال السلطة إلى المماليك البحرية وحال ذلك دون التمكن من عرض الفكرة على السلاطين الجدد لعدم توفر شروط الخلافة في أي منهم، حيث كان المماليك عبارة عن رقيق، فضلا عن أن الخلافة لا ينبغي أن تخرج من قريش، ولم يبقى أمام شريف مكة سوى سلطان الدولة الحفصية بتونس[2].

2 – 1 – إعلان الخلافة الإسلامية بتونس وبيعة الأقطار الإسلامية للمستنصر:

اجتمعت الكثير من العوامل دفعت المسلمين في المشرق والمغرب إلى الاتجاه صوب الحفصيين لتولي منصب الخلافة الإسلامية، حيث أن نسبهم يرتفع إلى الخليفة الثاني لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقرر أمير مكة إرسال البيعة لهم، هذا ما جعل السلطان محمد بن أبي زكرياء الملقب بالمستنصر الحفصي يكتسب شهرة عمت العالم الإسلامي في المغرب والمشرق[3].

2-2- دور ابن سبعين في بيعة أمير مكة للمستنصر الحفصي:

---

[1]-ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج7، ص 126-129 – ابن كثير، المصدر السابق، ج13، ص 160 – السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 355.

[2]- المطوي، المرجع السابق، ص189.

[3]- برنشفك، المرجع السابق، ص70-71.

كان أبو محمد عبد الحق بن ابراهيم بن محمد بن سبعين المرسي (ت 669هـ/1269م) من الأعلام الزهاد المتصوفة المغاربة الذين استقروا بمكة، وكان على علاقة طيبة مع شريف مكة بن أبي نمي، وهو الذي تولى إنشاء كتاب البيعة[1].

وكان ابن سبعين قد هاجر من بلاده مرسية بالأندلس قاصدا تونس في إطار الهجرة الأندلسية فرارا من حروب الاسترداد النصرانية، ثم توجه إلى الحجاز وأقام مجاورا بمكة المكرمة، وكان من المحرضين لأبي نمي على التبعية للمستنصر الحفصي الذي قام بدور كبير في إنقاذ المهاجرين الأندلسيين من المذابح الصليبية وإيوائهم بتونس فضلا عن نفوذه ببلاد المغرب الإسلامي[2].

وتم إرسال نص البيعة[3] سنة 657هـ/ 1259م بعد إلغاء مراسيم الخلافة العباسية في بغداد.

ولم يكن ابن سبعين رجل سياسة أو حرب بل كان من الذين اتبعوا ما يسمى بالتصوف الفلسفي، وكان يقول بمذهب الوحدة، حتى اتهم بالكفر في عقيدته وقام عليه كثير من العلماء بالمغرب الإسلامي فهاجر إلى بلاد المشرق ونزل مكة مجاورا[4].

أما حامل الرسالة من مكة إلى تونس فكان أبا محمد بن برطلة الاشبيلي[5]، وعقد لها مجمع حافل وقرئت على الناس وكان ذلك اليوم من الأيام المشهودة في الدولة الحفصية[6]، وكان الحادث محققا لرغبة كامنة في نفوس بني أبي حفص فاعتبروا أنفسهم أجدر بالخلافة ولقب الخليفة وأمير المؤمنين، ومما قاله أحد الشعراء مهنئا المستنصر:

---

[1]- الغبريني، المصدر السابق، ص 209- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص232 – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج7، ص 144

[2]- المطوي، المرجع السابق، ص 190.

[3]- نص الرسالة من كتاب :عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص ص 407- 416.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص 407.

[5]- هو أبو محمد عبد الحق بن برطلة الأزدي المرسي، عالم محدث، درس بالأندلس ثم هاجر إلى المشرق، واستقر بتونس عقب عودته من الحج وتوفي سنة 661هـ/1261م. محمد بن محمد مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1349هـ، ص 196 – ابن قنفذ، الفارسية، ص120- الزركشي، الدولتين، ص37.

[6]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، 416.

اهنـأ أمير المؤمنيـن   بدعوة وافتك بالاقبـال والإسعـاد

فلقـد حبـاك بملكـه رب الورى   فأتى يبشـر بافتتـاح بـلاد

وإذا أتتك أم القـرى منقـادة   فمـن المبرة طاعـة الأولاد[1]

وأصبح السلطان الحفصي يلقب بأمير المؤمنين بعد أن كان ينادى بالأمير فقط[2].

وافتتحت البيعة بالبسملة وبالآيات الأولى من سورة الفتح، ثم جاء فيها:"...**فمن فتح عليه بفتح مكة تمت له النعمة، ورفعت له الدرجة، وضفت عليه الرحمة، ومن وصل سلطانه إليها فقد هدي الرشد وسار على صراطه، ورجح ميزان ترجيحه على أقرانه وأرهاطه، ومن حرم من هذا فقد حرم من ذلك، والأمر هكذا وسنة الله كذلك."**[3]، وهي إشارة إلى أن من بايعه أمير مكة فهو الأحق بالبيعة من بين كل السلاطين المسلمين في المشرق والمغرب، وأن هذه البيعة هي فتح عظيم على الحفصيين، حيث أنهم سيصبحون الخادمين للحرمين الشريفين الذين سيصبحان تحت سلطتهما الدينية.

وورد في نص البيعة التصريح والاعتراف بأن بني أبي حفص أحق بالخلافة حيث جاء:" **وقد قيل إن الملة الحنفية المضرية تنصرها السيرة العمرية المحمدية المستنصرية. ولعل الذي أقام الدين وأطلعه من المشرق وأتلفه منه، يجيره من المغرب ولا ينقله عنه...**"[4]، وكذلك:" **سنته محمدية، وسيرته بكرية، وسريرته علوية، وسلالته عمرية. فهذه ذرية وأنواع مجد بعضها من بعض، عرف بالرياسة العالية...**"[5].

وقد استدل في هذه البيعة على أن الخلافة بعدما يتم إسقاطها في بغداد تنتقل إلى بلاد المغرب بما ورد في الآثار:"**إذا خرجت نار الحجاز يقتل خليفة بغداد ويستقيم ملك المغرب،**

---

[1] – الزركشي، الدولتين، ص 37 – مخلوف، المصدر السابق، ص 196.

[2] – ابن الشماع، الأدلة البينة، ص69.

[3] – عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص407.

[4] – عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص 409.

[5] – المصدر نفسه، ج6، ص411.

وتبسط كلمته في الأقطار، ويخطب له على منابر خلفاء بني العباس، ويكثر الدر بالمعبر من بلاد الهند"[1]. وقد ذكر بعض المؤرخين خروج نار الحجاز المذكورة في سنة 654هـ/1256م[2].

هذا وجاء في بقية نص البيعة كل الدلائل التي تفيد بأن السلطان الحفصي هو الخليفة المقصود[3]، كما جاءت بإشارات إلى أن أمير مكة كان يعتزم التخلي عن الدعوة للعباسيين في بغداد، ربما لأن وزير الخليفة آنذاك كان من الروافض[4]، وجاء فيها:" ... **فلما وصل العلم بانتقال بيت الملك والسلطان من بغداد في شهر رمضان، أظهر الخفي المكنون، فكان ذلك مع التسبيح والقرآن، وكان الخادم في الزمان الأول وفي الذاهب ينتظر الخطة نحو عراق المغرب، والآن وجد نفسها من نحو اليمن إقليم الأعراب والعرب..."**[5].

وختمت الرسالة بعبارات الوقار للخليفة الذي تمت له البيعة، وذكر مكان كتابتها دون التاريخ:" **ومعاد التحية على المقام الأرفع، والمقر الأنفع، وعلى خدام حضرته العلية، وأرباب دعوته الجلية، وأنواع رحمته تعالى وبركاته، والحمد لله كما يجب، وصلى الله على نبيه محمد وعلى آبه وسلم. كتب تجاه الكعبة المعظمة في الجانب الغربي من الحرم الشريف، والحمد لله رب العالمين"**[6].

وقد انتشر خبر هذه البيعة في كل أقطار العالم الإسلامي وتباينت ردود الأفعال من ذلك، حيث أن اتخاذ لقب خليفة المسلمين من طرف السلطان الحفصي يمكن النظر إليه من زاويتين، فإما أنه كان محققا لأهداف إيجابية أو أنه لم يتجاوز التشريف، لأن منصب خلافة المسلمين وإمارة المؤمنين يقتضي التضلع بمسؤوليات تشمل العالم الإسلامي في المشرق والمغرب.

وقد توالت البيعات على الخليفة الجديد من أقطار المغرب الإسلامي، حيث وصلت بيعة أهل الأندلس خاصة من النصريين بغرناطة، وكذلك من بني عبد الواد بتلمسان، والمرينيين بفاس[7].

---

[1]- أحمد عزاوي، العلاقات، ج2، ص 92.

[2]- ابن قنفذ، الفارسية، ص 119.

[3]- للاطلاع على نص البيعة كاملا انظر الملاحق.

[4]- الزركشي، المصدر السابق، ص34 – عزاوي، العلاقات، ج2، ص99.

[5]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص 416.

[6]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص 416-417.

[7]- انظر ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 417، وقد أعلن بنو مرين مبايعتهم للمستنصر وتشبثوا بها لمدة طويلة نتيجة مواجهتهم للموحدين حيث طلبوا من الحفصيين المعونة والمساعدة ضد خصومهم. انظر أحمد الناصري، الاستقصا، ج.3، ص 28 حيث

لكن بالمقابل فإن هذه البيعة لم تلقى التجاوب اللازم لها في بلاد المشرق نظرا للظروف السياسية الصعبة التي عاشتها المنطقة خاصة زحف المغول والتتار على العالم الإسلامي وتخريب حواضره، كما أنها عدت مبادرة فردية من ابن سبعين وشريف مكة ولا تعدو ذلك، واعتبر المؤرخون المشارقة أن الخلافة قد انقطع رسمها لمدة ثلاث سنوات منذ سقوط بغداد حتى تم إحياؤها بالقاهرة على يد الملك الظاهر بيبرس المملوكي[1].

2-4- موقف المماليك من خلافة المستنصر:

يفهم من بعض المصادر التي تناولت مسألة الخلافة الحفصية بأن الملك الظاهر بيبرس قد اعترف بالمستنصر الحفصي كأمير للمؤمنين، وذلك في ظل افتقار دولة المماليك البحرية الناشئة لسند شرعي، ويذكر ابن قنفذ القسنطيني في كتابه الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ما يلي:" **وفي سنة تسع وخمسين وستمائة المذكورة قرئ كتاب هزيمة التتار على المستنصر وخططه أهل الديار المصرية في الكتاب المذكور بأمير المؤمنين، وكان هذا أكبر آمال المستنصر وأحبها إليه**"[2].

لكن يبدو أن اعتراف المماليك بخلافة المستنصر لم يدم طويلا[3]، إذ سعى الظاهر بيبرس البندقداري لتجديد معالم الخلافة العباسية بالقاهرة، وذلك خير دليل على أن ذلك الاعتراف ما كان إلا سياسة مرحلية إلى حين توطيد الحكم المملوكي.

وتذكر المصادر أنه في مطلع شهر رجب سنة 659هـ/1261م حضر إلى القاهرة أحد أبناء البيت العباسي الناجين من الزحف المغولي، وهو **الأمير أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسن أبو القاسم بن الخليفة الظاهر العباسي،** فاستقبله الظاهر بيبرس وبالغ في إكرامه وأنزله بالقلعة، وأحضر أعيان الدولة والعلماء، وأمر بإحضار العربان الذين قدموا مع الخليفة من العراق للشهادة بصحة انتساب الأمير أحمد للبيت العباسي، وشهد بذلك عند قاضي القضاة تاج الدين بن بنت الأعز، وعقب ذلك تم عقد البيعة له ولقب بالمستنصر، وأول من بايعه كان قاضي القضاة تاج الدين، ثم

يقول بأنه:"لما لم يكن لبني مرين أن يدعوا إلى بني عبد المؤمن لأنهم أقتالهم وإياهم يتنازعون... دعوا إلى طاعة الحفصيين الذين هم فرع منهم، والدعوة إلى فرع كالدعوة إلى أصله، فلم تنفر نفوس أهل المغرب عنها".

[1]- العيني، عقد الجمان، ج1، ص293.

[2]- ابن قنفذ، الفارسية، ص125.

[3]- المطوي، الحروب الصليبية، المرجع السابق، ص256.

السلطان، ثم الشيخ عز الدين بن عبد السلام، واحتفلت القاهرة بهذه المناسبة، وهو الخليفة الثامن والثلاثون من خلفاء بني العباس[1].

إن تلقب الخليفة العباسي الجديد بلقب المستنصر يرجع في نظر بعض الدارسين[2] إلى اتخاذ السلطان الحفصي لهذا اللقب، ويقول المقريزي في هذا الصدد متحدثا عن الخليفة العباسي:" **...واتفق له ما لم يتفق لغيره، وهو أنه لقب بالمستنصر لقب أخيه باني المدرسة المستنصرية ببغداد، ولم يقع لغيره أن خليفة لقب بلقب أخيه سواه....**"[3].

هذا في ظل ما كان موجودا من بقايا مراسيم الخلافة الموحدية في مراكش والتي لم تدم طويلا حتى قضى عليها بنو مرين سنة 668هـ/1269م.

2-5- موقف المماليك من الحملة الصليبية الثامنة على تونس:

تعد الحملة الصليبية الثامنة التي قادها الملك الفرنسي لويس التاسع على الأراضي الإسلامية في تونس بمباركة من البابا، حلقة من حلقات الصراع الديني بين الشرق والغرب، وبعد فشل الحملة الصليبية السابعة على مصر بقيادة الملك نفسه، فكر الصليبيون في حملة أخرى على الديار الإسلامية، وكانت الأسباب المباشرة لهذه الحملة هي الاستيلاء على كنوز بلاد المغرب لتحضير حملات أخرى على الأراضي المقدسة في المشرق، ورغبة لويس التاسع في الانتقام من المسلمين الذين هزموه وأذلوه في وأسروه في مصر قبل ذلك سنة 648هـ/1250م[4].

ورغم تكتم الصليبيين على الحملة وتحضيراتها فقد تسامع خبرها كل العالم الإسلامي خاصة على المستوى الرسمي، إذ أن المماليك وخاصة في عهد السلطان الظاهر بيبرس لم تكن لتخفى عليهم

---

[1]- ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج، ص 72 - النجوم الزاهرة، ج7، ص206- العيني، عقد الجمان، ج1، ص293 - ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص231-232.

[2]- المطوي، المرجع السابق، ص194.

[3]- المقريزي، السلوك، ج1، ص451.

[4]- العيني، عقد الجمان، ج1، ص 17- ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص136.

تحركات الصليبيين، إذ كان من أولويات المماليك إنهاء الوجود الصليبي بالمشرق، ووقعت حالة من الاستنفار في كل من مصر وتونس، خاصة وأن كلا البلدين كان يعتقد بأنه المستهدف من الحملة[1].

وقام كل من السلطان الحفصي والسلطان الظاهر بيبرس المملوكي باتخاذ التدابير اللازمة لرد الخطر الصليبي المحتمل على البلاد الإسلامية، فقام الظاهر بيبرس بتحصين الموانئ المصرية المطلة على البحر المتوسط، وزودها بالجند والسلاح لمنع أي إنزال محتمل للصليبيين على أرض مصر، وذكر عبد الرحمن ابن خلدون هذه الاستعدادات قائلا:" **فاهتم الظاهر بحفظ الثغور واستكثر من الشواني والمراكب**"[2]، أي أنه قام بتدعيم الأسطول البحري المملوكي. كما اتصل بالبنادقة ووعدهم بمنحهم عدة امتيازات تجارية في السواحل المصرية والشامية، مقابل امتناعهم عن تقديم يد المساعدة البحرية للملك لويس التاسع الفرنسي، وأشار عليهم بأن يغالوا في شروطهم إذا أراد التفاوض معهم، وهو ما حدث بالفعل، فلجأ لويس التاسع إلى استأجار أسطول جنوه[3].

أما المستنصر الحفصي فقد أصدر الأوامر إلى كل العمال في أنحاء السلطنة من أجل الاستكثار من العدة، وإصلاح الأسوار وتخزين المواد الغذائية كالحبوب[4]، كما أرسل وفدا إلى الملك لويس التاسع لاختبار موقفه ومحاولة كفه عن مشروعه، مقابل ثمانين ألفا من الذهب، لكن الملك الفرنجي كان مماطلا في موقفه، حيث كان في نيته غدر المسلمين ونكث العهود التي قطعها لهم عقب إطلاق سراحه من مصر بأن لا يطأ أرض المسلمين ثانية بموجب المعاهدة التي أبرمها مع المماليك[5].

وقام الملك الظاهر بيبرس من جانبه بإرسال وفد إلى الملك لويس التاسع بهدف تحذيره من القيام بأي عمل ضد بلاد المشرق، وقد صيغ هذا التحذير في شكل قصيدة شعرية من نظم الشاعر

---

[1]- ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص137.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج5، ص390.

[3]- المطوي، الحروب الصليبية، المرجع السابق، ص255.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص425.

[5]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص ص 425- 426.

جمال الدين بن مطروح[1]، ألقاها السفير المملوكي على ملك الفرنجة وهو واقف، وأهم ما جاء فيها تذكير لويس التاسع بما جرى له في وقعة المنصورة في مصر وأنه لو عاد فسيلقى نفس المصير[2].

وصادف وجود الوفد المصري في البلاط الفرنجي وجود الوفد الحفصي، لكن المصادر لا تفيدنا إن كان قد تم بينهما لقاءات أم لا، لكن الراجح حسب الظروف الإقليمية وفي ظل الخطر المشترك أن الوفدان قد تقابلا وتحادثا في هذه المسألة التي تهم العالم الإسلامي برمته، وإن كانت مشكلة الخلافة التي أعلنها المستنصر الحفصي لا تزال تخيم على جو العلاقات المملوكية الحفصية، ومن المحتمل أن الوفد الحفصي قد طلب يد المساعدة من المماليك لما علم بأن الحملة ستتوجه إلى تونس وليس إلى مصر، حيث ما إن عاد الوفد المملوكي إلى مصر وأطلع الملك الظاهر بيبرس على اتجاه الحملة حتى قرر الوقوف إلى جانب الحفصيين ومساعدتهم لرد العدوان الصليبي، إذ كان المماليك رواد تحرير الأراضي المقدسة من بقايا الصليبيين وكان لهم خبرة في قتالهم وهزيمتهم.

ووعد الظاهر بيبرس بإسال النجدات إلى الحفصيين، وأمر عرب برقة بالمسير إلى تونس وأن يحفروا الآبار على طول الطريق المؤدية إليها حتى تستفيد منها الجيوش المقاتلة ومن أراد التطوع لقتال الصليبيين بتونس[3].

وقد شرع فعلا في تجهيز الحملة المصرية لولا ورود الأخبار بانسحاب الصليبيين من تونس بسبب وباء الطاعون الذي قضى على الكثير من الجيش الصليبي، وعلى الملك الفرنسي لويس التاسع نفسه في شهر المحرم 669هـ/ 25 أوت 1270م، وقد استقبلت هذه الأنباء بالارتياح الكبير في المشرق[4].

وذكر المقريزي في كتابه السلوك بأن المستنصر الحفصي بعث سنة 670هـ/ 1271م بهدية إلى الملك الظاهر بيبرس البندقداري الذي قام بتوزيعها على الأمراء والقادة والجند، ورد عليه برسالة أخرى

---

[1]- هو يحيى بن عيسى بن ابراهيم أبي الحسن بن مطروح جمال الدين (ت: 649هـ/1251م)، كان رجلا ذا شأن عند الملك الصالح أيوب، وكان من أعلام النثر والنظم. العيني، عقد الجمان، ج1، ص 62.

[2]- ذكرت القصيدة في عدة مصادر مع الاختلاف في بعض الكلمات والأبيات. العيني، عقد الجمان، ج1، ص30 – عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص426 – ابن الشماع، الأدلة البينة، ص 71 – ابن قنفذ، الفارسية، ص111. وللإطلاع على القصيدة ينظر الملاحق.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص427-428.

[4]- المطوي، المرجع السابق، ص208.

يستنكر فيها عليه موقفه الانهزامي أمام الفرنج، وأنه لا يصلح لإمرة المسلمين لعدم تمكنه من مجابهة العدو في سواحل مدينة تونس[1]، ولجوئه إلى عقد الصلح مع الفرنج والتزامه بأن يدفع لهم مقدارا من المال تعويضا عن الخسائر التي تكبدها الصليبيون، إضافة إلى ضريبة سنوية، وضمانه لحرية التجارة الأوربية بالسواحل الحفصية، وتبادل الأسرى[2].

3 – دور المماليك في دعم حركة أبي يحيى زكرياء اللحياني:

يعد أبو يحي زكرياء بن أحمد بن محمد الزاهد بن عبد الواحد بن أبي حفص (651هـ-728هـ/1253-1328م)[3] من الشخصيات الحفصية التي استعانت بالمماليك للوصول إلى الحكم بتونس.

وكان اللحياني قد سافر إلى مصر سنة 709هـ/1309م، ولما بلغته مجريات الأحداث في تونس والفوضى السياسية الكبيرة التي كانت تعيشها المملكة الحفصية[4]، قرر العودة وجهزه السلطان الناصر بجيش من المماليك إلى غاية طرابلس الغرب، وهناك اجتمعت حوله القبائل العربية وبايعته وانضموا إلى جيشه، ثم سار إلى تونس واستولى على الحكم[5].

وواجه اللحياني معارضة شديدة من طرف أبي بكر بن يحي المنتخب أخ أبي البقاء خالد المخلوع، الذي تمكن من دخول تونس والإطاحة بحكم اللحياني الذي استقر في طرابلس الغرب، وكان ذلك سنة 718هـ/1318م، وقام ابنه محمد بالاحتفاظ بمدينة المهدية وكان أبوه بطرابلس الغرب، ولما بلغته هذه الأخبار اضطرب جيشه وقام بالاستنجاد بالنصارى لكي يرسلوا إليه أسطولا يحمله إلى المشرق، فبعثوا له ستة مراكب حملته وأهله وأولاده وماله وحاجبه أبي زكرياء بن يعقوب إلى

---

[1]- المقريزي، السلوك، ج1، ص 601.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص428.

[3]- الزركشي، المصدر السابق، ص 62.

[4] – بعد وفاة أبي عصيدة الحفصي سنة 709هـ/1309م حكم بعده أبو بكر عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي زكرياء بن عبد الواحد لمدة 18 شهرا، ثم وصل خالد بن المنتخب حاكم بجاية ودخل تونس وقتل أبا بكر في السنة نفسها مما حفز اللحياني على القيام بحركته.ابن الشماع، الأدلة البينة، ص ص 83-87- العيني، عقد الجمان، ج1، ص 105.

[5] – ابن الشماع، المصدر السابق، ص 85.

الإسكندرية، واستخلف على طرابلس أبا عبد الله بن عمران من أصهاره، وقام بجمع العرب حوله وشن عدة حملات على تونس وذلك سنة 720هـ/1320م[1].

وقام السلطان الملك الناصر المملوكي باستقدام اللحياني إلى القاهرة وأعلى من شأنه وقربه إليه[2].

وفي سنة 721هـ/1321م وردت مكاتبات من تونس على اللحياني، جاء فيها بأن الحكم شاغر في تونس، وأن الناس قد اجتمعوا على الطاعة له، وقاموا بمبايعة نائبه محمد بن أبي بكر وأنهم في انتظار وصوله إليهم وعودته إلى الحكم[3].

لكن اللحياني بقي في مصر ، ولم يتسنى له العودة إلى الحكمإلى غاية وفاته سنة 728هـ/1328م[4].

ومن خلال هذه العلاقة بين السطان الناصر المملوكي وأبي يحيى زكرياء اللحياني الحفصي، تتبادر إلى الذهن مجموعة من الفرضيات حول الأهداف التي كان يسعى المماليك إلى تحقيقها من تدخلهم العسكري في تونس، وذلك من خلال تجهيز اللحياني بجيش من المماليك، وجعل أرض مصر منطقة تراجع والتجاء في له حالة انهزامه.

ويمكن القول أن السلطان الناصر كان يبتغي مد حكمه إلى المغرب الأدنى من خلال اللحيانيوبالتالي تقويض أركان الخلافة الحفصية الناشئة. لكن تبقى هذه الطروحات في حاجة إلى الوثائق المثبتة لها.

4 – علاقات أبي العباس أحمد الثاني مع المماليك الجراكسة:

يعد أبو العباس أحمد بن المولى أبي عبد الله محمد بن المولى أبي يحيى بن أبي بكر الذي بويع بتونس سنة 772هـ/1370م وحكم إلى غاية 795هـ/1393م[5]، من أبرز السلاطين الحفصيين الذين استتب الأمن في عهدهم، وتمت وحدة أراضي إفريقية على يديه، وحقق الكثير من الانتصارات على المعارضين في الداخل، وعلى الأعداء النصارى في الخارج، بل وغزاهم في ديارهم، وحرص على تقوية

---

[1] – عبد الرحمن بن خلدون، العبر ج6، ص 483.

[2] – عبد الرحمن بن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص484.

[3] – العيني، عقد الجمان، ج1، ص107.

[4] – ابن خلدون، العبر، ج6، ص 484.

[5] – ابن الشماع، المصدر السابق، ص 108–112.

العلاقات مع المماليك[1]، وفي عهده انقلب الحكم في القاهرة من يد المماليك البحرية إلى يد المماليك الجراكسة.

ولعل أبرز ما ميز عهد أبي العباس هو نشاط عبد الرحمن بن خلدون ورحلته إلى مصر ولجوئه لدى المماليك رغبة في الاستقرار والابتعاد عن جو السياسة والمؤامرات التي كانت تحاك ضده في تونس سنة 784هـ/1382م[2]، لكن السلطان الحفصي أبي العباس أحمد تمسك بأولاده وعائلته في محاولة منه للضغط عليه حتى يعود إلى تونس، فطلب عبد الرحمن بن خلدون من السلطان المملوكي التدخل للشفاعة لدى السلطان الحفصي كي يلحق به أهله وأبناءه[3].

وقد طرحت الكثير من التساؤلات حول رحلة ابن خلدون إلى مصر، ووضعت الكثير من التفسيرات لذلك، ومنهم من اعتبر أنه كان يخطط لتلك الرحلة منذ زمن وأنه كان من أهدافه تولي مناصب في دولة المماليك الجركسية[4]. واستجابة لطلبه أرسل السلطان الظاهر برقوق الجركسي في 15 صفر 786هـ/أواخر مارس 1385م برسالة إلى السلطان أبي العباس أحمد تشفعا لديه في حال عبد الرحمن بن خلدون[5].

4-1- رسالة شفاعة مملوكية تتعلق بإرسال أسرة عبد الرحمن بن خلدون إلى مصر:

تعد هذه الرسالة التي صدرت رسميا عن ديوان الإنشاء المملوكي باسم الملك الظاهر برقوق من بين الأمور الدالة عن المكانة التي كان يحتلها عبد الرحمن بن خلدون عند ملوك المشرق والمغرب، وافتتحت بعد البسملة بذكر الألقاب الخاصة بالسلطان المملوكي:" **السلطان الأعظم المالك، الملك الظاهر، السيد الأجل، العالم العادل، المؤيد المجاهد، المظفر، الشاهنشاه، سيف الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، محيي العدل في العالمين، منصف المظلومين من**

---

[1]- برنشفك، المرجع السابق، ص 218 وما يليها.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 648.

[3]- ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص 650.

[4]- لطفي بن ميلاد، "العلاقات الدبلوماسية بين السلطنة الحفصية ودولة المماليك الجراكسة بمصر من أواخر القرن 8هـ/14م إلى أواخر القرن 9هـ/15م"، **المجلة التاريخية المغاربية**، السنة: 38، العدد: 142، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، مارس 2011، ص12.

[5]- أنظر الملاحق.

الظالمين، وارث الملك، سلطان العرب والعجم والترك، اسكندر الزمان، مولي الإحسان، مملك أصحاب التخوت والأسرة والتيجان، مسلك سبيل القبلتين، خادم الحرمين الشريفين ... سلطان البسيطة... سيد الملوك والسلاطين، قسيم أمير المؤمنين، أبو سعيد برقوق..."[1] .

ويظهر من خلال هذا الافتتاح مدى اعتزاز السلطان المملوكي بحكمه ومكانته المرموقة حيث تلقب بكل الألقاب الممجدة له والتي تجعله فوق سائر الحاكمين والمحكومين في الأرض، كما أنه قسيم أمير المؤمنبن أي أنه في الرتبة نفسها مع الخليفة العباسي الذي كان مركزه صوريا في القاهرة.

وبعد ذلك تذكر الرسالة خصال العلماء ومكانتهم بين سائر الناس، وتتحول إلى الحديث عن عبد الرحمن بن خلدون الذي تم وصفه بكل الأوصاف الجليلة التي تليق بكبار العلماء:"**مثل من سطرنا هذه المكاتبة بسببه: المجلس السامي، الشيخي، الأجلي، الكبيري، العالمي، الفاضلي، الأثيلي، الأثيري، الإمامي، العلامي، القدوة، المقتدى، الفريدي، المحققي، الأصيلي، الأوحدي، الماجدي، الولوي، جمال الإسلام والمسلمين، جمال العلماء في العالمين، أوحد الفضلاء، قدوة البلغاء، علامة الأمة، إمام الأئمة، مفيد الطالبين، خالصة الملوك والسلاطين، عبد الرحمن بن خلدون المالكي**"[2]. إن هذه الأوصاف إنما تدل على المكانة الفعلية التي كانت لعبد الرحمن بن خلدون لدى السلطة المملوكية في القاهرة.

وذكرت الرسالة أيضا أن عبد الرحمن بن خلدون قد التجأ إلى القاهرة ليس فرارا من السلطة الحفصية بل تقربا وتحببا حتى أنه أثر في الملك الظاهر برقوق وجعله يكاتب السلطان الحفصي:"**وقد هاجر إلى ممالكنا الشريفة، وآثر الإقامة عندنا بالديار المصرية، لا رغبة عن بلاده، بل تحببا إلينا وتقربا إلى خواطرنا بالجواهر النفيسة من ذاته الحسنة وصفاته الجميلة، ووجدنا منه فوق ما في النفوس مما يحل عن الوصف ويربي على التعداد، يا له من غريب وصف ودار، قد أتى عنكم بكل غريب، وما برح من حين ورد علينا يبالغ في شكر الحضرة العلية، ومدح صفاتها الجميلة، إلى أن استمال خواطرنا الشريفة إلى حبها، وآثرنا المكاتبة إليها.**"[3]

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 650.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 651.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر نفسه، ص 652.

والظاهر أن ان خلدون كان يمتلك من الموهبة في الإقناع ما مكنه من جعل الملك الظاهر برقوق يتوسط له عند السلطان أبي العباس الحفصي، وذلك لا يخفى إذا اعتبرناه من أئمة اللسان والأدب فضلا عن كونه فقها مالكيا ذائع الصيت ومتبحرا في العلوم العقلية[1].

وكان ابن خلدون قد أحاط الملك الظاهر برقوق ووصف له حاله ومطلبه منه، حيث جاء في الرسالة:" **وذكر لنا في أثناء ذلك أن أهله وأولاده في مملكة تونس تحت نظر الحضرة العلية، وقصد إحضاهم إليه ليقيموا عنده، ويجتمع شمله بهم مدة إقامته عندنا**"[2]، وذلك ما دفع الظاهر برقوق للكتابة:"**فاقتضت آراؤنا الشريفة الكتابة إلى الحضرة العلية لهذين السببين الجميلين، وقد آثرنا إعلام الحضرة العلية بذلك ليكون على خاطره الكريم، والقصد من محبته: يقدم أمره العالي بطلب أهل الشيخ ولي الدين المشار إليه وإزاحة أعذارهم، وإزالة عوائقهم، والوصية بهم، وتجهيزهم إليه مكرمين محترمين، على أجمل الوجوه**"[3].

كما ذكر اسم السفير الذي سيقوم باصطحاب عائلة ابن خلدون، وهو أحد الصالحين:" **صحبة قاصده الشيخ الصالح العارف السالك الأوحد سعد الدين مسعود المكناسي الواصل بهذه المكاتبة أعزه الله**"[4] ، وذلك للتأكيد على جدية المسألة، كما أن السلطان المملوكي كان يعلم مدى حساسية الموقف خصوصا وأن ابن خلدون كان شاهدا على الكثير من الأحداث السياسية في البلاط الحفصي، لذلك فاستخدام الصالحين ذوي الكلام المسموع أمر ضروري في هذه الحالة.

كما طلب الظاهر برقوق من السلطان الحفصي بأن ترحل عائلة عبد الرحمن بن خلدون بحرا على إحدى سفن الدولة الحفصية، حيث يقول في الرسالة:" **ويكون تجهيزهم على مركب من مراكب الحضرة العلية مع توصية من بها من البحرية بمضاعفة إكرام المشار إليهم ورعايتهم، والتأكيد عليهم في هذا المعنى، وإذا وصل من بها من البحرية كان لهم الأمن والإحسان فوق ما في أنفسهم، ويربى على أملهم، بحيث يهتم بذلك على ما عهد من محبته وجميل اعتماده،**

---

[1]- للمزيد من التفاصيل حول ترجمته ينظر الفصل الأول والثالث من الباب الثاني.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 652.

[3]- ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، الصفحة نفسها.

[4]- ابن خلدون، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

مع ما يتحف به من مراسلاته، ومقاصده ومكاتباته، والله يحرسه بملائكته وآياته، بمنه ويمنه، إن شاء الله."[1]

وفي نهاية الرسالة ذكر التاريخ الذي كتبت فيه:"**كتب خامس عشر صفر المبارك من سنة ست وثمانين وسبعمائة حسب المرسوم الشريف**"[2].

وقد رد السلطان الحفصي على طلب عبد الرحمن بن خلدون بالإيجاب، حيث قام بتجهيز أسرته حسب ما جاء في المراسلة المملوكية، وحمل معها هدية من الجياد المغربية، وتوجهت السفينة من سواحل المغرب الأدنى إلى مصر، وعند وصولها هبت عاصفة بحرية على خليج الإسكندرية وكانت سببا في غرق السفينة وما عليها، ونجى من هذه الحادثة رسول السلطان الحفصي، فاستقبله السلطان المملوكي وأحسن إليه وأعاده إلى تونس وبرفقته هدية من الملابس الفاخرة[3].

وكانت هذه الحادثة فاجعة بالنسبة لعبد الرحمن بن خلدون.

وفي شهر شعبان 787هـ/ 1385م أرسل السلطان أبو العباس أحمد الثاني بسفارة إلى الظاهر برقوق الجركسي محملة بالهدايا[4].

4-3- مراسلة السلطان الحفصي للظاهر برقوق بمناسبة عودته إلى الحكم:

خلع السلطان الظاهر برقوق سنة 791هـ/ 1389م، ثم تمكن من الرجوع إلى منصبه في سنة 792هـ/ 1390م، فبعث له أبو العباس أحمد الثاني برسالة مع وزيره الذي قصد الحج يهنئه فيها بالمناسبة، واعتبرت هذه الرسالة عنوانا للاحترام والمودة بين السلطانين الحفصي والمملوكي[5].

وقد خص السفراء الحفصيون الذين وصلوا القاهرة في 22 رمضان 792هـ/ 1390م باستقبال مميز، حيث خرج للقائهم الأمير المملوكي محمود الإستادار بالجيزة، ثم أحضر السفير الحفصي إلى القاهرة لدى السلطان بعد ثلاثة أيام، فأكرمه الظاهر برقوق ووضعت له دار ضيافة ونفقة مالية تقدر ب 100 درهم يوميا[6].

---

[1]- نفسه.

[2]- نفسه.

[3]- المطوي، المرجع السابق، ص543

[4]- المطوي، المرجع نفسه، ص543.

[5]- نفسه، ص534.

[6]- المقريزي، السلوك، ج3، ص 725.

وافتتحت الرسالة بذكر أواصر المودة والمحبة :" **إلى أخينا الذي لم نشاهد من إخائه الكريم، في ذات الله الرب الرحيم، قبلة صفاء لم تغيرها يد بعاد ولا انتزاح، ونثابر من حفظ عهده والقيام بحق وده على ما يؤكد معرفة الخلوص من لدن تعارف الأرواح، ونبادر لما يبعث القلوب على الائتلاف والأمن بفضل الله من عوائق الاختلاف وإن شحطت الدار وتناءت الصور والأشباح، ونعترف بما له من مزيد الإعظام بمجاورة البيت الحرام...ونبتهل إلى الله بالدعاء أن يخبرنا عنه ويطلعنا منه على ما يقر عيون الفوز ويشرح صدور النجاح**"[1]، وهي عبارات تدل على مدى التقدير والاحترام الذي يكنه بنو أبي حفص للمماليك الجراكسة، واعترافهم بأحقية سلطتهم على العالم الإسلامي، وعلى البقاع المقدسة.

وتواصل الرسالة:" ...**والرضى عن الإمام المهدي القائم بهذه الدعوة الموحدية قيام من خلصت نياته، وصدقت في ذاته دعواته، وصممت لإظهار دينه القويم عزماته، وصلة الدعاء لهذا المقام الأحمدي المتوكلي الفاروقي**..."[2]، وهذا يبرز تمسك الحفصيين بشعارات الدعوة الموحدية الأولى وأهم أسسها وهي المهدوية نسبة إلى محمد بن تومرت الذي كان يلقب بالمهدي، كما يبدو جليا تصريح بني أبي حفص بانتسابهم إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ثم تعرضت الرسالة إلى ذكر الأخبار التي وصلت إلى البلاط الحفصي بخصوص السلطان الظاهر برقوق الجركسي:" ...**إعلامكم أنا –علم الله– من حين اتصل بنا خبركم الذي جره القدر المقدور، وجرى به في أم الكتاب الحكم المسطور، لم نزل نتوجه إلى الله تعالى في مظان قبول الدعاء، ورفع النداء، بأن يجبركم بفضله من حيث صدع، ويصلكم بخيره إثر ما قطع، ويعطيكم من نعمته أضعاف ما منع، إلى أن تدارك الله بلطفه وأجاب، وتأذن بفضله في قبول الدعاء بظهر الغيب وهو مستجاب، فرد عليكم ملككم**..."[3]، وإذا دل هذا على شيء فإنما يدل على مدى حرص السلطان أبي العباس أحمد الثاني الحفصي على تتبع أخبار جيرانه المماليك من جهة، ومن جهة أخرى نستشف أنه كان يتمنى عودة السلطان الظاهر برقوق الجركسي إلى ملكه، لما

---

[1]- القلقشندي، المصدر نفسه، ج8، ص81.

[2]- المصدر نفسه، ج8، ص81.

[3]- أحمد عزاوي، العلاقات، ج2، ص105.

عرف عنه من سياسته الدبلوماسية المرنة في علاقاته مع دول المغرب الإسلامي عموما والحفصيين على وجه الخصوص، فكان السلطان الحفصي دائم الدعاء له كي يرجع إلى كرسي ملكه، وهو ما تحقق.

كما عبر عن سروره وفرحته التي غمرته بهذه المناسبة، واعتبر أنه من الواجب التهنئة بهذه المناسبة السارة من خلال ما جاء في الرسالة:" **ولما جاءنا بنصركم البشير، وطلع من ثنية الهناء بأكمام السرور إلينا يشير، هززنا له أعطاف الارتياح، وتلقينا منه وارد التهاني والأفراح، وحمدنا الله لكم على ما من به الفوز والنجاح، ورأينا أن تهنئتكم به من فروضنا المؤكدة، وعهودنا المجددة**"[1].

كما أشارت الرسالة إلى السفير الحفصي الذي حملها:"...**وأنه لا يقوم به عنا هنالكم، ويؤدي ما يجب منه بين يدي كرسي جلالكم، إلا من له من ديار الملوك، قرب الأدب والسلوك، فاقتضى نظرنا الجميل أن عينا له شيخ دولتنا المستشار، وعلمها الذي في مهماتها إليه يشار، فلان، وقد كان منذ أعوام يتطارح علينا في أن نخلي للحج سبيله، ونبلغه من ذلك مأموله،...فوجهناه ...وحملناه من أمانة الحب ما يلقي إليكم، ومن حديث الشوق ما يقص أخباره عليكم**"[2]. والغالب على الظن أن الشخص المقصود هنا هو الوزير الحفصي شيخ الموحدين ابن أبي هلال[3].

كما تضمنت الرسالة أخبار غزو السلطان الحفصي للجزر القريبة من تونس، وكانت مركزا من مراكز القرصنة النصرانية الموجهة ضد الأساطيل التجارية والموانئ الإسلامية، وكان النصارى يأسرون التجار والمسافرين من الحجاج المسلمين المغاربة ، فكانت الحملة الحفصية على الجزيرة لردع القراصنة الذين كان معظمهم من الجنويين[4].

وكان السلطان الظاهر برقوق قد راسل السلطان أبا العباس الحفصي بخصوص تطورات الأوضاع السياسية في الجناح الغربي للبحر المتوسط، وكان ذلك في أثناء تحضير السفارة من تونس إلى

[1]- أحمد عزاوي، أحمد عزاوي، **العلاقات بين العالمين الإسلامي والمسيحي في العصر الوسيط**، ج2، مطبعة الرباط، المغرب، 2011، ص106.

[2]- القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 83.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج5، ص ص 1070.

[4]- القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 80-84.

القاهرة، وجاء في الرسالة الحفصية بهذا الخصوص:" **وفي أثناء شروعنا في ذلك، وسلوكنا من أيمن المسالك، وصل إلينا كتابكم الكريم ... ولما استقرينا من فحواه، وخطابه الكريم ونجواه، تشوقكم لأخبار جهادنا، وسروركم بما يسنيه الله من ذلك ببلادنا، رأينا أن نتحف أسماعكم منه بما قرت به أعين الإسلام، وأثلج صدور الليالي والأيام**"[1]، وكانت أخبار الانتصارات والفتوح من أهم ما وطد العلاقات بين أطراف العالم الإسلامي، حيث هنا تتجلى مظاهر الوحدة الإسلامية وصد الخطر المشترك.

وتواصل الرسالة ذكر أخبار الانتصار على القراصنة في جزر صقلية[2] ومالطة[3]:"... **وذلك أنا من حين صدر من عدو الملة في الجزيرة ما صدر، حسب ما جره محتوم القدر، لم نزل نبيح لأساطيلنا المنصورة حرمه وحماه، ونطرق طروق الغارة الشعواء بلاده وقراه، ونكتسح بأيدي الاستلاب ما جمعت به يداه، إلى أن ذاقوا من ذلك وبال أمرهم، وتعرفوا عاقب مكرهم**"[4].

وتسرد الرسالة خبر غزو جزيرة غودش[5] المالطية التي اتخذها القراصنة معقلا لسلب المسلمين المغاربة في البحر، إذ جاء فيها :" **وكانت من جزائرهم المعترضة شجى في حلوق الخطار، ومتجشمي الأخطار، وركاب البحار من الحجاج والتجار، جزيرة غودش وبها من أعداء الله جم كثير، وجمع كبير، فأرسلنا عليهم من أسطولنا المنصور غربانا ... وشحناها عددا وعددا... فلما نزلوا بساحتها... بهت الذي كفر...** "[6].

---

[1]- القلقشندي، المصدر نفسه، ج8، ص 84.

[2]- أكبر جزيرة في البحر المتوسط، وهي تتبع إداريا لإيطاليا، لها تاريخ قديم وازدهرت في عصر الإغريق والرومان، وفي العصور الوسطى فتحها المسلمون وقامت بها إمارة بني الحسن الكلبيين، وكانت من أهم منافذ الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا، ثم استولى عليها النورمان وصارت معقلا للقراصنة الذين كانوا يضايقون التجار والحجاج المسلمين السالكين البحر إلى بلاد المشرق.
ياقوت الحموي، البلدان، ج3، ص ص 416-419- Hachette, op.cit.p1738

[3]- جزيرة تقع جنوب صقلية، وتمثل اليوم إضافة إلى جزيرة غوزو وبعض الجزر الصغيرة المحاذية لها أرخبيل مالطة وهي دولة مستقلة تتبع للكومنويلث البريطاني وعاصمتها فاليتا، وشهدت الفتح الإسلامي منذ عهد الأغالبة، ثم صارت معقلا لفرسان القديس يوحنا. Hachette, op.cit.p1147

[4]- القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص84.

[5]- هي جزير غوزو إحدى جزر مالطة، مساحتها 67 كلم 2 Hachette, op.cit. p 833

[6]- القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص84.

وقد غنم الحفصيون مغانم كثيرة في هذه الغزوة، فأسروا من سكان الجزيرة الكثير، وتم تفصيل ذلك في الرسالة:" ... **وشكر الله من المسلمين أنصاره، عمدوا إلى ما تخطاه السيف من والد وولد، ومن أخلد إلى الأرض من رجالها عن المدافعة فلم يعترضه بالقتل منهم أحد، فجمعوا منهم عددا ينيف بعد الأربعمائة على الأربعين، وجاؤوا بهم في الأصفاد مقرنين، وامتلأت بغنائمهم والحمد لله أيدي المسلمين...**"[1].

وكانت هذه العمليات العسكرية كرد فعل مشروع من قبل السلطة الحفصية على العدوان الذي قام به النصارى المتحالفون ضد جزيرة جربة واحتلالها وتخريبها[2]، ولما كانت هذه الجزيرة قريبة من طرابلس الغرب والحدود المملوكية، فقد كانت مرشحة لتكون قاعدة انطلاق للحملات الصليبية ضد مصر وبلاد المشرق الإسلامي عموما، ومن هنا نلمس مدى هذه الجدية والحماسة في نقل الأخبار بين بني أبي حفص والمماليك الجراكسة، خاصة الأخبار المتعلقة بكسر الفرنج النصارى، وكانت انتصارات الحفصيين هي انتصارات للمماليك والعكس صحيح، وذلك ما يبدو واضحا في الرسالة التي ختمت بالتالي:"**فعرفناكم بهذا الفتح لتأخذوا بحظكم من شكر الله عليه....**"[3].

4-4- رد السلطان الظاهر برقوق على رسالة أبي العباس الحفصي:

كتب السلطان الظاهر برقوق رسالة إلى أبي العباس أحمد الثاني الحفصي شاكرا له على التهنئة وعلى الهدية المكونة من الخيل التي بعث له، ومستبشرا بما تم على يد الحفصيين من انتصارات في جزر مالطة[4].

افتتحت الرسالة بذكر الألقاب الملوكية :" **من عبد الله، السلطان الأعظم المالك، الملك الظاهر، الأجل العالم العادل، المجاهد المرابط... سيد الملوك والسلاطين، قسيم أمير المؤمنين، أبي سعيد برقوق...**"[5]، ثم انتقلت إلى عبارات التحية للسلطان الحفصي:" **قدوة الموحدين، ناصر الغزاة والمجاهدين، سيف جماعة الشاكرين، صلاح الدول، المتوكل على الله**

[1]- القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص84.

[2]- برنشفك، المرجع السابق، ص ص 229-230.

[3]- القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص84.

[4]- أحمد عزاوي، العلاقات، ج2، ص 108.

[5]- القلقشندي، صبح الأعشى، ج7، ص380.

أحمد ابن مولانا الأمير أبي عبد الله محمد، ابن مولانا أمير المؤمنين أبي يحيى أبي بكر، ابن الأمراء الراشدين أعز الله دولته...."[1]، ثم أشادت الرسالة بالمكاتبة التي وردت على الظاهر برقوق:" **فإننا نوضح لعلمه الكريم أن كتابه الكريم ورد...فمددنا إليه يد القبول، وارتحنا له...وملنا إلى مفاكهته...وتأملناه...ووقفنا عليه..."**[2]. كما عبر الظاهر برقوق عن إعجابه بالرسالة الحفصية بقوله:" **لله دره من كتاب ... فهمنا معناه ... وشرحنا متن فحواه.. وعلمنا ما اتصل بسمعكم من خبرنا العجيب، وحديث أمرنا القديم والغريب... أعادنا إلى الملك مع كثرة الأعداء وقلة الأنصار..."**[3].

ثم سردت الرسالة خبر السفير الحفصي وكيف أنه استقبل بحفاوة من قبل السلطان برقوق، ثم عرضت غبطة المماليك بخبر غزوة جزيرة غودش من طرف الحفصيين:" **ولما توصل إلينا رسولكم المكرم ...وأطربنا بسماع أخباركم ...ونبه على ما أودعه كتابكم، وتضمن من النصرة خطابكم، ودوس جنودكم جزيرة غودش وعودهم بالمن والمنح..."**[4].

كما لم تغفل الرسالة الشكر على الهدية الحفصية المتمثلة في الجياد حيث جاء فيها:" **ولما عرضت علينا من جودكم عند العشي الصافنات الجياد، وحلينا منها بقلائد منها الأجياد، نقسم لقد حيرتنا، ألوانها إذا خيرتنا..."** ، ثم ذكرت أصناف هذه الجياد، ومدى إعجاب السلطان المملوكي وامتنانه وغبطته بها[5].

5 – علاقات السلطان أبي فارس عبد العزيز الحفصي مع المماليك الجراكسة:

---

[1]- القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 380.

[2]- القلقشندي، المصدر نفسه، ج8، ص ص 380- 381.

[3]- نفسه، ج8، ص 382.

[4]- نفسه، ج8، ص 382.

[5]- نفسه، ج8، ص 383.

واصل السلطان الحفصي أبو فارس عبد العزيز (796- 837هـ/1394-1434م)[1] العلاقات الودية التي جمعت الدولة الحفصية في عهد أبيه أبي العباس أحمد، وفي هذا الصدد أرسل إليه الظاهر برقوق سنة 799هـ/ 1397م ببعض الهدايا كتعبير منه على استمرار العلاقات الودية[2].

وفي سنة 801هـ/ 1398م وجه سفيرا إلى القاهرة لتهنئة فرج بن برقوق بمناسبة توليه السلطنة عقب وفاة أبيه، إضافة إلى رسالة وجهها إليه طالبا منه السهر على توفير الأمن للحجاج المغاربة القاصدين بلاد الحجاز[3].

وفي سنة 815هـ/1413م أرسل بالتهاني إلى السلطان الجديد أبو النصر شيخ المحمودي، ورد السلطان المملوكي بدوره برسالة شكر تضمنت الإنباء بالمعارك والأحداث التي جرت له قبيل توليه الحكم[4].

وفي عهد السلطان المملوكي الأشرف برسباي (825-841هـ/1422 - 1438م)، وجه السلطان الحفصي رسالة تهنئة بمناسبة توليه الحكم[5].

وفي يوم الأحد 7 شوال 829هـ/1430م[6] وصلت سفارة حفصية إلى القاهرة لتهنئة السلطان المملوكي بمناسبة الانتصار الذي حققه على جزيرة قبرص، وذكر ابن تغري بردي هذه السفارة بقوله:" **... وكان السلطان جالسا ... وعنده أكابر الدولة من الأمراء والأعيان، وكان الشريف بركات بن عجلان أمير مكة حاضرا، ورسل ابن عثمان متملك الروم، ورسل صاحب تونس من بلاد المغرب، ورسل صاحب عدن وغيرهم**"[7]، وسفارة أخرى تحمل أخبارا عن صد الهجوم القطلاني على جزيرة جربة من طرف الحفصيين، وكان تاريخها في 17 رجب 830هـ/1435م[8].

---

[1]- ابن الشماع، المصدر السابق، ص112-119.
[2]- لطفي بن ميلاد، المرجع السابق، ص 9.
[3]- ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج2، ص13.
[4]- برنشفك، المرجع السابق، ص247.
[5]- ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج3، 268.
[6]- المقريزي، السلوك، ج4، ص 258.
[7]- ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج3، ص 268.
[8]- الصيرفي، نزهة النفوس، ج3، ص258

6 – رسالة تعزية من السلطان المملوكي برسباي إلى السلطان الحفصي أبو عبد الله محمد المنتصر :

كان موضوع هذه الرسالة هو التعزية بمناسبة وفاة جده السلطان أبي فارس واصفا إياه بالشهيد، ومهنئا السلطان الجديد على توليه المنصب، كان حامل الرسالة هو الشيخ أبو عمران موسى وهو من الحفصيين رافق السفير المملوكي سيف الدين الجنيد إلى السلطان أبي فارس عبد العزيز، وأرخت الرسالة بتاريخ 11 ربيع الأول 838هـ/ 15 أكتوبر 1434م[1].

وفي 880هـ/1483م وجه السلطان الحفصي هدايا إلى السلطان المملوكي عن طريق البحر، لكن المصادر لا تذكر وجود مراسلات[2].

7 – جهود الدبلوماسية الحفصية لحل الصراع المملوكي العثماني:

شهدت بلاد المشرق بالإضافة إلى بروز قوة المماليك في مصر والشام والحجاز، بروز قوة العثمانيين في الأناضول، خاصة بعدما تمكنوا من فتح مدينة القسطنطينية سنة 857هـ/1453م، وقد عمدت الدولة العثمانية إلى التوسع على حساب الأراضي المملوكية في الشام، واصطدموا مع المماليك في عدة مناسبات، وقامت حربان بينهما، الأولى دامت بين سنتي 888هـ/1483م و896هـ/ 1490م وانتهت بانتصار المماليك الجراكسة، ثم عقدت اتفاقية سلام سنة 896هـ/ 1491م بوساطة الدبلوماسية الحفصية التي قامت بدور كبير في حل النزاع سلميا[3].

7-1- وساطة القلشاني:

أورد الشيخ المؤرخ شمس الدين السخاوي في كتابه الضوء اللامع لأهل القرن التاسع أن أحد الحفصيين وهو القلشاني[4] أخو حسن أمين ومحمد ودون ذكر تفاصيل أكثر عن حياته أو نسبه، قد قام بمبادرة صلح بين المماليك والعثمانيين لفض الصراع الذي كان قائما بينهما حول النفوذ في

---

[1]- لطفي بن ميلاد، المرجع السابق، ص10.

[2]- ابن إياس، بدائع الزهور، ج2، ص 277.

[3]- حول الصراع العثماني المملوكي يمكن الرجوع إلى: ابن إياس، بدائع الزهور، ج 3، ص275215. أحمد نافع غياث، **العلاقات العثمانية المملوكية (868 . 923هـ/ 1464 . 157م)**، مراجعة: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، 2005،ص101. 214.

[4] – السخاوي، الضوء اللامع، ج، ص258.

المشرق الإسلامي، حيث حمل رسالة من السلطان الحفصي أبي عمرو عثمان إلى السلطان العثماني وأخرى إلى السلطان المملوكي في القاهرة يشرح لهم فيها بنود الصلح الذي سعى الحفصيون إلى عقده، وقد تم قتل هذا السفير الحفصي على يد الفرنج بتاريخ 12 شوال 891هـ/ 1486م قبل إكمال مهمته في فض الخلاف المملوكي العثماني[1].

ورغم الغموض الذي يلف هذه السفارة، وأنها تحمل من إثارة التساؤلات أكثر من أنها تقدم إجابات، إلا أنها تفتح المجال للقول بأن الحفصيين قد حاولوا قدر الإمكان الوقوف في وجه تفتيت الوحدة الإسلامية من أجل الوقوف في وجه المد النصراني الذي كان يهدد سواحل المغرب الإسلامي، كما لا يستبعد وجود علاقات بين الدول العثمانية والحفصيين وأن العثمانيين طلبوا التوسط لدى المماليك بعد الخسائر التي تلقوها على أيديهم[2].

7-2- وساطة الحلفاوي:

يذكر ابن الحمصي (أحمد بن محمد بن عمر الأنصاري) (841 . 924هـ/ 1437 - 1527م) في كتابه حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران ج1 تحت عنوان الصلح بين الدولتين المملوكية والعثمانية في حوادث سنة 896هـ/ 1490م أنه " **وفي يوم الخميس حادي عشرينه توفي بدمشق سيدي محمد الحلفاوي قاصد سلطان الغرب، وهو متولي القضاء بتونس. وكان قد توجه بالصلح إلى سلطاننا قايتباي، ثم إلى بلاد الروم، فأحسن إليه سلطان الروم وقبل كلامه بالصلح، ثم توجه إلى دمشق وتوفي بها، ودفن بباب الصغير، عند السيد بلال الحبشي رضي الله عنه**"[3].

وكان نتيجة هذه الوساطة الحفصية أنه في يوم الاثنين 25 رمضان 896هـ/1490م، تم الاتفاق على الصلح بين القوتين الإسلاميتين بالمشرق[4].

---

[1]- لطفي بن ميلاد، المرجع السابق، ص17.

[2]- محمد سهيل طقوش، **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام**، ط2، دار النفائس، بيروت، 1999، ص490.

[3]- أحمد بن محمد بن عمر بن الحمصي الأنصاري، **حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران**،ج1، تح: عبد العزيز فياض حرفوش، دار النفائس، 2000، ص226

[4]- الأنصاري، المصدر نفسه، ج1، ص 226

وكان السلطان الحفصي المتوكل على الله عثمان (839 - 899هـ/ 1435 - 1494م) قد أوفد محمد الحلفاوي في هذه المهمة الدبلوماسية لحل النزاع بطريقة سلمية في ظل الضغط النصراني على المسلمين في الأندلس، فالمبادرة كانت لتوحيد صف المسلمين ضد العدو المشترك وهو الصليبيون خاصة الإسبان القوة الصاعدة في الغرب الأوربي والتي صارت تهدد السواحل الإسلامية في بلاد المغرب الإسلامي.

وعلى الرغم من أن بني الأحمر قد طلبوا العون من المماليك، فإن الدور الأساسي في إنقاذ مسلمي الأندلس كان قد قام به العثمانيون، ففي سنة 892هـ/ 1487م، وصل أسطول كمال رايس بأمر من السلطان العثماني بايزيد الثاني، لمساعدة مسلمي الأندلس، وكان ذلك بناءا على طلب من ملك غرناطة الذي أرسل بقصيدة يشكو فيها اعتداءات الإسبان على مسلمي الأندلس.
ولم تكن مهمة السفير الوسيط في الصلح محمد الحلفاوي بالسهلة، في ظل الانقسامات التي كانت في صفوف العثمانيين[1].

ونتيجة للوساطة الحفصية أظهر بايزيد الثاني استعدادا لعقد اتفاقية سلام مع المماليك ارتكزت على البنود التالية:

- تسليم العثمانيين لمفاتيح القلاع التي استولوا عليها مثل أدنة وطرسوس.

- اعتبار الأماكن المتنازع عليها تدخل في حماية الحرمين الشريفين بمكة والمدينة المنورة، أي أن غلاتها كانت لصالح الفقراء والمجاورين بالحرمين[2].

لكن يبدو أن هذا الوضع لم يستمر طويلا حيث قام العثمانيون بجهد كبير للقضاء على الدولة المملوكية والاستيلاء على أراضيها في الشام ومصر والحجاز، وكان لهم ذلك بعد هزيمة المماليك في سنة 923هـ/ 1517م، وهو التاريخ نفسه الذي بدأ فيه التدخل العثماني في المغرب الإسلامي، فكان ضمهم للمغرب الأوسط بعد استنجاد أهله بهم، ثم التفتت أنظارهم إلى تونس الحفصية التي أصبحت لاحقا جزءا من الدولة العثمانية ابتداءا من سنة 932هـ/1526م.

---

[1]- غياث، المرجع السابق، ص145.

[2]- غياث، المرجع السابق، ص 149.

الفصل الثاني

العلاقات السياسية بين الدولتين الزيانية والنصرية والمماليك

أولا:العلاقات السياسية بين الدولة الزيانية والمماليك

1- بداية العلاقات الزيانية المملوكية

2- أثر المرينيين في العلاقات الزيانية – المملوكية

3 - حادثة نهب أعراب زغبة لوفد السفارة المرينية المملوكية

4- رسالة أبي تاشفين عبد الرّحمان الأوّل إلى الملك الناصر

5- موقف المماليك من سقوط تلمسان 737هـ/1337م

6- العلاقات في عهد المماليك الجراكسة

7- هدية أبي زيان إلى الظاهر برقوق

ثانيا:العلاقات السياسية بين الدولة النصرية والمماليك

1 - رسالة من السلطان النصري الغني بالله إلى السلطان المملوكي المنصور 763هـ/1362م

2- جواب السلطان المنصور المملوكي للغني بالله النصري

3 - موقف بني نصر من حملة الجنويين على الإسكندرية سنة 767هـ/1366

4 - ازدياد الخطر النصراني على المملكة النصرية وموقف المماليك

5 - استنجاد الأندلسيين بالأشرف قايتباي

أولا:العلاقات السياسية بين الدولة الزيانية والمماليك

تعد الدول الزيانية التي حكمت المغرب الأوسط الكيان السياسي الثاني الذي كانت تمر به السفارات المملوكية قبل بلوغها للمغرب الأقصى أو الأندلس، وكانت الدولة المملوكية البحرية والجركسية على حد السواء حريصة على ربط العلاقات الودية مع جميع دول المغرب الإسلامي، كما أن بني زيان وفي خضم الوضع الصعب الذي أداروا فيه دولتهم كانوا مذبذبين بين القوة والضعف، فتارة يبايعون بني حفص، وتارة أخرى يحاربونهم عندما تتسنى لهم الفرصة لذلك، وتارة يحتل بنو مرين أراضيهم، وقد ضيقوا عليهم الخناق في الكثير من المرات، كما أن بني زيان تدخلوا في الكثير من الأحيان في الأحداث الداخلية للدولة المرينية، وفي هذا السياق سنبحث بداية وتطور العلاقات الزيانية المملوكية.

1 – بداية العلاقات الزيانية المملوكية:

تأسست الدولة الزيانية بخمسة عشرة سنة قبل قيام دولة المماليك بالمشرق، ولا شك أن الأمير يغمراسن بن زيان كان على علم بمجريات الأحداث الدولية التي كانت تحيط به خاصة ببلاد المشرق الإسلامي في ظل توافد أفواج الحجيج المغاربة بشكل مستمر على البقاع المقدسة ومرورهم في الأراضي المصرية، لكن المصادر المتاحة لدينا لا تفيدنا بوجود أية مراسلات بين الأمير يغمراسن بن زيان وسلاطين المماليك، حيث عاصره خلال فترة حكمه كل من المعز أيبك التركماني وأبناؤه، ثم المظفر قطز، ثم الظاهر بيبرس البندقداري وأبناؤه، والسلطان المنصور سيف الدين قلاوون، ومن المستغرب أن لا توجد أية مراسلة بينه وبينهم.

وحتى كاتب يغمراسن بن زيان وهو أبو بكر بن خطاب المرسي لا نجد له رسائل في هذا الموضوع، ومعظم رسائله التي بقيت محفوظة هي التي كتبها عن الأمير يغمراسن بن زيان وابنه عثمان وكانت موجهة إلى الحفصيين أو ملوك غرناطة، لكن توجد رسالة مؤرخة في 07 ذو القعدة 678هـ /1280م، وقد كتبها ابن خطاب عن الأمير عثمان بن يغمراسن في حياة والده، إلى السلطان التونسي أبي إسحاق الملقب بالمجاهد، وقد حملتها زوجة يغمراسن ، وكان موضوعها التوصية بحرم أمير تلمسان المصاحبة لركب الحاج الزياني ومما جاء فيها:"...**فإن هذا الكتاب يتأدى إلى الباب الكريم أيده الله منيد عبدته والدة عبده تلاوماتن ابنة مجن[1] حفظها الله توجهت إلى الحضرة الكريمة**

---

[1] – مجن هو عم يغمراسن بن زيان والمرأة المذكورة هي زوجته وابنة عمه. يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ص190.

برسم أداء فرض الحج يسر الله مرامها، ولما يلزم من حق الوالدة ويرجى للابن في توفية برها من جزيل الفائدة، رأى العبد أن ينبه حضرتكم العلية عليها، ويستوهب من كريم رعيكم واحترامكم ما يقود الظفر ببغيتها إليها...."[1].

من هذه المراسلة نلمس مدى اهتمام الأمير الزياني ومبالغته في التوصية بركب الحج لدى السلطان الحفصي، ما يجعلنا نميل إلى أن الوفد قد كان يحمل معه رسالة أخرى إلى السلطان المملوكي الحاكم آنذاك، وذلك لضرورة مرور الركب على الديار المصرية ذهابا وإيابا، لكن لا نجد ما يوثق هذا الطرح.

ويمكن تفسير عدم وجود المراسلات بين يغمراسن بن زيان والمماليك إلى عدد من الأسباب نذكرها فيما يلي:

- الخراب الذي طال الكتب المراسلات بسبب الحروب المتواصلة التي شهدتها تلمسان[2].

- عدم تركيز المصادر المغربية والمشرقية على الدولة الزيانية وحكامها، نظرا لموقعها الذي كان عرضة للخطر الدائم من بني مرين وبني حفص، واختفاء كيانها في عدة فترات من تاريخها.

- ظهور بني مرين كقوة بالمغرب جعلهم في نظر المماليك الدولة التي تستحق أن يتعاملوا معها، إضافة إلى بني حفص، وتركيز المرينيين على إنهاء الكيان السياسي لبني عبد الواد، وكان المماليك على دراية تامة بهذا الموقف.

- مبايعة يغمراسن بن زيان للحفصيين واعترافه بخلافتهم وتوصيته بنيه بذلك، جعل المماليك ينظرون إليه نظرة العداء، حيث ظل بنو زيان على ولائهم للحفصيين، ويظهر ذلك من خلال بعض نصوص البيعة التي تؤكد حرص بني زيان على الاعتراف بالخلافة الحفصية التي كانت تعتبر وريثة الموحدين في بلاد المغرب الإسلامي، ففي نص بيعة يغمراسن بن زيان للسلطان الواثق الحفصي والمؤرخة بيوم 7 محرم 677هـ/1279م يظهر جليا موقف بني عبد الواد من الخلافة الحفصية وأنها الأحق بتمثيل المسلمين، إذ يستعرض نص البيعة تاريخ الخلافة الإسلامية منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم

---

[1] - أحمد عزاوي، **المغرب والأندلس في القرن السابع/13م دراسة وتحقيق لديوانيات كتاب فصل الخطاب في ترسيل ابن خطاب**، مطبعة ربا نت، الرباط، 2008، ص157-158.

[2] - يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص 114.

والخلفاء الراشدين ثم الخلافة الموحدية فالحفصية التي تعد امتدادا لها، أي أن بني عبد الواد لم يعترفوا يوما بالخلافة العباسية التي أعاد المماليك إحياءها في عهد الظاهر بيبرس البندقداري في القاهرة، ومما جاء في نص البيعة:"...**وما زالت يرثها كابر عن كابر، وتنتقل من أول لآخر، حتى انتهت إلى من ينهض نهوض سلفه الكريم بعبئها، ويدرأ عنها المحادين حق درئها، شمس ضحاها، وبدر ليلتها الذي ما نقص المحاق آيته ولا محاها، عصمة سيدنا ومولانا الخليفة المنتصر بالله المنصور بفضل الله أمير المؤمنين أبو عبد الله بن ساداتنا الأمراء الراشدين أيد الله أمره، وأعز نصره....**"[1]، ويضيف:"...**وبادر إلى الدخول فيها بدار من يعتقد الدخول فيها للخيرات منميا، وفي الدنيا والآخرة منجيا، ودعا إليها من قبله من الأبناء والقرابة وبني عبد الواد، والوزراء، والأعيان والفقهاء، والصدور والصلحاء، فأجابوا إلى ذلك وأصفقوا عليه فيمن أصفق، ورأوه أوفق لهم في معاشهم ومعادهم وأرفق، فبايعوه جميعا...على ما بويع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخلفاؤه المتقون، وعلى السمع والطاعة في اليسر والعسر، والمنشط والمكره والحلو والمر، بيعة صحيحة ... معتقدين أن سلامة الأمة ..إنما هو باتباع هذه الإمامة...وهم في اجتلاب مرضاة الخلافة المباركة ساعون، وفي أعقاب صلواتهم وأوقات خلواتهم لها داعون....**" [2].

إن المدقق في فحوى نص البيعة هذا يلاحظ دون شك مدى ارتباط يغمراسن بن زيان بالخلافة الحفصية رغم وفاة مؤسسها الخليفة المستنصر وضعفها في عهد خلفائه، وكون بني زيان أبعد ما يكونون عن البيعة للخلافة العباسية بالقاهرة، لذلك لا نستبعد أن هذا كان من الأسباب التي جعلت العلاقات الزيانية المملوكية تتسم بهذه البرودة من عدم وجود أي اتصال موثق بين الدولتين.

وقد تأخرت بداية هذه العلاقات إلى عهد أبي حمو موسى الأول، الذي تسجل لنا بعض المصادر مراسلة له مع السلطان الناصر محمد بن قلاوون، عقب نهاية الحصار المريني الطويل لمدينة تلمسان.

[1] – ابن خطاب، المصدر السابق، ص 134.

[2] – ابن خطاب، المصدر نفسه، ص 135.

2– أثر المرينيين في العلاقات الزيانية المملوكية:

قام بنو مرين بدور كبير في تشكيل طبيعة العلاقات الزيانية المملوكية والتحكم في مصيرها بين التأزّم والانفراج، ولا نستبعد رغبة ملوك بني زيان في طلب تأييد سلاطين المماليك أوّل الأمر في سياق صراعهم المستمرّ ضدّ بني مرين، لكنّ المماليك كانوا على دراية تامّة بالوضع السياسي ببلاد المغرب وموازين القوى به، وأنّ بني مرين هم الأكثر قوّة، والحامون للجناح الغربي للعالم الإسلامي، فحرصوا على تمتين الروابط معهم، وإظهار الودّ نحوهم وكسبهم بالسفارات والهدايا التي لم تتوقف طيلة تاريخ الدولتين[1].

وقد أدى التقارب المملوكي المريني إلى فتور في العلاقات بين بني زيان وسلاطين المماليك، ويعود تاريخ ذلك على الأرجح إلى أيام الحصار المريني لمدينة تلمسان، وما عاناه ملوكها وسكّانها من محن لمدّة ثماني سنوات.

وفي أيام الحصار المريني لمدينة تلمسان كانت مدينة المنصورة مقر السلطان، والعاصمة التي كان يفد إليها سفراء ووفود الدول الأجنبية، ومنهم المماليك الذين اطلعوا على الانجازات المرينية وعلى مدى تأزم الوضع بمدينة تلمسان التي تضررت كثيرا جراء الحصار الذي دام من سنة 699 هـ إلى 706 هـ/1299 – 1307م ومات أغلب أهلها[2].

وكان السلطان يوسف بن يعقوب المريني قد بعث إلى السلطان الناصر محمّد بن قلاوون سنة 704هـ/1304م سفيرا ومعه هدية من الخيل والبغال والإبل والأواني المغربيّة والذّهب في ركب من الحجيج المغاربة قاصدين الحجاز، فقابلهم السلطان المملوكي وأكرمهم وبعث معهم أميرًا رافقهم حتّى قضوا الفرض، ورجع الوفد سنة 705هـ/1304م بهدية من السلطان الناصر مكافأة على هديتهم، ووصلوا إلى يوسف بن يعقوب وهو محاصر لمدينة تلمسان بالمنصورة في ربيع ثاني سنة

---

[1]– انظر الفصل الموالي.

[2]– حول هذا الحصار يمكن الرّجوع إلى: ابن خلدون، العبر، ج7، ص 194 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 210 – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 130– عطاء الله دهينة، **الحصار الطويل**، ضمن كتاب: الجزائر في تاريخ، ج3، ص 369-379.

706هـ/1305م، ووصل مع السفارة أميران مملوكيان، فقابلهما السلطان المريني وأكرمهما وبعث بهما للسياحة في فاس ومراكش[1].

3- حادثة نهب أعراب زغبة لوفد السفارة المرينية ومدى مسؤولية بني عبد الواد:

عند عودت الوفد المملوكي من فاس في 707هـ/1307م ومعهما ركب كبير من المغاربة قاصدين الحج وهدية من السلطان أبي ثابت خليفة يوسف بن يعقوب[2] إلى سلطان المماليك الناصر محمّد بن قلاوون، مرّ الرّكب بتلمسان، وكانت قد تخلّصت من الحصار المريني، وكان بها أبو زيان[3] وأبو حمو موسى الأوّل ابنا عثمان بن يغمراسن، لكنّ الملك الزياني لم يحتفي بهما، ممّا يدلّ على مدى انزعاج الزيانيين من موقف المماليك الموالي لأعدائهم بني مرين، وطلب الوفد المملوكي من بني زيان خفيرًا يخفرهما إلى تخوم الدّولة الزيانيّة شرقا، بسبب اضطراب المسالك في المغرب الأوسط بعد وفاة يوسف بن يعقوب المريني، فبعث معهم بعض الأعراب لحراستهم، لكنّ اعترضهم قطاع طرق من أعراب زغبة[4] بنواحي المدية ونهبوهم[5].

وكان الاعتقاد السائد آنذاك أنّ عمليّة النّهب تلك قد تمّت بتدبير من السلطان أبي حمو الأوّل وأنه الذي دبر العملية بالتحالف مع أعراب زغبة[6].

والظاهر أن بعض الباحثين المحدثين قد ألصق التهمة بالعاهل الزياني، وأن اضطراب المسالك بالمغرب الأوسط راجع لتشجيع أبي حمو الأول للقبائل العربية من أجل وترويع وفود السفارات التي

---

[1] - بيبرس الدوادار، المصدر السابق، ص 409 – ابن خلدون، العبر، ج5، ص 409

[2] - توفي قتيلاً و هو محاصر لتلمسان وتولى بعده ابنه أبو سالم، ثمّ قتل و تولى أبو ثابت الّذي رحل عن تلمسان و صالح أبا زيان و أعاد له ممتلكاتهم بالمغرب الأوسط. بيبرس الدوادار، المصدر السابق، ص 419-422.

[3] - حكم من 703 إلى 707هـ/1303-1307 – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 131.

[4] - زغبة: من عرب بني هلال، كانت تضم عدّة بطون، و كانت مواطنهم من المسيلة إلى تلمسان بتيطري. ابن خلدون، العبر، ج6، ص 85 – مصطفى أبو ضيف، **القبائل العربية في المغرب في عصر الموحين وبني مرين**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982،ص 155.

[5] - عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج5، ص 905.

[6] - عبد الرحمن ابن خلدون،العبر، ج7، ص 470.

كانت بين المغرب الأقصى ومصر[1]، حتى أن المماليك قد اضطروا لتوقيف إرسال السفارات إلى بلاد المغرب، واكتفوا بإرسال المكاتبات رفقة الوفود المغربية أو مع وفد الحج[2].

وكانت هذه الحادثة سببًا في استياء السلطان الناصر محمد بن قلاوون من السلطان الزياني أبي حمو موسى الأوّل، فأرسل إليه يعاتبه ويؤنّبه، كما بعث له بهدية مكوّنة من كوزين من دهن البلسان المستعمل عند المماليك، وخمسة مماليك من الترك بخمسة أقواس، فهمها السلطان أبو حمو على أنّها احتقار له، فأمر كاتبه القاضي **محمّد بن هدية**[3] بأن يكتب ردًّا على رسالة الملك الناصر جاء فيها:" **أمّا عتابك على شأن الرّسل وما أصابهم في طريقهم، فقد حضروا عندي وأبنت لهم الاستعجال حذرًا ممّا أصابهم، وأريتهم مخاوف بلادنا وما فيها من غوائل الأعراب، فكان جوابهم: إنّا جئنا من عند ملك المغرب فكيف نخاف، مغترين بشأنهم يحسبون أنّ أمره نافذ في أعراب قبائلنا، وأمّا الهدية فردّت عليك: أمّا دهن البلسان فنحن قوم بادية لا نعرف إلاّ الزيت، وحسبنا به دهنًا، وأمّا المماليك الرماة فقد افتتحنا بهم اشبيلية وصرفناهم إليك لتفتح بهم بغداد والسّلام**"[4].

إنّ صدور مثل هذه الرّسالة عن السلطان أبي حمو يدلّ على مدى استياء الزيانيين من المماليك لتفضيلهم بني مرين على حسابهم، فقد كتبت الرسالة بصيغة المفرد المخاطب ولم تستعمل فيها ميم الجمع ولا نون الجمع وهذا الأمر يخالف تماما أسلوب كتابة الرسائل في المغرب والأندلس، وهو ما يزيد من التأكيد على أنّ استياء بني زيان من المماليك كان في قمّته[5].

ويقول القلقشندي في كتابه صبح الأعشى في صناعة الإنشا أنه جرت العادة أن تكون المكاتبات الواردة من ملوك تلمسان إلى سلاطين المماليك كالتالي:" **ورسم مكاتبته فيما وقفت عليه**

---

[1] – أحمد عزاوي، العلاقات، ج2، ص21.

[2] – عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص470.

[3] – القاضي الكاتب أبو عبد الله محمد بن منصور بن علي هدية القرشي، من أحفاد عقبة بن نافع الفهري فاتح بلاد المغرب الإسلامي، تولى ديوان الإنشاء في عهد أبي حمو موسى الأول، واستمر قاضيا في عهد أبي تاشفين الأول، وكان عالما في اللغة العربية وآدابها إضافة إلى علم الوثائق. يحي بن خلدون، البغية، ج1، ص51–52.

[4] – عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص 470–471.

[5] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج7، ص 30 – بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 155.

في المكاتبة الواردة على صاحب الديار المصرية أن يبتدأ الكتاب بقوله: إلى الحضرة الفلانية حضرة فلان بالألقاب المعظمة المفخمة ثم يدعى له بما يناسب الحال، ويؤتى بخطبة، ثم بالسلام، ويقع الخطاب في أثناء الكتاب بالإخاء بلفظ الجمع، ويختم بالدعاء المناسب"[1].

لكننا لا نجد احترام هذه القاعدة في الكتابة مما يؤكد لنا الطرح السابق.

2 – رسالة أبي تاشفين عبد الرّحمان الأوّل إلى الملك الناصر ومحاولة تحسين جو العلاقات:

لما تولى أبو تاشفين عبد الرّحمن الأوّل الحكم بتلمسان سنة 718 هـ/1318م، حاول بناء دولة لها حضورها في المحيط المغاربي والإسلامي، فركز على توسيع رقعتها وتحصينها والإكثار من المؤسسات، كما حاول إعادة ربط العلاقات وإصلاح الأمور مع سلاطين المماليك بعد تأزم الأمور في عهد أبيه أبي حمو موسى الأول، فأرسل سنة 725هـ/1325م رسالة إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون معبرًّا له فيها عن حسن نواياه وموضّحًا له سبب استياء الزيانيين من المماليك.

ولا تذكر المصادر كاتب الرسالة، لكن المرجح أنه الفقيه أبو عبد الله بن مدورة الذي تولى كتابة الإنشاء في عهد السلطان أبي تاشفين الأول[2].

وجاء في هذه الرّسالة بعد ذكر الألقاب الملوكيّة ممّا اختص به سلاطين المماليك في المكاتبات:" **سلام عليكم ورحمة الله و بركاته، من أخيكم البَرَّ بكم الحريص على تصافيكم، عبد الرّحمان بن أبي موسى بن يغمراسن. وإنّا كتبنا إليكم كتب الله لكم أنجح المقاصد وأرجحها وأثبتها عزًّا، وأوضحها من حصن تلمسان حرسها الله تعالى"**[3].

وفي سبب استياء ملوك بني زيان من سلاطين المماليك كتب أبو تاشفين:" **وقد وجب شكركم علينا من كلّ الجهات، واتصلت المحبّة والمودة طول الحياة، غير أنّ في قلوبنا شيئًا من ميلكم إلى غيرنا واستئناسكم"**[4]، وكان قصده ميل المماليك إلى توطيد علاقاتهم مع بني مرين على حساب بني زيان.

---

[1] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص84.

[2] – يحيى بن خلدون، البغية، ج1، ص 133– بوزياني الدراجي، الرجع السابق، ص 146.

[3] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 86.

[4] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 86.

لكن أن أحد الباحثين[1] المختصين في مراسلات المغرب الإسلامي ذكر أن أمير تلمسان كان يقصد ميل المماليك إلى الحفصيين الذين كان في صراع معهم حول مدينة بجاية، وكانوا على علاقة مودة مع المماليك، لكن المرجح هو الرأي الأول خاصة وأن أبا تاشفين الأول كان في حركة دائمة نحو الشرق والغرب من المغرب الأوسط ساعيا إلى تدعيم دولته بعد مدة من تأزم الأوضاع منذ أيام الحصار الذي فرضه المرينيون على مدينة تلمسان.

ومما يفهم من الرسالة أيضا هو أن الدولة الزيانية في عهد أبي تاشفين عبد الرحمن الأول كانت من القوة بحيث يمكن للمماليك إقامة علاقات تعاون معها في ظل الاحترام المتبادل، خاصة وأنه قد نبذ طاعة الحفصيين وحاصر مدينة بجاية وضيق عليها الحصار، وذلك للضعف الذي أصاب بني حفص، وجاء في الرسالة:"...**ونحن والحمد لله أعلم الناس بما يجب من حقوق ذلكم المقام الشريف، ولنا القدرة على القيام بواجبكم، والوفاء بكريم حقكم، وليس بيننا وبين بلادكم من يخشى والحمد لله من كيده، ولا يبالى بهزله ولا جده....**"[2]، وهي إشارة إلى تجاوز الزيانيين للخطر الحفصي لأن الدولة القوية الموجودة بين االمماليك وبني زيان هي الدولة الحفصية، وإشارة من أبي تاشفين إلى حلمه في اكتساح الأراضي الحفصية إن تمكن من ذلك وبالتالي يصبح لدولته حدود مع الدولة المملوكية التي كانت تلامس حدودها الغربية طرابلس الغرب.

وكان حامل الرسالة أحد الأعلام التلمسانيين ورد ذكره فيها بالشكل التالي:" **وقد توجه إلى بابكم الشريف قرابتنا الشيخ الصالح الحسيب الأورع الأكمل الزاهد أبو زكريا يحيى بن الشيخ الصالح المرابط المقدس المرحوم أبي عبد الله محمد بن جرار الوادي، وهو من أهل الدين والخير....**"[3]، وكان هذا الشيخ من مشايخ بني عبد الواد من فرع ابن طاع الله، وترأس الكثير من وفود الحج[4].

وقد أرفقت الرسالة المكتوبة برسالة شفوية موجهة للملك الناصر المملوكي تضمنت طلب إصلاح العلاقات والجنوح نحو الود والإخاء " **والمحبة والصفاء، مما يعجز عنه الكتاب، فالمقام**

---

[1] - أحمد عزاوي، العلاقات، ج2، ص114.

[2] - القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص86.

[3] - القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص86- 87.

[4] - عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص237.

الشريف يثق إلى قوله ويعامله بما يليق ببيته ودينه، وغرضنا أن تعرفوه بجميع ما يصلح لذلكم المقام الشريف مما في بلادنا، ويصلكم إن شاء الله في أقرب الأوقات، على أحسن الحالات، ولكم بذلك علينا المنة العظمى، والمزية القصوى، والله تعالى يبقي ذلك المقام الشريف محروس المذاهب، مشكور المناقب، إن شاء الله تعالى"[1]، وهذه الخاتمة دعوة صريحة من الملك الزياني أبي تاشفين عبد الرحمن الأول وإصراره على تحسين أواصر المحبة بينه وبين المماليك.

لكن دعوة أبي تاشفين هذه لم تلق ترحيبًا من سلاطين المماليك[2]، هذا ما تذكره بعض الدراسات الحديثة، والمؤسف أننا لا نعثر على أية رسالة موجهة من المماليك إلى بني زيان بالرغم من أن ديوان الإنشاء المملوكي قد احتفظ لنا بالصيغة التي اتفق عليها كتاب الإنشاء في ماسلاتهم لسلاطين تلمسان، حيث يذكر القلقشندي أن المكاتبات كانت تفتتح بذكر الألقاب السلطانية من جهة المرسل " من السلطان الأعظم الفلاني... ونصر جيوشه وأعوانه، ثم يقول: تحية يفتتح بها الخطاب، ويقدم منها ما زكا وطاب، ثم تقال سجعات مختصرة يخص بها صاحب الحضرة الشريفة العلية، الطاهرة الزكية، حضرة المقام العالي، السلطان السيد، الأجل، العالم، العادل، المجاهد، المرابط، المثاغر، المؤيد، المظفر، المنصور، الأسرى، الزكي، الأتقى، المجاهد في الله، المؤيد على أعداء الله، أمير المسلمين"، وهذه الصيغة تشبه الصيغة التي كان يكتب بها للسلاطين الحفصيين[3].

والراجح أن المرينيين الذين كانوا في صراع دائم مع بني عبد الواد هم الذين كانوا يتحكمون في سياسة المماليك تجاه ملوك تلمسان، وكانوا يكثرون من السفارات والهدايا إلى القاهرة كسبا لرضا المماليك الذين كانوا يرون فيهم حاملي لواء الجهاد ضد الصليبيين في الأندلس، وكانت كلمتهم مسموع ونافذة لدى سلاطين القاهرة، وذلك ما سيتضح أكثر فيما يلي.

وجاء في رسالة أبي الحسن المريني عقب غزوه لمدينة تلمسان أن القضاء على دولة بني عبد الواد وملكها أبي تاشفين عبد الرحمن الأول كان سببا في تأمين طرق الحج والسفارات بين المغرب والمماليك حيث جاء فيها:" **والحمد لله الذي طهر بأيدينا هذه الأرجاء من أرجاسه، ورحض عنها بأيدينا أوضار أدناسه وأنجاسه، وأتاح لأهلها بهلاك هذا المريد المراد، وأراح منه ومن شيعته البلاد والعباد**"، ونلمس من هذه العبارات مدى الحقد والكره الذي كان يحمله أبو الحسن

[1] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص87.
[2] – عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص 346.
[3] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج7، ص 385.

لأبي تاشفين وبني عبد الواد من خلال عبارات الوصف الدنيئ لسلطان تلمسان، **"ولو لم يكن إلا ما نال الحجا من تعنيه وتعديه، وطال عليهم من تعرضه لهم وتصديه، حتى حجز عن الحجاز الشريف قصاده، وحجر بقطع السبيل عن بيت الله الحرام من أراده، فكم سلب الحجاج وسد عليهم المسالك والفجاج، وفرق فريقهم وعوق طريقهم"** وهي إشارة إلى حركة أبي تاشفين في المغرب الأوسط لإخضاع القبائل وكذلك، تضييقه على الدولة الحفصية من ناحية الشرق وحصاره لبجاية وسيطرته على المسالك والدروب، **"والآن بحمد الله حقت الحقائق، وارتفعت العوائق، وصح العليل، ووضح السبيل، وتسهل المرام، وتيسر القصد إلى البيت الحرام، مكان ترده الزوار عليكم أرسالا، ووفود الأبرار للسلم خفافا وثقالا، يأتون من كل فج عميق، ويقضون ما يقضون من مناسكهم، آمنين في مسالكهم إلى البيت العتيق"**[1]، أي أن حركة أبي الحسن نحو تلمسان كان من أهدافها إعادة فتح سبل وطرق الحج بين المغرب الأقصى وبلاد المشرق.

3 – موقف المماليك من سقوط تلمسان 737هـ/1337م:

في سنة 735هـ/1335م تحرك أبو الحسن المريني إلى مدينة تلمسان، واستولى في طريقه على ندرومة وهنين، كما استولى على وهران، وبعث جيوشه لإخضاع المغرب الأوسط، ثمّ نزل عاصمة الزيانيين وحاصرها لمدّة سنتين، وفي يوم الأربعاء 28 رمضان737 هـ/1337م، اقتحمها عنوة وقتل السلطان أبا تاشفين وقادته، وبقتله انتهت فترة من تاريخ الدّولة الزيانية لمدة دامت من 737هـ/1337م إلى غاية 760هـ/1360م [2].

وعلى إثر هذه المستجدات بعث أبو الحسن المريني برسالة إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون يخبره بما تمّ على يديه من الفتوح، وفيها وصف له خبر بني زيان وكيف حاصر تلمسان وضيّق عليها

---

[1] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص97-98.

[2] – ابن خلدون، العبر، ج7، ص 536 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 219 – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 144-146 – أبو الفداء، المصدر السابق، ج2، ص 514-515.

الحصار، وقذفها بالمجانيق، وكيفيّة اقتحامها، وقتل ملكها أبا تاشفين[1]، فكتب له الملك الناصر برسالة، هنّأه فيها بمنجزاته، و أبدى له تأييد المماليك لبني مرين[2].

وجاء في رسالة أبي الحسن :" ...**فإنا كتبنا إليكم ... من منصورة "تلمسان" حرسها الله تعالى،... لمواصلة الكتب بسار الأنباء، فإن من أقربها عهدا، وأعذبها حديثا يهادى ويهدى، ما كان من أمر العاق قاتل أبيه، الحال من إقليم تلمسان وممالكها بالمحل النبيه..."[3]**، حيث يخبر أبو الحسن المريني سلطان المماليك بأخبار حملاته بالمغرب الأوسط، واصفا أبا تاشفين عبد الرحمن الأول بالعاق قاتل أبيه، ويواصل ذكر نبذة من تاريخ بني زيان وعلاقتهم العدائية مع مرين حتى حدوث الحصار الطويل، إذ يقول:"**وذلك أن أسلافه بني زيان، كانوا قد استولوا على هذه المملكة في سالف الزمان، ولم يزل بينهم وبين أسلافي المحتوين على ملك المغرب الأقصى وقائع تورد الحمام، وتذيقهم الموت الزؤام، فيدعون المنازعة، ويعودون للموادعة، ثم لم يلبثوا، أن ينكثوا، ولم يصبروا، أن يغدروا،إلى أن كان من حصار عمنا المقدس المرحوم أبي يعقوب قدس الله تربته إياهم، فأكثر موتهم وكدر محياهم، وتمادى بهم الحصار تسع سنين، وما كانوا غير شرذمة قليلين**"[4]. ويذكر الناصر المملوكي بعلاقاته مع أبي يعقوب المريني قائلا :"**وهنا لكم اتصلت بينكما المراسلة، وحصلت الصداقة والمواصلة، حتى حم موته، وتم فوقه، رحمة الله تؤمه، ورضوانه يشمله ويعمه، فنفس خناقهم، وعاد إلى الإبدار محاقهم، وصرف القائم بعده عنهم الحين، عما كان هو رحمه الله قد طوع من بلاده مغراوة وتجين، فاتسعت عليهم المسالك، وملكوا ما لم يكن فيه لأوائلهم طمع من الممالك، لكن هذا الخائن وعمه كانا ممن أسأرته الفتن، وعم به من غوامر المحن، فسلكا مسلك أسلافهما في إذاعة المهادنة، والزوغان من الإعلان بالمفاتنة"[5]**. ثم يذكر علاقة أبي تاشفين مع السلطان أبي سعيد المريني، والسبب الذي دعا إلى قبول السلم معه وهو المصلحة، لكن أبا تاشفين برزت له طموحات في التوسع على حساب

---

[1] - القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 87-99.

[2] - المصدر نفسه، ج7، ص 395-407.

[3] -لقلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص90.

[4] - المصدر نفسه، ج8، ص 90.

[5] - القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص90.

أراضي الدولة الحفصية:"**ولما سول الشيطان لهذا العاق قتل والده، والاستيلاء على طارفه وتالده، لم يقدم عملا على إشخاص إرساله بحضرة مولانا المقدس أبي سعيد.. فاقتضى النظر المصلحي حينئذ موافقته في غرضه، وإن كان باطنه على مرضه، فقوى أمره.. وسرى إلى بلاد جيرانه الموحدين داؤه، وطال عليهم تضييقه واعتداؤه، واستشعر ضعفهم عن مدافعته، ووهنهم عن مقاومته.. وأقام على بجاية عشرين سنة يشد على بجاية الحصار، ويشن على أحواز تونس الغار.. فأدى ذلك صاحبها السلطان أبا يحيى أعزه الله تعالى أن بعث إلينا وزيره في طلب النصرة رسولا.. فخاطبنا إذ ذاك هذا الخائن العاق مبصرين، وبقوله تعالى " وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما" مذكرين، فما زادته الموعظة إلا أشرا، ولا أفادته التذكرة إلا بطرا، وحين ذكر فلم تنفعه الذكرى، وفكر فلم يتيسر لليسرى، امتثلنا فيه أمر الله تعالى المرتب على قوله " فإن بغت إحداهما على الأخرى" فأزمعنا قدعه، وأجمعنا رد ردعه"**[1].

ومنذ استيلاء أبي الحسن المريني على تلمسان، امحت الدولة الزيانية من الخريطة السياسية للمغرب الإسلامي، وتواصل الأمر أيام ابنه أبي عنان فارس أي بين سنتي 737-760هـ/1337-1360م، ما عدا الفترة الانتقالية التي ميزها عودة أبي ثابت، ثم تجددت معالمها بعد موت أبي عنان ومجيء أبي حمو موسى الثاني للحكم، لكن لم نعثر من بين الوثائق والمصادر المتاحة لنا أية مراسلات بينه وبين المماليك وذلك أمر يصعب تفسيره، خاصة وأن السلطان أبي حمو الثاني محيي الدولة الزيانية كان مهتما بتوطيد حكمه وبعث الدولة إقليميا ودوليا. واستمر الوضع إلى غاية انتقال الحكم إلى أيدي الجراكسة في القاهرة، وهنا تسجل لنا المصادر عودة جو العلاقات الودية.

العلاقات في عهد المماليك الجراكسة:

4 – هدية أبي زيان إلى الظاهر برقوق:

تولى أبو زيان الحكم في تلمسان بعدما تم إطلاق سراحه من طرف بني مرين في عهد أبي فارس، واستمر حكمه بين سنتي (796 هـ – 801هـ /1394- 1399م)[2].

---

[1] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص91.

[2] – التنسي، تاريخ بني زيان، المصدر السابق، ص 210.

وقد عاصر عهده حكم الملك الظاهر برقوق أول ملوك الجراكسة، ولما قامت دولة المماليك الجراكسة، وقد بعث هذا الأخير بهدية إلى ملوك المغرب، ومنهم السلطان الزياني أبي زيان محمّد بن أبي حمو سنة 799هـ/1397م، محاولة منه لكسب التأييد لحكمه وتلطيف جو العلاقات الودية بعد القضاء على سلطة المماليك البحرية.

وكانت الهدية الموجهة إلى الأمير الزياني مكوّنة من القماش والطيب، فردّ عليه أبو زيان بهدية أخرى مكوّنة من ثلاثين من الجياد المسرّجة والأقمشة، ومعها قصيدة من نظمه يمدح فيها الظاهر برقوق[1].

وأورد القصيدة كل من المؤرخين عبد الرحمن بن خلدون، ومحمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي[2]، وهي من البحر الكامل.

وتضمنت الرسالة عبارات الشوق إلى المقام النبوي بأرض الحجاز، ثم انتقلت إلى ذكر العلاقات الطيبة والودية التي كانت بين الملكين الزياني والمملوكي.

وكانت هذه السفارة والهدايا المتبادلة قد ساهمت في التخفيف من حدّة التوتر في العلاقات السياسيّة التي كانت في عهد المماليك البحرية.

لكن منذ هذه الفترة لا نجد أية مراسلات بين الدولتين إلى غاية سقوط دولة المماليك سنة 923هـ/1517م، وهو الوقت نفسه الذي شهدت فيه تلمسان بداية التدخل التركي العثماني عن طرق الأخوين عروج وخير الدين، وفي ظل غياب الشواهد التاريخية لا نجد موقفا واضحا من الزيانيين في مسألة سقوط الدولة المملوكية وقيام الدولة العثمانية التي سوف تضم إلى أجزائها أراضي المغرب الأوسط منذ إنهاء العرش الزياني سنة 962هـ/ 1554م[3].

ثانيا: العلاقات بين الدولة النصرية والمماليك:

إن الأحداث السياسية والعسكرية التي شهدتها الأندلس خلال القرن 7هـ/13م وإلى غاية سقوط غرناطة سنة 897هـ/1492م كان لها الصدى الواسع في أقطار العالم الإسلامي مشرقا ومغربا، وكانت أخبار حركة الاسترداد التي قادها النصارى ضد المدن الإسلامية تصل أصداؤها إلى

---

[1] – التنسي، المصدر السابق، ص 220 .

[2] – التنسي، المصدر نفسه، ص ص 221 – 227.

[3] – صالح عباد، **الجزائر خلال الحكم التركي 1514–1830**، ط3، دار هومة، الجزائر، 2011، ص71-73.

سلاطين المماليك الذين كان لزاما عليهم نصرة مسلمي الأندلس بكل الوسائل العسكرية والدبلوماسية تلبية لنداء رابطة الدين الإسلامي ورد الخطر المشترك.

وقد اهتم ملوك بني نصر بالمراسلات مع المماليك وإخبارهم بتطورات الأوضاع المزرية التي كان يعيشها مسلمو الأندلس.

وكان المماليك يعتبرون أنفسهم المدافعين عن حقوق المسلمين في العالم الإسلامي، لأن بلدهم هي مقر الخلافة الإسلامية، وكانوا في مراسلاتهم حريصين على إظهار مسألة زعامتهم للعالم الإسلامي، وكان السلطان منهم يلقب بـ:" **سلطان الديار المصرية والبلاد الساحلية والبلاد الشامية والبلاد الحلبية، وبلاد قلعة المسلمين الأشرفية، سلطان الملوك، ملك الشرق بأسره، سلطان النوبة، بلاد ملك داوود سلطان بيت المقدس، خادم الحرمين...**"[1].

ويتضح حرص المماليك على حماية مسلمي الأندلس من خلال المراسلات التي كانت توجه من القاهرة إلى الممالك النصرانية في شبه الجزيرة الإيبيرية، مع مراعاتهم للحفاظ على المصالح السياسية والاقتصادية التي كانت تربطهم بالملوك الإسبان، وفي هذا الصدد تسجل لنا المصادر والوثائق الكثير من المراسلات التي تتضمن هذا الموضوع.

1 – موقف مماليك مصر من تصاعد المد النصراني في شبه الجزيرة الإيبيرية:

عمل المماليك على الاحتفاظ بعلاقاتهم مع الدول النصرانية في الأندلس رغم حربهم الشرسة ضد المسلمين، وذلك ما نستشفه من المراسلة التي تمت بين السلطان المملوكي الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون(689-693هـ/1290-1293م) وملك أرغون خايمي الثاني[2].

وكان موضوع الرسالة الأساسي هو عقد الهدنة والمصالحة بين دولة المماليك البحرية وبين الممالك النصرانية بجنوب غرب أوروبا، وجاء فيها:" **استقرت المودة والمصادقة بين الملك**

[1] – كالجدير بالذكر أن كل المراسلات التي كانت تصدر عن ديوان الإنشاء المملوكي كانت تفتتح بتلك العبارات، أنظر الملاحق، الجزء الخاص بالرسائل.

[2] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج14، ص ص75-82.

الأشرف وبين حضرة الملك الجليل المكرم الخطير الباسل الأسد الضرغام المفخم المبجل دون حاكم الريد أرغون وأخويه دون ولذريق ودون بيدرو، وبين صهريه الذين طلب الرسولان الواصلان إلى الأبواب الشريفة عن مرسلهما الملك دون حاكم يكونا داخلين في الهدنة والمصادقة، وأن يلتزم الملك دون حاكم عنهما بكل ما التزم به عن نفسه ويتدرك أمرهما، وهما الملك...دون شانجه ملك قشتالة وطليطلة وليون وبلنسة وأشبيلية وقرطبة ومرسية وجيان والغرب، الكفيل بمملكة أرغون وبرتقال، والملك دون أنفونش ملك برتقال من تاريخ يوم الخميس تاسع عشر صفر سنة اثنتين وتسعين وستمائة..."[1].

وتواصل الرسالة عرض وتفصيل بنود اتفاقية هذه الهدنة وهي أن تكون غير محدودة بزمان معين ولا بنطاق جغرافي محدد، بل تكون شاملة ومفتوحة في الزمان والمكان: " **استقرار المودة والمصادقة من التاريخ المقدم ذكره على مر السنين والأعوام وتعاقب الليالي والأيام برا وبحرا سهلا ووعرا قربا وبعدا"**[2].

وضمت بنود الهدنة والمصادقة على أن لا يتعرض المماليك للبلاد النصرانية، وألا يتعرض الأرغونيون وحلفاؤهم للبلاد التي هي تحت الحكم المملوكي والتي جاءت الرسالة بذكرها على وجه التفصيل[3].

و نلمس من الرسالة اعتراف الملك الأشرف بممالك النصارى في الأندلس، وكذلك سعيه لعقد حلف عسكري معهم ضد القوى والممالك الأوروبية الأخرى حيث يقول:" **وعلى أن الملك دون حاكم هو وأخواه وصهراه أصدقاء من يصادق الملك الأشرف وأولاده، وأعداء من يعاديهم من سائر الملوك الفرنجية"**[4].

---

[1] - المصدر نفسه، ص76- عزاوي، العلاقات، ج2، ص ص 204-205

[2] - عزاوي، العلاقات، ج2، ص 205

[3] - القلقشندي، صبح الأعشى، ج14، ص 76

[4] - القلقشندي، المصدر نفسه.

كما تضمنت المعاهدة بنودا متعلقة بالدفاع المشترك وحرية التجارة بين إسبانيا وبلاد المماليك، وحرية زيارة القدس بالنسبة للنصارى الإسبان[1].

والغريب في الأمر أنها لم تتضمن ولا بندا متعلقا بالمسلمين في الأندلس وما كانوا يتعرضون إليه من اضطهاد، وركز الملك الأشرف على أن تكون هذه المعاهدة أبدية ودائمة وختم الرسالة بقوله:" **تستمر هذه المودة والمصادقة على حكم هذه الشروط المشروحة أعلاه بين الجهات على الدوام والاستمرار، وتجري أحكامها وقواعدها على أجمل الاستقرار، فإن الممالك بها قد صارت مملكة واحدة وشيئا واحدا لا تنتقض بموت أحد من الجانبين، ولا بعزل وال وتولية غيره، بل تؤبد أحكامها، وتدوم أيامها وشهورها وأعوامها...**"[2].

إن التفسير الذي يمكن أن نقدمه لموقف الملك الأشرف من الممالك النصرانية هو أنه كان يرمي إلى تحقيق مصالحه الإقليمية والدولية، ففي حين كان مسلمو الأندلس في محنة كبيرة بسبب حركة الاسترداد التي قادتها كل من مملكة أرغون وقشتالة، كان المماليك يسعون إلى المهادنة، ربما لكسب الوقت أو لصرف انتباه النصارى في جنوب غرب أوروبا عن نصرة نصارى المشرق، وكذلك للتفرغ من أجل رد الأخطار التي كانت تهدد الدولة المملوكية من الشمال والشرق.

والنقطة الثانية التي تطرح نفسها هي مدى إحاطة ملوك المغرب الإسلامي خاصة بني مرين الذين كانت علاقاتهم جيدة مع المماليك بخبر هذه المعاهدات التي لم تكن في صالح العالم الإسلامي، ربما إلا فيما يخص حرية التجارة والملاحة وحرية زيارة البقاع المقدسة لدى المسيحيين في المشرق، ولما كان المرينيون هم المسؤولين عن الجهاد في الأندلس فإنهم كانوا في حاجة إلى الدعم المادي والمعنوي من طرف المماليك حتى يتقووا بهم ضد النصارى المتحالفين، لكن ذلك ما لم يكن إلا في المكاتبات الرسمية لا غير.

ويمكن القول إنه في ظل الجهاد المستمر للمرينيين والنصريين من أجل الحفاظ على ما تبقى للمسلمين من أراض في الأندلس كان الملك الأشرف يسعى لتحقيق هدنة طويلة الأمد مع النصارى.

---

[1] - عزاوي، العلاقات، ج2، ص ص205-210

[2] - عزاوي، المرجع نفسه، ص210.

وقد استمرت هذه المهادنات والمعاهدات على هذه الوتيرة بين المماليك والأرغونيين والقشتاليين الذين كانوا يعتبرون أنفسهم المدافعين عن النصارى في بلاد المشرق، وفي عهد الملك الناصر المملوكي نشطت المراسلات بين الطرفين وكانت معظم الرسائل بخصوص الكنائس النصرانية بمصر وحرية التجارة بين البلدين[1]، وفي سنة 723هـ/1323م بعث برسالة إلى ملك أرغون طرح فيها بجدية مسألة المسلمين الأندلسيين الذين كانوا تحت السيادة الأرغونية، فقد كانوا يحرمون من إقامة الآذان والصلاة في المساجد عكس نصارى مصر الذين كانوا يتمتعون بحرية أداء الشعائر الدينية، وجاء في الرسالة المملوكية :" ...**ونحن نعرفه أنه بلغنا أن جماعة المسلمين الذين في بلاده الذين استقروا بها بعدما استقرت عليهم أحوالهم، لهم عوائد متقدمة بالكرامة والرعاية، وعدم المعارضة في المساجد المستقرين بها، وأنهم الآن ربما تغيرت عوائدهم في ذلك وصاروا لا يتمكنون من التأذين في مساجدهم، وإقامة الصلاة بها"**[2]. وتواصل الرسالة أن هدف الملك الناصر المملوكي هو أن يحترم المسلمون في بلاد الأندلس وأن يسمح لهم بأداء الشعائر الدينية في المساجد حيث يقول:" **والمراد من محبته الصادقة أن يتقدم بالوصية التامة بجميع من في بلاده من المسلمين وإجرائهم على أجمل عوائدهم، وأكمل قواعدهم، ولا يغير عليهم مغير في مساجدهم، والإعلان بصلاتهم، وكف الضرر عنهم ورعاية جانبهم"**[3].

وختمت الرسالة بتذكير الملك الأرغوني بأن سلطان المماليك هو الحامي للديار الإسلامية والمسؤول عن كل مسلمي العالم ممن لا يقطنون في البلدان الإسلامية:" **فهو يعلم أننا قد ألقى الله تعالى إلينا مقاليد سائر أهل الإسلام حيث كانوا وأين كانوا، فأي مكان وجد به أحد من المسلمين كانوا متعلقين بنا ويتعين علينا رعايتهم، فيفعل في أمرهم ما يتخذ له أكمل المودة وأجمل الصحبة، وهمته تغني عن التوكيد في ذلك** ..."[4].

---

[1] – أحمد عزاوي، العلاقات، ج2، ص211 وما يليها.

[2] – عزاوي، المرجع السابق، ص287.

[3] – عزاوي، العلاقات، ج2، ص228.

[4] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ويمكن القول بأن الملك الناصر المملوكي قد حاول قدر الإمكان ممارسة سلطته كحامي للمسلمين في العالم المسيحي بالخصوص، مستغلا في ذلك ظروف القوة التي كانت تعيشها بلاده، كما لا يجب إغفال الدور الهام لبني مرين في المغرب الإسلامي، ما أعطى دعما لموقف الملك الناصر في علاقاته مع النصارى في الأندلس.

وفي خضم هذا الجو سجلت لنا المصادر وجود الكثير من المراسلات الدبلوماسية بين ملوك بني نصر وسلاطين المماليك دارت في عمومها حول أخبار الأندلس أو الاستنجاد بالمماليك فضلا عن وجود مراسلات أخرى من ملوك غرناطة إلى الحرمين الشريفين وعرفت بالرسائل النبوية، وفيما يلي عرض لمحتوى الرسائل ومن خلالها نتتبع تطور العلاقات الدبلوماسية بين الدولة النصرية والمملوكية.

2 – رسالة من السلطان النصري الغني بالله إلى السلطان المملوكي المنصور بمناسبة استرجاع منصبه (شوال – ذو القعدة 763هـ/1362م):

يعد السلطان محمد الخامس الملقب بالغني بالله من أشهر ملوك بني نصر وأقواهم، وقد تولى الحكم على فترتين الأولى من 755-760هـ/1354-1359م [1]، وأعلن ولاءه لملك قشتالة بطرس الأول وعمل على إقامة علاقات ودية مع ملوك النصارى، كما سعى إلى إرضاء بني مرين بمساعدة وزيره لسان الدين بن الخطيب الذي قدم إلى فاس وتم استقباله بحفاوة[2].

وفي سنة 760هـ/1357م تولى إسماعيل الثاني الحكم بعد عملية انقلابية داخل الأسرة النصرية الحاكمة، واستمر في الحكم إلى غاية سنة 762هـ/ 1361م[3] حيث عاد إلى الحكم للمرة الثانية محمد الخامس وتلقب بالغني بالله واستمر في منصبه إلى غاية سنة 794هـ/1392م، وبهذه

[1] – لسان الدين بن الخطيب، اللمحة البدرية، ص113- 115.

[2] – يوسف شكري، المرجع السابق، ص37.

[3] – لسان الدين بن الخطيب، اللمحة البدرية، ص126.

المناسبة راسل السلطان المملوكي المنصور قلاوون، حيث أن الغني بالله أراد توطيد العلاقات الودية مع المماليك في الجانب السياسي والاقتصادي[1].

وقد أورد الرسالة كل من لسان الدين بن الخطيب الذي تولى كتابتها عن السلطان النصري في كتابيه ريحانة الكتاب ونفاضة الجراب[2]، والقلقشندي في كتابه صبح الأعشى[3]، والمقري في كتابه نفح الطيب[4].

وافتتحت الرسالة بذكر الألقاب الملوكية مما اختص به سلاطين المماليك في المكاتبات وتم وصف المنصور ب:" **هازم الفرنج والترك والتطار، الملك المنصور**..."[5]، وهي إشادة بالمماليك الذين بلغوا مرتبة من القوة مكنتهم من مجابهة كل القوى الخارجية التي كانت تهدد العالم الإسلامي في المشرق والمغرب، وقهرهم للمغول والتتار من الشرق وللصليبيين في سواحل الشام ومصر.

وتواصل الرسالة :" **فإنا كتبنا إلى تلك الأبواب الشريفة... من دار ملك الإسلام بالأندلس حمراء غرناطة**"[6]، كما تحدثت عن المؤامرات والدسائس التي جرت داخل البيت النصري وما نتج عنها من انقلابات وخلع للأمير الغني بالله وكيفية لجوئه إلى المغرب لاجئا عند ملوك بني مرين في فاس، والذين اعترف بكرمهم وضيافتهم خاصة السلطان أبي سالم بن أبي الحسن وحسن استقباله :" **وجزنا البحر ... ونزلنا من جناب سلطان بني مرين على المثوى**

---

[1] – يوسف شكري، المرجع السابق، ص41.
[2] – لسان الدين بن الخطيب، ريحانة الكتاب، ج1، ص ص 490-501 – نفاضة الجراب، ج3، ص ص 193 – 200.
[3] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج7، ص442.
[4] – المقري، نفح الطيب، ج1، ص ص 321 – 326.
[5] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج7، ص442.
[6] – المقري، نفح الطيب، ج1، ص322.

الذي رحب بنا ذرعه ودل على كرم الأصول فرعه، والكريم الذي وهب فأجزل ونزل لنا عن الصهوة وتنزل وخير وحكم...."[1].

ثم وصفت الرسالة الكيفية التي عاد بها الغني بالله إلى الحكم والظروف الداخلية السياسية والاقتصادية لمملكة غرناطة التي عانت من المجاعة والضغط العسكري من طرف القشتاليين. وختمت الرسالة بعبارات الولاء للمماليك :" **ورأينا أن نطالع علومكم المشرفة بهذا الواقع تسبيبا للمفاتحة المعتمدة، وتمهيدا للموالاة المجددة...."**[2].

وتضيف الرسالة :" **وبلادكم ينبوع الخير وأهله ورواق الإسلام... ونحن نستوهب مظان الإجابة لديكم دعاءا يقوم لدينا مقام المدد ويعدل منه الشيء بالمال والعدد"**[3].

3- جواب السلطان المنصور المملوكي للغني بالله النصري[4]:

في شهر جمادى الأولى سنة 765هـ/1364م أرسل السلطان المنصور قلاوون رسالة إلى الغني بالله النصري، وجاء فيها :" **وأما غير ذلك فقد وصل رسول الحضرة العلية إلينا، وتمثل بمواقفنا المعظمة، ومحال مملكتنا المكرمة، وأقبلنا عليه، وضاعفنا الإحسان إليه، وأدى إلينا ما تحمله من المشافهة الكريمة، ورسائل المحبة والمودة القديمة، فرسمنا بإجابة قصده... وقضاء شغله الذي حضر فيه"**[5]. والمقصود أن الرسول النصري الذي حمل الرسالة الأندلسية إلى مصر كان يحمل رسالة شفوية تضمنت طلب مبلغ من المال كإعانة لخزينة غرناطة. وقد ذكرت الرسالة المملوكية قيمة الإعانة المملوكية والمقدرة ب 1000 دينار مصرية:" **ومسامحة**

---

[1] - المقري، نفح الطيب، ج1، ص324.

[2] - القلقشندي، صبح الأعشى، ج7، ص444.

[3] - القلقشندي، صبح الأعشى، ج7، ص444.

[4] - المصدر نفسه، ص ص 442- 444.

[5] - المصدر نفسه، ص 444.

الحضرة العلية بما يتعين على ما قيمته ألفا دينار مصرية حسب ما عينه رسوله المذكور"[1]، وهنا يظهر الملك المنصور مدى سخائه مع ملوك الدول الإسلامية في المغرب إذ يقول في الرسالة:" **ولو كان سألنا أضعاف ذلك لأجبنا سؤاله من غير ترو ولا فتور، وقد جهز إليه صحبته ما أنعمت به صدقاتنا الشريفة عليه من الدرياق ودهن البلسان"**[2]، وهي إشارة إلى تبادل الهدايا بين الملوك، وقد اعتاد المماليك على أن يبعثوا هذه الأشياء مع رسلهم وسفاراتهم إلى ملوك المغرب.

4 – موقف بني نصر من حملة الجنويين على الإسكندرية سنة 767 هـ/1366 م:

في ظل الظروف السياسية المتوترة التي كانت تعيشها الأندلس بسبب الهجمات النصرانية المتكررة على المدن والبوادي والثغور الإسلامية، كان الصليبيون في المشرق يسعون إلى بسط نفوذهم على سواحل بلاد الشام ومصر، وفي هذه الظروف جاءت الحملة التي قادها الجنويون الذين سيطروا على جزيرة قبرص منذ 708هـ/1308م واتخذوها منطلقا لحملاتهم ضد السواحل المملوكية، وفي يوم الأربعاء 22 محرم 767هـ استقروا قرب ساحلها ودخلوها يوم الجمعة في النهار بعد أن حرقوا أبوابا منها وقتلوا من أهلها وأسروا الكثير وأخذوا منها الأموال، وأقاموا بها قرابة الأسبوع حتى ليوم الأربعاء الموالي حين قدم إلى المدينة الجيش المملوكي، وانتهت الأزمة بأضرار جسيمة، واتخذ المماليك قرارات خصت النصارى المقيمين في دولتهم، وبدأت الاستعدادات لغزو قبرص كرد فعل على هذه الحادثة[3].

---

[1] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[2] – نفسه.

[3] – ابن كثير، البداية والنهاية،تح: جودت محمد، ج14، ص 250-252.

ولما وصل الخبر إلى الملك النصري الغني بالله أمر وزيره لسان الدين بن الخطيب بكتابة رسالة[1] إلى السلطان المملوكي الأشرف شعبان[2] يبين فيها تضامن النصريين مع المماليك في هذه الفاجعة[3].

5 – ازدياد الخطر النصراني على المملكة النصرية والاستنجاد بالمماليك:

تزايدت هجمات القشتاليين على المدن والحصون النصرية في ظل الانقسام الذي حل بالبيت النصري، فبعد وفاة محمد الخامس الغني بالله في 793هـ/1391م تولى بعده مجموعة من الأمراء أدخلوا الدولة النصرية في الفوضى والصراعات السياسية، وانتهزت قشتالة الفرصة للتسريع في حركة الاسترداد النصرانية، فتارة يعقد ملوكها الصلح مع النصريين لربح الوقت ثم ينقضون العهد ويباشرون غزو الأراضي الأندلسية[4].

وفي ظل هذه الظروف عمل حكام غرناطة على مراسلة سلاطين المماليك من أجل الاستنجاد بهم ضد النصارى، وتسجل المصادر أن الأندلسيين قد راسلوا السلطان المملوكي الملك الظاهر جقمق[5] سنة 844هـ/1440م يستنجدون به لنصرتهم، كما راسلوا السلطان الملك الظاهر خشقدم سنة 868هـ/1463م، لكن يبدو أن المماليك كانوا في انشغال حقيقي بأمورهم

[1] – لسان الدين بن الخطيب، ريحانة الكتاب، ج1، ص ص 295-303 – القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص ص 107-115.

[2] – هو ناصر الدين شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون تولى الحكم 764 هـ إلى غاية 778هـ. ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص 239.

[3] – انظر الملاحق.

[4] – حول اتفاقيا الصلح بين الدولة النصرية وملوك إسبانيا المسيحيين يمكن الرجوع إلى دراسة أحمد عزاوي، العلاقات، ج3، ص ص 89-136.

[5] – هو السلطان أبو سعيد جقمق بن عبد الله العلائي الظاهري الرابع والثلاثون من سلاطين المماليك تولى الحكم في 842هـ إلى غاية 857هـ وكان ملكا حكيما وعادلا ومحبا للعلم. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج4، ص ص 275-312 – النجوم الزاهرة، ج15، ص ص 256-462 – السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص 71.

الداخلية والخارجية التي تهدد حدودهم خاصة في ظل تنامي قوة العثمانيين الذين سعوا جاهدين إلى الاستيلاء على الشام ومصر والخلافة فلم يتسنى للمماليك تقديم أي نوع من أنواع المساعدة.

6 – استنجاد الأندلسيين بالأشرف قايتباي:

تولى أبو عبد الله الزغل حكم غرناطة عقب أخيه أبي الحسن علي سنة 890هـ/1485م في إمارته الأولى وفي عهده اندلعت فتنة في مدينة غرناطة دامت لمدة سنتين وانقسمت المملكة إلى شطرين[1].

وفي هذه الأثناء حاصر القشتاليون مدينة بلش ودخلوها صلحا وارتحل سكانها إلى غرناطة وبلاد المغرب، كما قاموا بحصار مدينة لوشة في شهر 26 جمادى الأولى سنة 891هـ/ 30 ماي 1486م ورحل سكانها إلى العاصمة النصرية[2]. ثم طوق القشتاليون مدينة مالقة من البحر والبر وتحصن بداخلها الأندلسيون المسلمون، وكان الزغل في وادي آش فاستنجد بملوك عدوة المغرب، كما حل الشيخ **أبو عبد الله محمد بن الأزرق** على السلطان المملوكي يستنجده في شأن إنقاذ الأندلس والذي يقول عنه المقري:"**ودخل تلمسان لما استولى العدو على بلاد الأندلس ثم ارتحل إلى المشرق فدخل مصر واستنهض عزائم السلطان قايتباي لاسترجاع الأندلس، فكان كمن يطلببيض الأنوق أو الأبيض العقوق، ثم حج ورجع إلى مصر فجدد الكلام في غرضه فدافعوه عن مصر بقضاء القضاة في بيت المقدس....**"[3].

ويبدو من كلام المقري أن هذا العالم الجليل قد سعى جهده في دعوة المماليك إلى التدخل في الشأن الأندلسي، لكن رغبته لم يكن تحقيقها لمجموعة من العوامل أهمها البعد الجغرافي بين مصر وغرناطة واشتغال المماليك بالمشاكل السياسية والصراع مع العثمانيين إضافة إلى العلاقات الدبلوماسية التي ربطتهم مع ملوك أوروبا عامة والمصلح التجارية المتبادلة، فلم يكن منهم سوى توجيه سفارات

---

[1] – المقري، نفح الطيب، ج4، ص 519.

[2] – المقري، نفح الطيب، ج4، ص ص 523 – 529.

[3] – المصدر نفسه، ج2، ص 702.

مملوكية إلى الممالك الأوربية يطالب فيها بالكف عن أذية المسلمين والتوقف عن طردهم من ديارهم وإلا سيعامل النصارى المشارقة بنفس الأسلوب، وهو ما اعتاد المماليك القيام به في الكثير من المناسبات، لكن القشتاليين والأراغونيين لم يكترثوا لهذه التهديدات لعلمهم باشتغال المماليك بالأزمات الأكثر قربا من حدودهم[1].

وفي ظل الصمت الوطاسي والحفصي والزياني والعثماني والمملوكي على الأزمة الأندلسية واصلت قشتالة حركة الاسترداد في الأراضي الإسبانية واحتلت مدينة مالقة بعد حصار دام ثلاثة أشهر أكل فيها المالقيون الجلود وأوراق الأشجار وتعبوا وأصابهم الجوع والمرض فاستسلموا وسمح لهم بالرحيل إلى المغرب سنة 892هـ/1487م[2].

ثم دخل القشتاليون مدينة بسطة صلحا ثم حاصروا مدينة المرية وتم تسليمها في السنة نفسها، وأسرع الزغل إلى الدخول تحت لواء قشتالة ثم تنازل عن كل شيء ودخل إلى المغرب واستقر به المطاف في تلمسان[3].

وبعد سقوط كل المدن النصرية بيد القشتاليين بقيت العاصمة غرناطة التي أرسل الإسبان إلى ملكها أبي عبد الله من أجل تسليمها وبعد الرفض تمت محاصرتها من طرف الملك فردناندو والملكة إيزابيلا وفشلت محاولات الاقتحام إلى غاية شهر المحرم من سنة 897هـ/1491م وما ضاق الحال بأها المدينة تقرر تسليمها وفق معاهدة تم التوقيع عليها في شهر 25 ديسمبر 1491م وهو يوم عيد الميلاد لدى المسيحيين الكاثوليك، وتم دخول النصارى إليها في شهر جانفي سنة 1492م[4].

---

[1] – شكري فرحات، المرجع السابق، ص52.

[2] – المقري، نفح الطيب، ج4، ص ص 523-529.

[3] – المصدر نفسه، ج4، ص 522.

[4] – المصدر نفسه، ص 526.

الفصل الثالث

العلاقات السياسية بين الدولة المرينية والمماليك

1- بداية العلاقات المرينية المملوكية

2- العلاقات في عهد يوسف بن يعقوب

2-1- سفارة سنة 700هـ/1300م

2-2- سفارة سنة 703هـ/1303م

2-3- وفادة ابن أمير مكة على المغرب

2-4- سفارة سنة 704هـ/1304م

2-5- السفارة المملوكية إلى المغرب سنة 705هـ/1305م

3- العلاقات في عهد أبي الحسن المريني

4- العلاقات في عهد أبي عنان فارس

5- العلاقات في عهد أبي فارس

6- العلاقات في عهد أبي العباس وأبي عامر

7- العلاقات في عهد أبي سعيد عثمان

اعتبرت الدولة المرينية أقوى دولة بالمغرب الإسلامي عقب سقوط دولة الموحدين، وذلك بفضل مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية، حيث قامت على أسس متينة ونظم واضحة، كما أنها حملت لواء الجهاد بالأندلس، كما قامت بعدة حملات على المغرب الأوسط والأدنى، وربطتها علاقات قوية مع الدولة المملوكية منذ قيامها، وكان المماليك ينظرون إليها على أنها الأحق بتمثيل بلاد المغرب الإسلامي.

1- بداية العلاقات بين بني مرين والمماليك:

عمل سلاطين الدولة المرينية على توطيد ركائز حكمهم ببلاد المغرب، كما ركزوا على الفوز تأييد الدول القوية كدولة المماليك، وفي هذا الصدد يقول عبد الرحمن بن خلدون:"... **ولم تزل ملوك المغرب على القدم ولهذا العهد، يعرفون لملوك الترك حقهم ويوجبون لهم الفضل والمزية، بما خصهم الله من ضخامة الملك، وشرف الولاية بالمساجد المعظمة، وخدمة الحرمين الشريفين، وكانت المهاداة بينهم تتصل بعض الأحيان، ثم تنقطع بما يعرض في الدولتين من الأحوال"**[1]، وفي ذلك إشارة إلى أن المرينيين كانوا يحرصون على احترام وتوقير السلاطين المماليك، نظرا لما كان لهم من فضل في خدمة البقاع المقدسة بالحجاز، فضلا عن كونهم حكموا رقعة جغرافية مترامية الأطراف وتعاملوا مع أقوى الدول في المشرق وأوروبا.

والظاهر من المصادر التي أتيحت لنا أن العلاقات المرينية المملوكية بدأت فعليا في عهد الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون الصالحي، وكان يعاصره في فاس في أول عهده السلطان أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني، لكن بعض المصادر تشير إلى وجود علاقات بين البلدين منذ عهد الملك المنصور قلاوون، فقد أورد الشيخ ابن حجر العسقلاني[22] في كتابه

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج5، ص 479.

[2] – شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد الكناني العسقلاني ثم المصري الشافعي (**773-852 هـ/ 1370- 1449م**)، فقيه ومحدث وأديب ومؤرخ. السخاوي، الضوء اللامع، ج2، ص 36 – السيوطي، طبقات الحفاظ، ص 552 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج15، ص 532 وللمزيد من التفاصيل حول ترجمته أنظر الباب الثاني/ الفصل الثاني.

"فتح الباري بشرح صحيح البخاري" ما يمكن أن يؤخذ على أنه توثيق لهذه العلاقات من خلال القصة التالية:

" **أنبأني غير واحد عن القاضي نور الدين بن الصائغ الدمشقي قال: حدثني سيف الدين فليح المنصوري قال: أرسلني الملك المنصور قلاوون إلى ملك المغرب بهدية، فأرسلني إلى ملك الفرنج في شفاعة فقبلها...**"[1].

والظاهر أن ملك المغرب المقصود هنا هو ملك بني مرين، لكن يصعب تحديد اسمه في ظل غياب تاريخ محدد لهذه السفارة ولأن السلطان المنصور الذي حكم مصر منذ 678هـ/1280 م إلى 689هـ/1290م قد عاصره في فاس ملكان هما أبو يوسف بن عبد الحق المريني الذي حكم من 656هـ/1258م إلى 685هـ/1286م، وابنه وخليفته أبو يعقوب يوسف، وبالتالي يبقى الأمر مترددا بيم الملكين[2].

أما هدف هذه السفارة فالأرجح أنه كان مسألة توسط ملك المغرب لدى ملك الفرنج في قضية تهم الجانب المملوكي[3].

2- العلاقات في عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني:

ازدهرت العلاقات المرينية المملوكية منذ أيام السلطان أبي يعقوب الذي بويع سنة 685هـ/1286م، وتوفي سنة706هـ/1307م وهو محاصر لمدينة تلمسان عاصمة بني عبد الواد[4]، وكان يعاصره في القاهرة الملك الناصر محمد بن قلاوون في دولته الثانية من 698هـ/1299م إلى 741هـ/1341م[5].

---

[1] - ابن أبي حجلة التلمساني، **سكردان السلطان**، دار الطباعة المصرية، القاهرة، 1288 هـ، ص58 – محمد المنوني، **ورقات عن حضارة المرينيين**، ط3، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،2000، ص170.

[2] - المنوني، ورقات، المرجع نفسه، ص170.

[3] - المقصود بملك الفرنج هنا صاحب مملكة قشتالة. الكتاني، **التراتيب الإدارية**، ج1، ص162.

[4] – ابن الأحمر، روضة النسرين، ص 17.

[5] - النويري، نهاية الأرب، ج31، ص 7.

وتميزت العلاقات خلال هذه المرحلة بتبادل السفارات والهدايا الملكية بين الدولتين مع الرسائل الدبلوماسة والتوصية بالحجيج، وكانت السفارات تذهب رفقة ركاب الحج، في حين كانت هناك سفارات تذهب في أغراض أخرى، ونسجل ثلاث سفارات خرجت من المغرب إلى مصر، وسفارة مملوكية إلى المغرب[1].

– سفارة سنة 700هـ/1301م:

هي أول سفارة انطلقت من المغرب الأقصى تجاه مصر المملوكية، وقد أشار إليها عبد الرحمن بن خلدون في العبر في العبارة التالية: " حضر في سنة سبعمائة وزير من المغرب في غرض الرسالة"[2]، وترأس وفد السفارة الأمير والوزير علاء الدين أيدغدي الشهرزوري[3]، والفقيه أبو الحسن التنسي الذي كلف بالهدايا[4].

وتذكر المصادر أن أيدغدي لما وصل مصر لفت انتباهه المكانة التي كان يتمتع بها أهل الذمة في جهاز الدولة المملوكية، وقام بإعلام السلطان الناصر بهذا الموضوع ومدى خطورته، كما أحال المسألة على الفقهاء للنظر فيها، ولما عاد إلى المغرب ساهم في رسم التوجه المريني في إقصاء الذميين من أجهزة الحكم وتسيير الدولة، وأصدر قرار رسمي بلزم اليهود والنصارى بارتداء العمائم الخاصة بهم واستبعادهم من كل المسؤوليات الرسمية للدولة المرينية[5].

– سفارة سنة 703 هـ/1303م:

توجهت هذه السفارة مع ركب الحج، وكان غرضها توصيل الحجاج المغاربة والتوصية بهم[6]، وكان هذا الركب الأول الذي بعثه المرينيون بعد مدة من الانقطاع بسبب الفتن والحروب التي

---

[1]– المنوني، ورقات، المرجع السابق، ص171.
[2] – عبد الرحمن بن خلدون، **العبر**، ج5، ص 416.
[3]. المقريزي، السلوك، ج2، ص9.
[4]. ابن خلدون، التعريف والرحلة، ص334.
[5]. ابن خلدون، العبر، ج5، ص416.
[6] – ابن خلدون،العبر، ج7، ص266.

شهدها المغرب الإسلامي عموما، واكتسى أهمية بالغة، حيث قام السلطان المريني بتجهيزه بعناية، فعين له القاضي محمد بن زغبوش أحد أعلام المغرب، رفقة فرقة عسكرية مكونة من 500 فارس سماهم ابن خلدون بأبطال زناتة[1]، وبعث معه أموالا كثيرة لتوزيعها على سكان الحرمين الشريفين مكة المكرمة والمدينة المنورة[2].

وكان مع الركب أيضا جملة من رجال العلم والصلاح يحملون المصحف الشريف الذي أهداه السلطان المريني وأوقفه على الحرم المكي، ومنهم:

أبو عبد الله القصار كبير علماء المغرب[3]، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم البقوري[4] وكان المكلف بحمل الربعة الشريفة.

وقد وصف عبد الرحمن بن خلدون هذا المصحف بقوله:" ...فأمر يوسف بانتساخ مصحف رائق الصنعة، كتبه ونمقه أحمد الحسن الكاتب المحسن، واستوسع في جرمه، وعمل غشاءه من بديع الصنعة، واستكثر فيه من مغالق الذهب المنظم بخرزات الدرر والياقوت، وجعلت منها حصاة وسط المغلق تفوق الحصيات مقدارا وشكلا وحسنا، واستكثر من الأصونة عليه"[5].

وقد وصل هذا المصحف الشريف للحرم المكي، وهناك وقف عليه العالم ابن مرزوق الخطيب وقال في وصفه:"وقد رأيت بمكة شرفها الله المصحف الذي بعث به المولى أبو يعقوب

---

1 - ابن خلون، العبر، ج7، 226.

2 - ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص284.

3 - المنزني، ورقات، المرجع السابق، ص172.

4 - قال ابن فرحون في الديباج: " وبقور بباء موحدة مفتوحة وقاف مشددة وراء مهملة بلد بالأندلس، سمع من القاضي الشريف أبي عبد الله محمد الأندلسي ووضع كتابا سماه إكمال الإكمال للقاضي عياض، وله كلام على كتاب شهاب الدين القرافي في الأصول، قدم إلى مصر وأرسل معه بعض السلاطين بالمغرب ختمة كبيرة بخط مغربي منسوب ليوقفها بمكة أو بالمدينة ورجع إلى مراكش فتوفي بها سنة سبع وسبعمائة". ابن فرحون، **الديباج المذهب**، ص322 – 323.

5 - عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص266.

بخط ابن حسني، وكان وجهه محلى بالذهب المنظوم بالجواهر النفيسة، فانتزع ما عليه، وبقي في قبة الشراف يقرأ فيه احتسابا، وقد قرأت فيه في أعوام"[1].

– وفادة لبيدة بن أبي نمي أمير مكة على السلطان المريني:

لقد كانت العلاقات بين السلطان المريني وأشراف مكة طيبة للغاية، وتذكر المصادر التاريخية أنه لما عاد ركب الحج في ربيع ثاني عام 704هـ/1304م وفد معه لبيدة بن صاحب مكة أبي نمي الذي خرج عن الملك الناصر بعدما قام هذا الأخير بالقبض على أخويه حميضة[2] ورميثة[3] عقب وفاة أبيهم سنة 702 هـ/1302م، فأكرمه السلطان يوسف بن يعقوب وسرحه إلى المغرب الأقصى للسياحة والتجوال في ربوعه، وأوصى العمال باستقباله وإكرامه، ثم رجع إلى السلطان بالمنصورة سنة 705هـ/1305م، ومنها توجه إلى المشرق صحبة أحد أعلام المغرب[4].

– سفارة سنة 704 هـ/1304م:

تعتبر السفارة المرينية لسنة 704هـ/1304م من أعظم السفارات المغربية إلى مصر المملوكية، وقد امتازت بالهدية الجليلة التي بعث بها السلطان أبو يعقوب يوسف للسلطان الناصر المملوكي، وكان السفير الحامل لها هو الأمير علاء الدين أيدغدي الشهرزوري[5].

---

[1] – ابن مرزوق الخطيب، المسند، ص 476. وأما الكاتب فهو أحمد بن حسن البلياني التلمساني المذكور في المسند لابن مرزوق. وتجدر الإشارة إلى أن السلطان المريني كان يعلن عن توجيه الكسوة للكعبة المشرفة في القبائل ويطلب من شيوخها خاصة الأشراف منهم بأن ينتدبو جماعة من رجال بيتهم لهذه المهمة الشريفة. المنوني، **ورقات**، المرجع السابق، ص173.

[2] – هو حميضة بن أبي نمى محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن، الشريف عز الدين الحسني المكي، أمير مكة (720هـ/ 1320م): ولي إمارة مكة سنة 701هـ/1301م لمدة زادت عن العشر سنوات وعلى أربع مرات، منها مرتان شريكا لأخيه رميثة، ومرتان مستقلا بها، خرج عن طاعة السلطان المملوكي وقتل في مكة. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج5، ص186.

[3] – هو رميثة بن أبي نمى محمد بن أبي سعد حسن بن قتادة بن إدريس بن مطاعن الشريف أسد الدين المكي الحسني أمير مكة (ت 746هـ/1345م): تولى إمارة مكة حوالي 30 سنة قسمت على سبع مرات، واستقل بها لمدة 14 سنة وشارك أخاه حميضة في الحكم لمدة 20 سنة وشريكا لأخيه عطيفة 5 سنين، ووقع له مع إخوته حروب حتى وفاته بمكة. ابن تغربي بردي، المنهل الصافي، ج5، ص 356.

[4] – عبد الرحمن بن خلدون، **العبر**، ج7، ص226.

[5] – كان هذا الأمير من المماليك أصحاب الأمير بهاء الدين يعقوب أمير الأكراد الشهرزورية، وتم القبض عليهم في عهد الظاهر بيبرس البندقداري هرب الأمير أيدغدي العلائي إلى بلاد البحيرة ثم دخلو الاسكندرية وكان معه شيئ من المال واجتمع مع جماعة

وكانت الهدية عبارة عن عدد من الخيل والبغال والإبل، وأصناف من الأواني المغربية، والذهب والفضة[1]. وقد بلغ عدد الخيل أربعمائة من العتاق مجهزة للقتال، والعدد نفسه للبغال[2].

وكان العالم الفقيه أبو الحسن التنسي كبير أهل الفتيا في تلمسان ممن ذهب مع هذه الهدية[3]، أما الدليل فكان أبو زيد الغفائري[4]، وانطلقت السفارة من المنصورة مقر الملك في شهر ربيع الأول سنة 704هـ/1304م[5].

وعند وصول السفارة إلى مصر أكرمهم الملك الناصر وأنزلهم الميدان، وبعث مع الحجاج المغاربة أميرا لمرافقتهم حتى قضوا الحج[6].

ولا أدل على شأن هذه السفارة من شهادة المؤرخين المشارقة كالذي يذكره بدر الدين العيني بقوله:" ...ثم سأله المريني – يقصد الأمير علاء الدين الشهرزوري – أن يحج بالمغاربة ويقضي فرضه، فأنعم له بذلك، وجهز أيضا صحبته جماعة من أهله وأقاربه، وتبعتهم جماعة كثيرة، وسير صحبته خيلا وبغالا، وتحفا سنية تصلح للملوك، وأخذ الوزير أيضا صحبته ما يليق به، ولما دخل على السلطان أكرمه وقربه وأمر بإنزالهم في الميدان، ورتب لهم ما يحتاجون إليه، ورسم للوزير والمباشرين أن يجهزوهم بكل ما أمكن"[7].

من المغاربة وركب معهم مع أصحابه ولما وصلوا إلى أبي يعقوب المريني أكرمهم وقربهم حتى تمكن من التحدث في الوزارة أي أصبح في مكانة الوزير وسار فيها سيرة حسنة وعرف أخلاق المغاربة لطول مدته عندهم. العيني، عقد الجمان، ج4، ص 346 – المقريزي، السلوك، ج2، ص9.

[1] – عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج5، ص420.

[2] – ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص285 –ابن خلدون، التعريف والرحلة، ص337.

[3] – كان التنسي ممن تصرف في الرسالة بين ملوك المغرب والمشرق وكان محترما لى السلطان المريني أبي يعقوب يوسف. يحي بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص113.

[4] - ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج1، ص454. ابمن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج8، ص215.

[5] – ابن خلدون، العبر، ج7، ص226.

[6] – العيني، عقد الجمان، ج4، ص 346.

[7] – العيني، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ويقول ابن الوردي:"... ثم دخلت سنة أربع وسبعمائة فيها وصل من المغرب كثير صحبتهم رسول أبي يعقوب يوسف بن يعقوب المريني ملك المغرب إلى مصر بهدية عظيمة خيل وبغال نحو خمسمائة بسروج ولجم ملبسة بالذهب المصري"[1].

ومن خلال هذه الشهادات المتوافقة نستخلص أهمية الروابط السياسية بين المرينيين والمماليك ودور أبي يعقوب يوسف في حشد الدعم السياسي لدولته في ظل توتر العلاقات الداخلية ببلاد المغرب الإسلامي خاصة وأن الحصار المريني الطويل على تلمسان كان في ذروته.

- السفارة المملوكية إلى بلاد المغرب سنة 705 – 706هـ/ 1305 – 1306م:

لقيت السفارة المرينية موقعا حسنا لدى الملك الناصر المملوكي، فقام هذا الأخير بإرسال هدية حملها مجموعة من الأمراء المماليك، ويقول العيني في عقد الجمان عنها : " ... وفي 705هـ عاد علاء الدين أيدغدي الشهرزوري رسول المريني إلى الحجاز، وجهز إلى بلاد المغرب، وجهز صحبته الأمير علاء الدين أيدغدي التليلي، وعلاء الدين أيدغدي الخوارزمي، وصحبتهم ما يليق من الهدايا النفيسة والتحف الثمينة، وسير صحبتهم خمسة عشر تتريا من المأخوذين في وقعة مرج الصفر[2]، وخمسة مماليك أتراك وغير ذلك"[3].

وقد انطلقت السفارة من القاهرة أواخر سنة 705 هـ/1305م، ووصلت تونس في ربيع ثاني سنة 706هـ/1306م، وفي جمادى الثانية وصلت إلى المنصورة[4].

لقد كانت هدية الناصر المملوكي لأبي يعقوب المريني مكونة من أصناف غير مألوفة من الثياب والحيوان مثل الفيل والزرافة[5].

---

[1] – ابن الوردي، تتمة المختصر، ج2، ص253.

[2] – حول هذه المعركة التي انتصر فيها المماليك على التتار سنة 702هـ قرب دمشق يمكن الرجوع إلى: العيني، المصدر السابق، ج4، ص231.

[3] – العيني، عقد الجمان، ج4، ص379.

[4] – ابن خلدون، العبر، ج5، ص227.

[5] – ابن خلدون، العبر، ج7، ص227.

ويذكر المقريزي أن عدد التتار الذين قدمهم الناصر للمرينيين احتفالا بالنصر عليهم في ظاهر دمشق كان عشرين فردا مع طبولهم وقسيهم[1].

وقد كان استقبال السلطان المريني للوفد المملوكي لائقا بالمقام، فجهز لذلك واحتفل بقدوم السفارة إلى عاصمته وبالغ في إكرام الوافدين عليه وبعثهم إلى فاس ومراكش للوقوف على محاسن بلاد المغرب وإنجازات السلطان بها، وفي هذه الأثناء أغتيل أبو يعقوب يوسف بن يعقوب المريني بمقر ملكه في تلمسان الجديدة وهو محاصر لبني زيان في عاصمتهم من طرف أحد خدمه في 7 ذو القعدة 706هـ/1307م[2]، فقدم السفراء المماليك على خليفة أبي يعقوب وهو أبو ثابت الذي أكرمهم وجهزهم للمسير بهدية أخرى من الخيل والبغال والإبل إلى الملك الناصر، وأوفد معهم ركبا عظيما من الحجاج المغاربة[3].

وهذه السفارة هي التي لقيت اعتراض قطاع الطرق من أعراب منطقة المدية ونهبها، ويذكر لسان الدين بن الخطيب أن ذلك وقع بعدما انتشر خبر وفاة السلطان المريني الذي كان يحاصر تلمسان وهو أبو يعقوب يوسف المريني[4].

وقد احتج السلطان المملوكي كثيرا على هذه الحوادث وبعث سفارة إلى بني زيان يعاتبهم فيها على عدم تأمين مسالك الوفود في المغرب الأوسط[5].

ومنذ ذلك الحين لم يعاود سلاطين المماليك إرسال السفارات إلى بلاد المغرب، وفي هذا الصدد يقول عبد الرحمن بن خلدون:" لم يعاودوا بعدها إلى المغرب سفيرا... وطالما أوفد عليهم ملوك المغرب بعدها من رجال دولتهم من يؤبه به، يهادونهم ويكافئون ولا يزيدون في ذلك كله على الخطاب شيئا"[6]، أي أن المغاربة قد سعوا لتهدئة جو التوتر الذي حصل بسبب هذه الحادثة

---

[1] – المقريزي، السلوك، ج2، ص15.

[2] – ابن خلدون، العبر، ج ، ص

[3] – المصدر نفسه، ج5، ص421/ج7، ص 227.

[4] – المنوني، ورقات، ص177.

[5] – انظر الفصل الخاص بالعلاقات الزيانية المملوكية.

[6] – عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص ص 470-471.

الحادثة مثلما فعل عبد الرحمن بن تاشفين الأول سنة 725هـ/1325م، لكن دعوتهم لم تلقى الاستجابة من طرف المماليك، فضلا عن أن المغرب الأدنى كان يشهد الكثير من الاضطرابات السياسية بسبب هجمات بني عبد الواد على التخوم الغربية للدولة الحفصية، وكذلك ثورة أهل سجلماسة بدعم من أبي تاشفين الأول ضد الحكم المريني زاد من تدهور الأوضاع وسبب عزوف المماليك عن إرسال السفارات والوفود إلى غاية الغزو المريني لتلمسان سنة 737هـ/1337م[1].

3- العلاقات في عهد السلطان أبي الحسن المريني:

لم تنقطع المراسلات والمكاتبات بين السلطان المريني أبي الحسن ومعاصره المملوكي الناصر محمد بن قلاوون ثم ابنيه الملك الصالح أبو الفداء إسماعيل ثم الملك الناصر حسن، وتبادل الطرفان خلال هذه الفترة الهدايا والتحف، ومن خلال المصادر يمكن حصر عدد السفارات في هذا العهد وهي تسع.

3-1- السفارة المغربية إلى القاهرة عام 736هـ/1336م:

تعد هذه السفارة الأولى في عهد أبي الحسن ، والمعلومات الواردة حولها هي أن المكلف بها كان الشيخ أبو عبد الله محمد بن الجراح، وكانت الغاية منها مخاطبة الملك الناصر فيما عزمت عليه والدة السلطان أبي الحسن المريني من حج بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم والصلاة بالمساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال في الإسلام، وإعلامه بالتحركات العسكرية المرينية في المغربين الأوسط والأدنى، وأمر الجهاد بالأندلس.

وقد أجاب الملك الناصر المملوكي عن الرسالة المرينية معربا عن ابتهاج وترحابه واستعداده لرعاية الأميرة والدة أبي الحسن المريني التي كان اسمها **العنبر**[2].

- سفارة عام 737هـ/1337م:

---

[1] - عزاوي، العلاقات، ج2، ص21.

[2] - وجاء في المسند الصحيح الحسن لابن مرزوق الخطيب، أنها كانت ذات أخلاق فاضلة، وكانت تشفق على اليتامى وتبذل الصدقات، وقد توفيت قبل بلوغها البيت الحرام ما بين سنتي 736-737هـ/1336-1337م.

بعد اقتحام أبي الحسن المريني لمدينة تلمسان وتوحيد المغربين الأقصى والأوسط في أواخر شهر رمضان 737هـ/1337م بعث بسفارة إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون يخبره بإنجازاته في المغربين ويشرح له كيفية اقتحام عاصمة بني عبد الواد وقتل ملكهم أبي تاشفين عبد الرحمن الأول وتأمين طرق الحجيج المغربية[1]، وكان سفير أبي الحسن هو فارس بن ميمون بن وردار[2]، ثم عادة السفارة إلى فاس برسالة تهنئة من السلطان المملوكي[3] .

وقد أورد أبو العباس القلقشندي نص الرسالتين المتبادلتين بين الملكين أبي الحسن المريني والناصر المملوكي[4] .

وافتتحت الرسالة المرينية بذكر الألقاب الخاصة بالملك المريني والسلطان المملوكي:" **من عبد الله أمير المسلمين وناصر الدين المجاهد في سبيل رب العالمين، ملك البرين وسلطان العدوتين أبي الحسن**"[5]، من هنا نلمس إحساس السلطان المريني بمسؤوليته الجسيمة في حكم وتسيير شؤون بلاد المغرب والأندلس، وأنه ممثل السلطة في كل هذه الأقاليم، والتي سعى جاهدا طيلة حكمه من أجل إخضاعها تحت سلطانه.

وتواصل الرسالة:" **إلى السلطان ... هازم جيوش الأرمن والفرنج والكرج والتتر ... خديم الحرمين ناصر الإسلام ... ظهير الخلافة وعضدها ... ولي أمير المؤمنين أبي المعالي محمد... بن سيف الدين قلاوون**"[6]. وهذه الألقاب السالفة الذكر تدل دلالة قاطعة على مدى الاحترام والتقدير الذي كان أبو الحسن المريني يكنه للناصر المملوكي، ويمكن أن نستشف منها أن الدولة المرينية كانت تعترف رسميا بالخلافة العباسية في القاهرة.

---

[1] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 87.

[2] – هو من عرب الحشم، صار في أيام أبي عنان فارس وزيرا، وكلفه بقيادة الجيش المريني إلى إفريقية، ولما تآمر على السلطان قتله عند عودته إلى فاس بتاريخ 13 ذي الحجة 758 هـ. عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 297-298.

[3] – ابن خلدون، العبر، ج7، ص264 – الناصري، الاستقصاء ج2، ص61.

[4] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص87 – 99/ ص 395 – 407.

[5] – القلقشندي، المصدر نفسه، ج8، ص88.

[6] – القلقشندي، المصدر نفسه، ج8، ص 88.

وتواصل الرسالة المرينية:" **فإنا كتبناه إليكم ... من منصورة تلمسان حرسها الله تعالى**"[1]. وكانت مدينة المنصورة أو تلمسان الجديدة عاصمة المغربين الأقصى والأوسط، والمدينة الأولى في المغرب الإسلامي ومحط رحال السفراء والعلماء والتجار.

وأشادت الرسالة بالسفير المغربي الشيخ أبي عبد الله بن الجراح الدي تولى السفارة، وحمل رسالة شفوية إلى الملك الناصر المملوكي مفادها:"... **عزم مولاتنا الوالدة ... من حج البيت المحرم، وزيارة القبر المعظم المكرم، والصلاة بالمسجد الحرام، وثالثها في شد الرحال إلى المسجد الأقصى...**"[2].

وكان مبتغى ملوك المغرب زيارة الحجاز وأداء فريضة الحج، لكن ذلك لم يتسنى لمعظمهم، إن لم نقل أن أحدا من ملوك وسلاطين المغرب الإسلامي لم يؤدي هذه الفريضة بسبب انشغالهم بالحروب والسياسة فيما بينهم، فضلا عن تسيير شؤون دولهم، فكانوا يبعثون أفراد بيتهم من الأمراء أو الأميرات ويوصون بهم لدى سلاطين المماليك.

كما قام السفير المغربي ابن الجراح بإخبار السلطان المملوكي بالتطورات السياسية والعسكرية التي كانت على عهد أبي الحسن المريني، خاصة النصر على الصليبيين في الأندلس " **وما منحنا الله من نصر لقلوب أهل الإيمان مبهج ولصدور عبدة الصلبان محرج**"، لكن أهم خبر حملته الرسالة هو دخول تلمسان سنة 737هـ/1337م، حيث نجد تشوق وتحمس أبي الحسن إلى إخبار الناصر بهذا الإنجاز العسكري الكبير إذ يقول:" **وأما تشوق ذلكم الإخاء لمواصلة الكتب بسار الأنباء، فإن من أقربها عهدا وأعذبها حديثا يهادى ويهدى، ما كان من أمر العاق قاتل أبيه الحال من إقليم تلمسان ومالكها بالمحل النبيه**"[3]، ويقصد السلطان الزياني

---

[1] - القلقشندي، المصدر نفسه، ص 89.

[2] - القلقشندي، المصدر السابق، ج8، ص 89.

[3] - القلقشندي، المصدر نفسه، ص 90.

أبي تاشفين عبد الرحمن الأول الذي قام بتدبير عملية اغتيال أبيه أبي حمو موسى الأول سنة 718هـ/1318م، بالاشتراك مع قائده هلال القطلاني وتوليه الحكم بعد ذلك[1].

كما تعرضت الرسالة لبعض من تاريخ بني زيان وعلاقة العداء التي كانت مستحكمة بينهم وبين المرينيين إذ جاء فيها:" ... **وذلك أن أسلافه بني زيان كانوا قد استولوا على هذه المملكة في سالف الزمان، ولم يزل بينهم وبين أسلافي المحتوين على ملك المغرب الأقصى وقائع تورد الحمام، وتذيقهم الموت الزؤام، فيدعون المنازعة ويعودون للموادعة**"[2].

وهذا اعتراف صريح من السلطان المريني بأن الصراع مع الدولة الزيانية هو قديم متوارث أبا عن جد، ثم تشير الرسالة إلى حصار تلمسان الطويل بقولها :" **ثم لم يلبثوا أن ينكثوا، ولم يصبروا أن يغدروا، إلى أن كان من حصار عمنا ... أبي يعقوب ... إياهم، فأكثر موتهم وكدر محياهم، وتمادى بهم الحصار سبع سنين، وما كانوا غير شرذمة قليلين**"[3].

ثم تحدثت الرسالة بالتفصيل عن اقتحام تلمسان، كما تكلمت الرسالة عن أحداث الأندلس وتدخل أبي الحسن المريني لنصرة النصريين:"**وفي أثناء ذلكم وصل إلينا أيضا سلطان الأندلس مستغيثا على النصارى أعداء الله جيرانه على طاغيتهم، المصر على عداوته وعداوتهم، فجهزنا معه ولدنا عبد الواحد في أربعة آلاف من الأبطال، وأمددناهم بما كفاهم من الطعام والعدة والمال، فأجاز من سبتة إلى الخضراء عجلا، ولم يقدم على منازلة جبل الفتح عملا، وكان هذا الجبل الخطير شأنه منذ استولى عليه العدو قصمه الله في سنة تسع وستين شجا في لهوات أهل العدوتين، وغصة في نفوس الساكنين بالجهتين، لاطلاعه عليهما، وإرساله جوارح جواريه إليهما، تخطف من رام العبور ببحر الزقاق، وما يقرب الملجأ إلى هذا المعقل المستقر من اللحاق، فكم أرمل وأيتم، وأثكل وأيم فأحاطت به**

[1] – يحيى بن خلدون، البغية، ج1، ص214 – 215 – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 138.

[2] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص90.

[3] – عزاوي، العلاقات، ج2، ص25.

العاديات السوابح برا وبحرا، وأذاقت من به هم من أهماج الأعلاج شرا وحصرا، إلى أن أسلموه للمسلمين قهرا وقسرا، ومنح الله حزبه المؤمنين فتحا ونصرا"[1].

كما تكلمت الرسالة عن حركة أبي الحسن إلى سجلماسة التي ثار حاكمها أخ أبي الحسن بدعم أبي تاشفين عبد الرحمن الأول سلطان بني عبد الواد حيث جاء فيها:" **وكنا في هذه المدة التي جرت بها هذه الأحوال، وعرت فيها هذه الأهواء والأهوال، منازلين أخانا الممتنع بسجلماسة من بعض بلاد القبلة، ومحاولين من إزاحة ضره، والإراحة من شره، ما فيه الصلاح والفلاح على التفصيل والجملة، لعثايته في الفساد، ودعايته إلى العناد، ومعاضدته صاحب تلمسان، ومساعدته على البغي والعدوان، فسهل الله افتتاحها وعجل من صنائعه الجميلة منها مباحها، وذلك بعد تسليم جبل الفتح بثلاثة أشهر ونصف، ويسر الله تعالى من ذلك من بدائع الصنائع ما يقصر عنه كل نعت ووصف"**[2].

كما جا ذكر التفاصيل التي تم بها فتح مدينة تلمسان:" **"ولما فرغنا والحمد لله من تلكم الشواغل، وأرغنا من الخائن التلمساني ترك ما هو فيه من إثارة الفتن ...نهدنا نحو أرضه، لنجزيه بقرضه، بجيوش يضيق عنها فسيح كل مدى.... وجعلنا نقذفهم من حجارة المجانيق، ..ومن كيزان النفط الموقدة .. ومن السهام العقارة .. حتى غدت جدرانهم مهدومة، وجسومهم مكلومة، وثغور شرفاتهم في أفواه أبراجهم مهتومة، وظلت الفعلة تشيد إزاء أبراجهم أبراجا، وتمهد منها لتسوير أسوارهم أدراجا،... وهدمت أبراجهم الشواهق، وردمت حفائرهم والخنادق"**[3].

كما تم ذكر أن الغزو المريني لتلمسان كان دمويا وتم قتل الكثير من التلمسانيين من الجنود وعامة الناس حيث جاء في الرسالة:" **وقتل منهم الزحام من أسأره الهدم والحسام، فتملكنا ما**

---

[1] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 91.

[2] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 92 – 93.

[3] – القلقشندي، المصدر نفسه، ج8، ص 93-95.

دارت عليه الأسوار الخارجية: كفرار السبع والملعب، وجميع الجنان والعروش التي ما انفك الشقي يجتهد في عمارتها ويتعب"[1].

كما أبانت الرسالة أخلاق أبي الحسن الحربية وهي إعطاء الأمان لكل من يفر إليه من بني عبد الواد:" **وأعلنا بالنداء أن كل من جاءنا هاربا ووصل إلينا آتيا، منحناه العفو ومحونا عنه الهفو، وأوردناه من إحساننا الصفو، فتبادروا عند ذلك يتساقطون من الأسوار تساقط جنيات الثمار، فرادى ومثنى آيبين إلى الحسنى، فيسعهم الصفحن ويحسبهم المن والمنح...."**[2].

كما أفادتنا الرسالة بالكيفية التي تم بها قتل أبي تاشفين عبد الرحمن الأول:"**ولما رأى الخائن قلة من بقي معه، وشاهد تفرق من ذلك الموقف جمعه، أمر بسراح من في قبضته وسجنه، واعتقدهم عونا له فكانوا أعون شيئ على وهيه ووهنه، واعتمد الناس في بقية يومهم السور متوسع أنقابه، وتتخرق أبوابه، إلى أن جنهم الليل، وحاق منهم بالأعداء الويل، ولزم كل مركزه، ولم يكن الليل ليحجبه من عمله ولا يحجزه، وبات الفرار إلينا يهربون، ومن كل نفق يتسربون"** وهو وصف دقيق للحالة التي كان عليها سكان **تلمسان وحالة الهلع التي تسبب** فيها الحصار ثم الاقتحام الذي نفذه الجيش المريني، "**فلما ارتفع الضياء ومتع الضحاء، أمرنا ولدينا: يعقوب وعبد الواحد ووزيرنا القاعد له بالمراصد، بأن زحفوا إليها مع أطلابنا تحت راياتنا المنصورة عليها، فرجفت قلوبهم، ووجبت جنوبهم ولم يكن إلا كلا حتى امتطيت تلك الصهوة، وتسنمت فيها الذروة، وتسلمت بيد العنوة وفصمت عراها عروة عروة، وأنزلوا من صياصيهم، وتمكنت يد القهر من نواصيهم، وحقت عليهم كلمة العذاب من معاصيهم، وفر الشقي إلى فناء داره، في نفر من ذويه وأنصاره وفيهم ولداه مسعود وعثمان، ووزيره موسى ابن علي معينه على البغي والعصيان، وعبد الحق بن عثمان الخائن الغادر، وابن أخيه العامل بعمله ثابت بن عامر، فتكنفهم هنالك أولياء دولتنا العلية، فأوردوهم ويوسف ولد الشقي السالب حياض المنية، ونبذت بالعراء أجسامهم"**[3].

---

[1] – القلقشندي،المصدر نفسه، ج8، ص 95.

[2] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 95.

[3] – القلقشندي، المصدر نفسه، ج8، ص 96.

وعند انتهاء عملية غزو تلمسان تم منح العفو لأهلها وكانت فرحة أبي الحسن المريني كبيرة لإنهائه وجود دولة بني عبد الواد:" **وتقدمنا للحين بأن يمد على الرعية ظل التأمين، ويوطأ لهم كنف التهدئة والتسكين، ويوطد لهم مهاد العافية، وتكف عنهم الأكف العادية، حتى لا تمتد إليهم كف منتهب، ولا يلتفت نحوهم طرف مستلب، ومن انتهب شيئا أمر برده، وصد عن قصده، وكمل لنا والحمد لله بالاستيلاء على هذا القطر جميع البلاد الداخلة في ولاية بني عبد الواد، ونسخت منها دولتهم، ومحيت من صحيفتها دعوتهم، وعوض الرعايا من خوفهم أمنا، ومن شؤمهم يمنا، وشملتهم كلمتنا الراقية، المنصورة بكلمة الله الباقية، وفي ذلك معتبر لأهل اليقين، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين"**[1].

كما أخبر الملك الناصر بمصير بني عبد الواد الذين تم الاعتناء بهم وإقطاعهم المغرب الأوسط ودمج الكثير منهم في الجيش المريني :" **فمننا على قبائل بني عبد الواد، وأضفينا عليهم صنوف الملابس نساءا ورجالا، وأوسعنا لهم في العطاء مجالا، وأفعمنا لهم من الحباء سجالا، وأقطعنا لهم من بلاد المغرب حاطا الله تعالى ما هو خير من بلادهم، وحبوناهم منها بما كفل بإحساب مرادهم، وإخصاب مرادهم، وخلطناهم بقبائل بني مرين، وحطناهم باتحاد الكلمة من تقول المتقولين، وتزوير المزورين، وأعددنا منهم لأوان الجهاد أوفر عدد، واعتدنا من فرسانهم ورجالهم لطعان الأعادي أكبر مدد، وأزيل عن الرعايا بهذه البلاد الشرقية إصرهم، وأزيح عنهم بتوخي العدل فيهم جورهم ووزرهم، وخففنا عنهم ما آد من المغارم، وهاد من المكارم، فانشرحت صدورهم وصلحت أمورهم"**[2].

ورد الملك الناصر على رسالة أبي الحسن برسالة أخرى افتتحها بتقديم التعزية في والدة السلطان أبي الحسن المريني، وأوردت أن كل من يقدم من جهة ملك المغرب فإنه يقابل في الدولة المملوكية بمصر بما يليق به من الإكرام، ويبلغ في رعاية تامة الحرمين الشريفين لقضاء مناسك الحج. وعلقت الرسالة كذلك على ما أحرزته جيوش بني مرين في الأندلس من الانتصارات التي تدخل

[1] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 96-97.

[2] – القلقشندي، المصدر نفسه، ج8، ص 97.

ضمن إعزاز الإسلام، وذكرت أن والد أبي الحسن كان دائم الإخبار للملك الناصر بمثل هذه الإنجازات، وأوردت خبر غزو المماليك لأرمينيا أو مملكة سيس[1].

– رسالتان من الملك الناصر إلى أبي الحسن مع وفد الحج:

قام الملك الناصر بتحميل الشيخين أبي عبد الله محمد بن صالح، والحاج محمد بن أبي لمحان أثناء رجوعهما من أداء فريضة الحج رسالتين لم تحتفظ لنا المصادر بتفاصيلهما، لكم تمت الإشارة إليهما في رسالة من الملك الناصر إلى السلطان المريني في سفارة لاحقة، وكان موضوعهما يدور حول شفاعة على الأرجح، إذ ورد ما يلي:" **فأما ما ذكره (أبو الحسن) من ورود الكتابين الواصلين إلى حضرته صحبة الشيخين الأجلين محمد بن عبد الله بن صالح، والحاج محمد بن لمحان، وأنه أمضى حكمهما، وأجرى رسمهما، فقد آثرنا للأجر حوزه، واخترنا بالشكر فوزه، وقصدنا بهما تجديد جلباب الوداد، وتأكيد أسباب الولاء على البعاد، وإلا فمع وجود إنصافه، الحقوق من غاصبها تستعاد، والوثوق بنصره للمظلوم وقهره للظالم لا يختلف فيه اعتقاد، وقد شكرنا لكم ذلك الاحتفال، وآثرنا حمدكم في المحافل والمحال**"[2].

– سفارة عام 738هـ/1738م:

في عام 738هـ/1338م توجه ركب الحاج المغاربة إلى المشرق، واشتهر هذا الركب بالربعة الشريفة التي بعثها أبو الحسن المريني للمسجد النبوي، وبحج الأميرة حظية والد أبي الحسن، وبالهديتين المتبادلتين بين ملكي المغرب سلطان المماليك. وكتب أبو الحسن إلى الناصر المملوكي برسالة توصية للاعتناء بالحجيج المغاربة.[3]

---

[1]– المنوني، ورقات، المرجع السابق، ص180.

[2] – المنوني، ورقات، ص182. ويعتقد أن تاريخ الرسالتين قد يكون بين رمضان 737هـ/1337م وربيع ثاني 738هـ/1338م.

[3] – المقريزي، السلوك، ج2، ص447.

وكان ممثلو السفارة المرينية من كبار رجال الدولة وهم: الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن أبي زيد عبد الرحمن المعروف بابن أبي يحي، وكان من أعيان القضاة، والحاجب المريني أبو زيان عريف بن أبي زكرياء يحي السويدي، وكان أميرا على قبائل زغبة من أعراب بني هلال، وكبير أخوال أبي الحسن من أعراب الخلط عطية بن مهلهل بن يحي، والكاتب أبو الفضل محمد بن أبي عبد الله محمد بن أبي مدين العثماني، والشيخ أبو محمد عبد الله عبو بن قاسم المزوار[1].

وكان مقدار هدية أبي الحسن التي حملها الركب مع الرسالة للناصر المملوكي أكثر من 100.000 دينار مصري حملتها البغال والجمال[2].

هذا وتذكر المصادر التاريخية أن السلطان أبا الحسن قد أرسل سفارة للملك الناصر سنة 739هـ / 1339م وأخرى سنة 740هـ/1340م وهي الأخيرة التي استقبلها سلطان المماليك قبل وفاته سنة 741هـ/1341م، بعدما حكم لمدة طويلة وعاصر من ملوك بني مرين خمسة، وقد أنتجت وفاته جملة من الاضطرابات والفتن الداخلية في مصر والشام أدت إلى فقدان الأمن عبر المسالك وبالتالي توقفت السفارات ووفود الحجيج المغربية إلى البقاع المقدسة لبضع سنين، إلى غاية استتباب الحكم لابن الملك الناصر أبي الفداء إسماعيل الملقب بالملك الصالح سنة 743 هـ/1343م[3].

-سفارة سنة 745هـ/1345م:

كان الهدف من هذه السفارة التي انطلقت من المغرب إلى مصر والتي كان بصحبتها الكاتب أبي الفضل بن أبي مدين ، هو تعزية الملك الصالح أبي الفداء إسماعيل[4] في أبيه الملك

---

[1] - عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 265 - السلاوي، الاستقصا، ج2، ص 62.

[2] - المقريزي، السلوك، ج2، ص44.- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج5، ص441.

[3] - ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ،ص

[4] - الملك الصالح عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن محمد بن قلاوون (ت 746هـ/1345م)، تولى الحكم بعد أبيه الملك الناصر لمدة 03 سنوات وكان محبا للعلم والعلماء وله إنجازات كثيرة في مجال الأوقاف. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج2، ص ص425-427.

الناصر، وكذلك التهنئة بتولي الملك على الديار المصرية والشام والحجاز، والتوصية بركب الحجيج المغاربة.[1]

ومن خلال الرسالتين المتبادلتين بين الملكين المريني والمملوكي يتضح مدى المودة والإخاء الذي كان متبادلا بينهما، وكان كاتب الرسالة المملوكية الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي الشافعي[2].

– سفارة سنة 749هـ / 1349م:

هي آخر سفارة سجلت خلال عهد أبي الحسن المريني قبل وفاته وأشير إليها في كتاب الاستقصاء للسلاوي الناصري[3] على أنها قد أرسلت خلال دخول أبي الحسن إلى تونس في شهر ربيع الثاني سنة 749هـ / 1349م.

وكان موضوع السفارة هو طلب أبي الحسن المريني من السلطان المملوكي الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون القبض على الشيخ أبي محمد ابن تافراجين التينملي الذي كان من حجاب السلطان الحفصي أبي بكر بن أبي زكرياء الذي فر إلى الديار المصرية بعدما تمرد على المرينيين، ومساعدته للأعراب الذين ثاروا على بني مرين، لكن السلطان المملوكي لم يتمكن من تحقيق طلب أبي الحسن لأن ابن تافراجين كان قد استجار ببعض الأمراء المماليك وانصرف لأداء فريضة الحج[4].

4 – علاقة السلطان أبي عنان فارس المريني مع المماليك:

تولى أبو عنان فارس الحكم بعد أبيه أبي الحسن سنة 749هـ/ 1348م، وقد حافظ على جو الإخاء مع المماليك والذي ساد عهد أبيه. وفي سنة 756هـ/1355م وجه سفارة إلى الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، أما السفير المريني الذي تكفل بهذه السفارة فهو

---

[1] – عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج 7، ص 265. 266. المقري، نفح الطيب، ج3، ص 540 . 547. السلاوي الناصري، الاستقصا، ج 2، ص 68. 47.

[2] – للاطلاع على نص الرسالتين انظر الملاحق.

[3] – السلاوي الناصري، الاستقصا، ج2، ص79.

[4] – المنوني، ورقات، ص 217.

الفقيه الكاتب أبو القاسم محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن علي بن إبراهيم بن علي الغساني البرجي الغرناطي (ت 786هـ/ 1384م) [1]، قال عنه لسان الدين بن الخطيب:" ... **حسن الخط والشعر والكتابة... يجيد تفسير الكتاب... رحل إلى العدوة... وإحسانه كثير في النظم والنثر ... واستعمل في السفارة إلى ملك مصر وملك قشتالة...**" [2].

وكان مفاد هذه السفارة هو إيصال وتأدية رسالة نثرية وشعرية إلى الضريح النبوي[3].

ورغم أن السلطان أبي عنان المريني قد ذاع صيته في المشرق لكن لم نعثر له على رسائل دبلوماسية مع السلاطين المماليك.

5- العلاقات في عهد السلطان أبي فارس عبد العزيز الأول:

حكم أبو فارس عبد العزيز الأول بن أبي الحسن المريني من 767هـ/1366م إلى 774هـ/1372م، وارتبط بعلاقات طيبة مع السلطان المملوكي الأشرف شعبان بن الناصر حسن، وبعث برسالة إلى المقام النبوي الكريم بخط يده.

وأورد القلقشندي مقتطفا من رسالة في شكل جواب من السلطان المملوكي الأشرف شعبان، في حديثه عن نماذج الكتابة السلطانية إلى ملوك المغرب دون أن يطلعنا على فحواها، ما جعل من الصعب التكهن بما حملته، لكن ورغم ذلك فإن ورودها يعبر عن تواصل العلاقات الودية بين الدولتين، وهو استمرار لما كان عليه الأمر منذ قيامهما، ومما جاء فيها:" ... **عبد الله ووليه... السلطان الأعظم الملك الفلاني ... تخص المقام العالي السلطان الملك الأجل الكبير المجاهد المعاضد المرابط المثاغر المكرم المعظم المظفر الموقر المؤيد المسدد الأسعد الأصعد الأرشد الأنجد الأوحد الأمجد البهي الزكي السني السري، فلان أمير**

---

[1]- المنوني، ورقات، المرجع السابق، ص ص 218-219.

[2] - ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص ص 294-300.

[3] - المنوني، العلاقات الدبلوماسية للمغرب، ج2، ص 219.

المسلمين ابن فلان فلان...عبد الحق المريني.. أما بعد حمد الله .. فإنا نفاوض علمه الكريم..."[1].

ويعتقد بعض الباحثين في شؤون العلاقات الدبلوماسية للمغرب الأقصى بأن المماليك قد كاتبوا أبا فارس المريني طالبين منه الدعم العسكري عقب الهجوم الذي شنه القبارصة على ميناء الإسكندرية سنة 767هـ/1366م[2]، وما يدعم هذا الطرح هو وجود الرايس إبراهيم التازي المغربي الذي ورد على السلطان الملك الأشرف شعبان الذي كلفه برئاسة دار الصناعة وجهزه لغزو قبرص، وانطلق التازي من ميناء الإسكندرية يوم الإثنين رجب 769هـ/20 مارس 1368م، وفي 09 شعبان من السنة نفسها بعث إلى الإسكندرية بزورق كبير مليء غنمه في البحر واحتفظ بالقراصنة الموجودين على ظهره، وفي يوم الخميس 24 شعبان 769هـ/1368م قدم الرايس التازي من قبرص محملا بالأسرى والغنائم، وكان يوما مشهودا في الإسكندرية[3].

وعقب ورود أخبار هذا أخبار هذا النصر إلى بني مرين بعث السلطان أبو فارس إلى سلطان مصر يهنئه بهذا الإنجاز[4].

العلاقات في عهد السلطان أبي العباس أحمد وابنه أبي عامر:

حكم هذين السلطانين بين (775هـ/1373م - 786هـ/1384م ثم 789هـ/1387م - 796هـ/1393م) بالنسبة لأبي العباس أحمد، ثم بين (799هـ/1397م - 800هـ/1398م) بالنسبة للسلطان أبي عامر، وصادف حكمهما ظهور دولة المماليك الجراكسة بقيادة أول سلاطينها الملك الظاهر برقوق الذي تولى السلطنة من عام 784هـ/1382م إلى عام 801هـ/1398م، وقد

---

[1] - القلقشندي، صبح الأعشى، ج7، ص ص 415-416 – عزاوي، العلاقات، ج 2، ص 72

[2] - وصل القبارصة إلى الإسكندرية في يوم الأربعاء 22 محرم 767هـ وكانت خالية من الجيش المملوكي، ودخلوها في يوم الجمعة نهارا وحرقوا أبوابها وعاثوا فيها الفساد وقتلوا من أهلها الكثير واستولوا على الأموال وأسروا النساء والأطفال، ودام احتلالهم لها لمدة أسبوع كامل ومعهم قرابة 4000 أسير، وكرد فعل على ذلك قام المسلمون في دمشق بالتضييق على المسيحيين الموجودين بها ، وفي ربيع الأول تم تحضير الأسطول المملوكي لغزو جزيرة قبرص. ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص ص 252-253.

[3] - المنوني، العلاقات الدبلوماسية للمغرب، ج7، المرجع السابق، ص ص 220-221.

[4] - المنوني، المرجع نفسه، ص 221.

تبادل هذا الأخير الهدايا والسفارات مع بني مرين، حيث وفي سنة 793هـ/ 1390م وصل إلى مصر شيخ عرب المعقل بالمغرب يوسف بن علي بن غانم، فارا من سخط السلطان أبي العباس أحمد متوجها إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج، ثم اتصل بالسلطان الظاهر برقوق وشكى له حاله فكتب الظاهر رسالة إلى فاس متشفعا له وبعثه إلى المغرب رفقة هدية من القماش والطيب، كما أوصاه بأن ينتقي له من خيول بلاد المغرب، وقبل سلطان المغرب الشفاعة وأعاده إلى منزلته[1].

ويتبين من هذا أن العلاقات بين الملكين المريني والمملوكي ببلوغها حد الشفاعة لدى بعض كبار موظفي الدولة المرينية قد وصلت إلى الإخاء التام والتواد والتعاون[2].

العلاقات في عهد أبي سعيد عثمان الثاني (800هـ/1398م – 823هـ/1420م):

عاصر السلطان أبو سعيد عثمان الثاني المريني السلطان المملوكي الناصر فرج بن الظاهر برقوق الذي حكم من 801هـ/1399م إلى 815هـ/1412م.

والملاحظ أن عبد الرحمن بن خلدون قد قام بدور هام في العلاقات المرينية المملوكية خلال هذه المرحلة، حيث كان له الحظوة عند السلطان الملك الظاهر برقوق، وقد كان الهجوم التتري على بلاد الشام أواخر القرن الثامن الهجري/14م فرصة تجلى فيها هذا الدور، كما تجلت أواصر العلاقات بين البلدين جليا من خلال رسائل التضامن[3].

وقد شكل التتر خطرا حقيقيا على دولة المماليك الجراكسة في هذه المرحلة، حيث برزت شخصية تيمورلنك في سمرقند التي اتخذها قاعدة لتوسعاته، فاستولى على بلاد ما وراء النهر وخراسان وطبرستان وتبريز سنة 788هـ/1386م، ثم توجه إلى العراق واستولى على بغداد سنة 795هـ/1393م، وراسل المماليك لكن السلطان الظاهر برقوق قام بقتل رسل تيمورلنك، واتفق مع العثمانيين والتركمان عل صد الهجوم التتري[4].

---

[1] – ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، ص 339- 346.

[2] – المنوني، ورقات، ص224.

[3]– المنوني، التاريخ الدبلوماسي، ج7، ص222.

[4] – سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص ص 155 – 156.

وفي سنة 803هـ/1401م دخل التتار مدينة حلب ونهبوها، ولما وصلت الأخبار إلى الملك الناصر فرج بن برقوق تجهز للدفاع عن الشام ومصر، ويكر عبد الرحمن بن خلدون هذه الوقائع باعتباره شاهد عيان، وكان حينئذ معزولا عن القضاء، وتوجه رفقة السلطان والجيش وجملة من العلماء إلى غزة ومنها إلى دمشق، ولبث الجيش المملوكي قريبا من الجيش التتري ووقعت بينهما مناوشات عسكرية دامت لمدة شهر، ثم بلغ الناصر فرج أن بعض الأمراء من جيشه قد انسحبوا وتوجهوا إلى مصر قصد الثورة على السلطان، فاجتمع بأكابر الأمراء والفقهاء واتفقوا على الرجوع إلى مصر وتركوا أمر الشام بين يدي تيمورلنك[1].

وعقب ذلك اجتمع الفقهاء ومعهم عبد الرحمن بن خلدون في المدرسة العادلية بدمشق واتفقوا على طلب الأمان من تيمورلنك الذي طلب منهم أن يرسلوا إليه من يتفاوض معهم، وقام جماعة من الفقهاء بالتوجه إليه، وكتب لهم عهد الأمان ثم ردهم إلى المدينة، وكان الاتفاق أن يدخل المدينة بعد يوم واحد[2].

ثم اجتمع عبد الرحمن بن خلدون مع تيمورلنك في خيمته بعدما سأل عنه هذا الأخير وخشية ابن خلدون على نفسه، وكان المترجم بينهما الفقيه المعتزلي عبد الجبار بن النعمان الحنفي الخوارزمي (ت 808هـ/1406م)، ودار بينهما حديث طويل سأل فيه الأمير التتري عن حال ابن خلدون وبلاده، وأجابه بأنه قدم من بلاد المغرب قاصد الحج ثم استقر في مصر عند الملك الظاهر برقوق ثم ابنه الناصر فرج، ثم سأله عن بلاد المغرب وأشهر مدنها مثل طنجة وسبتة وفاس وسجلماسة، وأجابه ابن خلدون، لكن تيمورلنك لم يكتفي بما ذكر له فطلب من ابن خلدون أن يكتب له مؤلفا يفصل فيه جغرافية بلاد المغرب الإسلامي، واستجاب ابن خلدون لذلك، وألفه عند عودته إلى دمشق[3].

[1] – عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص ص ر728- 729

[2] – ابن خلدون، المصدر نفسه، ص 730-732.

[3] – عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص ص 732 – 735.

ثم سمح تيمورلنك لابن خلدون بالعودة إلى مصر وقد على شأنه عنده وبلغ مرتبة كبيرة في نفس الأمير التتري، ولما استقر بالقاهرة كتب رسالة إلى السلطان المريني أبي سعيد الثاني يخبره فيها بما جرى له مع تيمورلنك وما دار بينهما من حديث، وأخبره بجملة تاريخ التتر وتطور دولتهم وما فعلوه في بلاد الشام[1].

والملاحظ أن عبد الرحمن بن خلدون كان في منتهى الدبلوماسية في تعامله مع أمير التتر، حيث قدم له مجموعة من الهدايا تمثلت في مصحف وسجادة وقصيدة البردة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم للبوصيري، وأجابه في تأليف كتاب يصف له فيه بلاد المغرب ومسالكها وأمصارها ومدنها وأوديتها بالتفصيل، وقد أدرك ابن خلدون أن التتر يخططون للتوسع في بلاد المغرب بعدما يفرغون من بلاد الشام ومصر، فقام بالرجوع سريعا إلى مصر والانفلات من قبضة التتر وماكان رجوعه إلا للتمكن من بعث الرسالة إلى السلطان المريني وإبلاغه بالمستجدات حتى يستعد لكل الأمور المحتملة، لكن التتر لم يكملوا توسعاتهم في مصر، حيث عقد معهم السلطان الناصر فرج صلحا، فانسحبوا من دمشق والشام، والتفتوا إلى العثمانيين محاولين التوسع شمالا، وضعف شأن التتر بعد موت تيمورلنك سنة 807هـ/1405م وانقسام دولته بين أبنائه[2].

وفي سنة 804هـ/1402م توجهت سفارة مغربية برسالة إلى مصر لتهنئة الناصر فرج الذي تمكن من تخفيف وطأة الهجوم التتري بقيادة تيمورلنك على بلاد الشام[3]، وأوردت الرسالة مدى اهتمام بني مرين بأحداث المشرق واستعدادهم لدعم الجيش الإسلامي بجنود وأساطيل حربية من بلاد المغرب، كما أوردت الرسالة القائم بالسفارة وهو الشيخ أبو عبد الله محمد ابن أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم ابن نفيس الحسني العراقي وهو جد الأشراف العراقيين بالمغرب[4].

وأجاب السلطان الناصر فرج برسالة جوابا على رسالة السلطان المريني، وتضمت الإخبار بوصول السفير المغربي والإحاطة بالأحداث التي جرت للمماليك مع التتر في بلاد الشام، وأن

---

[1] – ابن خلدون، المصدر نفسه، ص739.

[2] – عاشور، المرجع السابق، ص167.

[3] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص103-106.

[4] – القلقشندي، المصدر نفسه ، ج8، ص 105 – 106– المنوني، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج7، ص224.

انسحاب السلطان المملوكي من دمشق إلى القاهرة كان بسبب إشاعة مفادها أن التتر قد زحفوا عل مصر، وذكرت الرسالة أخبار المفاوضات والهدنة بين الجانبين والتي توجت بعقد الصلح وانتهاء الخطر التتري من أراضي الدولة المملوكية[1].

واستمرت العلاقات المرينية المملوكية على وتيرة من المودة والتقارب في وجهات النظر حول القضايا المصيرية في العالم الإسلامي إلى غاية نهاية حكم بني مرين بالمغرب الأقصى سنة 869هـ/1465م، ولا تسجل المصادر موقفا واضحا من المماليك فيما يخص انتقال الحكم من بني مرين إلى بني وطاس.

[1] – القلقشندي، المصدر نفسه، ج7، ص ص 407-411.

الباب الثاني

الروابط الثقافية بين دول المغرب الإسلامي ودولة المماليك

بين القرنين 7 – 9 هـ / 13- 15 م

تمهيد : دور السلاطين والأمراء في ازدهار الحياة الثقافية

الفصل الأول: الحياة الثقافية بالمغرب الإسلامي

الفصل الثاني: الحياة الثقافية في دولة المماليك

الفصل الثالث: الرحلة بين المغرب المشرق

الفصل الرابع: مظاهر التواصل الثقافي بين المغرب الإسلامي ودولة المماليك

تمهيد: دور السلاطين والأمراء في ازدهار الحياة الثقافية

(ق 7- 9هـ / 13- 15م)

شهدت ممالك وإمارات المغرب والمشرق الإسلامي خلال الفترة الممتدة بين القرنين السابع والتاسع الهجريين/ 13- 15م نشاطا ثقافيا وحركة علميّة ملحوظة بالرغم من الأوضاع السياسية المتردية والمضطربة، وبرزت عدة مدن مثل **تونس وبجاية وتلمسان وفاس ومراكش وسبتة وغرناطة والقاهرة ودمشق والقدس ومكة المكرمة والمدينة المنورة** كعواصم ومراكز إشعاع ثقافي وفكري وديني في العالم الإسلامي، وانتشرت المؤسّسات التعليمية والثقافية من المساجد والكتاتيب والمدارس والخانقاوات والرّبط والزوايا، والّتي كانت تؤدّي الدّور الدينيّ والتربوي والتعليمي، فضلا عن توفير جو التدريس لمختلف العلوم النقلية والعقلية، وبرز عدّة علماء في شتّى التخصّصات العلمية.

لقد كان ملوك وسلاطين وأمراء الدول الإسلامية في المغرب والمشرق الإسلامي على قدر وافر من العناية بمختلف جوانب النشاط الثقافي في دولهم، ففي بلاد المغرب الإسلامي نجد أن هذه العناية والاهتمام قد تمثلا في لجوء كافة الملوك إلى المسارعة في إنشاء المؤسسات الثقافية في عواصمهم واستقدام أجل العلماء قدرا من أجل التدريس فيها والمنافسة في ذلك.

وكان أوّل ملوك بني عبد الواد يغمراسن بن زيان" يؤثر الصالحين والعلماء ويجالسهم"[1]، وكان يبحث عن أهل العلم ويستقدمهم إلى تلمسان و يحتفي بهم ويكرمهم، وكاتبَ عالم زمانه أبا إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي (ت 680هـ/1280م)، ورغّبه في سكنى تلمسان والتّدريس بها[2]، ولما اشتهر اعتناؤه بالعلم وفد عليه من الأندلس الأديب الكاتب أبو بكر بن عبد الله بن داود بن خطّاب المرسي (ت 686هـ/1286م) فأحسن إليه يغمراسن وجعله كاتبا بديوان الإنشاء[3]، وكذلك الكاتب ابن وضّاح الأندلسي[4]، كما حرص على عقد المجالس العلميّة في قصره، وأبدى عناية خاصة بالمذهب المالكي[5].

[1]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 205- ابن مرزوق الخطيب، المناقب المرزوقية، ص 153.

[2]- التنسي، تاريخ بني زيان، ص 125.

[3] - ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص 275-276.

[4] - ابن خلدون، العبر، ج7، ص 163.

[5] - عبد العزيز فيلالي، تلمسان، ج2، ص 321 – ألفرد بل، **الفرق الإسلاميّة في الشمال الإفريقي من الفتح حتّى اليوم**، ط3، تر: عبد الرّحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص 312.

وكان أبو حمو موسى الأوّل (704–718 هـ/1308-1318م) محبّا للعلم و أهله، ووفد عليه الفقيهان العالمان أبو زيد و أبو موسى ابنا الإمام اللّذان ذاع صيتهما بالمغرب والمشرق فأكرمهما وبنى لهما المدرسة الّتي سميت باسميهما[1].

وكان خليفته عبد الرّحمن أبو تاشفين الأوّل (718–737هـ/1318-1337م) مولعًا بتشييد العمائر من القصور والمباني، و قام ببناء مدرسة بإزاء المسجد الأعظم بتلمسان، و وفد عليه الشيخ أبو موسى عمران المشدالي (ت 745 هـ/1345م) أعرف أهل عصره بمذهب مالك، فأكرمه وولاّه التّدريس بمدرسته[2]، كما كان هذا السلطان يحرص على عقد المجالس العلميّة بحضرته، وكانت تدار فيها المناقشات والمناظرات في المسائل الفقهية بين كبار العلماء[3] .

أمّا السلطان أبو حمو موسى الثاني (760-791 هـ/1359-1389م)، فكان عالما وظما وناثرًا، ومفكرا و أديبًا، ونال العلماء في عهده مكانة كبيرة، و قد ألف كتابا في السياسة الملوكية سمّاه " واسطة السلوك في سياسة الملوك"، كما قام ببناء مدرسة و مسجد وزاوية[4].

واهتم السلطان أبو زيان محمد (796-801 هـ/1394-1399م) بالدّراسة والإكثار من المعارف، وأنشأ مكتبة وزوّدها ببعض الكتب من نسخه، وكان يحي حضرته بالمحاضرات والمناظرات العلميّة[5].

وكان السلطان أبو العبّاس أحمد الملقب بالعاقل (834-866 هـ/1430-1462م)[6]، يجالس بجالس الصالحين و العلماء، وكان له عناية خاصة بالزّاهد الصّوفي أبي علي الحسن بن مخلوف[7].

---

[1] – ابن خلدون، العبر، ج7، ص 206.

[2] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 216 – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 141.

[3] – أحمد بن يحي الونشريسي، **المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيّة و الأندلس و المغرب**، خرجه جماعة من الفقهاء، ج11، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، 1981، ص 383.

[4] – حاجيات، **أبو حمو** ، المرجع السابق، ص 69–230 – محمد الأمين بلغيث، **النظريّة السياسية عند المرادي و أثرها في المغرب والأندلس**، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1989، ص 65–67 – وداد القاضي، النظرية السياسيّة للسلطان أبي حمو الزياني و مكانتها بين النظريات السياسية المعاصرة لها، **مجلة الأصالة**، ع27، 1975، ص 23–98 – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 179.

[5] – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 211.

[6] – التنسي، المصدر نفسه، ص 247–248.

[7] – هو الحسن بن مخلوف الراشدي الشهير بأبركان (ت 857 هـ/1453م)، كان عالما صالحا وقطبا في التصوف بتلمسان، أخذ عن إبراهيم المصمودي وابن مرزوق الحفيد، وأخذ عنه الحافظ التنسي الشيخ السنوسي. أبو عبد الله بن مريم التلمساني،

ونفس الأمر ينطبق على ملوك بني مرين الذين جعلوا من حواضر المغرب الأقصى منارات علمية، وكان لهم سجل حافل من الإنجازات في المجال الثقافي والاهتمام بالعلم وبناء المدارس والزوايا وإلحاق خزائن الكتب بها، ومجالسة أهل الصلاح والعلم والاقتداء بنصائحهم[1]، فكان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق يستحب أن تقرأ بين يديه بعد صلاة الصبح كتب السير والقصص وفتوح الشام، ويستمع إليها ويناقش الحاضرين في مسائلها، وفي ليالي رمضان كان يجالس العلماء ليذاكرهم في فنون العلم إلى ثلث الليل الأخير[2].

وكان ابنه الأمير أبو مالك عبد الواحد (ت 671هـ/ 1272م) محبا للأدب والتاريخ، عارفا بأنساب بني مرين وسائر قبائل زناتة وأيامهم وحروبهم، ومحبا للشعر وكان يرويه وينظمه[3].

وكان السلطان أبو ثابث يجالس العلماء[4]، وكان لأبي سعيد الأول مشاركة في العلم وكان معدودا من العلماء[5].

أما السلطان أبي الحسن المريني فيذكر عنه ابن مرزوق الخطيب في كتابه المسند بأنه كان مصاحبا لأهل العلم والشيوخ ومحبا للأولياء، وكان يشاركهم مناقشة المسائل العلمية، ويشاورهم وكانوا هم بطانته، وكان حريصا على جلب أجل العلماء من الأصقاع لبلاطه[6].

وكان ابنه أبو عنان فارس عالما من علماء زمانه، ويصفه ابن الأحمر في كتابه روضة النسرين بقوله:" ...**وكان فقيها يناظر العلماء الجلة فيصيب ويخطئهم، ومعرفته بالفقه تامة، وكان عارفا بالمنطق وأصول الدين، وله حظ صالح من العربية والحساب، وكان حافظا للقرآن، عارفا**

البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان، تح: محمد بن أبي شنب، نشر: عبد الرّحمان طالب، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1986، ص 74-93 – محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، بيروت، 1349 هـ، ص 262.

[1] – المنوني، ورقات، المرجع السابق، ص234.

[2] – روض القرطاس، ص264.

[3] – الذخيرة السنية، ص154.

[4] – عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص237.

[5] – المنوني، ورقات، المرجع السابق، ص235.

[6] – ابن مرزوق الخطيب، المسند، ص260.

بناسخه ومنسوخه، كثير التمثل بآيه، حافظا للحديث عارفا برجاله، فصيح القلم كاتبا مرسلا بليغا بارع الخط، حسن التوقيع...."[1].

هذا فضلا عن المنشآت الثقافية التي أنشئت في الحاضرة فاس وغيرها من مدن المغرب الأقصى، وخزائن الكتب التي اهتم السلاطين بإنشائها.

ويجب التنويه إلى دور أمراء مدينة **سبتة** وهم بنو العزفي في الارتقاء بالجانب الثقافي لهذه المدينة التي اشتهرت في عهدهم بالدراسات اللغوية والأدبية، وكان لأبي القاسم العزفي اهتمامات علمية مختلفة، فقد كان فقيها أصوليا نحويا، لغويا، محدثا، عارفا بالرواية وشاعرا مجيدا[2]. وكان لابنه الأمير أبي حاتم العزفي اهتمامات فقهية، وكان شيخا ومعلما لمحمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد التلمساني الأنصاري[3].

كما ساهم أمراء **سكسيوة** الواقعة إلى الجنوب الغربي من مدينة مراكش في الحياة الثقافية مشاركة فعالة، ويذكر عبد الرحمن بن خلدون عن أحد أمرائها وهم عبد الواحد السكسيوي (ت: 680هـ/ 1382م) :" ... **كان منتحلا للعلم واعية له، جماعة لكتبه ودواوينه، حافظا لفروع الفقه، يقال أن الأحاديث المدونة كانت من محفوظاته، محبا في الفلسفة مطالعا لكتبها، حريصا على نتائجها من علم الكيمياء والسيمياء والسحر والشعوذة، مطلعا على الشرائع القديمة والكتب المنزلة، يكتب التوراة، ويجالس أحبار اليهود، حتى لقد اتهم في عقيدته، ورمي بالرغبة عن دينه"**[4]. أما ابنه الأمير عبد الله فكان ميالا إلى صناعة الكيمياء[5].

والتجأ إلى هذه الإمارة الأمير الموحدي أبو زيد بن الخليفة المرتضى وامتهن بها حرفة النسخ حتى وفاته عام 712 هـ/ 1313م[6].

وسار هذه السيرة أمراء الدولة الحفصية، على غرار بقية ملوك المغرب، فعملوا على الترحيب بالعلماء والطلبة الوافدين على الحواضر العلمية بالمغرب الأدنى، وتوفير أماكن الإقامة لهم، وتشجيعهم بالجوائز والهبات وحثهم على التأليف، وكانوا السباقين لإنشاء المدارس ببلاد المغرب الإسلامي.

---

[1] – ابن الأحمر، روضة النسرين، ص27 – 28.

[2] – ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص452.المنوني، ورقات، المرجع السابق، ص237.

[3] – لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص200-201.

[4] – عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص553.

[5] – الفاسي، روض القرطاس، ص296.

[6] – ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص454.

وكان المولى أبو حفص عمر بن المولى أبي زكرياء (683 - 694 هـ/ 1284 – 1295م) يعظم الفقهاء والصالحين ويبرهم[1].

وكان المولى أبو فارس عبد العزيز (796 - 837 هـ/ 1394م - 1434م) تقيا معتقدا في الصالحين موقرا للعلماء، وكان يتصدق كثيرا على أهل العلم حتى من المشارقة ببلاد الحرمين الشريفين، كما أوقف خزانة كتبه على طلبة جامع الزيتونة[2]، وكان ملازما للعلماء مستمعا للدروس وكان يجالسهم على الحصير تواضعا لهم خاصة عندما يقرأ الحديث الشريف[3].

أما أمراء غرناطة فلم يتخلفوا عن هذه الحركة رغم تأزم الأوضاع السياسية، فكان محمد الثاني الذي عرف بالفقيه مؤثرا لمجالس العلماء والفقهاء والأدباء وكان فقيها ذا خصال فاضلة [4]، وقام السلطان أبو الحجاج يوسف بإنشاء المدرسة النصرية عام 750هـ/1349م، والتي كان يدرس فيها نخبة علماء الأندلس في جميع التخصصات العلمية النقلية والعقلية[5].

أما في دولة المماليك فكان مردّ ذلك الازدهار إلى جملة من العوامل ساهم فيها المماليك الذين كانوا من أصول غير عربيّة، ورغم ذلك فقد شاركوا في النشاط الثقافي لدولتهم، حيث كانوا ينفقون بسخاء على العلماء والطّلبة، وكانوا يحبّسون الأوقاف المغلّة على المؤسّسات التعليميّة، كما شارك السلاطين والأمراء في الحياة العلميّة مشاركة فعّالة، فاشتهر عن السلطان الظاهر بيبرس البندقداري ميله إلى التاريخ و أهله، وكان يقول أنّ سماع التاريخ أعظم من التجارب[6].

وكان السلطان المؤيّد شيخ المحمودي (815-824هـ/1412-1421م) يحمل إجازة برواية صحيح البخاري من حافظ عصره الشيخ سراج الدين البلقيني، وكان يصحبها معه في سفره وكان يفتخر بها[7].

وكان السلطان الأشرف أبو نصر قايتباي الجر كسي (824-841 هـ/1421-1438م)، الحادي والأربعون من سلاطين المماليك ذا ميل إلى مطالعة كتب العلم والرقائق والسير، وكان له

---

1 - ابن قنفذ، الفارسية، ص148 – ابن الشماع، الأدلة البينة، ص82.

2 - الزركشي، تاريخ الدولتين، ص125.

3 - ابن الشماع، المصدر السابق، ص114.

4 - لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، 557.

5 - يوسف شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، دار الجيل، بيروت، 1993، ص 134.

6- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 182.

7 - الشوكاني، البدر الطالع، ج2، ص 283-284 – ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ج7، دار أحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت)، ص 164 – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج6، ص 310.

اعتقاد في الصالحين من العلماء، فأثر ذلك في منشآته الثقافية والعلميّة، وكان عصره من أزهى العصور بمصر من حيث النشاط الثقافي والعمراني[1].

وحرص السلطان الغوري على عقد المجالس العلميّة والدينيّة بالقلعة عدّة مرّات في الأسبوع، وكان يبحث فيها مع العلماء مختلف المسائل العلميّة ويناقشها، وكثيرًا ما كان السلطان نفسه هو الموجه للمناقشة، فتبْدأً كلّ مسالة بعبارة "قال حضرة مولانا السلطان" ثمّ يجيب العلماء على سؤاله[2].

واشتغل بعض الأمراء المماليك بالعلوم على مختلف أصنافها، وتصدى بعضهم للتدريس والإقراء، ومنهم الأمير الكبير علم الدّين سنجر بن عبد الله البرنلي التركي الصالحي النجمي (ت:699 هـ/1300م)، الّذي كان مشاركًا في الفقه والحديث، وكان الفضلاء يحضرون مجلسه فيذاكرهم ويكرمهم، وسمع الحديث بالحرمين والقدس ومدن الشام ومصر، وخرّج لنفسه معجما في أربعة عشر جزءًا[3].

وكان أحد الأمراء من مقدّمي الألوف وهو سودون بن عبد الله (ت 830 هـ/1427م) أحد مماليك الظاهر برقوق يعرف بالفقيه و كان حنفي المذهب[4].

وكان الأمير تغري برمش سيف الدين الجلالي الناصري ثم المؤيدي الحنفي (ت:852 هـ/1449م) الّذي تولى نيابة القلعة بالقاهرة معتنيا بعلم الحديث، وطلبه على الحافظ ابن حجر العسقلاني، وكان مشاركًا في كثير من العلوم والآداب[5]، وكان الأمير تغري بردي بن أبي بكر الناصري الناصري الحنفي (ت 895 هـ/1492م) يقرئ صغار المبتدئين[6].

كما اشتهر من أبناء المماليك من ذاع صيتهم في التأليف التاريخي بالخصوص، نذكر منهم أبو المحاسن بن تغري بردي صاحب النجوم الزاهرة، وبيبرس الدوادار صاحب زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة.

---

[1] – السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص 9 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج8، ص 7-8.

[2] – سعيد عبد الفتاح عاشور، **المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك**، دار النهضة العربية، القاهرة، 1962، ص 142.

[3] – ابن تغري بردين النجوم الزاهرة، ج8، ص 193 – المقريزي، السلوك، ج1، ص 905 – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج6، ص 69 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص 449.

[4] – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج6، ص 164.

[5] – السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص 33-34.

[6] – السخاوي، المصدر نفسه، ج3، ص 27.

لقد تمكن المماليك من دفع الحركة الثقافيّة إلى الرقي والازدهار بفضل ما توفر لهم من مداخيل مالية خاصة من التجارة. وازداد اهتمامهم بها منذ أواسط القرن 8هـ/14م، حين حاولوا إيجاد مصادر دخل غير الّتي كانوا يعتمدون عليها[1]، فاحتكر السلاطين تجارة الشرق المتمثلة في مادّة التوابل لحسابهم الخاص، وحوّلوا التجار من ميناء عدن اليمني إلى ميناء جدّة الّذي كان خاضعا لسيادتهم، فكثرة المداخيل الماليّة[2]، ما مكن من الإنفاق على المنشآت الثقافيّة، وانعكس ذلك إيجابًا على نمو الحركة الثقافيّة والعلميّة وازدهارها. كما اهتم المماليك بتجارة الذّهب مع بلاد السودان الغربي وربطوا طريقا من مصر إلى مصادر التبر في التكرور[3] وغيرها، وربطتهم علاقات تجارية وثيقة مع الجمهوريات الإيطالية وأوروبا عامّة عبر البحر الرومي[4] . لكن الازدهار التجاري بمصر المملوكيّة تأثر باكتشاف البرتغاليين أواخر القرن 9 هـ/15م طريقا ملتفا حول إفريقيا عن طريق رأس الأعاصير ووصلوا إلى شواطئ الهند، وتحول النشاط التجاري إلى هذا الطريق بدلا من طريق بحر القلزم[5]، فحرمت دولة المماليك من مداخيلها الرئيسيّة خاصة ضريبة العشر[6]، ولا شك أن ذلك كان ضربة للاقتصاد المملوكي، وتأثرت الحياة الثقافيّة جرّاء ذلك بشكل كبير.

[1] – كانت المصادر الماليّة للمماليك متعدّدة منها: الضرائب التي كانت تؤخذ على التجار الأجانب، والضرائب المحصلة من أفراد المجتمع من ذوي المهن والحرف، إضافة إلى أموال الزكاة وغيرها. القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 448-466.

[2] – أحمد مختار العبادي، عبد العزيز سالم، **تاريخ البحرية الإسلاميّة في مصر والشام**، دار النهضة، بيروت، 1984، ص 265.

[3] – مدينة كبيرة في السودان الغربي، كانت مركزا تجاريا وثقافيا خلال فترة العصور الوسطى. القزويني، المصدر السابق، ص 26 .

[4] – أنطوان خليل ضومط، المرجع السابق، ص 229-240.

[5] – وهو البحر الأحمر.

[6] – ابن إياس، بدائع الزهور، ج4، ص 355 – العبادي، عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 266 .

الفصل الأوّل

الحياة الثقافية بالمغرب الإسلامي

بين القرنين 7-9هـ/13-15م

1- المؤسّسات التعليميّة والثقافيّة

1-1- المساجد والكتاتيب

1-2- المدارس

1-3- الزّوايا

2- التعليم

2-1- مراحل التعليم

2-1-1- المرحلة الإبتدائية

2-1-2- مرحلة التّعليم العالي

2-2-طرق التدريس

3- الحركة العلميّة وأعلامها

3-1- العلوم الدينيّة والتصوف

3-2- العلوم اللسانية والاجتماعية

3-3- العلوم العقليّة

1 - المؤسّسات التعليميّة والثقافيّة:

تعد المؤسسات الثقافية من الركائز التي استندت عليها دول المغرب الإسلامي لنشر الثقافة والعلوم، وكان السلاطين يسهرون شخصيا على أعمال إنشائها وتدشينها وتعيين طاقم تدريسها ووضع البرامج التعليمية، وانتشرت هذه المؤسسات في كامل الحواضر المغاربية من طرابلس الغرب إلى تونس وبجاية وقسنطينة وتلمسان وفاس ومراكش وسبتة وغرناطة وغيرها من المراكز الثانوية في أرياف المغرب الإسلامي.

1-1- الجوامع والمساجد:

ميّز الحياة الثقافية بالمغرب الإسلامي في عهد الدويلات المستقلة بعد الموحدين الدور الّذي قامت به المساجد في ترسيخ العقيدة الإسلاميّة إضافة إلى دورها التعليمي، حيث لم تكن مجرّد أماكن للعبادة، بل كانت عبارة عن مؤسّسات تعليمية تدرّس بها أصناف العلوم خاصة الدّينيّة[1].

وكانت المساجد منتشرة بكل أرجاء بلاد المغرب، وفضلا عن أنها كانت ولا تزال أماكن لأداء الصلوات الخمس وصلاة الجمعة عنيت كذلك بتحفيظ القرآن والحديث، وتدريس والفقه واللّغة النحو والأدب، أمّا المساجد الجامعة فكانت شبيهة بالمعاهد العليا، والّتي كانت تلقّن العلوم الدّينيّة من الفقه وعلوم القرآن والحديث والعلوم اللّسانيّة[2]، واشتهرت بالمغرب الإسلامي الجوامع والمساجد التالية:

- جامع القيروان:

شُيد هذا الجامع بمدينة القيروان على يد الفاتح عقبة بن نافع في عام 50هـ/670م، وتم تجديده في أيام الفاتح حسان بن النعمان حوالي عام 80هـ/ 699م، وزاد فيه بعد ذلك بشر بن صفوان عامل الخليفة هشام بن عبد الملك زيادة كبيرة سنة 105هـ/ 723م، كان من أهم ملامحها المئذنة الحالية التي تعد أقدم مئذنة قائمة في العمارة الإسلامية[3].

---

[1]- كان المسجد يقوم بدور التعليم منذ العهود الأولى للإسلام إضافة إلى دوره الديني .عبد الحي الكتاني الفاسي، **التراتيب الإدارية أو كتاب نظام الحكومة النبويّة**، ج2، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت)، ص 217.

[2]- مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص 66-67.

[3]- عبد الرحمن بن عبد الحكم، **فتح إفريقية والأندلس**، تقديم: زهير إحدادن، مؤسسة إحدادن للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص17. عبد الحميد سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، المرجع السابق، ص 183.

وفي عهد دولة الأغالبة، شهدت عمارة الجامع تطورًا ملحوظا، حيث أصبح تخطيطه مكونًا من صحن وأربع ظلات أكبرها عمقًا ظلة القبلة، كما شيدت بالجامع مجموعة قباب منها قبة المحراب التي تعد أقدم قبة محراب قائمة في المساجد الإسلامية، وكذلك قبة البهو. كما لقي العناية الخاصة من قبل الحفصيين منذ سنة 693هـ/1294م على عهد السلطان أبي حفص عمر بن أبي زكرياء الذي كان يعظم الفقهاء والصالحين ويبرهم[1].

وعلى الرغم من الإصلاحات الكثيرة التي شهدها جامع القيروان عبر عصوره المختلفة إلا أنه ما زال يحتفظ بأعظم وأقدم العناصر، منها محرابه القديم الذي شيده عقبة بن نافع وكذلك مقصورته ومنبره اللذان يُعدَّان من أهم وأندر التحف الخشبية في الآثار الإسلامية[2].

– جامع الزيتونة بتونس:

يعد هذا المسجد الجامع من المراكز الأولى التي أسسها المسلمون لنشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية والعلوم الدينية بالمغرب الإسلامي، و كانت العادة إذا فتح العرب المسلمون أرضًا اختاروا فيها الموقع المناسب لإنشاء مدينة لهم، وأول ما يختطونه من الأبنية هو المسجد الجامع، وعلى هذا يكون جامع الزيتونة قد أُنشئ في مدينة تونس بالذات حين تأسيس المدينة نفسها، أيام قائد فتح هذه البلاد ومؤسس تونس حسان بن النعمان حوالي سنة 80هـ/ 699 م[3].

وكان تأسيسه في غاية البساطة على ما جرت به العادة في ذلك الزمان، ثم شرع في إعادة بنائه بأحسن من ذي قبل في عهد الوالي الأموي عبيد الله بن الحبحاب في سنة 116هـ/ 734م، وتمت عمارته سنة 141هـ/ 758م، بعد انتهاء ولاية ابن الحبحاب على تونس ولذا جنح بعض المؤرخين إلى القول بأن أول من بناه ابن الحبحاب[4].

---

[1]– ابن الشماع، المصدر السابق، ص82.

[2]– عبد الحميد سعد زغلول ، **العمارة والفنون في دولة الإسلام**، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1986، ص ص 291 – 298.

[3]– ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 24.

[4]– سعد زغلول، العمارة والفنون، المرجع نفسه، ص299.

وطرأت عدة تعديلات وزيادات في هذا المسجد بعد تلك التي أحدثها ابن الحبحاب، فمن ذلك أن زيادة الله بن الأغلب بنى فيه أبنية ضخمة سنة 250هـ/ 865م، وقد كساه وحسنه السلطان أبي زكرياء يحيى الواثق بن المنتصر الحفصي سنة 676هـ/ 1278م[1].

وخصصت مكتبة ملحقة بهذا الجامع بعد أن حبس السلطان أبو فارس عبد العزيز بن أحمد الحفصي وحده ما ينيف على الثلاثين ألف مجلد، ووضعها في خزائن زُيّن بها صدر الجامع سنة 796هـ/ 1396م، ووقفها على العلماء والمتعلمين، وحبس عليها ما يقوم بأمرها[2]. ثم تلاه السلطان أبي عمرو عثمان بن محمد المنصور فجمع سنة 839هـ/ 1435م خزانة أخرى تقارب خزائن أبي فارس، وبنى لها مقصورة متسعة وملأها بالخزائن، وفرق تلك الكتب في تلك الخزائن[3]، وتعرف إلى يومنا هذا بمقصورة الكتب.

وكان هذا الجامع معدا بشكل جيد للتعليم العالي، وقصده طلبة كافة أنحاء المغرب الإسلامي، وكانت تقرر به برامج العلوم الدينية واللغة العربية وآدابها والعلوم العقلية.

أما بالمغرب الأوسط فاشتهرت المساجد التالية:

- مسجد أغادير :

أسّس هذا المسجد حوالي سنة 174 هـ/790م من طرف الأدارسة بعد دخولهم تلمسان[4]، وكتب على حجر تأسيسه: "**بسم الله الرّحمان الرّحيم، هذا ما أمر به إدريس بن عبد الله بن حسن بن ا لحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه**"[5]، وحظي هذا المسجد بعناية يغمراسن بن زيان الّذي قام ببناء مئذنته[6].

---

[1]- ابن الشماع، الأدلة البينة، ص74.

[2]- ابن الشماع، الأدلة البينة، ص114.

[3]- المصدر نفسه، ص 124.

[4]- ابن الخطيب، أعمال الأعلام (تح:العبادي)، ص 192.

[5]- لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 90.

[6]- صالح بن قربة، **المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى**، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 85 – خالد بلعربي، المرجع السابق، ص 252-253. دهنية، الدولة الزيانية في عهد يغمرا سن، المرجع السابق، ص 362 – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 125.

– المسجد الأعظم بتاجرارت:

بناه المرابطون عند تأسيس مدينة تاجرارت سنة 473 هـ/1080م، وقام الأمير علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي سنة 530 هـ/1135م بترميمه وتزيينه[1].

وفي عهد بني زيان قام يغمراسن بإضافة المئذنة والجزء الشمالي من بيت الصلاة والقبّة الصحن[2]، كما قام خلفاؤه بتزويده بخزائن للكتب، وكان له دور ثقافي كبير، وأصبح معدّا للتدريس منذ أن استقدم يغمراسن إليه الشيخ الفقيه أبا إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي (ت 680 هـ/1280م) لعقد مجالسه العلمية به[3]، وكان يغمراسن يحضر هذه المجالس رفقة الفقهاء[4].

– مسجد أبي الحسن:

يقع هذا المسجد قرب الجامع الأعظم، وقد أسّسه السلطان الزياني أبو سعيد عثمان بن يغمراسن سنة 696 هـ/1296م[5]، وأخذ اسم أحد الأعلام في الفقه وهو الشيخ أبو الحسن التنسي (ت706 هـ/1306م) الّذي كان يلقي به دروسه[6].

– مسجد أولاد الإمام:

أنشأه السلطان أبو حمو موسى الأوّل حوالي سنة 710هـ/1310م[7]، ليكون ملحقا بالمدرسة بالمدرسة القديمة التي بناها لابني الإمام أبي زيد عبد الرّحمان وأبي موسى عيسى اللذين وفدا عليه من برشك[1] فأكرمهما.

1– RACHID Bourouiba, l'Art religieux Musulman en Algérie, SNED, Alger, 1973, p.71-72, رشيد بورويبة، جولة عبر مساجد تلمسان، **مجلة الأصالة** ، ع 26، 1975، ص 172 – الطمار، تلمسان، المرجع السابق، ص 44-45.

Georges Marçais, Tlemcen, op.cit, p.19-20.

2 – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 125 – دهنية، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، المرجع السابق، ص 362 – صالح بن قربة، المرجع السابق،ص 85 – خال بلعربي، المرجع السابق، ص 229.

3– لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 90.

4– التنسي، تاريخ بني زيان، ص 126.

5– رشيد بورويبة، الحياة الفنية في عهد الزيانيين و المرنيين، ضمن كتاب: **الجزائر في التاريخ**، ج3، المرجع السابق، ص 496 - Georges Marçais, Tlemcen, op.cit, p. 43,44

6– هو أخو أبي إسحاق التنسي، كان من كبار علماء المغرب الأوسط ، وكان معظما عند الملوك والعامة. يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 114.

7– رشيد بورويبة، الحياة الفنية، المرجع السابق، ص 497 – Dhina, les Etats, op.cit, p. 126

- مسجد إبراهيم المصمودي:

أسسه أبو حمو موسى الثاني إلى جانب قبة ومدرسة وزاوية، وكانت هذه المجموعة المعمارية تحمل اسم المدرسة اليعقوبية، وقد اندثرت معالم الزاوية والمدرسة وبقي المسجد[2]، وأخذ اسم الشيخ إبراهيم المصمودي (ت 804 هـ/1400م)[3].

- مسجد أبي مدين بالعبّاد[4]:

أسّسه السلطان المريني أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق سنة 739 هـ/1339م بقرية العبّاد، وأخذ اسم القطب أبي مدين شعيب الأشبيلي (ت 594 هـ/1197م)[5]، وتميز هذا المسجد بدقة بنائه وزخارفه، وهو من محاسن الفن المغربي الأندلسي[6].

- مسجد سيدي الحلوي:

---

[1]- برشك: مدينة قديمة على الساحل الغربي للمغرب الأوسط بين شرشال وتنس كان سكانها يشتغلون بالحياكة وكانت خارجة عن سلطة بني زيان – الإدريسي، المصدر السابق، ص 158 – الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 32 – لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 83.

[2]- حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص 181-182- لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 119.

[3]- هو إبراهيم بن موسى المصمودي، أصله من صنهاجة المغرب قرب مكناسة، أخذ علومه عن الآبلي وغيره، ثم نزل تلمسان، ولازم أبا عبد الله الشريف بالمدرسة اليعقوبيّة، وبعد وفاته أخذ عن سعيد العقباني بالمدرسة التاشفينية، ثم انقطع للعبادة وللتدريس، ودفن بعد وفاته بضريح الأمراء الزيانيين بجانب المدرسة اليعقوبيّة – انظر: ابن مريم، البستان، ص 64-66.

[4]- العبّاد، قرية صغيرة قرب تلمسان و هي مدفن القطب أبي مدين. الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 24.

[5]- هو أبو مدين شعيب بن حسين الأندلسي، جال وساح واستوطن بجاية مدّة، وتوفي قرب تلمسان أين دفن بالعبّاد، وهو شيخ أهل المغرب في التصوف. انظر ترجمته في: أبو العباس الغبريني، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 55-65- أبو العبّاس أحمد بن قنفذ القسنطيني، **أنس الفقير و عز الحقير**، تح: محمد الفاسي – أدولف فور، دار المغرب للتأليف والترجمة والنّشر، الرباط، 1965، ص 11 وما يليها – عبد الوهاب الشعراني، **الطبقات الكبرى (الواقح الأنوار في طبقات الأخيار)**، ج1، المطبعة العامرية، مصر، 1315 هـ، ص 131-132 – سراج الدين بن المقلن، **طبقات الأولياء**، تح: نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973، ص 437 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 125 – ابن مريم، البستان، ص 108.

[6]- ابن مرزوق، المسند، ص 403 – حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص 65 – بورويبة، الحياة الفنية، المرجع السابق، ص 500-503.

أسسه السلطان المر يني أبو عنان بن أبي الحسن سنة 754 هـ/1353م[1] بعد استيلائه على مدينة تلمسان، وهذا المسجد يشبه في تصميمه وزخارفه مسجد أبي مدين[2]، وهو منسوب للشيخ الزاهد أبي عبد الله الشوذي الاشبيلي الملقب بالحلوي[3].

لم تكن إقامة المساجد وعمارتها مقتصرة على عاصمة المغرب الأوسط تلمسان فقط، بل كانت معظم مدنه الأخرى تضم مساجد تؤدي وظيفة العبادة والتعليم ومن تلك المساجد: المسجد الكبير بندرومة الذي بناه المرابطون[4]، وكذلك المسجد الكبير بالجزائر[5]، ومساجد وهران ومستغانم والمدية[6]، ومسجد هنين الذي أسّسه المرينيون[7].

وكانت معظم المساجد التي أنشئت في عهد بني زيان متأثرة بالفن المعماري الأندلسي نظرًا للتأثير الفني الكبير الّذي أدخله الأندلسيون إلى المغرب الأوسط، كما أن بعض سلاطين بني زيان كانوا يطلبون ويستقدمون الصنّاع من الأندلس لإقامة مشاريعهم العمرانية كأبي تاشفين الأول[8].

وفي المغرب الأقصى ازدهرت عمارة المساجد وأشهرها:

- جامع القرويين بفاس:

كان هذا الجامع من أقدم الجامعات الإسلامية ومقره مدينة فاس، يعود تأسيسه للفترة الإدريسية ، وازدهر أيام الدولة المرينية وكان معدا للتدريس مزودا بالمكتبة وله نظام دراسة خاص واختص بمنح الإجازة للطلبة المتخرجين.

---

[1]- بورويبة، الحياة الفنية، المرجع السابق، ص 503.

[2]- عبد العزيز فيلا لي، تلمسان، ج1، ص 148.

[3]- هو أبو عبد الله الشوذي الاشبيلي المعروف بالحلوي نزيل تلمسان، تولى قضاء اشبيلية في أواخر عهد الدّولة الموحدية ثم فرّ من القضاء وآوى إلى تلمسان في زي المجانين. انظر: يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 127-128 – ابن مريم، البستان، ص 68-70.

[4]- البكري، المصدر السابق، ص 80 – رشيد بورويبة، **الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية**، تر: إبراهيم شبوح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص 59.

[5]- البكري، المصدر السابق، ص 66.

[6]- بودواية، المرجع السابق، ص 71.

[7]- ابن مرزوق، المسند، ص 403.

[8]- التنسي، تاريخ بني زيان، ص 140 – عبد العزيز سالم، **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس**، ج2، دار النهضة العربية، بيروت، 1972، ص60.

أسس هذ الجامع سنة 245هـ/859م من طرف امرأة هي فاطمة الفهرية لكي تقام فيه الصلوات والخطب والمواعظ والدروس، وعرف الكثير من التحسينات والتوسيعات على عهد الدول المتعاقبة بالمغرب الأقصى، وفي العهد المريني اكتملت صورته في شكل جامعة حقيقية من حيث البرامج التعليمية ونظام التعليم الذي كان متبعا به وطاقمه التدريسي[1].

وإضافة إلى هذا الجامع قام السلطان أبو الحسن المريني ببناء مساجد عدة منها الجامع الذي أنشأه بمدينة هنين، وكان شراء موضعه على يد ابن مرزوق الخطيب، وكانت تقام فيه الخطبة، إضافة إلى الجامع الكبير بتازا أسسه أثناء ولايته للعهد[2]، ومساجد أخرى بكل من طنجة وسلا ومكناس ومراكش[3].

أما في الأندلس فقد كان للمساجد الدور الأساسي والأول في نشر التعليم بين أفراد المجتمع النصري وتأهيلهم لمواصلة طلب العلم في أقطار العالم الإسلامي بالمغرب والمشرق، وكانت المدن الأندلسية قبل سقوطها بيد القشتاليين تضم الكثير من المساجد، في بسطة ووادي آش ومالقة وألمرية، ومنها مسجد غرناطة الذي أسسه محمد بن نصر ثاني ملوك بني الأحمر وكان الطلبة يتوافدون عليه بكثرة[4].

1-2- الكتاتيب:

تعتبر الكتاتيب من أقدم أنواع المؤسّسات التعليمية في العالم الإسلامي، وهي جمع كتاب، وهو مشتق من التكتيب وتعليم الكتابة[5]. ودخل هذا النظام إلى بلاد المغرب مع الفاتحين المسلمين، وكانت كتاتيب القرون الأولى للإسلام عبارة عن بناءات بسيطة لتعليم الصبيان القرآن الكريم، وقد ازداد عددها بتوسع العمران وكثرة إنشاء المدن الجديدة[6].

---

[1]- محمد خرماش، "نظام التعليم بالقرويين بين القديم والحديث قراءة في الإصطلاحات التربوية"، **مجلة الحضارة الإسلامية**، ع 1، أبريل 1993، ص119.

[2]- ابن مرزوق الخطيب،المسند، ص ص 403- 404.

[3]- ابن مرزوق، المصدر نفسه، ص402.

[4]- محمد الطوخي، المرجع السابق، ص57.

[5]- حسن عزوزي، "التأليف في القراءات في المغرب و الأندلس"، **مجلة الحضارة الإسلامية**، ع1، 1993، ص 241.

[6]- الكتاني، التراتيب الإدارية، ج2، ص 293 – محمد بن سحنون، **كتاب آداب المعلمين**، تح: حسن حسني عبد الوهاب، مراجعة: محمد العروسي المطوي، دار الكتب الشرقية، تونس، 1972، ص 31-35.

وكانت الكتاتيب منتشرة بالمدن والقرى بالمغرب الإسلامي، وكانت مخصّصة لتعليم الصبيان بعض المبادئ في الكتابة والقراءة وخاصة تحفيظ القرآن[1]، وكانت عبارة عن غرف بسيطة أثاثها مكوّن من حصير، وكانت أدوات الكتابة عبارة عن لوحٍ خشبي مصقول ودواة وقلم من القصب وإناء للمحو[2].

وكان إنشاء هذه المؤسّسات خاصا في الغالب، أو كانت تبنى من قبل مجموعة من أولياء الصبيان[3]، وخلال القرن 8-9 هـ/14-15م ازدهرت الكتاتيب من حيث التنظيم والمواد المدرسة، وكان يشرف عليها مؤدبون ومقرءون[4].

1-3- المدارس:

تعد المدارس من المنشآت الثقافية والتعليمية المستحدثة في العالم الإسلامي، وأوّ ل مدرسة بنيت في الإسلام هي المدرسة البيهقية[5] بمدينة نيسابور[6] أوائل القرن 5هـ/11م، وفي 457 هـ/1065م قام الوزير السلجوقي نظام الملك[7] ببناء المدرسة النظامية ببغداد[8].

ودخل نظام المدرسة إلى بلاد المغرب الإسلامي بشكل واضح ابتداءا من القرن السابع الهجري/13م، وأشرفت الدولة على حركة بناء المدارس، وكان الهدف من وراء ذلك هو نشر التعليم

---

[1]- نقولا زيادة،" المعلم"، **مجلة العربي**، ع516، نوفمبر 2001، ص 57.

[2]- لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 160.

[3]- الونشريسي، المعيار، ج 11، ص 156.

[4]- الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 261.

[5]- نسبة إلى الشيخ الإمام أبي بكر أحمد البيهقي أحد أقطاب الحديث والفقه والأصول في زمانه: وبيهق بلدة في خراسان. انظر: القاضي أحمد بن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج1، المطبعة الميمنية، مصر 1310 هـ، ص 20-21- القزويني، المصدر السابق، ص 339.

[6]- نيسابور: أشهر مدن إقليم خراسان، كانت ذات عمارة كثيرة وفضائل جمة. القزويني، المصدر السابق، ص 473.

[7]- هو أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس قوام الدين الطوسي، كان محبا للعلماء و رجال التصوف وبنى المدارس والرّبط والمساجد ببغداد و اقتدى به الناس في ذلك. توفي سنة 485 هـ/1102م ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 143-144.

[8]- تقي الدين ابن زيد الجراعي، **تحفة الراكع و الساجد في أحكام المساجد**، تح: طه الولي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1981، ص 196-197 – المقريزي، الخطط، ج 62، ص 363.

والثقافة من جهة، ومن جهة أخرى توجيه الرّعية لخدمة السياسة المذهبية وهي نصرة المذهب المالكي والعمل على نشره، وكانت المدارس إحدى الوسائل المتاحة لتحقيق تلك الغاية[1].

وكان ملوك المغرب الإسلامي يحرصون على تعيين كبار الفقهاء المالكية في عصرهم للتدريس في مدارسهم الّتي أنشؤوها، وقد اشتهرت ببلاد المغرب المدارس التالية:

1-3-1- المدارس الحفصية:

كان الحفصيون هم السباقين إلى إنشاء المدارس بالمغرب، حيث أسس السلطان أبو زكرياء الأول المدرسة **الشماعية** سنة 633هـ/1235م قرب الجامع الكبير بمدينة تونس، وسمّيت كذلك لقربها من سوق الشمّاعين وكانت تعرف بأمّ المدارس بتونس[2]. ثم تلتها **المدرسة التوفيقية** التي أقامتها الأميرة عطف أم المنتصر الحفصي سنة 650هـ/1252م، وممن تولى التدريس بها المحدث الأندلسي الشيخ ابن سيد الناس اليعمري[3].

وفي عهد أبي حفص عمر (683هـ-694 هـ/1284 -1295م)[4] بنيت **المدرسة المعرضيّة** بتونس وحبس عليها خزانة كتب، وخص المدرس بها براتب شهري قدره عشرة دنانير، وممن درس بها عند افتتاحها الشيخ أحمد البلوي الغرناطي[5].

وفي سنة 742 هـ/1341م قام أبو بكر يحيى بن إبراهيم ببناء **المدرسة العنقيّة**[6].

كما أنشأ الحاجب الحفصي عبد الله بن تافراجين المدرسة التي سميت باسمه وهي **مدرسة اِبن تافراجين** والّتي أنشأت قبل سنة 766 هـ/1364م[7].

وأنشأ أبو العباس أحمد الثالث (772-796هـ/1370-1394م) مدرسة بتونس لتدريس العلوم الدينية وكان بها جناح لإيواء الطلبة، وقدرت مداخيل أوقافها بعشرة آلاف دينار[1].

---

[1]- حركات، المرجع السابق، ج1، ص51.

[2]- ابن الشماع، المصدر السابق، ص56 - ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 134.

[3]- ابن الشماع، المصدر نفسه، ص 63.

[4]- الزركشي، المصدر السّابق ، ص 51.

[5]- الزركشي، نفسه، ص 51.

[6]- الزركشي ، نفسه ، ص ص 71-77.

[7]- يذكر أنّ هذه المدرسة كائنة الآن بأسفل نهج سيدي إبراهيم، وقد صارت محل سكني اليوم. الزركشي، المصدر السابق، ص 101.

وقام أبو عبد الله محمد السادس المنتصر (837-839هـ/1434-1436م) ببناء **المدرسة المنتصرية**، وأتمها أخوه أبو عمرو عثمان (839-894هـ/1436-)[2].

إضافة إلى مجموعة كبيرة من المدارس الأخرى التي أسسها الحفصيون في طرابلس الغرب وبعض المدن الداخلية في دولتهم[3].

1-3-2- مدارس المغرب الأقصى:

-مدرسة الحلفائيين:

وهي المعروفة بمدرسة الصفارين نسبة إلى مجاورتها لسوق النحاس، وقد شيدت في عهد أبي يوسف يعقوب المريني بأمر منه سنة 675هـ/1276م[4]، وأوقف عليها مكتبة تسلمها من الملك القشتالي سانشو[5].

-مدرسة المدينة البيضاء:

أمر ببنائها في فاس الجديد أبو سعيد الأول سنة 720هـ/1320م[6].

- مدرسة الصهريج ومدرسة السبعين:

أسسهما بفاس أبو الحسن المريني عندما كان وليا للعهد، وذلك سنة 720هـ/1320م وزودهما بخزانة للكتب[7].

- مدرسة العطارين:

تقع بالقرب من جامع القرويين، أسسها أبو سعيد الأول بين عامي 723-725هـ/1323-1325م[8].

---

[1]- ابن الشماع، المصدر السابق، ص 114.

[2]- ابن الشماع، المصدر نفسه، ص118-122.

[3]- حركات، المرجع السابق، ج1، ص28-29.

[4]- المنوني، ورقات، المرجع السابق، ص239.

[5]-كان ذلك بعد معاهدة الصلح التي تم إبرامها بين الطرفين سنة 684هـ/1285م. المنوني، ورقات، المرجع السابق، ص 240.

[6]- ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص299.

[7]- المصدر نفسه، ص 299-300 – ابن مرزوق الخطيب، المسند، ص405.

[8]- ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص300.

– مدرسة الوادي:

أسسها أبو الحس المريني بمصمودة حوالي سنة 725هـ/1325م[1].

كما أسس العديد من المدارس في كل من مراكش وتازا وسلا وطنجة والقصر الكبير وأغمات وآسفي وحبس عليها الكتب النفيسة وجعل لها القيمين والبوابين والأئمة والناظرين والخدم فضلا عن المدرسين[2].

1-3-3-مدارس المغرب الأوسط:

– مدرسة ابني الإمام:

هي أوّل مدرسة بنيت بتلمسان، أسّسها السلطان الزياني أبو حمو موسى الأوّل، وعين للتدريس بها ابني الإمام: أبو زيد عبد الرّحمان (ت:743هـ/1342م) وأبو موسى عيسى (ت:749 هـ/1349م)، وصارت المدرسة تعرف باسميهما، كما تعرف بالمدرسة القديمة، وكانت تقع قرب باب كشوطة غرب تلمسان[3].

– المدرسة التاشفينية:

أسّسها السلطان أبو تاشفين عبد الرّحمان الأوّل بجانب المسجد الكبير بتلمسان، وعين للتّدريس بها الفقيه أبا موسى عمران المشدالي (ت 745 هـ/1345م)، واهتم الصّناع بتجميلها وزخرفتها، واحتفل السلطان بتدشينها رسميا بحضور مشيخة تلمسان والأدباء . وظلت هذه المدرسة تقوم بوظيفتها التعليميّة طوال عهد الدّولة الزيانية[4].

– مدرسة أبي مدين شعيب الغوث بالعبّاد:

---

[1]– ابن مرزوق الخطيب، المسند، ص 406.

[2]– ابن مرزوق الخطيب، نفسه ، ص406.

[3]– ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 206 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 130 – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 139 – Georges marçais, Tlemcen, op.cit, p. 47

William et Georges Marçais, les monuments Arabes de Tlemcen, Librairie Thorin, Paris, 1903, p. 185.

[4]– التنسي، تاريخ بني زيان، ص 141، حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص 61 – Georges Marçais, Tlemcen, op.cit,p.50 – Dhina, les Etats, op.cit, p.316 – عبد العزيز فيلالي، تلمسان، ج1، ص 142.

بنيت هذه المدرسة ضمن مركّب معماري خصّه السلطان المريني أبو الحسن بقرية العبّاد قرب تلمسان للولي أبي مدين شعيب (ت 594 هـ/1197م) [1]، وكان يضم الضّريح والمسجد، ثمّ أضيفت المدرسة سنة 747 هـ/1347م غرب الجامع، وكانت مكونة من طابقين سفلي وعلوي، كان بهما غرف للطلبة وحجرات للتدريس، وتميزت بزخارفها الفنية ومرافقها المتعدّدة، الّتي كانت مسخرة لخدمة المدرّسين والوافدين من الطلبة[2].

– مدرسة سيدي الحلوي :

بناها السلطان أبو عنان فارس المريني إلى جانب مسجد وزاوية وضريح الولي أبي عبد الله الشوذي الاشبيلي، سنة 754 هـ/1354م، ولم تكن لها شهرة مثل باقي المدارس[3].

– المدرسة اليعقوبية:

أسّسها السلطان أبو حمو موسى الثاني، وسميت باليعقوبيّة نسبة إلى أبيه يعقوب الّذي كان حاكما بمدينة الجزائر وتوفي سنة 763 هـ/1362م، واستغرق بناء هذه المدرسة حوالي السّنة ونصف السنة وانتهى من إنجازها في 765 هـ/1364م، وأوكل للتدريس بها الشيخ أبا عبد الله الشريف (ت 771 هـ/1370م)، وكانت ملحقة بزاوية ومقبرة مخصّصة للأسرة الحاكمة من بني زيان[4].

وقد وصفها أحد المؤرخين بقوله: " **وأنشأ مدرسة القرآن والعلوم، وأنفق فيها من الحلال المعلوم، فأقيمت مدرسة مليحة البناء، واسعة الفناء بنيت بضروب من الصناعات ووضعت في أبدع الموضوعات، سمكها بالصبغة مرقوم، وبساط أرضها بالزّليج مرسوم، غرس بإزائها بستانين**

---

[1]– العربي لقزيز، **مدارس السلطان أبي الحسن علي مدرسة سيدي أبي مدين نموذجا دراسة أثريّة و فنيّة**، رسالة ماجيستر، قسم الثقافة الشعبيّة، جامعة تلمسان، 2000-2001، ص 55-84. كما كانت تعرف باسم المدرسة الخلدونية نسبة إلى عبد الرّحمان بن خلدون الّذي درس بها حوالي سنة 776 هـ/1376م – لقزيز، المرجع السابق، ص 56.

[2]– ابن مرزوق، المسند ص 403 – حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص 64-69 – بورويبة، الحياة الفنية، المرجع السابق، ص 503 – فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 143 – عبدلي لخضر، المرجع السابق، ص – بودواية، المرجع السابق، ص 86-85.

Marçais, Tlemcen, op.cit, p.73.

[3]– حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص 65-75 Marçais, Tlemcen, op.cit, – عبد العزيز فيلالي، تلمسان، ج1، ص 144.

[4]– التنسي، تاريخ بني زيان، ص 179-180– حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص 182- Dhina, les Etats, op.cit, p. 316

عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 144.

يكتنفها ، و صنع فيها صهريجا مستطيلاو على ظرفيه من الرّخام خصتان يطردان مسيلا، فيالها من بنية ما أبهجها"[1].

- مدرسة الحسن بن مخلوف الراشدي:

أنشأها السلطان الزياني أبو العباس أحمد الملقب بالعاقل فيما بين عامي 834-865 هـ/1431-1462م، للولي الحسن بن مخلوف أبركان، وذكرها التنسي بقوله: " وبنى بزاويته المدرسة الجديدة، وأوقف عليها أوقافا جليلة، ووجد كثيرا من ربع الأحباس قد دثر والوظائف بها انقطعت فأحيى رسمها وجرد ما دثر وأجرى الوظائف على أزيد ممّا كانت عليه قبل..." [2]. لكن الغموض يلف هذه المدرسة وربّما كان التنسي يقصد بالمدرسة الجديدة المدرسة التاشفينيّة[3].

1-3-4- مدارس الأندلس:

- المدرسة اليوسفية:

تأسست هذه المدرسة سنة 750هـ/1349م من طرف أبي الحجاج يوسف الأول النصري (733-755هـ/1333-1354م)[4]، وكانت منشأة لتدريس العلوم الدينية واللسانية ثم توسعت اهتماماتها إلى بقية العلوم العقلية، وكانت مقصد الطلبة من كافة أرجاء الأندلس، كما انتسب إليها مجموعة من الطلبة والعلماء المغاربة[5].

إضافة إلى مدرسة مالقة التي كانت بمسجد المدينة، والملاحظ أن المدارس لم تنتشر في الأندلس كما كانت في سائر بلدان المغرب الإسلامي، ويقول المقري في هذا الصدد:"وليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم بل يقرؤون في المساجد"[6].

1-4- الزّوايا:

الزّاوية عبارة عن مؤسّسة ذات طابع ديني وثقافي واجتماعي، تقام فيها العبادات والدّروس، وإطعام عابري السبيل، وعبّر عنها ابن مرزوق الخطيب بقوله، " **والظاهر أنّ الزوايا عندنا في**

---

[1]- حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص 182 – عبد العزيز فيلالي، تلمسان، ج1، ص 144.

[2]- التنسي، تاريخ بني زيان، ص 248.

[3]- المصدر نفسه، ص 248 (هامش 680).

[4]- لسان الدين بن الخطيب، اللمحة البدرية، ص 102.

[5]- يوسف فرحات، المرجع السابق، ص134.

[6] - المقري، نفح الطيب، ج1، ص205.

المغرب هي المواضع المعدّة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاجين من القاصدين"[1]، وبالتالي فهي تختلف عن الرّباط الذي كان يتخذ للمرابطة والجهاد[2].

وكان يشرف على الزّاوية شيخ، وهو الّذي كان يتولى التعليم بها أو الإشراف على أساتذتها، وكان يساعده في إدارتها وكيل وعدد من المتطوعين، أمّا مواردها المالية فكانت من مداخيل وغلاة الأوقاف الّتي كانت تتبعها، ومن الزّكاة والهدايا والتبرعات[3].

وقد انتشرت الزوايا بالمغرب الإسلامي، واشتهرت منها:

الزاوية التي أنشأها السلطان الحفصي أبو عبد الله محمد المنتصر بالله بتونس والمسماة بزاوية الولي سيدي أحمد بن عروس سنة 838هـ/ 1434م[4].

وزاوية عين زميت التي بناها السلطان أبو عمرو عثمان في موضع مقفر على طريق المسافرين من تونس إلى جهة الغرب، وجعل فيها جامعا للصلاة ودرسا لقراءة العلم، ورباطا للقاطنين بها وأمر بإطعام الوافدين عليها باستمرار ووقف عليها أوقافا كثيرة[5].

وفي المغرب الأوسط أنشأت عدة زوايا منها الزاوية اليعقوبيّة الّتي أنشأها أبو حمو موسى الثاني إضافة إلى المدرسة على ضريح والده أبي يعقوب[6]، وزاوية سيدي أبي مدين بالعبّاد والّتي كانت تهتم بالتعليم واستقبال الطلبة الوافدين وكان لها عدّة أوقاف مغلة من البساتين والضياع[7]، وزاوية سيدي الحلوي[8]، وزاوية سيدي السنوسي[9].

---

[1]- ابن مرزق، المسند، ص 413.

[2]- فيلالي مختار الطاهر، **نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني**، دار الفن القرافيكي، باتنة، (د.ت)، ص 27-28.

[3]- المرجع نفسه، ص 27.

[4]- ابن الشماع، الأدلة البينة، ص 120.

[5]- ابن الشماع، الأدلة البينة، ص124.

[6]- حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص 183.

[7]- بودواية، المرجع السابق، ص 77.

[8]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[9]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان، ج1، ص 149.

واشتهرت بوهران الزاوية التازية الّتي أسّسها الشيخ إبراهيم التازي (ت 866 هـ/1462م)[1]، وكانت عبارة عن مركب معماري ضمّ عدّة مرافق و كانت مجهزة بخزائن للكتب وغرف للزوار وأبناء السبيل، كما أودع بها آلات جهادية، وأوقف عليها عدّة أوقاف[2].

وفي المغرب الأقصى فقد أسس أبو الحسن زاوية أبي الحسن التي شيدها داخل سور مدينة سلا، وكانت زاوية حسنة التخطيط مكتوب على بابها الغربي الكبير البناء بخط كوفي بعد الافتتاح والبسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:" أمر بهذا مولانا السلطان الأجل العادل المقدس المجاهد أمير المسلمين ناصر الدين أبو الحسن ابن السلطان الأجل الصالح العادل المجاهد المقدس أمير المسلمين ناصر الدين أبي يوسف يعقوب بن عبد الله خلد الله ملكهم وكان الفراغ منه في آخر ذي الحجة عام 739هـ"[3]، كما بني زاوية بمكناسة في عهد أبيه[4].

والملاحظ أن هذه المؤسسات التعليمية كانت تتبعها المكتبات التي اعتنى بإنشائها الملوك والأمراء والعلماء، وكانت تحبس عليها الأوقاف المغلة من البساتين والضياع والدور والحوانيت، من أجل تسيير أمورها والإنفاق على طلبتها، ما ساهم في تنشيط الحركة التعليمية.

2- التعليم:

يعد التعليم من العوامل المؤثرة في نمو الحياة الثقافيّة والحركة العلميّة، وفي الوقت نفسه مظهرًا من مظاهر الإزدهار الثقافي والعلمي، وكان يتم في المؤسّسات التعليميّة، وكان يمرّ عبر مراحل

---

[1]- هو إبراهيم محمد بن محمد بن علي التازي اللّنتي نزيل وهران، أصله من المغرب الأقصى، ولد أوائل ق9 هـ/15م، وأخذ عن شيوخ المغربين الأقصى والأوسط وساح في الأقطار ثمّ استقر بوهران ونشر فكره في التصوف وتعد مدرسته امتدادًا لمدرسة سيدي الهواري في التصوف، انظر: ابن مريم، البستان، ص 58-63 – السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص 187 – أحمد بن عبد الرّحمان الراشدي، **القول الأوسط في أضار بعض من حل بالمغرب الأوسط**، تح: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991، ص 59-62 – ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني، ص 188 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 263.

[2]- محمد المنوني، "إبراهيم التازي نموذج بارز للتبادل الثقافي بين المغربين خلال ق 9 هـ/15م"، **مجلة الثقافة**، ع 91، 1986، ص 150 – ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني، ص 185.

[3]- عبد المنعم حمدي،المرجع السابق،ص 69 .

[4]- محمد بن الغازي، **الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون**، تح: عبد الوهاب بن منصور، ، ط:2، المطبعة الملكية، الرباط، 1988،ص53.

تدرُّجية يتم فيها تحصيل مختلف المبادئ الأساسيّة للعلوم والمعارف، ثم التعمق في المسائل الفرعية.

2-1- مراحل التعليم:

2-1-1 – المرحلة الإبتدائية:

في هذه المرحلة، كانت الغاية من التعليم تحفيظ القرآن الكريم وبعض مبادئ اللّغة والحساب و الخط[1]، وكان يتم في الكتاتيب، حيث كان الصبيان يدخلون الكتاب في سن محدّدة بين الخامسة والسابعة، ويتبعون برنامجًا منظمًا عبر أيام الأسبوع، وكانوا يفتتحون يومهم بحفظ القرآن منذ الصباح حتى وقت الضحى، ويتعلمون الكتابة من الضحى إلى الظهر، وكانت حصة المساء مخصّصة لتدريس بقية المواد حسب المقرّر الدراسي[2].

وكان يقوم بالتعليم في هذه المرحلة المعلّم أو المؤدّب، وقد قرّر العلماء والفقهاء جملة من القواعد كان على المؤدبين التزامها عند قيامهم بوظيفتهم، منها أن يحتمل أخلاق الصبيان بالصبر والاحتمال وأن تكون همّته مصروفة إلى نفع المتعلمين، وأن يكون على علم بأحوالهم من النباهة والبلادة، وأن يتّصف بالأخلاق الحميدة والخبرة بالقرآن وعلومه[3].

وكان المؤدّبون يعلمون القرآن للصبيان من تلقاء أنفسهم، وعملا بنصوص القرآن والحديث في الحض على تعليم القرآن وتعلّمه، وكانوا يلقون مشقة في ذلك، وكان البعض منهم بأخذ أجرة على ذلك[4].

كما اعتنى المؤدّبون بتعليم أخلاق الديانة الإسلاميّة من الحياء والسّخاء والتّواضع، وكانوا يلجؤون أحيانًا إلى حكايات العباد والصالحين والعلماء لتحبيبهم عند الصبيان، كما كان يجوز لهم تنبيههم إلى كيفيات الوضوء والصّلاة ونحو ذلك من الأعمال المتعلّقة ببعض الفرائض[5].

---

[1]- عبد الرّحمن بن خلدون، المقدّمة، المصدر السابق، ص 1038.

[2]- لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 91-92.

[3]- ابن عبّاد الرندي، **الرّسائل الصغرى**، تح: الأب بولس يوحنا اليسوعي، دار المشرق، بيروت، 1974، ص 116 – ابن سحنون، المصدر السابق، ص 45.

[4]- المصدر نفسه، ص 217 – الونشريسي، المصدر السابق، ج 11، ص 16 – 17.

[5]- ابن عبّاد، المصدر السابق، ص 221-222.

ونبّه العلماء على ضرورة عدم تعنيف الصبيان بشدّة حتّى لا ينعكس ذلك سلبًا على تحصيلهم الدراسي، وحتّى لا ينفروا من الكتّاب فيُضيّعون بذلك فرصة حفظ القرآن في صباهم وهي الفترة الّتي يكون فيها الطّفل أكثر استعدادًا لاستقبال المعلومات وحفظها وترسيخها[1].

2-1-2- مرحلة التّعليم العالي:

بعدما يتمكن الطلاب من حفظ القرآن والإلمام بمبادئ الخط والكتابة واللّغة العربيّة والقراءات في المرحلة الابتدائية، ينتقلون إلى مرحلة التعليم العالي، وكانت تتم في المساجد والمدارس، وفيها كان الطّلبة يتوجّهون لدراسة مختلف التخصّصات العلمية وأصناف العلوم[2].

وتميّزت الدّراسة في هذه المرحلة بحريّة اختيار الطّلاب للمواد الّتي يريدون دراستها، وعدم التقيد بالمقرّرات الدّراسية، وكانت العلوم الدينيّة والاجتماعيّة والعقليّة والآداب تدرس بعمق وتفصيل[3].

وكان يقوم بتدريس الطلاب في المساجد والمدارس أساتذة في مختلف المواد، وكان ملوك المغرب الإسلامي يشرفون شخصيّا على تعينهم ودفع أجورهم، وكان هؤلاء المدرسون يمتازون بغزارة العلم والمعارف، وغالبًا ما كانوا من العلماء الرّحالة الّذين جابوا الأقطار في سبيل تحصيل علومهم[4].

2-2- طرق التدريس:

اختلفت طرق التّدريس من مرحلة إلى أخرى، ومن مدرّس إلى آخر و يمكن تحديدها كالتالي:

- طريقة الإلقاء و الإملاء:

كانت هذه الطريقة معتمدة في الكتاتيب، حيث كان المعلّم يجلس في وسط الكتّاب والصبيان حوله، وكان يكتب القرآن على لوح خشبي مصقول بواسطة الدواة والقلم، ويتم تحفيظ السور القرآنية

---

[1]- عبد الرّحمان بن خلدون، المقدّمة، ص 1042، ابن سحنون، المصدر السابق،ص 88-93- ابن مريم، المصدر السابق، ص242.

[2]- لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 94.

[3]- عبد الحميد حاجيات،" الحياة الفكريّة في عهد بني زيان"، **مجلّة الأصالة**، ع 26، 1975، ص 138.

[4]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 351.

واستظهارها، وعند إكمال كلّ القرآن حفظًا يمتحن الطّفل فيما يسمى بالختمة، وخلالها كان التلميذ يخير بين الانصراف إلى طلب العلم أو الانقطاع عنه[1].

- طريقة اختيار كتاب معيّن في أحد أصناف العلوم و شرحه:

وكانت هذه الطريقة تستعمل للمراحل العليا من التعليم، وكان الأستاذ يتولى بالشّرح والتبسيط مفردات النّصوص بعد ما يتم قراءتها من طرف أحد الطلاب[2].

- طريقة السؤال و الجواب أو المحاورة:

وقد انتقلت هذه الطريقة من إفريقية إلى المغرب الأوسط والأقصى عن طريق ابني الإمام وعمران المشدالي[3]، وكانت طريقة شيوخ المغرب تعتمد على البحث وإعمال الفكر في المسائل العلميّة إضافة إلى الحفظ، وكان الطالب يقوم بدور محوري في الوصول إلى المعلومات، وكان الأساتذة يقومون بالتوجيه، وإدارة المناقشات والمناظرات[4].

وقد شاع استخدام المختصرات في التدريس لتسهيل تلقين العلوم، لكن بعض علماء هذه الفترة أبدوا معارضتهم الصريحة لهذه الطريقة واعتبروها مخلّة بالتعليم[5].

3- الحركة العلميّة وأعلامها:

3-1- العلوم الدينيّة والتصوف:

تأثّرت الحركة العلميّة في دول المغرب الإسلامي بالحياة الدينية تأثرا ملحوظا، وكان المذهب المالكي هو المذهب الرّسمي، وفي عهد الموحدين ذاعت كتب الإمام أبي حامد الغزالي وغيره من الشاعرة[6]، ورغم سياستهم تجاه المذهب المالكي[7] إلاّ أنّ المغاربة كانوا أشدّ تمسكًا به.

---

[1]- لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 97.

[2]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 353..

[3]- عبد الرّحمن بن خلدون، المقدّمة، المصدر السابق، ص 772-773.

[4]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 353.

[5]- عبد الرّحمن بن خلدون، المقدّمة، ص 1028 – 1029.

[6]- عبد الحميد حاجيات، "ملاحظات حول تطور الحريات الدينية بالجزائر في عهد الموحدين"، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية**، مج 2، ع1، جامعة تلمسان، نوفمبر 2000، ص 105.

[7]- تذكر بعض المصادر أن الموحدين كانوا يضطهدون الفقهاء المالكية وكانوا ينبذون علم الفروع، انظر: المراكشي، المصدر السابق، ص 202-204.

كما اصطبغت الحياة الدينية والعلمية بالمغرب بظاهرة التصوف[1]، وظهر الكثير من المتصوفة والزّهاد والعلماء الذين صنفوا في هذا المجال.

واعتنى علماء المغرب بأصناف العلوم الدينيّة من علوم القرآن كالتفسير وعلم القراءات وعلوم الفقه وعلوم الحديث، واشتهر من العلماء في هذا المجال:

-أبو بكر محمد بن أحمد بن محرز الزهري (ت 655هـ/1255م)[2]:

من أهل بلنسية بالأندلس، درس ببلاده ثم بالمغرب في مدن سبتة ومراكش، وجمع بين الفقه والحديث والأدب، ومن شيوخه أبو محمد بن حوط الله وابن عبيد الله الحجري وأبي الحسن القطان.

-أبو بكر محمد بن أحمد بن سيد الناس اليعمري (ت 659هـ/1260م)[3]:

محدث من كبار محدثي المغرب الإسلامي،أصله من إشبيلية، ويعد كذلك من أعلام القراءات واللغة العربية، استقر في بجاية لمدة من الزمن ثم استقدمه السلطان الحفصي المستنصر إلى تونس وبها توفي. من مؤلفاته "خلاصة الأثر في السيرة".

-أبو جعفر أحمد بن يوسف الفهري اللبلي (ت 691هـ/1291م)[4]:

من مدينة لبلة درس بالأندلس وبجاية وتونس ومصر ودمشق، واستقر به المقام في تونس حتى وفاته، ومن تلاميذه ابن رشيد وابن جابر الوادي آشي، ومن مؤلفاته في العقيدة وفي علوم اللغة.

- أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي (680 هـ/1282م) [5]:

نشأ بتنس، وأخذ العلم ببجاية وتونس، ثمّ ارتحل إلى المشرق فزار مصر والحجاز والشام، وأخذ عن علمائها، ثمّ عاد على بلاد المغرب وقد انتهت إليه رئاسة الفتوى والتدريس، واستقدمه

---

[1] - Abdelhadi Ben-Ridouan, Etude sur le Soufisme, T.M Arnaud, in : revue Africaine, n° 32, 1898, p.338-383.

[2] - الغبريني، عنوان الدراية، ص 241.

[3] - الغبريني، المصدر السابق، ص 246.

[4] - الغبريني، المصدر نفسه، ص 300.

[5] - يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 114 – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 126-127 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 66-68 – أحمد بابا التنبكتي، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، طبع على هامش الديباج لابن فرحون، مصر، 1351 هـ ، ص 35-37 – التنبكتي، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، دار ابن حزم، بيروت، 2002، ص83- محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 218 – ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص ص 273-298.

يغمراسن بن زيان إلى تلمسان لتدريس العلوم الدينيّة، فانتفع به الطلبة، ومن مؤلفاته: شرح كبير على كتاب التلقين في فروع الفقه المالكي ضاع أثناء الحصار الطويل.

–أبو عبد الله محمد بن مرزوق (ت681 هـ/1283م) [1]:

ولد ونشأ بتلمسان، وأخذ عن أبي زكرياء بن عصفور وأبي إسحاق التنسي وغيرهما، وكان من العلماء الزّهاد، ولما توفي دفن بإزاء يغمراسن بن زيان بوصية من هذا الأخير تركها لابنه أبي سعيد عثمان تبرّكًا بجواره.

- أبو الحسن التنسي (ت706 هـ/1306م) [2]:

هو أخو أبي إسحاق التنسي، تولى وظيفة التدريس بعد أخيه، وكان معظما عند الملوك الزيانيين والمرينيين، ومدفنه بالعباد.

–علم الدين بن محمد بن يوسف البرزالي (ت 739هـ/1339م) [3]:

من إشبيلية، كان علامة في العلوم الدينية ووصفه معاصروه بالحافظ، ارتحل إلى المشرق واستقر بدمشق مدرسا وتولى مشيخة دار الحديث.

–أبو زيد عبد الرّحمان بن محمّد بن عبد الله و أبو موسى عيسى ابنا الإمام [4]:

أصلهما من برشك، ارتحلا إلى تونس لطلب العلم، وأخذا العلوم الدينيّة على تلامذة ابن زيتون، وأبي عبد الله الدكالي، ثمّ درّسا بعدّة مدن بالمغرب الأوسط، ووفدا على السلطان أبي حمو موسى الأوّل الّذي أكرمهما وبنى لهما المدرسة الّتي أخذت اسميهما. ثمّ صحبا السلطان أبا الحسن المريني بعد استيلائه على تلمسان سنة 737 هـ/1337م، وحضرا معه معركة طريف بالأندلس ضدّ النصارى، ثمّ عادا إلى تلمسان وبها توفي الأخ الأكبر أبو زيد عبد الرّحمان سنة 743 هـ/1343م في حين توفي أخوه أبو موسى عيسى سنة 749 هـ/1349م. وكانت لابني الإمام مكانة كبيرة في

---

[1] – ابن مرزوق الخطيب، المناقب المرزوقية، ص 149- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 114 – 115.

[2] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 114.

[3] – الشوكاني، البدر الطالع، ج2، ص51.

[4] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 130 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 123-126 – التنبكتي، المصدر السابق، ص 166-168 – ابن خلدون، التعريف، ص 821-824 – المقري، نفح الطيب، ج6، ص 181 – محمّد مخلوف، المصدر السابق، ص 219 – أبو القاسم محمّد الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، ط2، ج1، مؤسّسة الرّسالة، المكتبة العتيقة، تونس، 1985، ص 210 - عبد الرّحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 164.

الأوساط العلميّة بالمغرب والمشرق، وتخرّج بهما عدّة علماء منهم: الآبلي والمقرّي الكبير وأبو عبد الله الشريف وسعيد العقباني وابن مرزوق الجدّ وغيرهم، وألّف أبو زيد "شرحًا على مختصر ابن الحاجب في الفروع".

- **أبو موسى عمران المشدالي** (ت**745 هـ/1344م**) [1]:

أصله من زواوة ببجاية، انتقل إلى مدينة الجزائر ومنها إلى تلمسان، حيث ولاّه السلطان أبو تاشفين الأوّل التدريس بمدرسته، فدرّس بها الحديث والفقه والفرائض، ومن مؤلفاته: "اتخاذ الركاب من خالص الفضّة"، وله "فتاوى" نقل بعضها الونشريسي في المعيار.

-عبد المهيمن بن محمد الحضرمي (ت **749هـ/1349م**)[2]:

من أسرة علمية عريقة من مدينة سبتة، حيث تعلم ثم انتقل إلى الأندلس، وكان عالما في الحديث، تولى كتابة العلامة لدى المرينيين، وهو أحد شيوخ عبد الرحمن بن خلدون بتونس.

- **أبو عبد الله المقرّي** (ت**759 هـ/1359م**) [3]:

ولد بتلمسان، ودرس على علمائها أمثال ابني الإمام وأبي موسى عمران المشدالي، ارتحل إلى المشرق ولقي مشاهير العلماء أمثال ابن القيم الجوزية وأبي حيان وغيرهما، ثمّ عاد إلى تلمسان ومنها انتقل إلى فاس وتولى قضاءها. من أشهر تلامذته: لسان الدين بن الخطيب وعبد الرّحمن بن خلدون وابن زمرك الأندلسي، ومن مؤلفاته: "كتاب الحقائق والرقائق في التصوّف" وكتاب "القواعد" وكتاب "المحاضرات".

- **أبو عبد الله الشريف التلمساني** (ت**771 هـ/1370م**) [1]:

---

[1] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 130 – المقري، نفح الطيب، ج6، ص 187 – التنبكتي، المصدر السابق، ص 215-217 – الحفناوي، المرجع السابق، ص 78-80 – عثمان الكعاك، البجائيون، **الملتقى الثامن للفكر الإسلامي**، بجاية، مارس – أبريل، 1974، ص 510 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 220.

[2] – عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص515 – ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2، ص831 – المقري، نفح الطيب، ج7، ص163 – الزركشي، تاريخ الدولتين، ص86.

[3] – المقري، نفح الطيب، ج6، ص 172-258 – ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص 136-165 – التنبكتي، المصدر السابق، ص 249-254 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 154-164 – أبو الحسن النباهي، **تاريخ قضاة الأندلس المرقبة العليا ضمن ما يستحق القضاء والفتيا**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983، ص 169-170 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 121 وذكر وفاته سنة 756 هـ/1356.

ولد ونشأ بتلمسان وأخذ العلم عن علمائها واختص بابني الإمام ولزم الشّيخ الآبلي. ارتحل إلى تونس ولقي الكثير من العلماء، ولما استولى أبو عنان المر يني على تلمسان ألحقه بمجلسه العلمي بفاس، ثمّ عاد إلى تلمسان أيام السلطان أبي حمو موسى الثاني الّذي ولاّه التدريس بالمدرسة اليعقوبيّة حتى وفاته. من مؤلفاته : "مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول" و"شرح جمل الخونجي في المنطق".

- **محمد بن أحمد بن محمّد بن مرزوق الخطيب (ت781 هـ/1379م)** [2]:

ولد ونشأ بتلمسان وبها تعلّم مبادئ العلوم، وارتحل مع أبيه إلى الحجاز في سنّ مبكّرة فحجّ وجاور، ثمّ ارتحل منفردًا ودخل الشام ومصر وأخذ عن علمائها، وتولى الخطابة بعدّة مساجد بمصر والمغرب والأندلس، وشارك في الأحداث السياسيّة لعصره حتى وفاته بمصر. من تآليفه: "معجم شيوخه سماه: عجالة المستوفز المستجاز في ذكر من سمع من المشايخ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز"، و له: "شرح الشفاء للقاضي عيّاض"، "إزالة الحاجب لفروع ابن الحاجب كتاب الإمامة"، "شرح صحيح البخاري، "شرح البردة"، "المسند الصحيح الحسن في مآثر ومفاخر مولانا أبي الحسن".

–محمد بن عرفة الورغمي التونسي (ت803هـ/1401م)[1]:

[1] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 120 – التنبكتي، المصدر السابق، ص 255 -264 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 164-184 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 234 – الونشريسي، المعيار، ج 12، ص 224-225 – ابن قنفذ القسنطني، **الوفيات**، تح: هنري بيريس، المطبعة الثعالبية، الجزائر، (د.ت)، ص 59 – حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص 162-163.

[2] – ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص 298 - برهان الدين بن فرحون، **الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب** ، مصر، 1351هـ، ص305-307- المقري، نفح الطيب، ج6، ص 323-346 – التنبكتي، المصدر السابق، ص 267-270 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 184-190 – ابن قنفذ، الوفيات، ص 60-61 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 236 – ابن خلدون، التعريف، ص 848 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 115 – الحفناوي، المرجع السابق، ص 143– ماريا خسوس بغيرا، مقدمة تحقيق المسند، ص 22 -حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص 165-168- نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص 45-71.

يعد محمد بن عرفة من كبار علماء المغرب الإسلام، ولد سنة 716هـ/1316م، أخذ العلم عن ابن عبد السلام الفقه والحديث والقراءات العشر، وأخذ علم الفرائض على السطي، والنحو والمنطق والجدل عن ابن الحباب، والحساب والمعقولات عن الآبلي وغيرهم. ألف الكثير من المصنفات منها: مختصر في الفقه، وتأليف في الأصول، ومختصر في المنطق، وتخرج به الكثير من العلماء بالمغرب والمشرق منهم: البرزلي، والأبي، وابن قنفذ الخطيب، وعيسى الغبريني، وابن الشماع، وابن مرزوق الحفيد، وابن فرحون.

-أبو عثمان سعيد بن محمد بن محمد العقباني (ت 811 هـ/1408م) [2]:

ولد بتلمسان وأخذ بها العلم عن ابني الإمام والآبلي، ونبغ في المنقول والمعقول، تولى القضاء ببجاية وتلمسان ووهران وسلا وهنين. من تلاميذه: ابن مرزوق الحفيد وإبراهيم المصمودي وابن زاغو، ومن مؤلفاته: "شرح الحوفية في الفرائض"، "تفسير سورتي الأنعام والفتح"، "شرح البردة"، "شرح جمل الخونجي"، "شرح على ابن الحاجب الأصلي"، "شرح أرجوزة ابن الياسمين في الجبر والمقابلة".

-محمّد بن أحمد بن مرزوق الحفيد (ت 842 هـ/1438م) [3]:

ولد بتلمسان وأخذ بها عن والده وعمّه وعن سعيد العقباني، وارتحل إلى تونس وفاس، ودخل القاهرة ولقي عدّة أعلام كابن خلدون والفيروزآبادي وغيرهما، وأخذ عنهم العلم، وحجّ عدّة مرّات ولقي الحافظ ابن حجر العسقلاني وأخذ عنه. وكان متمكنا في الفقه المالكي والأصول، وحافظا للحديث ومفسّرًا ونحويا وناظمًا. ومن مؤلفاته: "تفسير سورة الإخلاص"، "نور اليقين في شرح

---

[1] - التنبكتي، كفاية المحتاج، ص 361 / نيل الابتهاج، ص463 – مخلوف، المصدر السابق، ص227 – السخاوي، الضوء اللامع، ج9، ص220 -

[2] - يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 123 – التنبكتي، المصدر السابق، ص 125-126 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 106-107 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 250 – الحفناوي، المرجع السابق، ص 208-209 – حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص 170.

[3] - أبو الحسن علي القلصادي، تح: محمّد أبو الأجفان، **رحلة القلصادي**، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978، ص 97 – المقري، نفح الطيب، ج6، ص 347-358 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 201-214 – الشوكاني، البدر الطالع، ج2، ص 119-120 – السخاوي، الضوء اللامع، ج7، ص 50-51 – مخلوف، المصدر السابق، ص 252-253 – عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر**، منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1971، ص 141-143 – حاجيات، الحياة الفكرية، المرجع السابق، ص 443.

حديث أولياء الله المتقين"، "أرجوزة الروضة في الحديث"، "المفاتيح المرزوقية في حلّ أقفال وخبايا الخزرجية"[1]، "إسماع الصّم في إثبات الشرف من قبل الأمّ"[2] وثلاثة شروح على البردة الأكبر والأوسط الأصغر، ورجز في الميقات سماه المقنع الشافي[3] ومؤلفات أخرى.

-أبو عبد الله بن عمر الهواري (ت 843 هـ/1439م) [4]:

أصله من مغراوة، أخذ العلم عن علماء بجاية وفاس وبلاد المشرق، وجاور بمكة، ثمّ زار بلاد الشام، ثمّ عاد إلى المغرب واستقر بوهران زاهدًا ومتصوفًا من مؤلفاته: "تبصرة السائل"، "التبيان والتسهيل".

-أبوالعباس أحمد بن محمد بن عبد الرّحمان بن زاغو المغراوي التلمساني (ت845 هـ/1441م)[5]:

أخذ عن سعيد العقباني وغيره من علماء تلمسان، وكان مدرّسا بالمدرسة اليعقوبيّة، وتخرّج على يديه عدّة أعلام منهم: القلصادي والحافظ التنسي وابن زكري، ومن مصنفاته: "تفسير سورة الفاتحة"، "شرح التلمسانية في الفرائض"، فتاوى أوردها الونشريسي في المعيار.

-قاسم بن سعيد العقباني (ت 854 هـ/1450م) [6]:

أخذ العلم عن والده، وحصّل من العلوم الدينيّة حتّى بلغ رتبة الاجتهاد، حجّ وأخذ بمصر عن ابن حجر العسقلاني وأجازه، ومن تلاميذه: ابن مرزوق الكفيف و أبي العباس الونشريسي وابن

[1] - يوجد مخطوطا بالمكتبة الوطنية بالحامة تحت رقم : 2970.

[2] - مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر تحت رقم : 2067.

[3] - مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر ، أنظر الملاحق.

[4] - التنبكتي، المصدر السابق، ص303- ابن مريم، المصدر السابق، ص 228 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 254 – الراشدي، الثغر الجماني، ص 443 – بودواية، المرجع السابق، ص 120-121 – خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج7، دار العلم للملايين، بيروت، 1969، ص206.

- Boualga (H.A), Sidi-El-Houari, Saint Patron de la ville d'Oran, Bulletin de la Société de Géographie d'archéologie d'Oran, 1977-1978, p.1-3.

[5] - القلصادي، المصدر السابق، ص 102-106 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 41 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 254 – الحفناوي، المرجع السابق، ص 46.

[6] - القلصادي، المصدر السابق، ص 106-107 – السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص 117 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 147-149 – حاجيات، الحياة الفكريّة بالجزائر، ص 444 – محمد بوشقيف، **العلوم الدينيّة بالمغرب الأوسط خلال القرن 9 هـ/15م**، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، قسم التاريخ، 2004، ص 156.

زكري، و القلصادي، ولي قضاء تلمسان ثمّ عكف على التدريس حتّى وفاته. من مؤلفاته: "تعليق على مختصر ابن الحاجب"، "أرجوزة في التصوّف".

– أبو زيد عبد الرّحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت 871 هـ/1471م) [1]:

ولد ونشأ بناحية يسّر، وانتقل إلى بجاية وأخذ عن علمائها ثمّ انتقل إلى تونس وانتفع بمشيختها، سافر إلى مصر وأخذ عن ولي الدين العراقي وعبد الله البساطي وغيرهما، ثمّ قصد الحجاز حاجًا، ثمّ رجع إلى مدينة الجزائر وصار من كبار علمائها وصلحائها. من مؤلفاته: "الجواهر الحسان في تفسير القرآن"، "روضة الأنوار و نزهة الأخيار في الفقه"، "الذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز"، "شرح على مختصر خليل"، "المختار من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع في القراءات"، "شرح على مختصر ابن الحاجب الفرعي"، "قطب العارفين في التصوّف".

–محمد بن يوسف السنوسي (ت 895 هـ/1490م) [2]:

ولد ونشأ بتلمسان، وبرع في المنقول والمعقول، واختص في علم التوحيد والعقائد، وألّف فيهما عدّة كتب منها : "عقيدة التوحيد الكبرى"، "شرح صحيح البخاري"، "مختصر في القراءات السبع"،"شرح قصيدة الحبّاك في علم الإسطرلاب"، "شرح إيساغوجي في علم المنطق".

–أبو العبّاس بن محمد بن زكري التلمساني (ت 900 هـ/1493م) [3]:

أخذ عن ابن زاغو وغيره، وبرع في العلوم الدينيّة وألّف فيها: "بغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب"، "أرجوزة في علم الكلام"، "شرح الورقات للجويني في الأصول".

–محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت 909 هـ/1503م) [1]:

---

[1] – التنبكتي، المصدر السابق، ص 173-175 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 264 – السخاوي، الضوء اللاّمع، ج4، ص 152 – حاجيات، الحياة الفكريّة بالجزائر، ص 444 – عادل نويهض، المرجع السابق، ص 88-89 – عبد الرزّاق قسوم، **عبد الرّحمان الثعالبي والتصوف**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978 – الزركلي، الأعلام، ج4، ص107.

[2] – التنبكتي، المصدر السابق، ص 325-329 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 237-248 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 266 – حاجيات، الحياة الفكريّة بالجزائر، ص 445 – جمال الدين بوكلي حسن، **الإمام ابن يوسف السنوسي وعلم التوحيد**، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1985، ص 55 وما يليها.

[3] – ابن مريم، المصدر السابق، ص 38-41 – السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص 303 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 267 – الحفناوي، المرجع السابق، ص 42-43 – أبو العباس بن زكري التلمساني، **غاية المرام في شرح مقدمة الإمام**، تح: محند أويدير مشنان، دار التراث ناشرون – دار ابن حزم ، الجزائر، 2005، ص 150 – 241 (مقدمة المحقق).

نشأ بتلمسان ودرس بها، ثمّ غادرها مدّة واستقر بتوات واشتهر بفتواه في قضية يهود توات. من تآليفه: "تفسير سورة الفاتحة"، "البدر المنير في علوم التفسير"، "مصباح الأرواح في أصول الفلاح".

–أبو العبّاس أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد الونشريسي (ت 914 هـ/1508م) [2]:

أخذ العلم عن علماء تلمسان، ثمّ غادرها سنة 878 هـ/ واستقرّ بفاس ودرّس بها حتّى وفاته. أشهر تآليفه:"المعيار المغرب والجامع المعرب عن فتاوى علماء إفريقيّة والأندلس والمغرب".

3-2– العلوم اللسانية والاجتماعية:

اعتنى طلاّب وعلماء المغرب الإسلامي بالدّراسات اللّغويّة والعلوم الّتي ارتبطت بها كالنّحو والبلاغة، وكذلك الآداب نثر وشعرًا، وذلك لضرورة هذه العلوم في فهم النّصوص الدّينيّة من القرآن والحديث. كما لقيت العلوم الاجتماعيّة خاصّة التّاريخ العناية من طرف بعض العلماء والمؤرّخين الّذين صنّفوا فيها عدّة مؤلّفات، واشتهر من العلماء في هذا المجال:

–أبو بكر محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب المرسي (ت 686 هـ/1285م) [3]:

أصله من الأندلس حيث نشأ بمرسية وقرأ العربيّة والنّحو والأدب على أشهر علماء الأندلس مثل أبي بكر محمد بن محمد المعافري، وأخذ الحديث والفقه على أبي بكر الزهري، ثمّ ارتحل إلى غرناطة وعمل بها كاتبا للسلطان، ولما كثرت الفتن أجاز البحر ونزل تلمسان، ووفد على يغمرا سن

---

[1] – ابن مريم، المصدر السابق، ص 253 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 274 – لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 155 – مبخوت بودواية، "دور علماء تلمسان الزيانية في ترسيخ الحضارة الإسلاميّة بالسودان الغربي (ق 15-16م)"، **مجلة الواحات**، ع 1 ديسمبر 2006، جامعة غرداية، ص 1-2 : بكري البكري، "تمنطيط رمز تاريخ و عنوان حضارة"، **مجلة الحضارة الإسلاميّة**، ع 1، 1993، ص 64 – عبد القادر زبادية، **الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء دراسات ونصوص**، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 153-154 – محمد بن عبد الكريم المغيلي، **مصباح الأرواح في أصول الفلاح**، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائرن 1968، ص 7-22 (مقدمة المحقق).

[2] – ابن مريم، المصدر السابق، ص 53 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 274 – محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص 181-185.

[3] – ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص 275-278 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 129 – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 127 -128 – حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص 50 – لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 188 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 227.

بن زيان الّذي أكرمه وجعله كاتبًا بديوان الإنشاء، وصدرت عنه مجموعة كبيرة من الرّسائل الدّيوانية[1]، وكان كاتبًا بارعًا، قال عنه الحافظ التّنسي: " وبوفاته انقرض علم الكتابة"[2].

-أبو عبد الله محمد بن عمر بن خميس التلمساني (ت 708 هـ/1308م) [3]:

ولد بتلمسان ونشأ بها وأخذ عن علمائها الأدب واللسانيات، و عمل بديوان الإنشاء وغادر المدينة أثناء الحصار الطويل ونزل سبتة، ثمّ انتقل إلى غرناطة وتوفي بها مقتولاً.

كان ابن خميس شاعرًا متميزًا ووصف "بشاعر المائة السابعة"[4]، وكان يميل إلى الزّهد والتصوف، وترك ديوان شعر مليئًا بمختلف الأغراض الشعرية خاصة الشوق والحنين إلى موطنه الأصلي تلمسان، ومن قوله في ذلك:

تلمسان لو أنّ الزّمان بها يزهو	❖	منى النّفس لا دار السلام ولا الكرخ
وداري بها الأولى الّتي حيل دونها	❖	منار الأسى لو أمكن الحنق اللبخ
وعهدي بها والعمر في عنفوانه	❖	وماء شبابي لا أحين ولا مطخ[5]

و من شعره:

سل الرّيح إن لم تبعد السفن أنواء	❖	فعند صباها من تلمسان أنباء
وفي خفقان البرق منها إشارة	❖	إليك بما تنمي إليك وإيماء
وهل لي زمان أرتجى فيه عودة	❖	إليك ووجوه البشر أزهر وضياء[6]

---

[1] - هي الرسائل الصادرة عن ديوان الإنشاء والموجهة إلى الرعية وكانت تختص بمصالح الأمّة، وكان لمتوليها مجموعة من الشروط عليه أن يوفيها خاصّة الإلمام بالعلوم اللسانيّة و البلاغة – القلقشندى، صبح الأعشى، ج 1، ص 60.

[2] - التنسي، تاريخ بني زيان، ص 128.

[3] - يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 109 – المقري، نفح الطيب، ج 6، ص 295 -311 – طاهر توات، ابن خميس شعره ونثره، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص 41 – 111 – فرحات الشريف حوالد، **أبو عبد الله بن خميس التلمساني حياته و أدبه**، رسالة ماجيستر، الجامعة الأردنية، 1993، ص 29-64 – محمد رمضان شاوش: الغوثي بن دحمان، **الأدب العربي الجزائري عبر النصوص**، ج 1، دار بريكسي، تلمسان، 2001، ص 236 – حاجيات، أبو حمو، ص 51.

[4] - يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 109 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 225.

[5] - المقري، نفح الطيب، ج 6، ص 306، و القصيدة من البحر الطويل.

[6] - الطمار، تلمسان عبر العصور، المرجع السابق، ص 107-108.

وأحدثت إحدى قصائده صدى كبيرًا في بلاد المشرق، وذكر المقري في نفح الطيب أن السلطان أبا عنان المريني قال: " أخبرنا شيخنا الإمام العالم العلامة وحيد زمانه أبو عبد الله بن إبراهيم الأبلي قال: لما توجه الشيخ الصالح أبو إسحاق التنسي من تلمسان إلى بلاد المشرق واجتمع هناك بقاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد[1]، فكان من قوله: كيف حال الشيخ العالم أبي عبد الله بن خميس؟ وجعل يحلّيه بأحسن الأوصاف ويطنب في ذكر فضله، فبقي الشيخ أبو إسحاق متعجبا وقال: من يكون الّذي حليتموه بهذا الحلي ولا أعرفه ببلده فقال: هو القائل عجبا أيذوق طعم وصالها[2]، قال: فقلت له: إنّ هذا الرّجل ليس عندنا بهذه الحالة الّتي وصفتم إنّما هو عندنا شاعر فقط، فقال له: إنّكم لم تنصفوه وإنّه لحقيق بما وصفناه به"[3].

وكان القاضي ابن دقيق العيد يضع القصيدة المذكورة في خزانة كانت تعلو موضع جلوسه للمطالعة، وكان يخرجها من تلك الخزانة ويكثر تأملها والنّظر فيها، وكانت القصيدة لما وصلت إليه لم يقرأها حتى قام إجلالاً لها[4].

وقد تعرض ابن خميس بسبب ميله إلى التصوّف إلى عدّة مضايقات واتهم بالاشتغال بالفلسفة والزّندقة وحوكم قضائيا، وكان قائد هذه الحملة ضدّه القاضي ابن هدية القرشي[5].

-أبو عبد الله محمد بن منصور بن علي بن هدية القرشي (ت 735هـ/1735م) [6]:

---

[1] - انظر ترجمته ضمن علماء مصر.

[2] - تكملة البيت: عجبا أيذوق **طعم وصالها * من ليس يأمل أن يمر ببالها**، والقصيدة من بحر الكامل. المقري، نفح الطيب، ج 6، ص 303-305.

[3] - المقري، المصدر نفسه، ج 6، ص 305.

[4] - المقري، المصدر نفسه، ص 305 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 215 الحفناوي، المرجع السابق، ص 384-385.

[5] - طاهر توات، المرجع السابق، ص 47-48 - فرحات خوالد، المرجع السابق، ص 37 – بودواية، المرجع السابق، ص 135-142.

[6] - يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 116 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 225 – النباهي، المصدر السابق، ص 134 – لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 193-194.

هو من نسل عقبة بن نافع الفهري و" كان من أئمة اللّسان والأدب وذو بصر بالوثائق " كما وصفه يحي بن خلدون، واشتغل كاتبا للرسائل بديوان الإنشاء في البلاط الزّياني، كما تولى قضاء تلمسان، وكان يشتغل بعلوم اللّغة والتاريخ، وشرح رسالة ابن خميس التلمساني الّتي افتتحها بقوله:

عجبا لها أيذوق طعم وصالها	❖	من ليس يأمل أن يمر ببالها
وأنا الفقير إلى تعلة ساعة	❖	منها وتمنعني زكاة جمالها[1]

ومن نظم ابن هدية:

إلهي مضت للعمر سبعون حجّة	❖	جنيت بها ممّا جنيت الدّواهيا
و عبدك قد أمسى رهين ذنوبه	❖	فجد لي برحمي منك نعم الدّواهيا[2]

-لسان الدين بن الخطيب (ت 776هـ/1374م)[3]:

يعد لسان الدين بن الخطيب من كبار علماء المغرب الإسلامي، ، وكان موسوعيا حيث جمع بين الكثير من أصناف العلوم، وإن اشتهر بكونه أديبا وكاتبا وشاعرا ومؤرخا، وقد لقب بذي الوزارتين. ولد سنة 713هـ/1713م، وأخذ عن أجلة علماء المغرب الإسلامي أمثال أبي عبد الله العواد وأبي الحسن القيجاطي وأبي القاسم بن جزي، وابن الفخار، وابن الجياب، وأبي عبد الله بن جابر، وأبي البركات بن الحاج، وابم مرزوق الخطيب، وابن لب والوزير الرندي، وأبي القاسم بن البناء، والمقري الجد، وأبي القاسم الشريف. له مجموعة كبيرة من المؤلفات منها: الإحاطة في أخبار غرناطة، ، وريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، ونفاضة الجراب في علالة الاغتراب، والكتبة الكامنة في أدباء المائة الثامنة، وروضة التعريف بالنسب الشريف، وخطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف، وأعمال الأعلام وغيرها.

-عبد الرّحمن بن خلدون و أخوه أبو زكرياء يحي[4]:

من أسرة عريقة في العلم، شغل بعض أفرادها مناصب سامية في الدّولة الحفصيّة، وولد عبد الرّحمن سنة 732هـ/1332م، وولد أخوه سنة 734هـ/1334م، ودرسا على علماء تونس وبجاية

---

[1] - التّباهي، المصدر السابق، ص 135.

[2] - يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 116.

[3] - المقري، نفح الطيب، ج 5، ص ص وما يليها.- مخلوف، المصدر السابق، ص 230.

[4] - ابن خلدون، التعريف، ص 796-1224 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 227-228 – السخاوي، الضوء اللامع، ج 4، ص 145 – الشوكاني، البدر الطالع، ج 1، ص 273-339 – حاجيات، أبو حمو، ص 174 – حاجيات، تقديم كتاب بغية الرواد، ج 1، ص 7-44.

وتلمسان، كالمقرّي والآبلي، وعملا في مناصب الحجابة والكتابة في دول المغرب الإسلامي، وبرع عبد الرّحمن في العلوم النقلية والعقلية وألّف المقدّمة وتاريخه الّذي سمّاه "ترجمان العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، وألّف أخوه يحي تاريخا لبني عبد الواد سمّاه :" بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد"، وتوفي هذا الأخير مقتولاً سنة 780هـ/1379م وتوفي أخوه عبد الرّحمان بالقاهرة سنة 808 هـ/1406م بعدما صار من أشهر علماء المغرب والمشرق، وكان له الحضوة عند السلاطين المماليك.

-أبو عبد الله محمد بن العبّاس العبّادي التلمساني (ت 871 هـ/1461م) [1]:

عالم في الفقه والنّحو، من تآليفه: "العروة الوثقى في تنزيه الأنبياء عن فرية الإلقا"، "شرح جمل الخونجي"، "تحقيق المقال وتسهيل المنال في شرح لامية الأفعال"، و له عدّة فتاوى.

-أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي (ت 899 هـ/1494م) [2]:

حافظ ومؤرخ وأديب، نشا بتلمسان وأخذ عن ابن مرزوق الحفيد وقاسم بن سعيد العقباني وابن زاغو وغيرهم، وتولى التدريس وانتفع به الطلاب. من تأليفه: "نظم الدّر والعقيان في بيان شرف بني زيان"، "راح الأرواح فيما قاله أبو حمو وقيل فيه من الأمداح"، "الطّراز في شرح الخرّاز".

3-3- العلوم العقليّة:

كانت العلوم العقليّة بالمغرب الإسلامي تشمل العلوم العددية كالحساب والجبر والمقابلة وكذلك الطب والمنطق وعلم الفلك وغيرها، وعرفت هذه العلوم اهتمام بعض العلماء الّذين اختاروا التخصّص فيها والتعمق في دراستها وتدريسها، واشتهر من العلماء في هذا المجال:

-أبو العباس أحمد بن البناء المراكشي (ت 721هـ/1321م)[3]:

ولد سنة 654هـ/1252م بمراكش، ودرس على شيوخ المغرب الأقصى علوم الشريعة والرياضيات والتصوف والطبيعيات في مراكش وفاس وأغمات، ولازم الشيخ أبي زيد الهزميري وتلقى منه الكثير من الحكمة، وكان مشهودا له في علم الفلك وعلوم الحكمة عموما، وألف كتبا كثيرة منها: "تنبيه المفهوم في مدارك العلوم"، "مراسم الطريقة في علم الحقيقة"، "مختصر الإحياء للغزالي"، "كليات في المنطق

---

[1] - التنبكتي، المصدر السابق، ص118- ابن مريم، المصدر السابق، ص223- محمد مخلوف، المصدر السابق، ص226.

[2] - التنبكتي، المصدر السابق، ص229 – السخاوي، الضوء اللامع، ج8، ص120 – ابن مريم، المصدر السابق، ص248 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص267 - محمود بوعياد، مقدمة تحقيق كتاب تاريخ بني زيان، ص9 – 21.

[3] - التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 83 / كفاية المحتاج، ص38 – مخلوف، المصدر السابق، ص 216 .

وشرحها" و"جزء في الجداول وشرحه"، و"رسالة في الرد على مسائل فقهية ونجومية"، كما ألف في علم الفرائض والحساب وخواص الحروف والأوفاق وعلم الطلسمات وغيرها.

-أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي (ت757هـ/1356م) [1]:

أصله من آبلة بالأندلس، ولد ونشأ بتلمسان وتعلّم بها على يد أبي الحسن التنسي، وغادر موطنه أثناء الحصار الطويل، وارتحل إلى المشرق ثمّ عاد إلى تلمسان، وأخذ عن أبي موسى بن الإمام وبالمغرب الأقصى عن ابن البناء، ثمّ اندمج في طبقة العلماء في بلاط أبي الحسن المريني، وتولى التّدريس وتخرّج على يديه كبار علماء القرن الثامن الهجري/14م أمثال : عبد الرّحمان بن خلدون، ابن مرزوق الخطيب، المقرّي الكبير، أبو عبد الله الشّريف وسعيد العقباني وغيرهم، وكان له موقف من بناء المدارس وتأليف المختصرات في العلم واعتبر ذلك من أسباب انحطاط العلوم، ولم يترك الآبلي مؤلفات لكن آراءه ظهرت من خلال كتابات تلامذته خاصّة ابن خلدون.

-أبو عبد الله محمد بن علي بن النّجّار التلمساني (ت 749 هـ/1349م) [2]:

أصله من مرّاكش، ولد ونشأ بتلمسان وأخذ عن الآبلي، كما درس بسبتة، ونبغ في المعقولات والتعاليم، ثمّ عاد إلى موطنه واشتغل بالتدريس، ثمّ التحق بأبي الحسن المريني، وتوفي بالطاعون في تونس، ومن تلامذته: أبو عبد الشريف، المقرّي الكبير، أبو الحسن بن الفحّام.

–أبو الحسن علي بن أحمد بن الفحّام (توفي أواخر القرن 8 هـ/14م) [3]:

أخذ العلم عن ابن النّجّار، واشتهر بمنجانته الّتي صنعها وهي عبارة عن ساعة عجيبة حسب المؤرّخين، وكان يزدان بها قصر أبي حمو موسى الثاني، وكانت تعرض أيام الاحتفال بالمولد النّبوي الشريف [4].

---

[1] - ابن خلدون، التعريف، ص 825 – 831 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 120 – التنبكتي، المصدر السابق، ص 245 – 248 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 214 – المقري، نفح الطيب، ج6، ص 202 – 205 – حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص 53 – لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 236 – 238 .-Bouali Sidi-Ahmed, un maître Maghrébin méconnu du XIII siècle, Al-Abili, Bulletin de la Société de Géographie d'Archéologie d'Oran, 1977 – 1978, p 8- 21.

[2] - يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص 119 – ابن خلدون، التعريف، ص 840 – حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص 53 – لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 235.

[3] - يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 119 – حاجيات، أبو حمو، ص 179.

[4] - التنسي، تاريخ بني زيان، ص 162-163.

-أبو عبد الله محمد بن أحمد الحبّاك (ت **867 هـ/1463**) [1]:

عالم في الفلك والحساب والفرائض، وهو أحد شيوخ الإمام السنوسي، ومن تآليفه: أرجوزة في علم الإسطرلاب سمّاها: "بغية الطلاّب في علم الإسطرلاب" وله أيضا "شرح تلخيص ابن البنّاء" و"شرح التلمساني في الفرائض".

-شمعون بن سماح بن دوران الملقب براشباخ (ت **847هـ/1444م**)[2]:

تعود أصوله إلى يهود الأندلس، درس الرياضيات وعلم الفلك وتعمق فيهما، انتقل من ميورقة إلى برشلونة ، ثم هاجر إلى المغرب الأوسط واستقر في مدينة الجزائر، وامتهن الطب.

-إفراييم بن إسرائيل عنقاوة (ت **846هـ/1442م**):

يعود أصله إلى أسرة يهودية أندلسية عريقة، ويعد من أقطاب رجال الدين والطب، هاجر من إسبانيا سنة 795هـ/ 1392م واستقر بادئ الأمر في مدينة هنين، ثم انتقل منها إلى تلمسان، وعلج ابنة السلطان أبي العباس أحمد بن أبي حمو الثاني عندما عجز عن ذلك جميع الأطباء وأصبح بذلك مقربا من السلطان ومستشارا بالبلاط الزياني وسمح بسببه لليهود بالإقامة داخل تلمسان، ويوجد ضريحه في مقبرة اليهود بحي قباسة وإلى جانبه قبور أفراد أسرته، وعليه نصب مكتوب عليه تاريخ مولده ووفاته، وأصبح مزارا للتداوي والتبرك به[3].

الفصل الثاني

[1] - ابن مريم، المصدر السابق، ص 219-220.

[2] - فاطمة بوعمامة، **اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن هجري الموافق ل 14-15 ميلادي**، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2011، ص 173.

[3] - فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص 176.

الحياة الثقافيّة في دولة المماليك

تمهيد

1 – المؤسّسات الثقافيّة والتعليميّة:

تعد أماكن التعليم سبباً أساسيا وحيوياً لتنشيط الحركة العلمية لما تضمه من مدرسين ولما يقرر فيها من دروس وهي بالتالي تشكل النواة الأولى والبيئة الطبيعية التي ينمو فيها العلم ويزدهر. وتتمثل

أماكن التعليم في العصر المملوكي فيما أنشئ من مدارس وجوامع وما شيد من الخوانق والأربطة والزوايا، لتدرس فيها العلوم الدينية والعلوم اللسانية والعلوم العقلية ، وكان إلى جوارها مكاتب صغيرة ملحقة لتعليم الصغار مبادئ القرّاءة والكتابة وشيءٍ من العلوم الأولية مع تحفيظ القرآن الكريم.

وكان التعليم في هذه المراكز العلمية مجاناً، ولا يشترط فيها سن محددة للطالب ولا يرغم على الاستماع لشيخ معين، ولا يكلف حضور درس بعينه في علم من العلوم، بل كان الطلبة أحرارا إلى حد بعيد في اختيار الدروس والشيوخ وفقاً للرغبة الشخصية، وقد بدأ حرص كثير من الشيوخ على بعض طلابهم فمكنوا لهم من ملازمتهم، كذلك حرص بعض الطلاب على شيوخهم فدأبوا على ملازمتهم، وبهذا اخذ العلم ينتقل من جيل إلى جيل وأصبح الشيخ يورث علمه تلميذه وأضحى التلميذ يخلف شيخه. ولم يكن إنشاء دور التعليم هذه سياسة عامة للدولة مرسومة ومقررة بتخطيط محدد، ولكن كانت هناك رغبات فردية للسلاطين يتنافسون في إبرازها تقرباً إلى الله، وقد ملأ هؤلاء السلاطين القاهرة وغيرها بهذه الدور واقتدى بهم الأمراء والرؤساء، فبلغ ما أنشئ في القاهرة وحدها نحو سبعين مدرسة فضلاً عن دور التعليم الأخرى من جوامع وزوايا وربط وخوانق وبيمارستانات وغيرها.

وفيما يلي تفصيل هذه المؤسسات:

1 – 1- الجوامع و المساجد:

انتشرت حركة بناء المساجد على نطاق واسع في عصر المماليك، وعبّر عن ذلك القلقشندى بقوله في مساجد القاهرة:" **فأكثر من أن تحصى وأعز من أن تستقصى، بكلّ خط منها مسجد أو مساجد لكلّ منها إمام راتب و مصلون**"[1].

وذكر المقريزي أن عدد المساجد الّتي كانت تقام بها الجمع بالقاهرة بلغت 130 مسجدًا[2].

وكانت مساجد مصر تؤدي وظيفتها المعهودة وهي إقامة الصلوات والجمع، إضافة إلى الدّور التربوي والتعليمي، حيث رتّب السلاطين والأمراء المماليك بالمساجد الّتي أنشؤوها دروسًا في مختلف العلوم، وزودوها بخزائن للكتب وأوقفوا عليها الأوقاف[3].

وأشهر الجوامع والمساجد بمصر:

[1] – القلقشندى، صبح الأعشى، ج3، ص 365.

[2] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 245.

[3] – محمد عبد الستار عثمان، **نظرية الوظيفة بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة**، دار الوفاء، الإسكندرية، 2000، ص 208-209.

– الجامع العتيق بالفسطاط:

ويقال له تاج الجوامع، وجامع عمرو بن العاص، وهو أوّل مسجد أسّس بالديار المصرية بعد الفتح وكان به زوايا يدرس فيها الفقه[1]، وعمل على إصلاحه المماليك[2].

– جامع ابن طولون:

أنشأه الأمير أبو العباس أحمد بن طولون بعد بناء مدينة القطائع سنة 263هـ/877م[3]، وأوقف عليه عدّة أوقاف وزوده بخزانة للكتب، وظلّ هذا الجامع محل اهتمام من أتى بعد الطولونيين، وفي عصر الفاطميين زوّده الخليفة الحاكم بأمر الله بمجموعة من المصاحف واشتملت خزانة كتبه على المؤلّفات في العلوم الدينيّة والعقليّة والتاريخ[4].

وفي عصر المماليك قام السلطان حسام الدين لاجين (696-698 هـ/1296-1298م) بتجديده، وكلّف الأمير سنجر بن عبد الله البر نلي الدواداري بشدّ عمارته، فعمّره و قرّر فيه دروس الفقه والحديث والطبّ[5].

كما قام الأمير يلبغا العمري الخاصكي سنة 767 هـ/1367م بتعيين سبعة مدرّسين للحنفية بهذا الجامع بعد ما رمّمه، وقرّر لكلّ فقيه وطالب 40 درهما وقدرًا من الطعام[6].

–الجامع الأزهر:

يعتبر أعظم مسجد جامع بمصر، بناه القائد جوهر الصقلي مولى المعز لدين الله الفاطمي بعد بناء القاهرة سنة 358 هـ/969م، وفرغ منه سنة 361 هـ/971م[1].

---

[1] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 246-255 – المقدسي، المصدر السابق، ص 199 – ابن كثير، البداية النهاية، ج11، ص 45-47.

[2] – حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية في القاهرة، ج1، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1993، ص 47.

[3] – الكندي، ولاة مصر، ص 245 – ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 55 – الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ص 252.

[4] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 267 – السيد السيد النشار، **تاريخ المكتبات بمصر العصر المملوكي**، الدار المصرية، اللبنانية، القاهرة، 1993، ص 82.

[5] – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج6، ص 72.

[6] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 269.

وبعد 20 عاما من بنائه أسّست مكتبته سنة 381هـ/991م، بعدما صار في عهد الخليفة الفاطمي العزيز بالله مؤسّسة تعليميّة، ونقل إليه الكثير من المصاحف والكتب، وأضاف إليه الخليفة الحاكم بأمر الله الكثير من المجلدات كانت بدار العلم[2]، وعهد الفاطميون أمر الإشراف على مكتبة الأزهر إلى داعي الدعاة صاحب أعلى منصب ديني[3].

وتعرض الأزهر لتعطيل صلاة الجمعة به منذ عهد صلاح الدين الأيوبي[4]، وفي عهد السلطان الظاهر بيبرس البندقداري عمل على إصلاحه وترميمه وعين له الفقهاء والمحدّثين والقراء وأقيمت به الجمعة منذ 18 ربيع أوّل 665 هـ/1266م[5].

وكان يقيم بالجامع الأزهر الكثير من الطلبة المغتربين من أنحاء العالم الإسلامي، قصدوا مصر طلبا للعلم، وكان لكلّ طائفة منهم رواق خاص بهم يعرف باسمهم، وكانت هذه الأروقة عامرة بتلاوة القرآن ودراسته وتلقينه، والاشتغال بعلوم الفقه والتفسير والنحو، ومجالس الوعظ وحلقات الذكر، وكان أهل المال ينفقون عليه[6].

-الجامع الحاكمي:

هو ثاني مسجد أسس بالقاهرة زمن الفاطميين، أنشاه العزيز بالله بن المعز الفاطمي سنة 380هـ/980م و أتمه الخليفة الحاكم بأمر الله سنة 393 هـ/1003م[7].

---

[1] - تقي الدين الجراعي، المصدر السابق، ص 198 – المقدسي، المصدر السابق، ص 200 – ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 120 – النويري، نهاية الأرب، ج28، ص 131- حسن إبراهيم، المرجع السابق، ص 534 – عبد الرزاق أحمد، المرجع السابق، ص 219.

[2] - دار العلم: أسست في عهد الخليفة الحاكم سنة 395 هـ/1004م، اشتهرت بكونها ضمت أضخم مكتبة بمصر، و كانت تؤدي دورًا تعليميا و تربويًا. و استمرت حتى هدمها صلاح الدين سنة 567 هـ/1171م - النويري، نهاية الأرب، ج28، ص 179.

[3] - السيد النشار، المرجع السابق، ص 83.

[4] - ابن خلدون، العبر، ج4، ص 172-174 – ج5، ص 626 – ابن كثير، البداية و النهاية، ج12، ص 257-268 – ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 258.

[5] - المقريزي، الخطط، ج2، ص 273-276 – النويري، نهاية الأرب، ج30، ص 135.

[6] - المقريزي، المصدر نفسه، ج2، ص 275-277.

[7] - المقريزي، الخطط، ج2، ص 277 – القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 360 – النويري، نهاية الأرب، ج28، ص 177 - حسن إبراهيم، المرجع السابق، ص 539 – أحمد عبد الرزّاق، المرجع السابق، ص 237 .

وفي عهد المماليك انتدب السلطان الناصر محمد بن قلاوون الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير[1] لتجديده وترميمه وعمارته سنة 703 هـ/1303م بعد زلزال ضرب مدينة القاهرة وأضرّ بكثير من المباني الدينية والتعليمية[2].

وتمّ تجديد الجامع وأوقف عليه عدّة أوقاف، ورتّب فيه دروسًا أربعة لإقراء الفقه على المذاهب السنية الأربعة وهي المذهب المالكي والشافعي والحنفي والحنبلي، ودرسًا للحديث وجعل لكلّ درسٍ مدرّسًا وعدّة طلبة وزوّده بخزانة للكتب[3].

–جامع الظافر:

وهو من الجوامع الفاطمية، عَمّرهُ الخليفة الظافر بنصر الله سنة (543هـ/1148م) وموقعه وسط السوق بالقاهرة في المكان الذي كان يعرف قديماً بسوق السراجين [4]. واستعمل هذا الجامع للتدريس في العهد المملوكي[5].

– جامع الظاهر:

أنشأه الملك الظاهر بيبرس سنة 665هـ/1266م خارج القاهرة، وقد قام السلطان برسم هيئة الجامع وأشار إلى أن يكون بابه مثل باب المدرسة الظاهرية وأن يكون على محرابه قبة على قدر قبة الشافعي رحمه الله[6]، وأحضر عمد الرخام من سائر البلاد وجلب الآلات والأخشاب والحديد وغيرها إليه وخصص لبنائه عدداً كبيراً من المهندسين والبنائيين[7].

وممن تولى تدريس الحديث فيه هو العالم المحدث ولي الدين العراقي (ت: 826هـ/ 1423م)[8]، في حين تولى تدريس المذهب الحنفي في هذا الجامع سراج الدين الكناني (ت: 829هـ/ 1426م)[1].

---

[1] – ركن الدين بيبرس الجاشنكير (ت709 هـ/1309م): كان من كبار الأمراء المماليك على عهد الملك الناصر، تسلطن مدة ثم انقلبت الأمور ضده و قتل. الذهبي، المصدر السابق، ج17، ص 408-409.

[2] – جلال الدين السيوطي، **حسن المحاضرة في أخبار مصر و القاهرة**، ج2، دار التراث، بيروت، 1978، ص 184 – ابن كثير، البداية والنهاية، ج 14، ص 33 – السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 370-371.

[3] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 278.

[4] – المقريزي، الخطط، ج2، ص293- مبارك، الخطط، ج2، ص125.

[5] – السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص101 – 111- ابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص339.

[6] – المقريزي، الخطط، ج2،ص ص299 – 300.

[7] – ابن دقماق، الانتصار، ج1، ص ص115 - 120.

[8] – ابن حجر، رفع الإصر، ج1، ص81- ابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص173.

-جامع السلطان قلاوون:

نسبة إلى السلطان المنصور قلاوون الذي بناه سنة 684هـ/1285م ضمن مركب ضم المارستان والمدرسة والقبة، ورتبت به دروس الفقه الحنفي والفقه الحنبلي[2].

-جامع آق سنقر:

أنشأه آق سنقر الناصري سنة 727هـ/ 1327م له ثلاثة أبواب، وأنشأ بجانبه مكتباً لإقراء الأيتام وبنى بجواره مكاناً ليدفن به[3]، وقد رتب فيه دروساً للفقهاء الشافعية وولي خطابته الشيخ شمس الدين محمد بن اللبان الشافعي[4].

-جامع الخطيري:

يقع هذا الجامع بناحية بولاق خارج القاهرة، أنشأه الأمير عز الدين أيدمر الخطيري سنة 737هـ/ 1336م وهو من مماليك السلطان الناصر محمد، وسمي هذا الجامع أيضا بجامع التوبة وبالغ في عمارته وتأنق في رخامه ووضع فيه عدة شبابيك من حديد تشرف على النيل، وجعل فيه خزانة كتب جليلة ورتب فيه دروساً للفقهاء الشافعية، وجعل عليه أوقافا كثيرة[5].

-جامع منجك:

أنشأه الأمير سيف الدين منجك اليوسفي سنة 751هـ/1350م ورتب فيه صوفية يدرسون الفقه والحديث وقرر لهم في كل يوم طعاماً ولحماً وفي كل شهر معلوماً (راتباً)[6].

-جامع الملك الناصر حسن:

يعرف هذا الجامع بمدرسة السلطان حسن وهو تجاه قلعة الجبل، ابتدأ السلطان عمارته سنة 757هـ/ 1356م وأوسع دوره وعمله، وجعل فيه أربع دروس للمذاهب حسب المذاهب السنية، وأوقف عليه أوقافا كثيرة في مصر وبلاد الشام[7].

---

[1] - السخاوي، الضوء اللامع، ج6، ص109.

[2] - المقريزي، الخطط، ج2، ص380.

[3] - مبارك، الخطط، ج2، ص284.

[4] - المقريزي، الخطط، ج2، ص309.

[5] - المقريزي، الخطط، ج2، ص312.

[6] - المقريزي: الخطط، ج2، ص320.

[7] - المقريزي، الخطط، ج2، ص312.

-جامع برقوق:

بناه السلطان برقوق سنة 784هـ/1382م، يوجد فيه ضريح برقوق وتعلوه قبة ذات منظر داخلي ذي روعة وجلال، ويشتمل هذا الجامع على منبر من الرخام المنقوش ويعد من روائع الفن العربي[1].

-جامع أيتمش:

كان أول أمره مدرسة أنشأها سيف الدين أيتمش البجاسي سنة 785هـ/1383م وبنى بجانبها فندقاً تعلوه ساحة وحوض ماء للسبيل، وأنشأ أيضا الحمام المعروف بحمام باب الوزير، وبه قبة مرتفعة، وله منارة وشعائره مقامة إلى اليوم[2].

-جامع أينال:

المعروف الآن بالجامع الإبراهيمي، كان أول أمره مدرسة تعرف بمدرسة أينال، أوصى بعمارتها الأمير سيف الدين أينال السيفي فابتدئ في عملها سنة 794هـ/1392م ولم يرتب بها سوى قراء تناوبوا قراءة القرآن الكريم على قبره[3].

-جامع الكردي:

ويعرف بالمدرسة المحمودية، أنشأه الأمير جمال الدين محمود بن علي الإستادار سنة 797هـ/1395م ورتب به دروساً وعمل به خزانة كتب[4].

-الجامع المؤيدي:

أنشأه السلطان المؤيد أبو نصر شيخ المحمودي الظاهري رابع ملوك الجراكسة بجوار باب زويلة بالقاهرة سنة 819هـ/1416م، وكان جامعًا فخمًا، قال عنه ابن تغري بردي:"**ما عمّر في الإسلام أكثر زخرفة وأحسن ترخيما منه، بعد الجامع الأموي بدمشق**"[5].

وأوقف عليه عدّة أوقاف في مصر والشام، وكانت تقام فيه دروس الشافعية والمالكية والحنابلة، ودروس الحديث والقراءات السّبع[1]، وزوّده ناصر الدّين محمد بن البارزي كاتب السرّ بـ 500 مجلّد قيمتها ألف دينار[2].

---

[1] - مبارك، خطط الشام، ج2، ص89.

[2] - المقريزي، الخطط، ج2، ص400- مبارك، خطط الشام، ج2، ص283.

[3] - المقريزي، الخطط، ج2، ص401- مبارك، خطط الشام، ج2، ص134.

[4] - المقريزي، الخطط، ج2، ص395- مبارك، خطط، ج2، ص134.

[5] - ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج6، ص 310.

1 – 2– الكتاتيب:

كانت الكتاتيب أو المكاتب في مصر ملحقة بالمنشآت الدينية والتربويّة الأخرى، وكانت تؤدي وظيفة تعليميّة واجتماعيّة لصالح الأيتام من أبناء المسلمين. وكان الكتّاب في الغالب يبنى في الطابق الثاني من المنشأة الدينيّة، وارتبط ذكره بالسبيل[3] لذلك كانت الكتاتيب تسمى: مكاتب السبيل[4].

وكانت هذه المكاتب متسعة لاحتمال أعداد الأيتام الذين كانوا يقررون بها، والمؤدب أو العريف اللذان يقومان بالتعليم. كما ألحق ببعضها مرافق أخرى كبعض الخزانات لحفظ أدوات الكتابة و الألواح[5].

وكان التخطيط الداخلي للمكتب يتلاءم مع الوظيفة التي يؤديها، فقد كان الكتاب يعلو السبيل ممّا جعله شبه مستقل عن المنشأة الّتي كان ملحقا بها، وكان يصعد إليه عبر سلم دون الحاجة إلى المرور داخل المنشأة خاصة مواضع الصلاة، لأنّ الصغار لا يتحرزون من النجاسات وهو أمر أشار على كراهته الفقهاء[6]، كما أن هذا الاستقلال جنّب المنشآت الدينية التي كانت تؤدي وظيفة الصلاة و الدروس والتصوف، الضوضاء التي كان يثيرها الصبيان غالبا، خاصة عند قراءتهم بصوت مرتفع[7].

وكان يتولى التدريس في الكتاتيب المصرية المؤدب أو العريف، ففي مدرسة خوند تتر[8] كان للأيتام بها مؤدب يعلمهم القرآن الكريم، وكان يجري لهم كلّ يوم من الخبز النقي خمسة أرغفة، ومبلغا من المال، ويقام لكلّ منهم بكسوتي الشتاء والصيف، وكانت مصادر ذلك من غلاة الأوقاف الّتي كانت محبسة على المدرسة[9].

---

[1] – السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص 194 – ابن إياس، المصدر السابق ، ج2، ص 6-7.

[2] – المقريزي، الخطط، ج 2، ص 329.

[3] – السبيل و جمعها أسبلة عبارة عن منشأة كانت ملحقة بالمنشآت المعماريّة المملوكية لتزويدها بالمياه. جمال الغيطاني، "أسبلة القاهرة"، **مجلة العربي**، ع 308، جويلية 1984، ص 162.

[4] – الحداد، المرجع السابق، ص 54.

[5] – عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 347.

[6] – ابن سحنون، المصدر السابق، ص 114.

[7] – عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 349.

[8] – هي خوند تتر الحجازية ابنة السلطان الناصر محمد بن قلاوون، قامت ببناء المدرسة الحجازية. المقريزي، الخطط، ج2، ص 382.

[9] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 383.

وكانت الكتاتيب تلقى العناية من السلاطين والأمراء المماليك، ومن الأغنياء من أفراد المجتمع المصري، وكان إنشاؤها رغبة في الثواب واستجلابا للحسنات والخير، خاصة وأنّها كانت مخصّصة لأيتام المسلمين، لذلك كان انتشارها واسعًا، وكان بعضها يضم أعدادًا كبيرة من الصبيان، وذكرت المصادر أن منارة لإحدى المساجد بمصر لما سقطت أودت بحياة 300 من الأيتام كانوا في كتاب سبيل[1] ما يدل على دور الكتاتيب في إيصال التعليم لأكبر عدد ممكن من الصبيان داخل المجتمع المصري.

3-1 – المـدارس:

كان المصريون في عصر الفاطميين يستخدمون دار العلم والجامع الأزهر كمؤسّسات تعليمية، وكانت هذه المؤسّسات بمثابة مراكز استخدمها الخلفاء الفواطم لنشر وترسيخ مذهب الشيعة داخل المجتمع المصري، وفي عصر الأيوبيين قام صلاح الدين الأيوبي بإبطال مذهب الشيعة من مصر، وبدأ حربا فكرية ومذهبيّة ضدّهم بإنشاء مدرستين سنة 566هـ/1170م بجوار جامع عمرو بن العاص، خصّص إحداهما وهي المعروفة بالناصريّة للفقهاء الشافعيّة، وخصّص الثانية المعروفة بالقمحية للفقهاء المالكية[2].

وقد اقتدى صلاح الدين في سياسته في بناء المدارس بالعادل نور الدين محمود زنكي[3] الّذي أسّس ببلاد الشام عدّة مدارس للشافعية والحنفية[4]، وكان بدوره قد أخذ هذه التقليد من السلاجقة الذين يعدون أوّل من استعمل المدارس لنصرة المذهب السني و محاربة مذهب الشيعة[5].

---

[1] – بيبرس الدوادار، المصدر السابق، ص 21.

[2] – أبو شامة، المصدر السابق، ص 688 – ابن خلدون، التعريف، ص 1099 – المقريزي، الخطط، ج2، ص 363 – النويري، نهاية الأرب، ج28، ص 363.

[3] – هو الملك نور الدين أبي القاسم محمود بن الملك الأتابك قسيم الدين أبي سعيد زنكي ولد سنة 511هـ بحلب و توفي سنة 569هـ، فتح دمشق و بنى لأهلها المدارس و المساجد و الربط وكان حنفي المذهب. ابن كثير، البداية و النهاية، ج12، ص 277 – النويري، نهاية الأرب، ج28، ص169.

[4] – حول مدارس الشام يمكن الرجوع إلى : عز الدين بن شداد، **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة**، تح: سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، 1956، ص 199 – عبد القادر النعيمي الدمشقي، **الدارس في تاريخ المدارس**، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990، ص 3 و ما يليها.

[5] – ابن كثير، البداية و النهاية، ج13، ص6 – الجراعي، المصدر السابق، ص 196-197- منى بهجت، المرجع السابق، ص 131-129.

وسار المماليك على نهج الأيوبيين في تدعيم مذهب السنّة، وحركة بناء المدارس خدمة لذلك الغرض، واستقرت المذاهب السنية الأربعة رسميا عندما قام الظاهر بيبرس البندقداري بتعيين القضاة من المذاهب الأربعة[1]، فأتاح هذا القرار نوعا من المساواة بين هذه المذاهب، وكان ذلك من الدوافع الهامّة لبناء المدارس وكذلك الحاجة الماسة إلى تخريج الشيوخ والقضاة والعلماء في المذاهب السنية الأربعة لتدعيم موقف الدّولة ضد مذهب الشيعة[2].

وأقبل سلاطين المماليك والأمراء وأصحاب الأموال على بناء المدارس في القاهرة والمدن المصرية الأخرى، وعبّر القلقشندي عن هذه الحركة بقوله: "ابتنوا من المدارس ما ملأ الأخطاط وشحنها"[3]، وذكر ابن بطوطة:" وأمّا المدارس بمصر فلا يحيط بحصرها لكثرتها"[4]، وأحصى المقريزي في خططه ستا وعشرين مدرسة بناها الأيوبيون كانت جلها لا تزال قائمة في عهده[5] فضلا عن التي بنيت في عهد سلاطين المماليك منذ عهد السلطان عز الدين أيبك التركماني (648-654 هـ/1250-1256م) وانتهاءًا بالسلطان قانصوه الغوري (906-922 هـ/1501-1516م)، حيث لم يخل عهد سلطان أو أمير من إنشاء مدرسة أو مؤسّسة تعليميّة واعتبرت المدارس المملوكيّة من مظاهر السلطة و شعارها[6].

وكانت هذه المدارس أشبه بالجامعات، وكانت بعضها مخصّصة لمذهب فقهي معيّن، بينما كانت الأخرى تشتمل على المذاهب السنية الأربعة، وكانت تدرس بها العلوم الدينيّة، ثمّ تطورت وصارت تدرّس العلوم اللسانيّة والعقليّة، وألحقت بكلّ مدرسة خزانة كتب كان المدرسون والطلاب يرجعون إليها للبحث والاستقصاء[7].

وقد اشتهرت الكثير من المدارس في مصر المملوكية، وسنقتصر على ذكر البعض منها مركزين على المدارس الّتي كانت مخصّصة للمذهب المالكي أو الّتي كان الفقه المالكي مدرجًا في برنامجها

---

[1] - القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص 35.

[2] - عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري، المرجع السابق، ص 143.

[3] - القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 364.

[4] - ابن بطوطة، **رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار**، ج1، تح: محمد عبد المنعم العريان، مراجعة: مصطفى القصاص دار إحياء العلوم، بيروت، 1996، ص 56.

[5] - المقريزي، الخطط، ج2، ص 363 و ما يليها.

[6] - السيد النشار، المرجع السابق، ص 89.

[7] - القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص 467.

الدّراسي ومقرّرًا رفقة المذاهب السنية الأخرى، خاصة و أنّ علماء المغرب الأوسط كانوا على مذهب مالك، وكانوا في تنقلاتهم إلى مصر يتجهون إلى هذه المدارس لتولي الوظائف العلميّة أو لطلب العلم.

-المدرسة القمحية:

أنشأها السلطان صلاح الدين الأيوبي للفقهاء المالكية بجوار الجامع العتيق بمصر سنة 566 هـ/ 1170م [1]، وأوقف عليها قيسارية الوراقين و أراضي من الفيوم تغل القمح فسُميت لذلك القمحية[2]، ورتب فيها أربعة مدرّسين عند كلّ مدرّس عدّة طلبة وكانت أجل المدارس المالكية، وكان محصول القمح مصدر تمويلهم الرئيسيّ[3]، وكان عبد الرّحمن بن خلدون ممّن تولى التدريس بها لما ارتحل ارتحل إلى مصر[4].

-المدرسة العادلية:

أنشأها الملك العادل أبو بكر بن أيوب (ت 615 هـ/1218 م)[5]، وكانت عامرة وخصّصها للفقهاء المالكية[6].

-المدرسة الفاضلية:

بنيت سنة 580 هـ بالقاهرة، وأوقفت على الفقهاء الشافعية و المالكيّة، وكان فيها قاعة للإقراء، و ممّن أقرأ فيها الإمام أبو القاسم بن الشاطبي ناظم الشاطبية[7]. وكانت تضم مكتبة ضخمة ضخمة في سائر العلوم ذهبت كلّها لأنّ الطلبة باعوها في غلاء سنة 694 هـ/1298م كما كان ملحقا بها كتاب للأيتام[8].

-المدرسة الصاحبية:

---

[2] - أبو شامة، المصدر السابق، ص 688 – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 363.

[2] - ابن خلدون، التعريف، ص 1099.

[3] - المقريزي، الخطط، ج 2، ص 364.

[4] - ابن خلدون، الرّحلة، ص 1099.

[5] - ابن نظيف الحموي، المصدر السابق، ص 28 – ابن كثير، البداية و النهاية، ج 13، ص 79 – الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ص 406 – النويري، نهاية الأرب، ج29، ص 9.

[6] - المقريزي، الخطط، ج 2، ص 365.

[7] - هو أبو القاسم بن فيرة بن أبي القاسم خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي الضرير، مصنف الشاطبية في القراءات السبع، ولد سنة 530 بالأندلس و ارتحل إلى مصر و ولاه القاضي الفاضل مشيخة الإقراء بمدرسته. توفي سنة 590 هـ. ابن كثير، البداية و النهاية، ج 13، ص 10 – الصفدي، نكت الهميان في نكت العميان، دار المدينة، مصر، 1911، ص 228 – 229.

[8] - المقريزي، الخطط، ج 2، ص 366.

أنشأها بالقاهرة الصاحب[1] صفي الدين عبد الله بن شكر[2] بالقاهرة، وجعلها وقفا على الفقهاء الفقهاء المالكية، ورتب لها درسًا للنحو وجعل لها خزانة كتب، وقد جدّدت سنة 758هـ/ 1357م أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، وصارت تقام بها صلاة الجمعة[3] وكان أبو العباس أحمد بن محمد بن مرزوق يداوم على حضو الدروس الفقهية والمجالس العلمية بهذه المدرسة[4].

–المدرسة الظاهريّة:

بناها بالقاهرة السلطان الظاهر بيبرس البند قداري، بدأ فيها سنة 660 هـ/1263م، وكان السلطان قد رتب وقفها قبل بنائها[5].

وفي يوم الأحد 15 صفر 662هـ/1263م، اجتمع أهل العلم و حضر القراء، و جلس أهل الدروس كلّ في إيوانه الذي خصصا له و افتتحت المدرسة رسميا من قبل السلطان في يوم مشهود، و أنشد لذلك الشعراء كثيرا من القصائد، من ذلك قول الشاعر أبي الحسن الجزار[6]:

ألا هكذا يبني المدارس من بنى ❖ ومن يتغالى في الثواب و في الثنا[7]

وكان يدرّس بهذه المدرسة الفقه والحديث والقراءات، وكان بها خزانة كتب شملت مختلف العلوم، وبني بجانبها مكتبا لتعليم الأيتام كتاب الله، وكانت من أجل مدارس القاهرة، لكن تقادم عهدها وساء حالها خلال القرن 9هـ/15م، وكان نظرها بيد الحنفية تارة وبيد الشافعية تارة أخرى[8].

–المدرسة المنصورية:

---

[1] – الصاحب: أصله في اللّغة الصديق و هو من ألقاب الوزراء المدنيين الّذين اختصوا به دون العسكريين – النويري، نهاية الأرب، ج 30، ص 422. النويري، ج 30، ص 93.

[2] – ولد سنة 548 هـ و توفي سنة 622 هـ، و كان فقيهًا مالكيا في عهد الأيوبيين ثم تولى الوزارة. الخطط، ج2، ص 371-372.

[3] – الخطط، ج 2، ص 371.

[4] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج 2، ص 395.

[5] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 120 – 121 – بيبرس الدوادر، المصدر السابق، ص 177 – المقريزي السلوك، ج1، ص 504 – المقريزي، الخطط، ج 2، ص 378 – ابن كثير، البداية و النهاية، ج 13، ص 242 – النويري، نهاية الأرب، ج 30، ص 93.

[6] – أديب و شاعر، كان أحد فحول شعراء العصر المملوكي الأوّل، ولد سنة 601 و توفي سنة 695 هـ و ترك ديوان شعر. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 7، ص 345 – 346.

[7] – بيبرس الدوادار، المصدر السابق، ص 118.

[8] – المقريزي، السلوك، ج 1، ص 544 – الخطط، ج2، ص 379.

أنشأها السلطان المنصور قلاوون الألفي الصالحي بين سنتي 682-684هـ/1283-1285م ضمن مركب معماري كان يضم البيمارستان والقبة إضافة إلى هذه المدرسة[1]، ورتب بها دروسا على المذاهب الأربعة[2]، و عين لكلّ درس مدرسا له كلّ شهر مائتا درهم وثلاثة معيدين لكلّ منهم خمسة خمسة و سبعون درهما، وخموسا طالبا لهم كلّ شهر سبعمائة وخمسون درهمًا[3]، ونظم بها التدريس بموجب وثيقة وقفية، وكان لكلّ مذهب إيوان خاص به، واختص الرواق الأيمن من إيوان القبلة (الرواق الجنوبي الشرقي) بجلوس الفقهاء المالكية[4]، وزودها بخزانة للكتب.

-المدرسة الناصرية:

أنشأها السلطان العادل زين الدين كتبغا المنصوري[5]، وأكملها السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة 703هـ/ 1303م، وكانت للفقهاء على المذاهب الأربعة، و جعل بها خزانة كتب وأوقف عليها عدّة مواضع بمصر، وكانت من أجل المدارس العامرة بالقاهرة[6].

-المدرسة المنكوتمرية:

بناها الأمير سيف الدين منكوتمر الحسامي الذي كان من مماليك المنصور حسام الدين لاجين، وتولى نيابة السلطنة سنة 696هـ/ 1296م وتوفي سنة 698هـ/ 1298م، قرّر بها درسا للمالكية وأسند التدريس فيه للشيخ شمس الدين محمد بن أبي القاسم بن عبد السلام التونسي المالكي، كما جعل بها درسا للحنفية وخزانة كتب، وجعل عليها وقفًا ببلاد الشام[7] وممن درّس بها فقه فقه المالكية الإمام العلامة الفرضي الحساب (ت 863هـ/ 1461م)[8] أبي الجود داوود بن سليمان سليمان بن حسن التلمساني.

---

[1] – للمزيد من التفصيل حول التركيبة المعماريّة لهذه العمائر انظر دراسة: إسماعيل الحداد، المرجع السابق، ص 109-182.

[2] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 379-380 – السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص 190 – عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج5، ص 867.

[3] – إسماعيل الحداد، المرجع السابق، ص 49.

[4] – المرجع نفسه، ص 50.

[5] – كان من كبار المماليك المنصور قلاوون، حكم مدة تم عزل. ابن كثير، البداية والنهاية، ج 14، ص 27-28.

[6] -المقريزي، الخطط، ج 2، ص 380 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 8، ص 208-209 – السيوطي، حسن المحاضرة، ج 2، ص 190 – القلقشندي، صبح الأعشى، ج 3، ص 363.

[7] – المقريزي، الخطط، ج 2، ص 387-388.

[8] – ولد بتلمسان سنة 822هـ و أخذ عن قاسم العقباني ثم ارتحل إلى مصر و أفتى و درس. ابن مريم، المصدر السابق، ص 101.

–المدرسة المسلمية:

أنشأها أحد كبار التجار وهو ناصر الدين محمد بن مسلم البالسي (ت 776هـ/ 1375م)، ولم يتمّها، فوصّى بتكملتها، وأفرد لها مالا وأوقف عليها دورًا وأرضا و اشترط أن يكون فيها مدرّس مالكي ومدرّس شافعي، ومؤدب أطفال[1].

–المدرسة الجمالية:

أنشأها بالقاهرة الأمير جمال الدين يوسف الإستدار[2] فيما بين 810-811 هـ/1407-1408م، وقرّر التدريس فيها للمالكية الشيخ شمس الدين محمد بن البساطي، كما كان بها دروس للحنفيّة والحنابلة، ودرس للحديث والتفسير، وكان لكلّ مدرّس طائفة من الطلبة، وأجرى لكلّ واحد ثلاثة أرطال من الخبز يوميا وثلاثون درهما شهريا، وجعل لكلّ مدرّس 300 درهم شهريا، رتّب بها إماما وقومة ومؤذنين [3] وفراشين، وأوقف عليها عدّة أوقاف، وكانت بها مكتبة من أشهر أشهر المكتبات المدنية في العصر المملوكي. وفي سنة 812هـ/1409م هدمها الناصر فرج بن برقوق وأقام على أنقاضها مدرسته الناصرية[4].

–بالمدرسة الظاهرية البرقوقية:

أنشأها السلطان الظاهر برقوق بين عامي 786-788 هـ/1384-1386م، وكانت فريدة في ضخامتها، وقرّر فيها أربعة من المذاهب، وشيخ تفسير وشيخ إقراء، وشيخ حديث وشيخ ميعاد

---

[1] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 401.

[2] – الاستادار: لفظ من أصل فارسي مقسم إلى أستاذ و دار، و كان موضوع الاستدارية التحدث في أمر بيوت السلطان كلّها. القلقشندى، صبح الأعشى، ج4، ص 20.

[3] – كانت المدرسة المملوكية متعددة الوظائف، و من بينها وظيفة الصلاة، و قد أدّت بعض المدارس وظيفة المسجد أو المسجد الجامع عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 139-143.

[4] – المقريزي، المخطط، ج2، ص 401-402 – السلوك، ج4، ص 175-176.

بعد صلاة الجمعة، وجعل بها خزانة كتب[1]، و عيّن فيها لتدريس المالكية عبد الرّحمان بن خلدون[2]، كما درّس بها داوود بن سليمان بن حسن التلمساني[3].

-المدرسة الأشرفية برسباي:

أنشأها السلطان برسباي الدقماقي الظاهري سنة 826-829هـ/1423-1426م بالقاهرة، وكانت ضمن مركب ضمّ تربة وجامعًا، وكان هذا السلطان محسنا للطلبة والقراء والفقهاء، واشترط أن من غاب أكثر من مدّة أشهر الحج تخرج وظيفته في المدرسة عنه. وزودت هذه المدرسة بخزانة للكتب[4]، وعين لتدريس المالكية بها الشيخ عبادة بن علي المالكي (ت 846هـ/1442م) أحد أقطاب المذهب المالكي بالديار المصرية في عصره.

- المدرسة الأشرفية قايتباي:

بناها السلطان الأشرف أبو النصر قايتباي المحمودي، الّذي كان كثير الإنشاءات المعمارية، وبنى عدّة مدارس عبر عدّة مدن مصريّة، وأوقف عليها خزائن للكتب[5].

-المدرسة الغورية:

أنشأها السلطان قانصوه الغوري أواخر عصر المماليك بين عامي 908-922هـ/1501-1516م، وكان بها خزانة كتب ضمت الكثير من المؤلفات و المصاحف[6].

ولم يقتصر إنشاء المدارس على القاهرة فحسب، بل أنشأت الكثير منها في معظم المدن المصرية، ففي الإسكندرية وحدها سجل بناء 25 مدرسة منها: المدرسة السلفية والعمادية والسراجية و العادلية[7]، وكان بأسوان[1] ثلاث مدارس هي: البانياسية والنجمية والسيفية، وفي إدفو[2] خمس مدارس، وفي قوص[3] 16 مدرسة، وجدّدت بدمياط عدّة مدارس[4].

---

[1] - ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج12، ص 113 – السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص 12 – حسن عبد الوهاب، ج1، ص 193.

[2] - عبد الرّحمن بن خلدون، الرحلة، ص 1107.

[3] - ابن مريم، المصدر السابق، ص 101.

[4] - السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص 9.

[5] - ابن العماد، المصدر السابق، ج8، ص 7-8 – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج6، ص 310-311 – السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص393 - حسن عبد الوهاب، ج1، ص 251.

[6] - ابن إياس، المصدر السابق، ج4، ص 52-68.

[7] - محمود زيتون، المرجع السابق، ص 138-141 – ابن كثير، البداية و النهاية، ج12، ص 307-308 – و بنى ابن الدماميني (ت 731 هـ/ 1331م) المحدث و الفقيه بالإسكندرية مدرسته ووقف عليها أوقاف كثيرة – المنهل، ج7، ص 410.

1-4- الخوانق و الربط و الزوايا:

كان انتشار التصوّف بمصر في عصر المماليك من المميزات و الظواهر الّتي اتصفت بها الحياة الدينيّة، وساعدت عدّة ظروف في انتشار هذه الظاهرة واتساع نطاقها، وكان صلاح الدين الأيوبي قد عمل على إدخال نظام الخانقاوات إلى مصر واستغل التصوف في مشروعه للقضاء على المذهب الشيعي، غير أنّ التصوّف ظلّ هادئا ولم يشتد تياره إلاّ في عصر المماليك[5]. وأدّت أحداث العالم الإسلامي في المشرق والمغرب إلى هجرة كثير من مشايخ الصوفية إلى مصر أين وجدوا مناخًا مناسبًا خاصة رعاية واهتمام سلاطين المماليك بهم[6]، و الاستعداد الذي كان عند أفراد المجتمع المصري لتلقي تعاليم الصوفية وتقبل آرائهم ومذاهبهم المختلفة فاندفع الكثيرون إلى الدخول تحت لواء المشايخ[7].

وكان الصوفية في مصر يتخذون من الخوانق والربط والزوايا مراكز لنشاطهم وتعليم مذاهبهم لأتباعهم، والخوانق أو الخانقاوات جمع خانقاه هي لفظ فارسي الأصل معناه بيت الصوفية، وقد أحدثت في العالم الإسلامي خلال القرن 4-5هـ/10-11م[8].

وكانت الخوانق عبارة عن دور عبادة وعلم، حيث كان يدرّس فيها الفقه والحديث والقراءات والتصوف، كما كانت مأوى للوافدين من الغرباء على مصر، ومراكز إشعاع ثقافي بما حَوَته من مكتبات وكتب في شتى العلوم[9].

---

1 - إحدى مدن الصعيد على ضفة نهر النيل الشرقية، وكانت من المراكز التجارية المهمة على حدود النوبة وبلاد السودان. الادريسي، المصدر السابق، ص55- المقريزي، الخطط، ج1، ص197-199- الوزان، المصدر السابق، ج2، ص241.

2 - من مدن صعيد مصر في الصحراء. ابن بطوطة، المصدر السابق، ج1، ص71.

3 - من أكبر مدن الصعيد ومركز تجاري وزراعي، وكانت مقر ولاة الصعيد. المقريزي، الخطط، ج1، ص236- ابن بطوطة، المصدر السابق، ج1، ص70.

[4] - ابن بطوطة، المصدر السابق، ج1، ص 28-49.

[5] - عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 163.

[6] - ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج5، ص 263 و ص 367.

[7] - عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري، المرجع السابق، ص 162-163.

[8] - المقريزي، الخطط، ج2، ص 414.

[9] - عاصم محمد رزق، **خانقاوات الصوفية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي**، ج1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1997، ص 21-23.

كما كان لها طاقم إداري مكوّن من شيخ الخانقاه وإمامها، وناظرها ومدرّسو المذاهب، والمعيدون وخازن الكتب، وغيرهم من القائمين على خدمة الطلبة والوافدين، وكان لكلّ موظف منهم أجره[1].

وكانت أوّل خانقاه أسست بمصر هي خانقاه سعيد السعداء بالقاهرة، وتعرف أيضا بالصلاحية، أنشأها السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة 569 هـ/1173م، وولى عليها شيخا ووقف عليها بستانا وقيسارية[2].

وكانت هذه الخانقاه مخصّصة لدراسة المذهب الشافعي، وممّن تولى التدريس بها: تقي الدين بن رزين، وتقي الدين بن دقيق العيد، و برهان الدين الخضر السنجاري، وتقي الدين بن بنت الأعز وبهاء الدين بن تقي الدين السبكي وابن حجر العسقلاني[3]، وكان هؤلاء المشايخ من أقطاب العلماء بمصر في عصر سلاطين المماليك، ممّا يدل على أهمية هذه الخانقاه وأن إسناد مشيختها وتدريسها كان لا يصح إلاّ للمبرزين من العلماء.

وفي عهد المماليك انتشرت الخوانق انتشارًا واسعًا، وذكر المقريزي بالقاهرة وحدها 22 خانقاه، وكان أشهرها:

-الخانقاه البيبرسية:

أنشأها الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير سنة 707-709هـ/1306-1309م، ووصفها المقريزي بأنّها أجل خانقاه بالقاهرة بنيانًا وأوسعها مقدارًا وأتقنها صنعة وبنى بجانبها رباطًا كبيرًا وقبّه لضريحه، وقرّر فيها 400 صوفي، وبالرّباط 100 من الجند، ورتّب بالقبّة درسا للحديث النبوي، وكانت لهذه الخانقاه عدّة أوقاف بمصر والشام[4]، وكان عبد الرّحمن بن خلدون ممّن تولى مشيختها[5].

-خانقاه سرياقوس:

تقع هذه الخانقاه خارج القاهرة ناحية الشمال، أنشأها السلطان الناصر محمّد بن قلاوون، وجعل فيها مائة خلوة لمائة صوفي، وبنى بجانبها جامعًا، وبنى بها حماما ومطبخا في 723هـ/1323م، وكمُلَت

---

[1] - المقريزي، الخطط، ج2، ص 415.

[2] - المقريزي، الخطط، ج2، ص 415 – القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 364 – السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص 256-257 – عاصم رزق، المرجع السابق، ص 231 – النويري، نهاية الأرب، ج28، ص 364.

[3] - السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص 257-261.

[4] - المقريزي، الخطط، ج2، ص 416-417 – حسن عبد الوهاب، ج1، ص 131-135.

[5] - ابن خلدون، التعريف، ص 1138.

في 725هـ/1325م، وافتتحها السلطان مع الأمراء و القضاة ومشايخ الخوانق، وسكن النّاس حولها حقّ صارت بلدة كبيرة[1]، ولقّب شيخ هذه الخانقاه بشيخ الشيوخ[2].

-الخانقاه الشيخونية:

أنشأها الأمير الكبير شيخو العمري الناصري سنة 756هـ/1355م[3]، وكان يقام بها درس الحديث والتفسير والقراءات والفقه على المذاهب الأربعة، وكان لكلّ درس شيخ وطلبة، واشترط عليهم حضور الدرس ووظيفة التصوف[4].

-الخانقاه الظاهرية:

أنشأها الملك الظاهر برقوق سنة 786-788هـ/1384-1386م، وكان لها عدّة أوقاف، وكانت تزخر بالكتب والشيوخ والمدرسين والمعيدين والطلاب في فقه المذاهب الأربعة وعلوم التصوف والقراءات والتفسير والحديث[5].

-الخانقاه الناصرية فرج:

أنشأها السلطان فرج بن برقوق سنة 801-813هـ/1398-1460م، وكانت أضخم خانقاه بمصر مساحة وأكثرها نفقة، وبنيت على شكل مسجد فسيح الأرجاء لإقامة الصلوات، وكمدرسة للعلوم الشرعية وخانقاه للصوفية وتربة للعائلة البرقوقية وكتاتيب لتعليم الأيتام، وأصبحت نواة مدينة ناشئة[6].

-الخانقاه الأشرفية برسباي:

---

[1] - المقريزي، الخطط، ج2، ص 420 – أبو الفداء، المصدر السابق، ج2، ص 441 – ابن بطوطة، المصدر السابق، ج1، ص61.

[2] - القلقشندي، صبح الأعشى, ج4، ص 38 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج9، ص 84.

[3] - هو شيخو بن عبد الله الناصري (ت 758 هـ/1357م) كان من كتابية الملك الناصر، و كان له دور كبير في الأحداث السياسيّة في أواخر عهد المماليك البحرية – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج6، ص 257 – المقريزي السلوك، ج3، ص 33 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص 183.

[4] - المقريزي، الخطط، ج2، ص 420 – السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص 145.

[5] - السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص 12 – عاصم رزق، المرجع السابق، ج2، ص 486.

[6] - ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج12، ص 168 – عاصم رزق، المرجع السابق، ج2، ص 538.

أنشأها السلطان الأشرف برسباي[1] بالقرافة الشرقية سنة 835هـ/1431م، وكانت تلي الخانقاه الناصرية فرج من حيث الأهمّية، وكانت مزودة بمكتبة زاخرة بالمصنفات الدينيّة والفقهيّة واللّغويّة والتاريخيّة والمصاحف والربعات الشريفة، وكانت تقام بها دروس الفقه على المذاهب الأربعة[2].

-الخانقاه الغورية:

أنشأها السلطان قانصوه الغوري أواخر عهد المماليك سنة 909-910هـ/1503-1504م، وكانت بها خزانة كتب ضمت الكثير من المصنفات والمصاحف[3].

أمّا الرّبط فهي جمع رباط، وهو دار كان يسكنها أهل طريق الله، وهو بيت الصوفية أيضا، وهو من المرابطة أي لزوم الثغر[4].

وكانت الرّبط منتشرة على ثغور الدّول الإسلاميّة خاصة في بلاد الشام والمناطق الّتي كانت في جهاد مستمر ضدّ الصليبيين، كانت تجمع بين حياة الحرب والحياة الروحيّة، لكن وبعد أن ضعف الخطر الصليبي بالمشرق أخذ الرباط يفقد طابعه الجهادي وتغلبت عليه الصفة الدينيّة، وساعد انتشار التصوف في عصر المماليك على إيجاد المبرّرات لبقاء الرّبط وتحويلها إلى دور الصوفية[5].

وقد اهتم سلاطين المماليك بإنشاء الرّبط، وتبعهم في ذلك الأمراء وحتّى بعض السيدات الصّالحات، ووجدت أربطة للرّجال وأخرى للنساء، وأحصى المقريزي بالقاهرة 12 رباطا منها:

-رباط البغدادية:

بالقرب من خانقاه سرياقوس، بنته السّت الجليلة تذكار باي خاتون ابنة الملك الظاهر بيبرس سنة 684هـ/ 1285م للشيخة الصالحة زينب بنت أبي البركات المعروفة ببنت البغداديّة، فأنزلتها به ومعها النساء الخيرات، وكان به شيخة تعظ النساء وتذكّرهن وتفقّههن[6].

-رباط ابن سليمان:

---

[1] - سيف الدين أبو النصر برسباي، حكم من 824 إلى 841 هـ/1421-1438م، و في عهده فتح المماليك جزيرة قبرص. السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص 9.

[2] - عاصم رزق، المرجع السابق، ج2، ص 603-617 – حسن عبد الوهاب، ج1، ص 229.

[3] - ابن إياس، بدائع الزهور، ج4، ص 268 – ابن خلدون، التعريف، ص 1115- عاصم رزق، المرجع السابق، ج2، ص 742-744.

[4] - المقريزي، الخطط، ج2، ص 427.

[5] - عاصم رزق، المرجع السابق، ج1، ص 100 – عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 182-183 – عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري، المرجع السابق، ص 168.

[6] - المقريزي، الخطط، ج2، ص 428.

خارج باب زويلة بالقاهرة، عرف باسم أحمد بن سليمان بن أحمد بن إبراهيم بن أبي المعالي بن العباس الرحبي البطائحي الرفاعي شيخ الفقراء الأحمدية الرفاعية بديار مصر (ت:691هـ/1292م)[1].

-رباط ابن أبي منصور:

نسبة إلى الشيخ صفي الدين الحسين بن علي بن أبي منصور الصوفي المالكي (682هـ/ 1283م)، سلك طريقة أهل الله على يد الشيخ أبي العباس أحمد بن أبي بكر الجزار التجيبي المغربي وكان رباطه بقرافة مصر[2].

-رباط الآثار:

خارج مصر، كان مطلاّ على نهر النيل، قرّر فيه الملك الأشرف شعبان بن حبي بن محمد بن قلاوون[3] مدرسا للفقهاء الشافعية وجعل له مدرّس وعنده عدّة طلبة وكان لهم نفقة ووقف وكان به خزانة كتب[4].

أمّا الزّوايا فهي الركن من البيت أو المسجد، وكان أصلها مسجدًا صغيرًا للصلوات ثمّ تطور مفهومها في المغرب وصارت توازي الخانقاه بالمشرق[5]، و هي على العموم دار الصوفية، كما تداخلت تداخلت تعاريف كلّ من الخانقاه والرّباط والزاوية لاسيما بعد ما أصبحت وظائفها في مصر المملوكية متشابهة، ولم تعد التفرقة واضحة بين هذه المصطلحات[6].

وقد انتشرت الزوايا في العصر المملوكي كنوع من منشآت التصوف، وكانت الزاوية تنشئ في الغالب برسم شخص معين لينقطع فيها للعبادة، مثال ذلك زاوية الشيخ خضر التي أنشاها الظاهر بيبرس البند قداري خارج القاهرة وأنزل بها الشيخ خضر بن أبي موسى المهراني العدوي، الّذي توفي

---

[1] - المقريزي، الخطط، ج2، ص 428 – ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 55 – ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 417.

[2] - المقريزي، الخطط، ج2، ص 428.

[3] - حكم من 764 إلى 778 هـ وكان محبا للعلماء و الفقهاء و أهل الخير – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص 24 – المقريزي، السلوك، ج3، ص 83 – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج6، ص 234-248.

[4] - المقريزي، الخطط، ج2، ص 429.

[5] - ابن مرزوق، المسند، المصدر السابق، ص 413.

[6] - عاصم رزق، المرجع السابق، ج1، ص 102-103 – عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري، المرجع السابق، ص 169.

سنة 676هـ/1277م، وكان للظاهر بيبرس اعتقاد كبير فيه[1]، وزاوية الركراكي خارج القاهرة، وهي منسوية للشيخ المعتقد أبي عبد الله محمد الركراكي المغربي المالكي، لإقامته بها وكان فقيها مالكيا متصديا لأشغال المغاربة (ت:794 هـ/ 1393م)[2] وزاوية الجعبري نسبة إلى الشيخ برهان الدين إبراهيم بن معضاد بن شداد بن ماجد الجعبري المعتقد الواعظ (ت:687هـ/ 1288م) وكان يجلس فيها للوعظ ورواية الحديث ويشارك في الطب، كما كان ينظم الشعر[3].

1-5- مؤسسات أخرى:

1 5 1 -البيمارستانات:

البيمارستانات جمع بيمارستان وهي كلمة فارسية معربة تعني دار المرضى، واختصرت فصارت مارستان[4]، وكانت بمثابة كليات الطّب الحديثة، ولم تكن هذه المؤسّسات خاصة بعلاج المرضى فقط، بل كانت تدرس الطب على أيدي أساتذة متخصصين، فكانت في الوقت ذاته مكانا للدّراسة النظرية والتطبيقيّة[5].

وقد حرص سلاطين المماليك على إنشاء البيمارستانات وتزويدها بطاقم طبّي وبالأدوية والكتب اللاّزمة، في إطار اهتمامهم برعاية الصّحة العامّة للمجتمع المصري[6].

ومن أشهر البيمارستانات بمصر:

-البيمارستان الطولوني :

---

[1] - ابن تغري بردي النجوم الزاهرة، ج7، ص 276-277 – المقريزي، الخطط، ج 2ن ص 431 – الكتبي، فوات الوفيات، ج2، ص 10-ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص431 - ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص278 – النويري، نهاية الأرب، ج30، ص376.

[2] - المقريزي، الخطط، ج2ن ص 433 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج12، 134.

[3] - ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 374-376 – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج1، ص 163 – السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 30 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص399 – ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص 31 - المقريزي، الخطط، ج2، ص 434 – الشعراني، المصدر السابق، ج1، ص 173-174 – ابن الملقن، طبقات الولياء، ص 412.

[4] - المقريزي، الخطط، ج2، ص 405 – أحمد عيسى بك، **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**، دار الرائد العربي، بيروت، 1981، ص 4.

[5] - السيد النشار، المرجع السابق، ص 101 – سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري، المرجع السابق، ص 92-93.

[6] - عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري، المرجع السابق، ص 93.

هو أوّل بيمارستان أنشئ في مصر، أنشأه أحمد بن طولون عام 259هـ/871م[1]، وأوقف عليه عدّة أوقاف وزوده بخزانة كتب لإقامة دروس الطّب واستمر في وظيفة حتّى عصر المماليك الجراكسه[2].

–البيمارستان المنصوري:

أنشأه السلطان المنصور قلاوون الألفي الصالحي، بدأ فيه سنة 683هـ/1284م، وأوقف عليه أوقاف كثيرة، وجعل به خزانة كتب ومكانًا يجلس فيه رئيس الأطباء لإلقاء درس الطب[3]. وكان له طاقم إداري يضبط مصاريفه وما يحتاجه من الأدوية، و موظفين يقومون بصيانته فضلا عن الأطباء المعالجين، و كان به قاعات حسب الأمراض، و قاعة خاصة بالنّساء، وألحق به مطبخا وصيدليّة لصناعة الأدويّة والأشربة[4].

واشترط السلطان المنصور عند بنائه الانشغال فيه بعلم الطب، وتعيين شيخ مدرّس من الحكماء الأطباء يكون عالما بالطّب[5].

وقد وصف الكثير من المؤرخين والجغرافيين هذا المارستان وأشادوا به، وقال عنه الكتبي: " المارستان العظيم الذي لم يكن مثله"[6]، ووصفه الحسن الوزان بقوله: " وفي القاهرة بيمارستان كبير... كبير... وهو مفتوح للجميع يجد فيه المريض كلّ التسهيلات والعلاجات الطبيّة وجميع ما يحتاج إليه"[7]. ووصفه ابن بطوطة بقوله: " وأمّا المارستان ... فيعجز الواصف عن محاسنه وقد أعدّ فيه من المرافق والأدويّة ما لا يحصر، يذكر أنّ مجباه ألف دينار كلّ يوم"[8].

–البيمارستان المؤيدي:

---

[1] – الكندي، المصدر السابق، ص 243 – القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 343 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص 101 – أحمد عبد الرزّاق، المرجع السابق، ص 112- زكي حسن، الفن الإسلامي، ص 66.

[2] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 405.

[3] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 406 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 326-327 – القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص365 – عيسى بك، المرجع السابق، ص 83.

[4] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 406-407.

[5] – الحداد، المرجع السابق، ص 56-121-139.

[6] – الكتبي، فوات الوفيات، ج2، ص 270.

[7] – الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 206-207.

[8] – ابن بطوطة، المصدر السابق، ج1، ص 56.

أنشأه السلطان المؤيد شيخ سنة 821-823 هـ/ 1418-1420م، وجعل له أوقافا، و لما مات المؤيد سنة 824 هـ/1421م تعطل ثمّ سكنه طائفة من العجم ثمّ تحول إلى مسجد جامع[1].

1 5 2 – الترّب و القباب:

وهي الأماكن الّتي كان يخصصها سلاطين المماليك لدفنهم بعد موتهم، وقد حرصوا كثيرًا على إقامة هذه المنشآت، والّذي ميّز الترب والقباب بمصر هو أنّها لم تكن مجرّد مدافن، بل تم استغلالها للتعليم، حيث كان منشئوها يقصدون من وراء ذلك جلب التواب، لذلك عملوا على جعلها مكانًا لقراءة القرآن بشكل متصل، وأن تكون في خدمة العلم والدين، لذلك كانت تلحق بها مكتبات تشمل على بعض الكتب الدينيّة[2].

ومن أشهر القباب المملوكيّة الّتي أدّت وظيفة التعليم: القبة المنصورية الّتي أنشأها السلطان المنصور قلاوون سنة 683-684هـ/1284-1285م، وخصّها بدرس للحديث وآخر في التفسير وميعاد للتصوف[3]، وتربة السلطان برسباي الدقماقي الظاهري الّتي أوقف عليها خزانة كتب [4]، و قبة قبة الناصر محمّد بن قلاوون التي أنشأها بجوار مدرسته الناصريّة[5].

1-6 –المكتبـات:

ازدهرت حركة إنشاء المكتبات في مصر المملوكية، فوجدت المكتبات الخاصّة والمكتبات العامّة و مكتبات المؤسّسات التعليميّة.

وكان سلاطين المماليك حريصين على الاحتفاظ بخزانة كتب جليلة القدر بقلعة الجبل مقرّ السلطة المركزيّة، كانت تضم مجموعة كبيرة من الكتب في المعارف والعلوم المختلفة[6]، وكان معظم

---

[1] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 408 – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج6، ص 310-311.

[2] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 380 – السيد النشار، المرجع السابق، ص 107- زكي محمد حسن، فنون الإسلام، ص 153- ولفرد جوزف دللي، **العمارة العربية بمصر**، تر: محمود أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000، ص 39.

[3] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 325-327 – المقريزي، الخطط، ج2، ص 380- السلوك، ج1، ص 725- الحداد، المرجع السابق، ص 53.

[4] – السخاوي، ضوء اللامع، ج3، ص 9.

[5] – المقريزي، السلوك، ج1، ص 1043.

[6] – السيد النشار، المرجع السابق، ص 73.

الأمراء يمتلكون خزائن كتب في قصورهم، مثل الأمير تغري برمش سيف الدين الجيلالي الناصري (ت: 852هـ/1449م)[1].

كما كان لدى العلماء والفقهاء والقضاة وحتّى عامّة الشعب المصري أحيانا مكتباتهم الخاصّة يرجعون إليها للقراءة و التأليف.

وكانت المؤسّسات التعليميّة على اختلاف أنواعها مزودة بالمكتبات، فقد تطلبت وظيفة التعليم توفير الكتب اللازمة الّتي يحتاجها الأساتذة والطلاب للدّرس والبحث، لذلك كانت الجوامع والمساجد والمدارس والزوايا والرّبط والخوانق والبيمارستانات وحتّى التّرب والقباب مزودة بخزائن للكتب، ولم تخل مؤسّسة تعليميّة من مكتبة مزودة بالمراجع العلميّة والفقهية الموجّهة للاستفادة منها في إطار النشاط الثقافي الكبير الّذي كانت تشهده مصر في عصر سلاطين المماليك[2].

وكان للمكتبات المملوكيّة نظم خاصّة وموظفون، منهم خازن الكتب الّذي كان يضطلع بالإشراف على اقتناء الكتب وحفظها وتسيير طاقم المكتبة وفق شروط معيّنة للإعارة[3].

2- التعليـم:

كان التعليم في مصر المملوكيّة متاحًا لعامّة أفراد الشّعب المصري، و حتّى المماليك أنفسهم كانوا يحضون بنصيب من التعليم قبل التحاقهم بالخدمة في الجيش أو في البلاط، وكان المكان المخصّص لذلك هو الطباق، وفيه كانوا يتعلمون القرآن والخط والشرائع في المرحلة الأولى، ثمّ يتعلمون الفروسيّة وفنون الحرب لاحقا، وكان يشرف عليهم الفقيه أو المؤدب الّذي يعلّم الكتابة والتنشئة الدينيّة[4].

2-1- التعليم بالكتـاب:

كانت الكتاتيب المملوكيّة مخصّصة للأيتام من أولاد المسلمين فقط، وكان يشرف على تعليمهم المؤدب أو العريف[5]، أمّا عن طريقة التدريس بالكتاتيب فقد أشار ابن خلدون إلى اختلافها اختلافها في الأمصار بين المغرب والمشرق، وقال عن تعليم الولدان في مصر:"... والّذي ينقل لنا أنّ عنايتهم بدراسة القرآن وصحف العلم وقوانينه في زمن الشبيبة، ولا يخلطونه بتعليم الخط، بل

---

[1] – السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص 33-34.

[2] – السيد النشار، المرجع السابق، ص 80 و ما يليها.

[3] – عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 132-135 – النشار، المرجع السابق، ص 113.

[4] – عبد المنعم ماجد، دولة سلاطين المماليك، ص 16- 18.

[5] – نقولا زيادة، "المعلم"، **مجلة العربي**، ع 516، نوفمبر 2001، ص 57.

لتعليم الخط عندهم قانون ومعلمون له على انفراده، كما تتعلم سائر الصنائع، ولا يتداولونها في مكاتب الصبيان، وإذا كتبوا لهم الألواح فبخط قاصر عن الإجادة، ومن أراد تعلم الخط فعلى قدر ما يسنح له بعد ذلك من الهمة في طلبه ويبتغيه من أهل صنعته "[1].

وقد اشترط على المؤدب أن يترفق بالصغير وأن يعلمه السور القصار من القرآن بعد أن يتعلم الحروف ويضبطها بالشكل، ثمّ يتعلّم عقائد السّنن ثمّ أصول الحساب وما يستحسن من المراسلات، كما يتعلّم الصبيان بعض العادات والأخلاق الحميدة إضافة إلى الصلاة، كبِرِّ الوالدين، وينهون عن العادات السيئة دون إفراط في التأنيب لمضرته[2].

وإذا أتمّ الصبيّ حفظ القرآن احتفل به احتفالا كان يسمى "الإصرافة" وهو ما يقابل الختمة في المغرب، فتزين أرض المكتب وكذلك الصبيّ، ويركب على فرس، ويسير أمامه بقية الصبيان منشدين حتّى يصلون إلى بيته فيدخل المؤدب ويسلم اللوح لأم صاحب الإصرافة ويتقاضى قدرًا من المال[3].

وكان الصبي الّذي يظل بالمكتب حتّى البلوغ دون أن يحفظ القرآن يصرف ليحلّ محلّه أحد صغار الأيتام[4].

2-2- التعليم العالـي:

كان يتم في المؤسّسات التعليميّة الكثيرة الّتي أنشئت بمصر في عهد المماليك و نقصد بها الجوامع والمساجد والمدارس والخانقاوات والبيمارستانات، وكان طلاب العلم يقصدون هذه المؤسسات لما كانت توفره من أساتذة متخصصين في الميادين العلمية التي كانوا يريدون التخصص فيها، وكذلك لتوفرها على المسكن والطعام والكسوة[5]، وقد حدد علماء عصر المماليك مجموعة من التخصصات العلمية التي كانت تدرس بالمعاهد التعليمية العليا، وتمثلت على الخصوص في أصول سبعة هي: العلوم الشرعية، العلوم اللغوية، العلوم الطبيعية، علم الهندسة، علم الهيئة، علم العدد والأرتماطيقي، العلوم العملية كالسياسة والأخلاق[6].

---

[1] - ابن خلدون، المقدمة، ص 1040.

[2] - ابن خلدون، المقدمة، ص 1042- 1043 – سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري، ص 151– عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 145-149.

– أحمد بن قدامة المقدسي، **مختصر منهاج القاصدين**، المكتب الإسلامي، بيروت، 1394هـ، ص 14-15.

[3] - سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري، ص 152.

[4] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[5] - عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص136-139.

[6] - القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص470-480.

وكان الطلبة يتمون أحد التخصصات العلمية بالإجازة التي كانت تمكنهم من التصدي لتدريس الفن الذين أجيزوا فيه[1].

وكان يشرف على الطلبة في المعاهد العليا طاقم تدريس كان يختاره السلطان شخصيا، وكانت وظيفة التدريس جليلة القدر، وكان يخلع على صاحبها بالخلع، وعني المماليك بالعلماء من ذوي الكفاءة والفضل والعلم من أهل المذاهب السنية الأربعة المعتمدة[2].

3- الحركة العلميّة وأعلامها:

انعكست حركة إنشاء المؤسّسات

الثقافيّة والتعليميّة ورعاية السلاطين المماليك للعلم والعلماء إيجابيا على الحركة العلميّة بمصر، فازدهرت أصناف العلوم خاصة الشرعية منها، وكثرت التآليف وبرزت ظاهرة تأليف الموسوعات، واشتهر الكثير من العلماء في عدّة تخصصات علميّة فيما يعرف بالموسوعية.

3-1 – العلوم الدينيّة:

كانت العلوم الدينيّة تلقى رعاية الطلاب والعلماء في مصر نظرًا لما كانت توفره لصاحبها من مركز في المجتمع والدّولة، وتقلد مناصب القضاء والفتيا والتدريس، كما أنّها كانت تعتبر من الضروريات الّتي على الفرد تعلمها لأهميتها في الحياة الدينيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة وحتّى السياسيّة.

وكانت العلوم الدينيّة أو الشرعيّة مقسّمة إلى عدّة تخصصات تكمل بعضها بعضا وهي: علوم القرآن وما يتبعها من التفسير والقراءات، علوم الحديث، علوم الفقه وأصوله، علم الكلام والجدل[3].

---

[1] - المصدر نفسه، ص481.

[2] - ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج1، ص387- عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص144-145.

[3] - ابن خلدون، المقدمة، ص 782-838 – القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص 470-474 – أبو حامد الغزالي، **المتسصفى من علم الأصول**، ج1، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1937، ص 3-4 – جلال الدين السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج1، تح: سعيد المندوه، دار الفكر، بيروت، 1996، ص 25-30 - جلال الدين السيوطي، **ألفية السيوطي في علم الحديث**، تصحيح و شرح: أحمد محمد شاكر، دار الرجاء، الجزائر، 1934، ص2 و ما يليها – بن قدامة، المصدر السابق، ص9.

- بدر الدين بن جماعة، **المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي**، ط2، تح: محي الدين عبد الرحمان، دار الفكر دمشق، 1986، ص 29.

وتأثر تدريس هذه المواد والتخصصات بالجو العام للحياة الدينيّة، وكانت الديار المصرية مركزًا لنشاط ديني كبير، خاصّة بعدما أصبحت قاعدة للخلافة العباسيّة، ومقصدًا للمسلمين من المشرق والمغرب.

وكانت آثار التشيع لا زالت قائمة أوائل عصر المماليك رغم الجهود الّتي بذلها الأيوبيون قبلهم لتدعيم مذهب السّنة عقب إسقاط الخلافة الفاطميّة[1].

واتبع سلاطين المماليك سياسة واضحة المعالم للقضاء على آثار المذهب الشيعي، ففي سنة 665هـ/1264م قام السلطان الظاهر بيبرس البندقداري بتحريم أي مذهب ما عدا المذاهب السنيّة الأربعة، ولم تعد تقبل شهادة و لا يرشح للقضاء أو الخطابة أو الإمارة أو التدريس إلاّ إذا كان الشّخص من أتباع أحد المذاهب السنيّة المعتمدة[2] وهي :

- المذهب المالكي:

نسبة إلى الإمام مالك بن أنس (ت 179هـ)[3]، وكانت مصر أولاً على مذهب مالك قبل أن يدخلها الإمام الشافعي[4].

- المذهب الشافعي:

نسبة إلى الإمام أبي عبد الله الشافعي المتوفى بمصر سنة 204 هـ[5].

- المذهب الحنفي:

نسبة إلى الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت (ت 150 هـ)[6]، والّذي دخل مذهبه مصر في عهد الدّولة الإخشيديّة[1].

---

[1] - أبو شامة، المقدسي، المصدر السابق، ص 688 – المقريزي، الخطط، ج2، ص 343 - الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ص 380-385 – النويري، نهاية الأرب، ج28، ص 362.

[2] - ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 7، ص 134.

[3] - ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 439 – ابن فرحون، الديباج، ص17 - ابن العماد، شذرات الذهب، ج1، ص 289 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص 96 – مخلوف، المصدر السابق، ص 48-55 – فؤاد سزكين، **تاريخ التراث العربي**، ج2، تر: محمود فهمي أبو الفضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1978، ص 120.

[4] - المقدسي، المصدر السابق، ص 202-203.

[5] - ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 447 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج2، ص 9 – ابن كثير، البداية و النهاية، ج 10، ص 251 – ابن فرحون، الديباج، ص 227 – فؤاد سزكين، المرجع السابق، ج2، ص 165.

[6] - ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج7، دار صادر - دار بيروت، بيروت، 1958، ص 322 – ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص 163 – ابن كثير، البداية و النهاية، ج10، ص 107 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج1، ص 227 –

-المذهب الحنبلي:

نسبة إلى الإمام أحمد بن حنبل (ت 241 هـ)[2] و الّذي كان مذهبه منشرًا بقوّة في بلاد الشام و لم يكن له أتباع كثيرون بمصر، حيث لم يظهر بها إلاّ في القرن السابع الهجري[3].

وكان الفقه يدرس على هذه المذاهب، وتطورت العلوم الدينيّة بفضل تشجيع الحوار الفكري والمناظرات العلميّة بين الفقهاء والعلماء من جميع المذاهب، وبرز العديد من الفقهاء والمحدثين والمفسرين والمشتغلين بالقراءات، وكثرت التآليف المتداولة، وكان منها الكتب المبسوطة والكتب المختصرة، وكان الهدف منها تسهيل و تبسيط المصطلحات للطلاب حتّى يتمكّنوا من فهم أصول العلم، ثمّ يتعمقوا فيه عن طريق المصنفات الأساسيّة[4]. وبرز من علماء مصر في العلوم الدينيّة:

-عز الدين بن عبد السلام(578-660 هـ/1182-1261م) [5]:

يلقب بسلطان العلماء، و هو عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسن السلمي الدمشقي الشافعي، ولد بدمشق وقدم مصر وأقام بها، وحضر دروس أبي الحسن الشاذلي، وقد أدرك الأيوبيين والمماليك، وبرع في علوم العربيّة وأصول الفقه، وبلغ مرتبة الاجتهاد، وانتهت إليه معرفة المذهب، حدّث ودرّس وأفتى وصنّف، وكان علم عصره جامعًا لعدّة علوم، وكان له هيبة عند سلاطين المماليك، ولما توفي شهد جنازته الظاهر بيبرس البندقداري، ومن تأليفه: الإشارة والإيجاز في بعض أنواع المجاز في القرآن ، أمالي في تفسير القرآن ، الإمام في أدلة الأحكام، بحار

ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص 12- محمد أبو زهرة، أبو حنيفة، ط3، دار الفكر العربي، 1960، ص 12 وما يليها – فؤاد سزكين، المرجع السابق، ج2، ص 31.

[1] – عبد اللطيف حمزة، **الحركة الفكريّة في مصر في العصرين الأيوبي و المملوكي الأوّل**، ط8، دار الفكر العربي، 1968، ص 196-197.

[2] – ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 17 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج2، ص 96 – إبراهيم بن محمد بن سالم بن ضويان ، **كتاب منار السبيل في شرح الدليل على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل**، ج1، منشورات مؤسّسة دار السلام، دمشق، 1378 هـ، ص 7- الزركلي، الأعلام، ج1،ص 192 – سزكين، المرجع السابق، ج2، ص 196.

[3] – عبد اللطيف حمزة، المرجع السابق، ص 196-197.

[4] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص 470.

[5] – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج7، ص 286-289 – النجوم الزاهرة، ج7، ص 208 – الذهبي، المصدر السابق، ج17، ص 15-17 – النويري، نهاية الأرب، ج30، ص 66 - ابن قنفذ، الوفيات، ص 51 – حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ج1، استانبول، 1941، ص 438، 453.

القرآن، شرح منتهى السؤل والأمل لابن الحاجب، العقائد، القواعد الصغرى في الفروع ، القواعد الكبرى، الفتاوى المصرية.

-شرف الدين الدمياطي: (613-705 هـ/ 1231- 1305م)[1]:

هو الإمام العلامة الحافظ الفقيه النسابة شيخ المحدثين شرف الدين أبي محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن التوني الشافعي، تفقه وبرع في الحديث وارتحل في طلبه، وصنّف معجم شيوخه وكان واسع الفقه جيد العربيّة، كما ألّف كتاب الخيل وكتاب الصلاة الوسطى، وكتاب في قبائل الخزرج والأوس والسيرة النبويّة.

- ابن دقيق العيد (625-702 هـ/ 1226- 1302م)[2]: هو الإمام الفقيه الحافظ المحدث المجتهد تقي الدين أبي الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشري المنفلوطي المالكي الشافعي، تولى قضاء القضاة بمصر، ومن تآليفه: شرح العمدة، الإمام في أحاديث الأحكام، الاقتراح في علوم الحديث، الأربعين التساعية.

- تقي الدين بن تيمية (661-728 هـ/ 1262- 1328م):

تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الحنبلي، كان أحد أعلام عصره في العلوم الدينيّة، اعتنى بطلب علم الحديث والفقه و علم الكلام وبرع فيها.

امتحن مرارًا، وعذّب بسبب آرائه في الكثير من قضايا الفقه والحكم. من تآليفه الّتي بلغت 300 مجلدا: إثبات الصفات والعلو في الاستواء، الاجتماع والافتراق في مسائل الأيمان والطلاق، الفرقان بين أولياء الرّحمان وأولياء الشيطان، تعارض العقل والنقل، الجواب الباهر في زوار المقابر، جوامع الكلم، الرّد على الفلاسفة، السياسة الشرعيّة في إصلاح الرّاعي والرّعية، الصارم المسلول على شاتم

---

[1] - جلال الدين السيوطي، **طبقات الحفاظ**، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1983، ص 515 – الشوكاني، المصدر السابق، ج1، ص 403-404 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص 12- الذهبي، المصدر السابق، ج17، ص 383-385 – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج7، ص 367-373 – السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 357.

[2] - السيوطي، طبقات الحفاظ، ص 516 – الشوكاني، البدر الطالع، ج2، ص 229 - السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 317 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص 5 – الذهبي، المصدر السابق، ج16، ص 126- محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 189 – حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص 158.

الرّسول، فضائل أبي بكر وعمر، المحنة المصرية، كشف حال المشايخ الأحمديّة وأحوالهم الشيطانية، مناسك الحج، منهاج السنّة النبويّة في نقض كلام الشيعه والقدرية[1].

-تقي الدين السُّبكي (683-756هـ/ 1284- 1355م):

الإمام الفقيه المحدث الحافظ المفسر الأصولي النحوي اللغوي والأديب المجتهد تقي الدين أبي الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن سليم. ولد بسُبَك من أعمال المنوفية بمصر، وتفقه على ابن الرفعة في الفقه الشافعي، وأخذ الحديث عن شرف الدين الدمياطي والتفسير عن علم الدين العراقي والنحو على أبي حيان الغرناطي، وصحب في التصوف ابن عطاء الله السكندري، وانتهت إليه رئاسة العلم في مصر. أقبل على التصنيف والفتيا، وصنف أكثر من 150 مصنفا، منها: الدر النظيم في تفسير القرآن العظيم، الابتهاج في شرح المنهاج[2].

-العز بن جماعة -694-767هـ/ 1295- 1365م)[3]:

الحافظ الإمام قاضي القضاة عز الدين أبي عمر عبد العزيز بن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الأصل الدمشقي المولد ثم المصري الشافعي، سمع من الدمياطي وغيره وبلغ عدد شيوخه ألفا وثلاثمائة، من تأليفه: تخريج أحاديث الرافعي، المناسك الكبرى والصغرى، وكان أكثر تمكنا في الحديث وعلومه.

-ابن الملقن (723-804هـ/ 1323-1401م)[1]:

---

[1] - الكتبي، فوات الوفيات، ج1، ص 62-71 – الذهبي، المصدر السابق، ج17، ص 541-542 – الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص336 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص 80 – بن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج9، ص 271 – ابن تيمية، **القاعدة المراكشية**، تح: دغش بن شنب العجمي، دار ابن حزم، بيروت، 2002، ص 17-19 – السيوطي، طبقات الحفاظ، ص 520 – ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص 163 – ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، ج1، القاهرة، 1966، ص 154 – محمد بن أحمد بن عبد المهادي، **العقود الدّريّة من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**، تح: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، (د.ت)، ص2 و ما يليها.

[2] - ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص 134 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج10، ص 318 – ابن كثير، البداية و النهاية، ج14، ص 252 – السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 321 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص 180 – الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص 467 – السيوطي، طبقات الحفاظ، ص 525.

[3] - السيوطي، طبقات الحفاظ، ص 535-536 – ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص 489 – الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص 359 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص 208 – ابن العراقي، المصدر السابق، ج1، ص 200 – ابن قنفذ، الوفيات، ص 59.

الإمام الفقيه سراج الدين أبي حفص عمر بن نور الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الأنصاري الشافعي، أحد شيوخ وأئمة الحديث في عصره. برع في الفقه والحديث وصنف فيهما الكثير، و من تآليفه: شرح البخاري، وشرح العمدة.

-سراج الدين البلقيني (724-805هـ/ 1324- 1402م)[2]:

الإمام شيخ الإسلام الحافظ الفقيه المجتهد سراج الدين أبي حفص عمر بن رسلان بن نصير بن صالح بن شهاب بن عبد الخالق بن محمد بن مسافر الكناني الشافعي، أجازه الحافظان المزي والذهبي و آخرون. أخذ الفقه عن جماعة منهم التقي السبكي وأخذ النحو عن أبي حيان، وانتهت إليه رئاسة المذهب والإفتاء، ولي قضاء الشام والتدريس والتفسير بجامع ابن طولون وغيره. من مؤلفاته في الحديث: محاسن الإصلاح وتضمين ابن الصلاح، شرح على البخاري وشرح على الترمذي.

- زين الدين العراقي (725-806هـ/ 1325- 1402م)[3]:

أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمان بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي، حافظ عصره، قدم القاهرة في صغره من العراق، ونشأ في خدمة الصالحين كالشيخ تقي الدين القنائي. سمع الحديث من علماء عصره كالسبكي والعز بن جماعة. من مؤلفاته: الألفية في الحديث، تخريج أحاديث الإحياء، تكملة شرح الترمذي ، نظم منهاج البيضاوي في الأصول، نظم غريب القرآن، نظم السيرة النبويّة. وتولى قضاء المدينة المنورة، ودرّس وتخرّج عليه الكثير.

- جمال الدين الإسنوي(704-772هـ/ 1304- 1370م)[4]:

---

[1] - السخاوي، الضوء اللامع، ج6، ص 100 – الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص 508 – السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 438 – طبقات الحفاظ، ص 542 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص 44 – ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 30-68.

[2] - السيوطي، طبقات الحفاظ، ص 542 – السخاوي، الضوء اللامع، ج6، ص 85 – الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص 506 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص 51.

[3] - السيوطي، حسن المحاضرة، ج 1، ص 360 – السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص 171 – السيوطي – طبقات الحفاظ، ص 542 – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج7، ص 245 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص 55.

[4] - ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج7، ص 242 – النجوم الزاهرة، ج11، ص 114 – المقريزي، السلوك، ج3، ص 193 – ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص 463 – الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص 425 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص 223. ابن العراقي، المصدر السابق، ج2، ص 314 – ابن إياس،، بدائع الزهور، ج1، ص 103 – السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 429- الزركلي، الأعلام، ج4، ص 119.

عبد الرحيم بن الحسن بن علي، جمال الدين أبي محمد القرشي الأموي الإسنوي الشافعي. ولد بإسنا بالصعيد، وحفظ القرآن، و تفقه بالقاهرة على جماعة كالعلاء القونوي والتقي السُّبكي، وأخذ النحو على أثير الدين أبي حيان الأندلسي، وبرع في الفقه والعربيّة والحديث والعروض والتاريخ والتفسير، وتخرّج به جماعة كالسراج عمر بن الملقن، و غيره. من تآليفه: كتاب الهداية إلى أوهام الكفاية لابن الرفعة، المنهاج في الأصول، شرح عروض ابن الحاجب، وله الطبقات، وكتاب الجمع و الفرق.

-ولي الدين العراقي (762-826هـ/ 1360- 1423م) [1]:

الإمام الحافظ الفقيه الأصولي أبو زرعة أحمد بن أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين، أخذ عن البلقيني وابن الملقن في الفقه، وبرع في علوم الحديث والفقه والأصول، وألّف فيها: شرح سند أبي داود ، شرح البهجة في الفقه، مختصر المهمات، شرح جوامع الكلم ، حاشية على الكشاف وغيرها.

- ابن حجر العسقلاني (773-852 هـ/ 1370- 1449م)[2]:

شيخ الإسلام و إمام الحفاظ في زمانه بالديار المصريّة وسائر الأقطار الإسلاميّة حسب قول تلاميذه, وهو قاضي القضاة شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد الكناني العسقلاني ثم المصري الشافعي. اشتغل بالأدب والشعر في أوّل أمره وبلغ فيه مرتبة عاليّة، ثمّ طلب الحديث منذ سنة 794هـ/ 1392م، وسمع منه الكثير، ورحل ولازم الشيخ الحافظ أبا الفضل العراقي، وبرع في علوم الحديث، وجميع فنونه، وصنف فيه: شرح البخاري، تهذيب التهذيب، تقريب التهذيب، لسان الميزان، الإصابة في تمييز الصحابة، أسباب النزول وغيرها.

كما كان مهتما بالعلوم الأخرى وألف في التراجم كتبه: كالدرر الكامنة، و إنباء الغمر، ورفع الإصر عن قضاة العصر، وغيرها، ودرّس بعدّة مدارس وجوامع، وتولى مشيخة شيوخ الخانقاه

---

[1] - السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص 336 – السيوطي، طبقات الحفاظ، ص 548 – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج1، ص 312 – الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص 82 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص 173 –ابن العراقي، المصدر السابق، ج1، مقدمة المحقق.

[2] - السخاوي، الضوء اللامع، ج2، ص 36 – السيوطي، طبقات الحفاظ، ص 552 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج15، ص 532 – الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص 78 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص 270 – ابن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب**، ط2، ج1، تح: عبد الوهاب عبد اللطيف، القاهرة، 1975، مقدمة المؤلف – السيوطي، **نظم العقبان في أعيان الأعيان**، حرره فليب حتي، المطبعة السورية الأمريكيّة، نيويورك، 1927، ص 45-53 – القلصادي، المصدر السابق، ص 153-154 – حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص 162.

البيبرسيّة و مشيخة المدرسة الصلاحيّة بجوار مشهد الشافعي، كما ولي قضاء القضاة بمصر سنة 827هـ/ 1424م، وتخرّج به الكثير من العلماء المشارقة والمغاربة.

– خليل بن إسحاق بن موسى بن شعيب المالكي المصري(ت 767 هـ/1365م)[1]:

هو الإمام العلامة حامل لواء المالكية بمصر في عصره، كان من جملة أجناد الحلقة، وكان منقبضا عن أهل الدنيا جامعًا بين العلم و العمل، وكان مشاركا في الفقه والحديث والعربيّة والفرائض، أخذ فقه المالكيّة عن الشيخ المنوفي، وتخرّج به جماعة، و درّس بالشيخونية[2]. ألّف شرحًا لابن الحاجب في ستة مجلدات، وشرح ألفية ابن مالك، وشرحا على المدونة. وأهم مؤلفاته مختصره في الفقه المالكي.

– الشيخ عبادة بن علي بن صالح بن عبد المنعم بن فهد المالكي (778–846 هـ/ 1376- 1442م)[3]:

شيخ المالكية بالديار المصرية في زمانه، ولد بالصعيد وقرأ بها، ثمّ انتقل إلى القاهرة وحفظ بعض المختصرات في مذهبه، ثمّ اشتغل واجتهد وصار إمام وقته ورأسا في المنقول والمعقول، وطلب الحديث على جماعة، و أفتى وانتهت إليه رئاسة مذهب مالك، ودرّس عدّة سنين وانتفع به النّاس في المدرسة الأشرفية برسباي وفي الخانقاه الشيخونية.

– تاج الدين السنجاري الحنفي (722–800 هـ/ 1322- 1398م)[4]:

كان إماما عالما في الفقه والأصلين والعربيّة واللّغة، أفتى ودرس سنين وناب في الحكم بالقاهرة ودمشق، وولي وكالة بيت المال بدمشق، ومن تآليفه: البحر الحاوي في الفتاوي، المختار في الفقه نظم كتاب سلوان المطاع لابن ظفر، السراجية في الفرائض.

شمس الدين السخاوي (831 – 902 هـ) [1] :

---

[1] – ابن مريم، البستان، ص 96 – ابن فرحون، الديباج، ص115-116 – التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص 112-115 – ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص 86- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص 92- ابن العراقي، المصدر السابق، ج1، ص 196- مخلوف، المصدر السابق، ص 223.

[2] – هي الخانقاه الشيخونية و تسمى أحيانا بالمدرسة و قد سبق التعريف بها.

[3] – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج7، ص 52-55.

[4] – ابن حجر، الدرر، ج2، ص 382 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج12، ص 162 – المقريزي، السلوك، ج3، ص 911.

هو الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، حفظ الكثير من المختصرات، وأخذ العلم عن كبار علماء عصره كابن حجر الذي حبب إليه الحديث وغيره، ثم حج وأخذ بمكة والمدينة، ثم ارتحل إلى الإسكندرية والقدس وبلاد الشام وتخرج به الكثير من الطلبة، وتآليفه:

معجم شيوخه. تخريج الأربعين النووية، تكملة تخريج ابن حجر، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، شرح العمدة لابن دقيق العيد. كما ألف في التاريخ:

ذيل تاريخ المقريزي من 845هـ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، الذيل على تاريخ ابن حجر، الساقي من اللم في وفيات الأمم، ترجمة ابن حجر، التاريخ المحيط.

- **السيوطي (849 – 911 هـ/1445- 1505م)** [2]:

هو الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن الكمال الحضيري الأسيوطي، حفظ القرآن، ثم أحضره والده مجلس الشيخ ابن بحر العسقلاني، وأخذ العلم عن جماعة من العلماء، وسافر في طلب العلم إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكرور، وكان على دراية بسبعة علوم، هي التفسير والفقه والنحو والمغاني والبيان والبديع، وتولى عدة وظائف كالتدريس بجامع ابن طولون والشخونية، وتولى مشيخة التصوف بتربة برقوق، ومشيخة الخانقاة البيرسية.

وتخرج به عدة طلبة وعلماء، وترك عدة مؤلفات منها: الاتقان في علوم القرآن، تكملة تفسير القرآن لجلال الدين المحلي، طبقات الحفاظ، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تاريخ الخلفاء، لب اللباب في تحرير الأنساب.

3-2- التصوف:

يعتبر التصوف من العلوم الشرعيّة الحادثة في الملّة حسب تعبير ابن خلدون[3]. و في مصر والشام فقد انتشر التصوف في المجتمع على نطاق واسع حتّى أصبح ظاهرة مميزة للحياة الدينيّة، ولقي

---

[1] – السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص1-3؛ السيوطي، نظم العقيان، ص153؛ الشوكاني، اليد الطالع، ج2، ص185-186؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج8، ص .

[2] – السيوطي، حسن المحاضرة،ج1، ص335؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص65؛ إبن إياس، بدائع الزهور، ج4، ص83؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص328؛ ابن العماد الحنبلي، ج8، ص51؛ الزركلي، الأعلام، ج3، ص301، البغدادي، هدية العارفين، ج1، 534.

[3] – ا بن خلدون، المقدمة، ص 863.

هذا الجانب اهتمام السلاطين فأكثروا من إنشاء المؤسّسات التعليميّة الخاصة بالتصوف والمتصوفة، وتقربوا إلى رجال التصوف وكان لهؤلاء وقع كبير عند سلاطين المماليك[1].

وكانت ظروف العالم الإسلامي منذ القرن السابع الهجري/13م قد ساعدت على اتجاه أغلب النّاس إلى نهج أسلوب التصوف كنمط للحياة و ليس كمعرفة علم فحسب، خاصة الأحوال السياسية المتردية و هجوم المغول و التتار و الحركة الصليبيّة[2].

وساعد على ازدهار حركة التصوف بمصر هجرة الكثير من رجال التصوف إليها خاصة من بلاد المغرب، فنشر هؤلاء أفكارهم في أوساط المجتمع المصري الّذي تجاوب معهم، و تأسست بموجب ذلك عدّة طرق صوفية ومذاهب في الفكر الصوفي، وكان لكلّ طريقة أو مذهب أتباع[3].

ومن أشهر المتصوفة بمصر خلال عصر المماليك:

- أبو الحسن الشاذلي (591-656هـ/ 1195- 1257م)[4]:

علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف أبي الحسن الهذلي الشاذلي نسبه إلى شاذلة قرية بإفريقيّة، نزيل الإسكندرية وشيخ الطريقة الشاذلية. حجّ عدّة مرات وتوفي بصحراء عيذاب ودفن بها. من مؤلفاته كتاب حزب البحر وهو عبارة عن دعاء مشهور سمي بالبحر لأنّه وضع في البحر وللسلامة فيه حين سافر في بحر القلزم فتوقفت الريح أياما ثم عادت[5].

- أبو العباس المرسي (616-686هـ/ 1216- 1287م)[6]:

أبو العبّاس أحمد بن عمر بن محمد الأندلسي المرسي الأنصاري نزيل الإسكندرية، صحب شيخه الشاذلي وأصبح شيخ الطريقة الشاذلية بعد وفاته، وكان يدرّس تلاميذه كتب التصوف كالإحياء ورسالة القشيري.

---

[1] - ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج5، ص 263 – ص 367.

[2] - عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري، المرجع السابق، ص 163.

[3] - راجع الفصل الرابع حول الطرق الصوفية.

[4] - ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 458 – الشعراني، الطبقات الكبرى، ج2، ص 4 – 11 – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج2، ص 43 – الذهبي، المصدر السابق، ج17، ص 12 ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص 278 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 186 – ابن قنفذ، الوفيات، ص 50 - و ألف فيه تلميذه ابن عطاء الله السكندري كتاب لطائف المنن.

[5] - حاجي خليفة، كشف الظنون، ج2، ص 661.

[6] - الشعراني، المصدر السابق، ج2، ص 11 – المقري، نفح الطيب، ج2، ص 330 – ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 418 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج67، ص 371.

– ابن عطاء الله السكندري (709هـ/1309م)[1]:

تاج الدين أحمد بن محمد بن عطاء الله السكندري تلميذ أبي العباس المرسي، كان له حرمة وقدر كبير عند الناس. وألّف في مناقب شيوخه كتاب:

"لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه الشاذلي أبي الحسن"، وكتاب الحكم العطائية[2].

– محمد بن عبد الله بن إبراهيم المرشدي(ت 737هـ/1337م)[3]:

محمد بن عبد الله بن أبي المجد إبراهيم المرشدي، كان يقيم بزاوية فوّة بقرية مرشد من قرى الوجه البحري بمصر قرب الإسكندريّة وكان يخدم الواردين بنفسه وكان كثير الإنفاق، وكانت تربطه علاقات قويّة مع الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن مرزوق (ت 741هـ/1341م) وابنه أبي عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب (ت 781هـ/1379م)[4].

– عبد الله المنوفي (686-748هـ/1348م)[5]:

الشيخ عبد الله بن محمد بن سليمان المالكي المغربي الأصل ثمّ المصري، نشأ بالقاهرة وتفقه وبرع في مذهب مالك، وكان عالما زاهدًا متصوفا، وكان للناس فيه اعتقاد ومحبّة، من تلاميذه الشيخ خليل صاحب المختصر والّذي ألف فيه مصنفا.

3-3- الآداب واللغة:

قسمت علوم الأدب واللسان في مصر المملوكية إلى عدة علوم، كان أهمها علم اللغة، وعلم التصريف، وعلم النحو والمعاني، وعلم البديع والبيان وعلم العروض وعلم القوافي وعلم قوانين

---

[1] – ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 421 – الشعراني، المصدر السابق، ج2، ص 18 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص 19، محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 204 – المقري، نفح الطيب، ج2، ص 330.

[2] – حاجي خليفة، كشف الظنون، ج2، ص 675-1554-1769 جرجي زيدان، **تاريخ آداب اللغة العربية**، ج3، ص 261.

[3] – ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 568 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص 116 – ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص 462 – الذهبي، المصدر السابق، ج17، ص 570 – ابن بطوطة، المصدر السابق، ج1، ص 47 – ابن مرزوف، المناقب المرزوقية، ص ص 257-266.

[4] – عبد العزيز فيلا لي، المرجع السابق، ج2، ص 394.

[5]– ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج7، ص 90 – ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 554 – الشعراني، المصدر السابق، ج2، ص 2 – التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 121.

الخط[1]،وكان العلماء والطلاب يهتمون بهذه العلوم لتعلقها بالعلوم الشرعية وضرورتها لفهم أحكام ومعاني القرآن والسنة، وتداولت عدة كتب كان يتم بموجبها تلقين هذه العلوم مثل حكم ابن سيدة، ومؤلفات ابن الحاجب كالكافية في النحو، والكافية والشافية لبن مالك، وكتاب سيبويه وشروحه وغيرها[2].

وقد ازدهرت هذه العلوم وعرف عن سلاطين المماليك تقربهم إلى الأدباء، وكانت مجالسهم عبارة عن ميدان للتنافس بين الأدباء، وعرض انتاجهم الأدبي نثرا وشعرا.

وقد اختلفت الأغراض الأدبية، وتناول الأدباء والشعراء في مصر مختلف مظاهر الحياة في بلدهم، وتأثر الأدب المملوكي بمؤثرات السلطة والمجتمع، وعكف الأدباء على تصوير الواقع السياسي والاجتماعي[3].

كما ارتبطت علوم الأدب واللسان بديوان الانشاء، وكانت وظيفة الكاتب بهذا الديوان من أجل الوظائف في عصر المماليك، واهتم بها السلاطين، وكانت تصدر العديد من الرسائل عن الكتاب اختصت بأمور الدولة والمجتمع والعلاقات الخارجية[4].

وكان على كاتب الانشاء الالمام بمجموعة من العلوم، كان أهمها العلوم المتصلة بالأدب، وأن تكون له ثقافة واسعة وحفظ الأشعار وخطب البلغاء[5].

وكان أسلوب الكتابة في ذلك العصر يتسم بغلبة العاطفة الديني، وكذلك اختلاط اللغة الفصحى بالعامية وحتى الأعجمية[6].

كما تناول الشعراء في قصائدهم عدة أغراض شعرية كمدح السلاطين وتخليد المعارك التي انتصر فيها المماليك على القوى المعادية كالتتار[7].

كما اشتهر هذا العصر بتأليف القواميس والمعاجم، وظهر من أصحاب هذا الفن الفيروزبادي صاحب القاموس المحيط [1](ت 817هـ)، وابن منظور (ت 711 هـ/ 1311م) صاحب لسان

---

[1] – القلقشندي، صبح العشى، ج1، ص468 – 470؛ ابن خلدون، المقدمة، ص1055 – 1168.

[2] – القلقشندي، المرجع السابق، ص468 – 470.

[3] – فوزي أحمد أمين، أدب العصر المملوكي الأول، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2003، ص20.

[4] – موسى بن حسن الموصلي، كتاب البرد والموشى في صناعة الانشاء، تح: عفاف سيد صبرة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990، ص7؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص89.

[5] – القلقشندي، صبح العشى، ج1 ص189- 302.

[6] – عبد اللطيف حمزة، المرجع السابق، ص274؛ سعيد عاشور، مصر والشام، ص275.

[7] – بيبرس الدوادار، المصدر السابق، ص 210- 215.

العرب[2]، كما اشتهرت الموسوعات التي كانت تظم مختلف الأغراض العلمية الأدبية والفنون، مثل نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، وصبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي.

وممن اشتهر من النحويين واللغويين والأدباء والشعراء:

ابن هشام النحوي (708- 761 هـ/ 1308- 1359م):

هو عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام جمال الدين أبو محمد النحوي الشافعي ثم الحنبلي، سمع من بدر الدين محمد بن جماعة، لازم بن المرحل، وتلا بالسبع عن ابن السراج، كما أخد الفقه عن جملة من فقهاء مصر، وأتقن العربية حتى صار كما وصفه بعض المؤرخين "فارس ميدانها"[(3)]، إضافة إلى براعته في الفقه وأصوله، ومن تآليفه التي فاقت العشرين، والتي كان أكثرها شروحا في النحو: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، شرح ألفية ابن مالك الذي سماه "التوضيح"، قطر الندى وبل الصدى، الإعراب في النحو، وقد أثنى عليه ابن خلدون في المقدمة[4].

بهاء الدين بن عقيل (698 – 769هـ/ 1298- 1367م)[5]:

هو عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل الحلبي الشافعي النحوي نزيل القاهرة، ارتحل من بلده إلى مصر وتفقه بها حتى صار من أئمة الفقه والأدب، ولازم أبا حيان حتى صار من أعيان تلامذته، وشهد له بالفضل في علم النحو، ثم اشتغل على القونوي في العربية والفقه، واخذ القراءات السبع عن ابن الصائغ وتولى القضاء والتدريس، وكان عالما في العربية والمعاني والبيان والتفسيروالأصول، قارئا بالسبع، حسن الخط، ومن مؤلفاته: شرح ألفية ابن مالك، التسهيل في العروض.

شرف الدين البوصيري (ت 695هـ/1295م)[6]:

هومحمد بن سعد بن حماد الدلاصي المولد المغربي الأصل البوصري المنشأ، ولد بدلس بالمغرب يوم الثلاثاء الأول من شوال عام 608هـ، ويقال بدلاص بمصر.

---

[1] – الشوكاني، البدر الطالع، ج2، ص280.

[2] – عبد اللطيف حمزة، المرجع السابق، ص240-243.

[3] – ابن حجر، الدرر، ج2، 415؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج10، ص336؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص400؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج7، ص131؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، 191.

[4] – ابن خلدون، المقدمة، ص1058.

[5] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص100؛ المنهل الصافي، ج7، ص94-97؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص372؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص386.

[6] – السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص571؛ ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج5، ص432.

كان من الناظمين البارعين، وهو صاحب القصيدة المسماة بالبردة، وهي في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن شعره قصيدة همزية مطلعها:

كيف ترقى لرقيك الأنبياء   يا سماءا ماطاولتها سماء [1]

وميمية مطلعها:

أمن تذكر جيران بذي سلم   مزجت دمعا جرى من مقلة بدم[2]

ابن الخراط (777 – 840 هـ/1375 – 1436م)[3]:

هو عبد الرحمن بن محمد بن سليمان زين الدين المروزي الشافعي الحموي الأصل الحلبي نزيل القاهرة، أين تولى كتابة الانشاء حتى وفاته.

كان أديبا بليغا، مدح الملك الأشرف برسباي لما أسر هذا الأخير ملك قبرص الفرنجي، وأنشدها بحضرته وخلع عليه.

شمس الدين النواجي (788 – 859 هـ/1385 – 1455م)[4]:

شمس الدين محب بن حسن الأديب، كان من أبرز أدباء عصره، من تأليفه: روضة المجالسة في بديع المجانسة، صحائف الحسنات، تأهيل الغريب، وله ديوان شعر، ومن قوله في مدح الشيخ ابن حجر العسقلاني:

شكرا لفضلك يا قاضي القضاة ومن   يحار في وصف معنى جوده الناشي

توجت رأسي بما أهديته فغدت   لي عليه بك أرويها عن الشاشي[5]

وقال في مغربي:

بي مغربي قد حجبوا شخصه   عني وعن قلبي لم يحجب

ولو مر بي ذكراه في مشرق   همت من المشرق للمغرب[6]

3-4- التاريخ:

---

[1] – عبد اللطيف حمزة، المرجع السابق، ص 274.

[2] – المرجع نفسه، ص274.

[3] – المقريزي، السلوك، ج1، ص720 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج15، ص205 – المنهل الصافي، ج7، ص213.

[4] – الشوكاني، البدر الطالع، ج2، ص156 – السيوطي، نظم العقيان، ص144.

[5] – السيوطي، المصدر نفسه، ص144.

[6] – المصدر نفسه، ص147.

اهتم المماليك بالتاريخ وأهله، وكان الظاهر بيبرس يحب سماع التاريخ[1]، لذلك قام السلاطين بتقريب المؤرخين إلى قصورهم من أجل تدوين سيرهم وتراجمهم وأعمالهم.

وامتازت الكتابة التاريخية في العصر المملوكي بمجموعة من الخصائص، وكانت المؤلفات في التاريخ انعكاسا لأوضاع ذلك العصر وأوضاعه السياسية والاجتماعية[2].

وأبرز المميزات التي اتسمت بها كتابة التاريخ بمصر المملوكية يمكن حصرها في خصائص متعلقة بالموضوع وأخرى متعلقة بالأسلوب ومنها:

- نضوج التاريخ كعلم قائم بذاته بعدما كان تابعا للعلوم الدينية، وألفت كتب في علم التاريخ مثلما كتبه ابن خلدون في "**المقدمة**" ووضع أسس المنهج التاريخ الحديث الذي يعتمد على النقد[3]، كما ألف السيوطي كتاب "**الشماريخ في علم التاريخ**"، وألف السخاوي كتاب "**الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ**"[4].

- تنوع المواضيع التي تناولها المؤرخون بين السير والتراجم والأنساب و التاريخ العام والتاريخ السياسي والحربي والإداري، ككتاب خليل بن شاهين" **زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك**"[5].

وأبرز ما ميز أسلوب الكتابة التاريخية في ذلك العصر هو دخول الألفاظ الأعجمية من اللغات التركية والفارسية والأوروبية، وذلك لكون أغلب المماليك كانوا أتراكا، كما شاع استخدام الألفاظ العامية في التأليف، واشتملت بعض المؤلفات على ذكر الغرائب ومقياس النيل وبعض الحوادث والكوارث الطبيعية كالزلازل والأوبئة والفيضانات[6].

وذاع صيت الكثير من المؤرخين بمصر نذكر منهم:

تقي الدين المقريزي صاحب كتاب "السلوك لمعرفة دول الملوك" وكتاب "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" وهو كتاب تاريخي جغرافي، و ابن تغري بردي صاحب "النجوم الزاهرة في ملوك

---

[1] - ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص182.

[2] - بيبرس الدوادار، المصدر السابق، ص32.

[3] - ابن خلدون، المقدمة، ص4.

[4] - السخاوي،**الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ**، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)

[5] - خليل بن شاهين الظاهري، **زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك**، نشر: بولس راويس، باريس، 1894.

[6] - ابن دقماق، نزهة الأنام، ص17-21.

مصر والقاهرة" و"المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي"، والسخاوي[1] الذي ألف "التبر المسبوك في تاريخ الملوك" وكتاب "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع"،وابن إياس[2] صاحب بائع الزهور، وابن دقماق الذي ألف كتاب" الانتصار لواسطة عقد الأمصار" و"ترجمان الزمان في تراجم الأعيان" و"الجوهر الثمين في سير لملوك والسلاطين" وغيرها[3]، كما ألف ابن حجر العسقلاني كتاب "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة" في التراجم، وكذلك "إنباء الغمر"، وألف السيوطي كتاب "حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة" وكتبا أخرى كثيرة[4]، وتجدر الإشارة إلى المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون المغربي الذي ألف كتاب "ترجمان العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" .

3-5 – العلوم العقلية:

ازدهرت العلوم العقلية في الدولة المملوكية وتنوعت اختصاصاتها وألف فيها الكثير من العلماء مصنفات صارت مراجع تدرس في المؤسسات التعليمية في المشرق والمغرب وبلغت شهرتها العالم الأوربي.

3-6- العلوم الطبية:

تهتم هذه العلوم بصحة أعضاء جسم الإنسان كافة والأمراض التي قد تصيبها ويتم ذلك من خلال حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية والوسائل الوقائية، ولما كان الطبيب هو المتحمل لكل الأعباء العلاجية، لمختلف الأمراض فان أعباءه هذه كلها تعرف بالطب العام[5].

–صدر الدين بديع بن نفيس التبريزي (ت 797هـ/1395م):

---

[1] – ابن عماد، شذرات الذهب، ج8، ص16.

[2] – حسين عاصي، **ابن إياس مؤرخ الفتح العثماني لمصر**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993، ص38 –كشف الظنون، ج1، ص229.

[3] – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج1، ص120– ابن العماد، شذرات الذهب، ج8، ص81– السخاوي، الضوء اللامع،ج1، ص146.

[4] – ابن عماد، شذرات الذهب، ج8، ص51– جمال الدين الشيال، **التاريخ والمؤرخون في مصر**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1958، ص4.

[5] – ابن خلدون، المقدمة، ص 40.

الحكيم الطبيب ورئيس الأطباء بالديار المصرية، كان إماما في الطب، كثير الحفظ لمتونه جيد التدبير حاذقاً ماهراً مقرباً عند الملوك والأكابر رئيساً في صناعته[1].

–برهان الدين إبراهيم بن عبد الله الأخلاطي الشريف (ت 799هـ/1396م):

ويعرف باللازوردي، كان السلطان برقوق قد طلبه من حلب ليطبب ابنه وكان وجيهاً عند السلطان وعند الأكابر والأمراء والأعيان، اشتهر بالطب والكيمياء، واستقر في مصر إلى أن مات[2].

–الرئيس إبراهيم بن فرج الله بن عبد الله الكافي الإسرائيلي اليهودي (ت 844هـ/ 1440م):

لم يخلف بعده من يهود مصر مثله في كثرة حفظ نصوص التوراة وكتب الأنبياء وفي تنسكه ودينه، مع حسن علاجه لمعرفته بالطب وتكسبه به. كان يقر بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ويجهر بأنه رسول إلى العرب[3].

–الشيخ زين الدين عبد الباسط بن خليل بن الغرس (ت 920هـ/ 1514م):

كان مؤرخاً عالماً وطبيباً بارعاً له مؤلفات طبية منها كتاب دعاه (كتاب في الطب) ورسالة عنوانها (بيان طبيعة الأفيون وتأثيراته العامة)[4].

–تقي الدين المنوفي (كان حياً سنة 919هـ/ 1513م):

خلع عليه السلطان الغوري في 919هـ/1513م لأنه عالج له عينيه من مرض أصابهما ورسم له مئة دينار، وكان بارعاً في هذا الفرع من الطب (طب العيون)[5].

– محمد العفيف الكحال (ت 922هـ/1516م)[6]:

رئيس الكحالين، عاش في عصر السلطان الغوري، وتوفي في موقعة مرج دابق.

–علم التشريح والجراحة:

---

[1] – المقريزي، السلوك، ج3، ص 844– أبن تغري بردي، المنهل الصافي، 1، ص 304 – أحمد عيسى ، معجم الأطباء ذيل عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ط 2، دار الرائد العربي، بيروت، 1982، ص 151 - 152.

[2] – ابن العماد، شذرات، ج6، ص356– عيسى، معجم، ص 66 - 67.

[3] – المقريزي، السلوك، ج4، ص1021– عيسى، معجم، ص 58.

[4] – ابن إياس، بدائع، ج3، ص63.

[5]– ابن إياس، بدائع الزهور، ج4، ص322.

[6]– ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص52.

التشريح من العلوم الأساسية لدراسة الطب وخاصة العمليات الجراحية وهو يرتكز على معرفة أجزاء جسم الإنسان من العروق والأعصاب والعظام والغضاريف واللحم وغيرها من الأجزاء[1]. أما الجراحة فهو علم يبحث في الأمراض التي تعالج باليد لا بالأدوية حين تحتاج إلى عمليات جراحية بالشق والقطع والجبر والخياطة مع الآلات الضرورية لأجزاء الجراحة[2].

-الرئيس علاء الدين علي بن نجم الدين بن عبد الواحد بن شرف الدين بن محمد بن صغير (ت 796هـ/ 1394م)[3]:

رئيس الأطباء بالديار المصرية، كان أعجوبة الدهر في الفن، تولى رياسة الطب طويلاً وله فيه المعرفة التامة، قيل كان يصف الدواء الواحد للمريض الفقير بما يساوي درهماً وللغني بما ساوي ألفا. وكان حسن الصورة بهي الشكل جميل الشيبه، وكان له مال كثير قد افرده للقرض فكان يقرض من يحتاج من غير استفضال بل ابتغاء الثواب. وفي سنة (795هـ/ 1393م) حضر إلى سلطان مصر برقوق رسول من السلطان العثماني بايزيد بن مراد، يطلب منه أن يرسل له طبيباً ممتازاً في مرض المفاصل فأرسل إليه الرئيس أبن صغير ومعه ما يحتاج إليه من العقاقير لكنه توفي في الطريق وهو بحلب ثم حمل إلى القاهرة ودفن فيها.

-الصيدلة:

-برهان الدين إبراهيم بن عبد الله الأخلاطي (ت 799هـ/ 1396م)[4]:

كان عالماً في الصيدلة والطب والكيمياء من مؤلفاته في الصيدلة "وصف الأدوية للأمراض".

-غياث الدين الأبرقوهي (ت 805هـ/ 1402م)[5]:

من مؤلفاته في هذا العلم كتاب اسمه "كتاب في الأدوية".

-برهان الدين بن زقاعة (ت 816هـ/ 1413م)[6]:

---

[1]- خليفة، كشف الظنون، ج2، ص297.

[2]- خليفة، كشف الظنون، ج2، ص588.

[3]- ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص151؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج12، ص140؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ص300- ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص346.

[4]- ابن العماد، شذرات، ج6، ص 356.

[5]- السخاوي، الضوء اللامع، ج7، ص 132.

[6]- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج14، ص 126 - المنهل، 152/1؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص 130.

كان إماما بارعاً في علوم كثيرة لاسيما في معرفة الأعشاب، حيث برع فيها وكان أعجوبة زمانه في معرفة أنواعها وفوائدها وهو ما دفعه إلى تحضير العقاقير ذات الأصول النباتية ووصفها للحالات المرضية المختلفة.

-عبد الرحمن بن محمد بن علي بن أحمد البسطامي (ت 858هـ/1454م)[1]:

طبيب وصيدلي باحث في الأدوية من مؤلفاته "الأدعية المنتخبة في الأدوية المجربة" و "وصف الأدوية في كشف آفاق الوباء".

3-7- علم الكلام والفلسفة:

لقد برز في مصر في تلك الفترة عددٌ من المهتمين بعلم الكلام والفلسفة نذكر منهم:

-نظام الدين بن عيسى السيرافي (ت 833هـ/ 1430م)[2]:

كان إماما ديناً عالماً بالعديد من العلوم الدينية والعقلية منها الحكمة والمنطق والهندسة والطب والهيئة وبعض العلوم الشرعية واللغوية.

-سراج الدين القاسم بن مسافر بن زكريا الرومي (ت 856هـ/ 1452م)[3]:

ولد أبن مسافر في سنة (795هـ/ 1392م) واشتغل بالفقه وعلم الكلام ومن مؤلفاته في هذا العلم تلخيص الجامع للإمام كمال الدين محمد بن عباد الخلاطي (ت: 652هـ/ 1254م).

-جلال الدين المحلي (ت 864هـ/ 1460م)[4]:

له في المنطق شرح على كتاب "الشمسية" والكتاب عبارة عن متن مختصر في المنطق ألفه نجم الدين عمر بن علي القزويني المعروف بالكاتبي (ت 693هـ/1294م).

-زين الدين قاسم بن قطلوبغا (ت 879هـ/ 1474م)[5]:

---

[1]- ابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص 293.

[2]- ابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص 207.

[3]- السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص 243.

[4] -السخاوي، الضوء اللامع، ج7، ص39 – 41 – السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص209 – خليفة، كشف الظنون، ج 4، ص76.

[5]- ابن إياس، بدائع الزهور، ج2، ص151.

اشتهر بالعديد من العلوم ومن مؤلفاته في علم الكلام "الأربعين في أصول الدين" وشرح "منار النظر" في المنطق لأبن سينا (ت: 428هـ/ 1036م).

-سيف الدين بن قطلوبغا (ت 881هـ/ 1476م)[1]:

حفظ العديد من الكتب في أصول الدين منها "عمدة النسفي" للإمام عبد الله بن أحمد النسفي (ت: 710هـ/ 1310م) وله في الشروحات في هذا المجال شرح "منار النظر" لأبن سينا في المنطق.

3-8-الرياضيات:

اشتهر فيها من العلماء:

-عمر بن سراج الدين الفيومي (ت 801هـ/ 1399م) [2]:

له مشاركة في الشعر والفقه، وكان بارعاً في الفرائض وهي من فروع علم الفقه المكرسة لحساب المواريث وقسمة التركات بين مستحقيها شرعاً.

- جمال الدين عبد الله بن خليل بن يوسف المارداني (ت 809هـ/ 1406م) [3]:

سمي بالمارداني نسبة لجامع المارداني، كان عارفاً بعلم الميقات والهيئة وكان خيراً ديناً انتهت إليه الرياسة في علم الميقات في زمانه، ومهر في الحساب وحل الزيج ألف كتاباً سماه "الرسالة الكبرى".

- محيي الدين الدمشقي المعروف بابن النحاس (ت 814هـ/ 1411م) [4]:

كان فقيهاً شافعياً، وكان يعرف الفرائض والحساب والهندسة أتم المعرفة، بحيث كان يصرح باقتداره على إخراج طرق الحساب بالهندسة، واقبل على جهاد الفرنجة في دمياط حتى مات شهيداً سنة (814هـ/ 1411م).

-شهاب الدين أحمد بن محمد بن عثمان الحلبي (ت 915هـ/1509م) [1]:

---

[1]- ابن إياس، بدائع الزهور، ج2، ص168.

[2]- ابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص9.

[3]- ابن حجر، إنباء الغمر، ج6، ص18 – السخاوي، الضوء اللامع، ج5، ص 19- ابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص84.

[4]- السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص 203 - ابن العماد شذرات الذهب، ج7، ص 105.

حلبي الأصل زار القاهرة أكثر من مرة واخذ عن علمائها، وهو رياضي فلكي بارع، اشتهر في الحساب ومن مصنفاته فيه "شرح نزهة الحاسب في تلخيص مرشدة الطالب" لأبن الهائم.

3-9- علم الهندسة:

اشتهر فيه كل من:

- **محيي الدين الدمشقي (ت 814هـ/ 1411م)** [2]:

كان يعرف الفرائض والحساب والهندسة أتم المعرفة حتى انه كان يقول بأنه على درجة من المقدرة بحيث يتمكن من إخراج طرف الحساب بالهندسة.

-بدر الدين سبط المارديني (ت 907هـ/ 1501م) [3]:

برع في العلوم الرياضية وله مؤلفات كثيرة في الحساب والفرائض والهندسة. غير أن المصادر لا تذكر مؤلفاته في الهندسة.

3-10- علم الفلك (الهيئة):

وممن اشتهر في هذا العلم:

-شهاب الدين بن القرادح (ت 841هـ/ 1437م) [4]:

الشاعر والواعظ والمادح المشهور مهر في علم الميقات الذي أخذه عن الجمال المارداني، واخذ علم الفلك عن الشمس محمد بن أيوب.

- **محيي الدين الكافيجي (ت 879هـ/ 1474م)** [5]:

النحوي والمفسر والفقيه، له مؤلفات في علوم عدة تربو على المائة وأكثرها رسائل صغيرة، ومنها شرح "الرسالة الجغمينية" التي قام بتأليفها محمود بن محمد بن عمر الجغميني (ت 618هـ/ 1221م) وهي في الهيئة.

-شهاب الدين العسقلاني (ابن الصيرفي) (ت 919هـ/ 1513م) [6]:

---

[1]- ابن العماد، شذرات، ج8، ص86 - 69.

[2]- السخاوي، الضوء اللامع، ج1،ص 203؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص105.

[3]- السخاوي، الضوء اللامع، ج9، ص 35

[4] – ابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص 238.

[5] – ابن إياس، بدائع الزهور، ج2، ص151 - بن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص326 - 328.

[6] – السخاوي، الضوء اللامع، ج1،ص 316 – 319 - ابن العماد، شذرات الذهب، ج8، ص91.

كان عالماً في الفقه وأصوله والعروض والفلك ومن مصنفاته الفلكية "مقدمة ف

الفصل الثالث

الرحلة بين المغرب والمشرق ودور المرتحلين من العلماء والحجيج في تمتين الروابط الثقافية

1 – التعريف بالرحلة

1-1- دوافعها

1-2- مسالكها

1-3- مشاقها

2- أنواعها

2- 2- رحلة الحج ودورها الثقافي

2-2-1- أهمية مكة والمدينة ثقافيا

2-2-2- عينة ركب الحاج

2-2-5- عينة من المؤلفات المغاربية حول رحلات الحج

2-2-6- ظاهرة المجاورة بمكة والمدينة

2-3- الرحلة في طلب العلم

2-3-1- حث العلماء على الرحلة في طلب العلم

2-3-2- رواق المغاربة بالجامع الأزهر

2-3-3- العلماء المرتحلون ودورهم في تمتين الروابط الثقافية

2-3-1- المرتحلون من المغرب إلى المشرق

2-3-2- المرتحلون من المشرق إلى المغرب

تعتبر الرحلة من مظاهر الحياة التي طبعت فترة العصور الوسطى، وكانت حلقة الوصل بين المشرق والمغرب الإسلاميين، ولم تكن وليدة القرن السابع الهجري/13م، بل تعود جذورها إلى القرون الأولى للإسلام، وفي هذا الصدد يمكن القول أن القرن الثالث الهجري/09م كان حافلا بالهجرات المغربية إلى المشرق في شكل أفراد وجماعات، كما ازدهرت الهجرة داخل المدن المغربية وباتجاه المشرق الإسلامي وازدادت خلال القرون الموالية[1].

وقد اختلفت الأغراض من الرحلة حسب هدف كل مرتحل، وتأتي في المقدمة الأغراض الدينية ثم العلمية فالتجارية والسياحية، ومن هنا يمكن أن ندرس الدوافع التي حملت الكثير من المغاربة إلى الانتقال نحو بلاد المشرق، وكذلك انتقال بعض من المشارقة إلى بلاد المغرب.

1- دوافع الرحلة:

كانت بلاد المشرق عموما ومصر والشام والحجاز على وجه الخصوص مفتوحة لكل قاصد يريد التجوال فيها أو شدّ الرحال إليها طلبا للعلم أو حاجًّا أو تاجر أو سائحًا[2]، وكثر عدد المرتحلين من المغرب إلى المشرق باختلاف أهدافهم، وساعدهم على ذلك عدّة عوامل.

[1] - مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص420.

[2]- كان المغاربة عند سفرهم إلى مصر يزورون جملة من المعالم التاريخيّة مثل مقام الإمام الشافعي و مشهد السيدة نفيسة من آل البيت و قبور بعض الصحابة و كبار العلماء و الصالحين – القلصادي، المصدر السابق، ص 128 – حسن محمّد الرفاعي، **كتاب الأنوار في فضائل و تراجم و تواريخ و مناقب و مزارات آل البيت الأطهار**، مصر، 1356 هـ، ص 10-11.

ويمكن تقسيم هذه العوامل إلى صنفين، الصنف الأول يطلق عليه عوامل الجذب، والصنف الثاني يطلق عليه عوامل الطرد، أما عوامل الجذب فمنها:

– الاستقرار النسبي الذي شهدته مؤسسات الحكم في دولة المماليك ما جعل السلاطين يتفرغون إلى المنجزات الدينية والثقافية والاجتماعية، وإصلاح مقاطعاتهم التابعة لهم والمسالك المؤدية إليها، خاصة للقاصدين إلى الحجاز والبقاع المقدسة.

– حِرْصُ سلاطين المماليك على جلب النّاس للسياحة والتجارة والعلم إلى بلادهم، وكان السلطان المنصور قلاوون قد أصدر منشورًا رسميّا أعلن فيه عن الدعاية السياحيّة، وممّا جاء فيه:" ... **ومن يؤثر الورود إلى بلادنا الفسيحة أرجاؤها، الظليلة أفياؤها وأفنائها، فليعزم عَزْم من قدر الله له في ذلك الخير والخيرة، ويحضر إلى بلاد لا يحتاج ساكنها إلى ميرة ولا ذخيرة، لأنّها في الدنيا جنّة عدن لمن فطن، ومسلاة لمن تغرّب عن الوطن، و نزهة لا يملها بَصَرٌ، والمقيم بها في ربيع دائم، وخير ملازم، ويكفيها أن من بعض أوصافها أنّها شامة الله في أرضه**"[1]، وهي دعوة صريحة إلى زيارة المسلمين ومنهم المغاربة إلى أراضي الدولة المملوكية التي تميزت باتساع الأرجاء، وتوفر شروط العيش الكريم للمسافر وعابر السبيل، حيث أن الدولة قد تكفلت بالمنشآت التي كان من شأنها إيواء وإطعام الواردين على مصر خاصة من طلبة العلم أو من التجار والسياح، مثل الخوانق والربط والمدارس والفنادق.

– كان سلاطين المماليك يخصون الوافدين إليهم بالعناية خاصّة إذا كانوا من بلاد المغرب، لذلك ابتنوا لهم المرافق للإقامة، وأحسنوا استقبالهم وإكرامهم، واقتدى بهم في ذلك أهل مصر، خاصّة أهل باديتها الّذين اشتهروا بإيثارهم للفقراء والغرباء والحجيج[2].

– توفر الظروف المناسبة لطلبة العلم والحجيج الذين كانوا يقصدون المراكز الثقافيّة كالقاهرة والإسكندريّة أو الحجاز أين توجد البقاع المقدّسة، من حيث الازدهار الثقافي الذي شهدته دولة المماليك، وشيوع ذكر علمائها في الأقطار، ممّا حفّز المغاربة أكثر على التوجه إليها للأخذ عن العلماء والتّعرّف على مناهجهم وعلومهم[3].

---

[1] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج 13، ص 340-342.

[2] – أبو الحسن بن جبير، **رحلة ابن جبير**، المؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، الجزائر، 1987، ص 258-259.

[3] – ابن خلدون، المقدمة، ص778 – عز الدين عمر أحمد موسى، **دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي**، دار الشروق، بيروت – القاهرة، 1983، ص 16.

أمّا عوامل الطرد: فمنها الحالة السياسيّة المترديّة الّتي كانت تعيشها بلاد المغرب على العموم وخاصّة الأندلس واشتداد حركة الاسترداد النصرانيّة، ممّا دفع ببعض العلماء إلى تفضيل بلاد المشرق والارتحال إليها والاستقرار بها[1]، كما كان تعرض بعض كبار العلماء في المغرب إلى المضايقات سببًا في تفضيلهم الإقامة بالمشرق على البقاء في المغرب[2].

2- مسالكها:

وكان المرتحلون من المغرب إلى المشرق سواء للحجّ أو لطلب العلم أو للتجارة يتبعون دروبًا ومسالك برّية كانت توصلهم إلى مصر ومدنها و منها إلى الحجاز وبلاد الشام. ومن خلال كتب الجغرافيا والرحلات يمكن تحديد أهم طريق برّي كان يربط بلاد المغرب بالمشرق، وكان هذا الطريق يبدأ من أقصى المغرب غربا ويمرّ عبر أهم مدن المغرب الأقصى وصولا إلى المغرب الأوسط أين يحاذي الساحل عبر وهران وتنس وصولا إلى الجزائر ومنها إلى بجاية وتونس ومدن المغرب الأدنى ثمّ طرابلس[3] الغرب وبرقة[4] وصولاً إلى الإسكندريّة، ثمّ يصل القاهرة، ومنها يتّجه عبر نهر النيل و مدن الصعيد[5] إلى ميناء عيذاب[6] الّذي كان يبحر منه الحجاج إلى ميناء جدّة بالحجاز[7].

---

[1] – عز الدين موسي، المرجع السابق، ص 16.

[2] – مثل حالة عبد الرّحمن بن خلدون و محمد بن مرزوق الخطيب – ابن خلدون، الرحلة، ص 1056 – ابن الخطيب، كناسة الدكان، ص 157-162.

[3] – طرابلس الغرب مدينة على شاطئ البحر، قديمة البناء، كان بها مساجد و أسواق و رباطات. البكري، المصدر السابق، ص 6-17 – القلصادي، المصدر السابق، ص 124 – الإدريسي، المصدر السابق، ص 198 – الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 99.

[4] – برقة: اسمها بالروميّة الإغريقيّة بنطابلس أي خمس مدن، و هي أوّل ما ينزله المسافر قادما من مصر على بلاد المغرب. البكري ، المصدر السابق، ص 3 – الإدريسي، المصدر السابق، ص 211 – اليعقوبي، المصدر السابق، ص 182.

[5] – الصعيد هو ظاهر مصر و كانت به عدّة مدن كقوص و منفلوط و أسيوط و إخميم، و كانت أرضا فلاحيه بها مساجد و كنائس و صناعات. المقريزي، الخطط، ج1، ص 189 – ابن جبير، المصدر السابق، ص 30-31 – ابن بطوطة، المصدر السابق، ج1، ص 70-75.

[6] – عيذاب، مدينة على الساحل الغربي لبحر القلزم (الأحمر)، كانت مزدهرة بسبب كثرة من يقصدها من الحجيج كلّ عام و كان بها قوم البجاة من الزنوج، و كانت بينهم و بين المماليك عدّة صدامات. المقريزي، الخطط، ص 202-203 – ابن جبير، المصدر السابق، ص 38 – ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 202-203.

[7] – محمّد لبيب البتنوني، **الرّحلة الحجازية**، ط2، مطبعة الجمالية، ج1، مصر، 1329هـ، ص 28-31.

أمّا الطريق البحري، فكان يربط موانئ المغرب بمصر، وكانت السفن تصل ميناء الإسكندريّة وتبحر عبر نهر النيل لتصل إلى القاهرة[1]. وعادة ماكانت سفن التجار البنادقة والجنويين تقوم بخدمات التوصيل للمرتحلين بين المشرق والمغرب.

3- مشاقها:

كان المرتحلون بين المغرب والمشرق يواجهون عدّة مشاق وصعوبات، سواءً كانت الرّحلة برّا أو بحرًا، من ذلك تعرّض قطاع الطرق لركب الحجيج وغيرهم بالإذاية والنّهب مثلما حدث للسفارة المملوكية عند عودتها من تلمسان إلى مصر سنة 707هـ/1307م[2].

وكانت عمليات النّهب لقوافل المرتحلين تتمّ خاصّة من طرف الأعراب والقبائل الّتي كانت تملأ الطريق الرّابط بين حواضر بلاد المغرب والمشرق، وكانت خارجة عن سيطرة الدّولة[3].

كما كان المسافرون يلقون مشقّة المسافة والأحوال الجويّة المضطربة بين الحرّ والبرد والأمطار، والإصابة ببعض الأمراض كالحمى وما يصاحبها من الضعف عن المسير[4].

أمّا مشاق الطريق البحري، فقد وصف الرحّالة والجغرافيون كثيرا من أهوال البحر وما يصاحبها من غرق للسفن في بعض الأحيان، مثلما حدث سنة 779هـ/1380م عندما غرقت سفينة كانت تحمل حجاجا مغاربة قرب ميناء الإسكندريّة[5]، وكذلك غرق السفينة الّتي كانت تحمل أهل ابن خلدون بالميناء ذاته[6].

4 – رحلة الحج ودورها الثقافي:

يعد الحج من أركان الإسلام، وكان المسلمون من مغاربة ومشارقة حريصين كلّ الحرص على أداء مناسكه رغم مشاقه ومصاعبه وبُعْد المسافة بين المغرب والمشرق أين توجد البقاع المقدّسة

---

[1] – ابن خلدون، التعريف والرّحلة، المصدر السابق، ص 1058.

[2] – ابن خلدون، العبر، ج7، ص 470.

[3] – كانت دول المغرب الإسلامي ودولة المماليك تضم في تركيبتها السكانيّة الكثير من القبائل العربية الخارجة عن سلطتها. ابن بطوطة، ج1،ص38–أبو ضيف، المرجع السابق، ص 158.

[4] – القلصادي، المصدر السابق، ص 124 – ابن بطوطة، المصدر السابق، ج1، ص 34-38 – المقريزي، السلوك، ج2، ص 12 – ابن جبير، المصدر السابق، ص 10.

[5] – الونشريسي، المعيار، ج4، ص 490.

[6] – ابن خلدون، الرحلة، المصدر السابق، ص 1087.

بالحجاز مقصد المسلمين في العالم، و ذلك ما أكّد عليه ابن عبّاد الرّندي[1] في إحدى رسائله حيث يقول :"**المشي إلى الحجّ في هذه الأزمنة[2] ممّا يعظم حرص النّاس عليه وتميل نفوسهم إليه، ويؤثرون المشقّة والقلّة والغربة اللازمة له على الرّاحة والجدّة والإقامة**" [3].

واعتنى ملوك وسلاطين وأمراء دول المغرب بركن الحجّ، وبذلوا في سبيل إنجاحه كلّ موسم ما يستطيعونه من المال وتمهيد الطّرق وتأمينها وإقامة دليل لركب الحجيج المغاربة، وكذلك بالمراسلات مع سلاطين المماليك و شكرهم على ما كانوا يبذلونه لإنجاح مواسم حجّ المغاربة إلى البقاع المقدّسة[4].

كما اعتادوا بعث الرّبعات الشريفة والمصاحف وحبسها على الحرمين، وكانوا يكلفون كبار الشخصيات و العلماء للقيام بهذا الدّور الجليل[5].

كما كان سلاطين المماليك أشدّ ما يعنون بالحج والحجيج، خاصّة بعدما أصبحوا أوصياء على خدمة الحرمين والبقاع المقدّسة الإسلاميّة بالمشرق عمومًا، لذلك خصّصوا بمناسبة الاستعداد للحجّ يومًا يسمى يوم المحمل، وكان يوما مشهودًا، حيث كان يركب فيه القضاة الأربعة ووكيل بيت المال والمحتسب وأعلام الفقهاء والأمراء، ويقصدون باب القلعة مقرّ السلطان فيخرج إليهم على جمل، وأمامه أمير الحجّ في تلك السنة ومعه الحرّاس والسقاءون على جمالهم، ويجتمع النّاس ويطوفون بالمحمل في شوارع القاهرة ومصر في شهر رجب من كلّ عام، ويستعدون منذ ذلك الحين للحجّ[6].

---

[1] – هو الشيخ الصوفي أبو عبد الله محمّد بن عباد النفزي الحميري الرندي (733-792 هـ/1332-1390م) من كبار علماء الأندلس، له كتاب التنبيه الّذي وضعه على حكم ابن عطاء الله السكندري (ت709 هـ/1309). ابن عباد الرندي، المصدرالسابق ، مقدّمة المحقّق.

[2] – يقصد القرن الثامن الهجري/14م.

[3] – ابن عباد الرندي، المصدر السابق، ص 66.

[4] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج 8، ص 86.

[5] – ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا الإسلاميّة، ص 319 – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 211 – ابن خلدون، الرّحلة، ص 1156.

[6] – ابن بطوطة، المصدر السابق، ج1، ص 65 – البتنوني، الرحلة الحجازية، ص 140 – المقريزي، السلوك، ج2، ص 9 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 311 – القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص 57-58 – سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع، المرجع السابق، ص 181 – إسماعيل الحداد، المرجع السابق، ص 85 – أشرف أبو اليزيد، "رحلة الحج رحلات المحمل الشريف"، **مجلة العربي**، ع 566، يناير 2006، ص 100-104.

كما اعتنى المماليك بشأن مدينتي مكّة والمدينة المنوّرة، وصارتا في عهدهم من المراكز الثقافيّة المعدودة في العالم الإسلاميّ، وكان أمرهم نافذا فيها وكانوا يعْتَنُون بمسالة كسوة الكعبة كلّ عام[1].

وعني أمراء مكة والمدينة المنورة بتنشيط الحركة الثقافية والفكرية والعمل على ازدهارها، لكن عدم الاستقرار السياسي قد حال عائقا في طريق تحقيق الأهداف المرجوة في جعل الحرمين الشريفين محج المسلمين العلمي من كل الأقطار الإسلامية.

وممن اشتهر من هؤلاء الأمراء الأمير عجلان بن رميثة بن أبي نمي (ت 777هـ/1375م)، الذي كان مكرما لأهل السنة بمكة، وقام بإنشاء مدرسته بالجانب الشمالي من المسجد الحرام[2].

وكان ابنه حسن بن عجلان (ت 829 هـ/1425م) من أفاضل الأمراء، حيث اهتم بعلماء مكة والمجاورين بها، وكان كثير المطالعة لكتب الحديث والتاريخ، والحرص على حضور المجالس العلمية إضافة إلى إنشائه لمجموعة من المؤسسات التعليمية والاعتناء بها ووقف الأوقاف عليها[3].

وواصل ابنه بركات بن حسن بن عجلان (ت859هـ/1454م) هذه الانجازات لكونه نشأ في بيئة ثقافية وعلمية، وكان هذا الأمير من علماء الحديث إضافة إلى مساهماته الأدبية والشعرية[4].
والشعرية[4].

وفضلا عن هذا فقد حظيت الحجاز باهتمام سلاطين المماليك الذين تلقبوا بلقب خادم الحرمين الشريفين[5] وبقية ملوك وأمراء الدول الإسلامية الأخرى، وذلك لما للمكان من مكانة عظيمة عند المسلمين، فقاموا بتقرير الدروس وإنشاء المدارس التي كانت ملتقى أهل العلم من كل بقاع العالم الإسلامي، وفي هذا الصدد قرر السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن الملك الناصر

---

[1] – كان أوّل من كسا الكعبة اسعد اليماني ثمّ كساها الرّسول صلى الله عليه و سلّم بالثياب اليمانية ثم كساها الخلفاء من بعده و استمرت كسوتها خلال عهد العباسيين، أبو الحسن الماوردي، **الأحكام السلطانية و الولايات الدينية**، تح: عصام فارس الحرستاني، محمد إبراهيم الزغلي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1996، ص 253-254.

[2] – ابن فهد، غاية المرام، ج2، ص102.

[3] – الفاسي، العقد الثمين، ج4، ص155.

[4] – السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص13.

[5] – تلقب سلاطين المماليك بلقب خادم الحرمين الشريفين في جل مراسلاتهم إلى ملوك الدول الإسلامية الأخرى. أنظر الباب الأول.

محمد بن قلاوون (ت 764هـ/1362م) دروسا في فقه المذاهب السنية الأربعة، ودرسا في علم الحديث، كما أنشأ مكتبا للأيتام بإشارة الأمير يلبغا الخاصكي[1].

وقرر السلطان الظاهر جقمق المتفقه (ت857هـ/1453م) درسا في الحرم المكي لإقراء كتاب صحيح البخاري[2].

واعتنى السلطان قايتباي (ت 901هـ/1495م) بعلماء الحجاز عامة. فأنشأ مدرسته على مشارف مكة لتدريس فقه المذاهب الأربعة سنة 882هـ/1477م وزودها بمكتبة، إضافة إلى رباط للفقراء ومكتبا للأيتام، ونظم الدراسة بهذه المؤسسات وأنفق على المدرسين بالذهب وأوقف عليها الأوقاف[3].

أما سلاطين دولة بني رسول الذين اشتهروا بالعلم في بلاد اليمن (630هـ/1232م – 858هـ/1454م) فقد ساهموا في هذه الإنجازات وأقاموا بدورهم الكثير من المدارس بمكة[4].

كما أن مساهمة ملوك الهند وأمراؤها المسلمون لم يقل عن اهتمام سلاطين المماليك وبني رسول رغم البعد الجغرافي، فأقام الملك غياث الدين أبو المظفر أعظم شاه (ت814هـ/1411م) صاحب بلاد بنجالة مدرسة بمكة وأخرى بالمدينة، وكان ملكا محبا للعلم فقيها مكرما للعلماء وأهل الصلاح[5]، وأقام السلطان أحمد شاه بن أحمد شاه بن حسن شهاب الدين أبو المغازي (838هـ/1434م) رباطا ومدرستين بمكة والمدينة، وكان كثير النفقات على الحرمين الشريفين[6].

وكان السلطان الظاهر بيبرس البندقداري أوّل ملك بمصر كساها بعد الخلفاء العباسيّن، وقام بذلك بعده سلاطين المماليك، وخصّصوا قرية في ظاهر القاهرة وقفوها لصناعة الكسوة من غلاتها كلّ عام وكان اسم السلطان يكتب عليها[7].

4-1- أحباس وأوقاف المغاربة على الحرمين الشريفين[1]:

---

[1] – ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص190.

[2] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج15، ص456 – السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص83.

[3] – الجابري، المرجع السابق، ص123- 124.

[4] – الجابري، المرجع نفسه، ص 130- 139.

[5] – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج2، ص 458.

[6] – السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص210.

[7] – أبو الطّيب تقي الدين الفاسي المكي، **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**، ج2، مكتبة النهضة الحديثة – دار إحياء الكتب العربيّة، مكّة المكرّمة، 1956، ص 298-299.

تعتبر الأحباس أو الأوقاف من الصدقات التي يتقرب بها العباد إلى خالقهم، واقتداءا بالرسول صلى الله عليه وسلم عمل أبناء الأمة الإسلامية من الأثرياء والعلماء على تحبيس العقارات والمكتبات على حجاج بيت الله الحرام، وفي هذا السياق أمكن حصر عينات من الأوقاف التي خصها المغاربة للحرمين الشريفين وهي كالتالي:

- تحبيس السلطان أبي يعقوب يوسف المريني مصحفا على الحرم المكي سنة 703هـ/1303م تم حمله رفقة ركب الحاج المغربي وكان حجمه كبيرا ومرصعا بالدر والذهب والياقوت[2].

- تحبيس السلطان أبي الحسن المريني مصحفا كتبه بخط يده، وتولى مجموعة من أكابر القراء بتدقيقه اللغوي وتضبطه، وكلف مجموعة من الوراقين بتذهيبه، وزين بالجواهر، وغلف بالجلد والحرير[3].

- تحبيس أبي العباس أحمد بن علي بن أبي بكر العبدري الميورقي الأندلسي (ت 687هـ)، والذي كان يقيم في مدينة الطائف بالحجاز، كما سكن مكة وحبس مكتبته على طلبة العلم بها، وكانت مكتبة مشتملة على فوائد جمة، وممن استفاد منها مؤرخ الحجاز الشيخ تقي الدين الفاسي الذي وظف محتوياتها في كتابة تاريخ مكة المكرمة[4].

- تحبيس الشيخ الأديب أبو عبد الله محمد الغرناطي (ت 745هـ/1345م) لمكتبته على طلبة العلم بإحدى المدارس بالمدينة المنورة، وكان من المجاورين[5].

- تحبيس الشيخ إبراهيم التلمساني (ت 766هـ/1364م) لمجموعة من الكتب في الفقه والأصول والحديث واللغة بمكة والمدينة[6].

---

[1] - للمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى الدراسات التالية: محمد بن زين العابدين رستم، " مشاركة أهل الغرب الإسلامي في الوقف على الحرمين الشريفين"، بحث مقدم **للمؤتمر العالمي للأوقاف**، الجامعة الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1430هـ/2009م، ص 727 وما يليها – حسن الواركلي، "أحباس المغاربة في الحرمين الشريفين"، بحث مقدم **لمؤتمر الأوقاف الأول في المملكة العربية السعودية**، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1433هـ/2012، ص ص 67-84.

[2] - ابن مرزوق الخطيب، المسند، ص 476 – المنوني، ورقات، المرجع السابق، ص ص 172-173.

[3] - السلاوي، الاستقصا، ج3، ص12.

[4] - الفاسي، العقد الثمين، ج2، ص74.

[5] - الواركلي، المرجع السابق، ص 76.

[6] - الواركلي، المرجع السابق، ص 77.

- تحبيس أبي الطيب تقي الدين الفاسي لمكتبته العامرة على العلماء والطلبة وعامة القراء[1].

4-2- ركب الحاج المغربي:

يعد ركب الحاج المغربي مؤسسة قائمة بذاتها، وقد خص هذا الركب بالعناية السامية للملوك والأمراء لما له من بعد ديني وهي دلالة على التدين العميق للمغاربة وارتباطهم الكبير بالبقاع المقدسة مهبط الرسالة النبوية ومنبع الإسلام، وكان ركب الحجيج المغاربة ينطلق من المغرب الأقصى باتجاه الحجاز، وكان يتكوّن من عدّة فئات من المجتمع ممّن لهم القدرة على إقامة ركن الحج، وخاصّة من الطلبة والعلماء الّذين كان هدفهم من رحلة الحجّ أبعد من الحج نفسه، حيث توفر لهم بعد قضاء المناسك والسياحة في الحجاز[2] لقاء العلماء والاختلاط بهم و تبادل المعارف معهم والأخذ عنهم والاستفادة من علومهم[3].

وكانت قافلة الحجّ عند مرورها بمصر ذهابا و إيابًا توفر للطلاب والعلماء من المغرب فرصة الالتقاء بالمشايخ والفقهاء وأعيان العلماء المشارقة ممن ذاع صيتهم في العالم الإسلامي، ويتم بينهم التبادل الثقافي، وعند عودة الرّكب إلى المغرب كانت تنتشر أخبار المشرق وعلمائه ما كان يرغّب الطّلبة أكثر في الارتحال إليه[4].

كما كان المشارقة يأخذون العلم من المغاربة في إطار تبادل ثقافي ميزه وجود عدّة علماء وطلبة من عدّة أقطار إسلاميّة في مكان واحد، ممّا سهّل عمليّة الاتصال ولأخذ ولعطاء العلمي والثقافي، واطلاع كلّ شخص على المستجدات العلميّة الحاصلة في بقاع العالم الإسلاميّ، واشتهر عن الوافدين المغاربة على مكة والمدينة بأنّهم كانوا يجاورون بها في غالب الأحيان للتعبّد والتدريس وكان بعضهم يبقى مجاورًا حتى وفاته[5].

---

[1] - السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص311.

[2] - كانت هناك عدّة مزارات مقصودة من طرف المسلمين بالحجاز بالمدينة و مكّة منها قبور الرّسول الكريم و قبور الصحابة و غار حراء وأماكن أخرى. أبو الحسن الهروي، **كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات**، تح: جانين سورديل طومين، المعهد الفرنسي للدراسات العربيّة، دمشق، 1953، ص 85-96 – محمد بن محمود بن النجار، **الدرة الثمينة في تاريخ المدينة**، مكتبة النهضة الحديثة، مكّة المكرّمة، 1956، ص 332-397 – القلصادي، المصدر السابق، ص 136.

[3] - ابن عباد الرندي، المصدر السابق، ص 70 – القلصادي، المصدر السابق، ص 135.

[4] - المقري، نفح الطيب، ج3، ص 4-5.

[5] - ابن بطوطة، المصدر السابق، ج1، ص 165-166.

وبذلك كانت رحلة الحج توفر فرصة ثمينة تمتزج فيها أفكار علماء المغرب والمشرق، ويتم من خلالها تعرّف العلماء على بعضهم البعض شخصيا بعدما كانوا يتعارفون عن طريق المراسلات والمؤلفات، فيعرف كلّ عالم قدره ومكانته عند الآخرين ومدى توافق أفكاره وآرائه مع أفكار وآراء أقرانه من علماء الأقطار الإسلاميّة، ويحصّل المزيد من العلم بالتقاء كبار علماء مكّة والمدينة المنورة، ولا تكاد تخلو ترجمة عالم من علماء المغرب الإسلامي من وجود شيوخ له أخذ عنهم بمكّة والمدينة أو أخذوا عنه، وكان ذلك من فضائل وخصال رحلة الحجّ في المجال الثقافي[1].

وفيما يلي عينات من ركاب الحاج المغربية:

- ركب الحج عام 703هـ/1303م:

في سنة 703هـ/1303م جهز المرينيون أول ركب للحجاج المغاربة بعدما انقطع لمدة بسبب الظروف الأمنية التي سادت المغرب في نهاية الحكم الموحدي وبداية حكم بني مرين، وفي هذا الصدد يقول عبد الرحمن بن خلدون في كتابه العبر:" ... **واستجد أهل المغرب عزما في قضاء فرضهم، ورغبوا من السلطان إذنه في السفر إلى مكة، فقد كان عهدهم بعد بمثلها"**[2]، ويستفاد من هذا أن تجديد وإحياء تقليد ركب الحجيج بعد انقطاعه كان لرغبة شعبية[3]، فقام السلطان المريني يوسف بن يعقوب بالاعتناء بتنظيمه شخصيا، وأسس بذلك تقاليد مغربية في تجهيز الحجاج إلى البقاع المقدسة. ومن جملة الإجراءات التي خص بها الركب هو أنه راسل كبير أشراف آل أمغار يلتمس منه فيها أن يعين من عنده ثلاثة رجال ليكونوا رفقة الركب المتوجه إلى الحجاز[4]، كما عين له قاضيا هو محمد بن زغبوش وكان من كبار أعلام المغرب، وأرفقه بفرقة عسكرية للحماية كانت مشكلة من حوالي 500 جندي من الزناتيين، كما حملهم أموالا جمة لتوزيعها على أهل الحرمين الشريفين[5].

---

[1] - القلصادي، المصدر السابق، ص 134-135.

[2] - عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص226.

[3] - المنوني، ورقات، المرجع السابق، ص172.

[4] - المرجع نفسه، ص173.

[5] - عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص226.

وكان هذا الركب يضم الكثير من العلماء الذين أوكلت لهم مهمة حمل المصحف الشريف الذي قدمه السلطان المريني كهدية للحرم المكي، ومنهم أبو عبد الله القصار، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم البقوري (ت 707هـ/1307م) الذي كلف شخصيا بحمل الربعة القرآنية[1].

وقد قدم لنا عبد الرحمن بن خلدون وصفا للمصحف المغربي وقال عنه:" ... **فأمر يوسف بانتساخ مصحف رائق الصنعة، كتبه ونمقه أحمد بن الحسن الكاتب المحسن، واستوسع في جرمه، وعمل غشاءه من بديع الصنعة، واستكثر فيه من مغالق الذهب المنظم بخرزات الدرر والياقوت، وجعلت منها حصاة وسط المغلق تفوق الحصيات مقدارا وشكلا وحسنا، واستكثر من الأصونة عليه**"[2].

وقال ابن مرزوق الخطيب في المسند:" **وقد رأيت بمكة شرفها الله تعالى المصحف الذي بعثه المولى أبو يعقوب بخط ابن الحسن، وكان وجهه محلى بالذهب المنظوم بالجواهر النفيسة، فانتزع ما عليه، وبقي في قبة الشراب يقرأ فيه احتسابا، وقد قرأت فيه في أعوام**"[3].

- ركب الحج عام 724هـ/1324م:

يذكر ابن مرزوق الخطيب في كتابه المناقب المرزوقية وفي خضم حديثه عن رحلاته المشرقية أنه في سنة 724هـ/1324م وفي شهر ربيع الأول انطلق ركب الحج المغربي من المغرب الأقصى برئاسة الشيخ أبي زكرياء بن عمر بن جدار العبد الوادي الذي كان من أهل فاس، وضم الركب مجموعة كبيرة من العلماء قدموا من فاس وطنجة وتلمسان ومليانة، ومر الركب ببجاية وقسنطينة وتونس، وفي كل مدينة كان الركب يزداد في عدد المنضمين إليه من القاصدين الحج إلى مكة، ثم مر بالإسكندرية والقاهرة ثم منها إلى مكة[4].

- ركب الحج لعام 734هـ/1334م:

في سنة 733هـ/1333م استعد أهل المغرب لموسم الحج الجديد، ووردت أخبار مفصلة عن هذا الركب في كتاب المناقب المرزوقية كشهادة حية، حيث تم تحضير لوازم الرحلة والسفر وكان

---

[1] - ابن فرحون، الديباج، ص322.

[2] - عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص226.

[3] - ابن مرزوق الخطيب، المسند، ص 476.

[4] - ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص301-304.

أهل المغرب يعدون لذلك طعاما خاصا اسمه الفداوش، ويسمى في مصر بالأطرية، وكان يحمل منه الكثير نظرا لكونه مفيدا جدا للحجاج المسافرين فضلا عن كونه خفيف الحمل[1].

انطلق الركب في شهر محرم سنة 734هـ/1334م وكان فصل الربيع في أوله، وكان عدد الحجاج به حوالي 300 مسكن أو خيمة، وكانت كل خيمة تضم جماعة منهم[2]، وكان يقوم على حراسة الركب حوالي 280 فارسا وجماعة من الرماة[3].

والشيء الجيد في ذلك العام أنه كان كثير الخصب حيث توفر الدقيق والغنم في كل الحواضر التي كان يمر بها من المغرب إلى المشرق، ووصل الركب إلى القاهرة في شهر جمادى الآخرة أي بعد خمسة أشهر من السفر، ومنها توجه إلى بلاد الحجاز[4].

- ركب الحج عام 738 هـ/1338م:

يكتسي هذا الركب في السنة المذكورة أهمية خاصة في تاريخ الحجاج المغاربة إلى البقاع المقدسة، حيث بلغت شهرته أقطار المغرب والمشرق، وتميز بحج الأميرة المرينية حظية والد أبي الحسن، والربعة الشريفة التي بعثها أبو الحسن المريني إلى الحرم المكي، إضافة إلى أنه اشتمل على وجهاء بني مرين وأعيان العرب ورجال العلم والدين والصلاح، وعددا من نساء الدولة المرينية، وجماعات كثيرة من المغاربة[5].

وكان أبو الحسن المريني وبعد توحيده للمغربين الأقصى والأوسط، سعى لتأمين طرق الحاج المغاربة، وقام بكتابة نسخة من القرآن الكريم بخط يده وأمر الوراقين بتذهيبها وتنميقها بعد تهذيبها وضبطها من طرف المقرئين، عازما على جعلها وقفا ببلاد الحرمين الشريفين[6].

وإلى جانب هذه الربعة الشريفة التي حملها الركب، أرسل أبو الحسن إلى الناصر المملوكي وخادم الحرمين الشريفين بهدية عظيمة تحدث بها الناس في المغرب والمشرق[7].

---

[1] - ابن مرزوق، المصدر نفسه، ص 197.

[2] - لو افترضنا أن كل خيمة كانت تضم 10 أشخاص لكان العدد الإجمالي للحجاج هو 3000 حاج وهو عدد كبير.

[3] - ابن مرزوق الخطيب، المناقب المرزوقية، ص 198.

[4] - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[5] - المنوني، ورقات، ص183.

[6] - السلاوي، الاستقصا، ج2، ص62.

[7] - انظر الباب الأول الفصل الثالث.

وكان الركب قد انطلق من تلمسان في يوم الخميس 25 ربيع الثاني 738هـ/1338م، ووصل مصر في 22 رمضان من العام نفسه، واستقبل استقبالا حافلا من طرف المماليك[1]، ويتضح ذلك من خلال وصف الرسالة التي بعث بها الملك الناصر إلى أبي الحسن[2].

2-3- ظاهرة المجاورة في مكة والمدينة المنورة:

يقصد بالمجاورة[3] البقاء في مكة أو المدينة النبوية بجوار الحرمين الشريفين لدوافع دينية أو علمية أو اقتصادية أو سياسية، وبرزت هذه الظاهرة بشكل واضح في عصر المماليك، وكان أكثر المجاورين من مصر وبلاد الشام والعراق والمغرب الإسلامي، وكان أغلبهم من العلماء والزهاد، إضافة إلى بعض المنفيين أو المطرودين من السلطة السياسية في هذه البلدان، كما وجد من المجاورين طائفة من كبار رجال الدولة المملوكية الذين فضلوا قضاء بقية حياتهم بجوار الحرمين الشريفين. ومن خلال كتب التراجم يلاحظ أن عدد المجاورين قد ازداد منذ القرن السابع ليبلغ الذروة خلال القرن التاسع الهجري حين أصبح المجاورون يمثلون نسبة كبيرة من المجتمع الحجازي[4].

ومن العوامل التي جعلت الحجاز مقصدا لهذه الأعداد الغفيرة من الناس إضافة إلى العامل الديني والجو العلمي، هو وجود المرافق الضرورية للمجاور كالمدرسة والرباط والدور للإقامة، والنفقات التي كانت مخصصة لهم من طرف سلاطين وأمراء دول العالم الإسلامي[5].

وقد ساعد هذا الجو المليء بالنخب العلمية والسياسية والتجار من إضفاء جو خاص على الحركة العلمية بالحجاز، حيث وفرت الراحة النفسية الناجمة عن مجاورة العلماء لقبر الرسول صلى الله عليه وسلم، والالتقاء المتكرر للعلماء في مجالس العلم من تبادل الأفكار والعلوم والإجازات وتأليف الكثير من التصانيف التي أضيفت للمكتبة الإسلامية، ما شكل ما يسمى بالوحدة الثقافية للعالم الإسلامي بمشرقه ومغربه[6].

---

[1] – المقريزي، السلوك، ج2، ص447.

[2] – انظر الباب الأول الفصل الثالث.

[3] – وقع الاختلاف في حكم المجاورة من الناحية الدينية بين فقهاء المذاهب السنية الأربعة، فالشافعي قد استحبها وأحمد بن حنبل وبعض الأتباع أبي حنيفة والإمام مالك، وهناك من قال بكراهتها. مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص 441.

[4] – عبد العزيز بن راشد السنيدي، "المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العلمية"، **بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية 1426هـ**، ص3.

[5] – الجابري، المرجع السابق، ص145- 146.

[6] – عبد العزيز بن راشد السنيدي، المرجع السابق، ص7.

وكان للمغاربة المجاورين في مكة أماكن مخصصة لهم للإقامة فيها، ومنها رباط المغاربة الذي كان يسمى أيضا برباط الموفق ورباط عثمان بن عفان، قام بإنشائه القاضي الموفق علي بن عبد الوهاب الإسكندري (ت 624هـ) وهو من أهل مصر، وجعله خاصا بالفقراء والمتعبدين من المجاورين بمكة من المسلمين القادمين من بلاد المغرب، واستمر نشاط الرباط في العهد المملوكي واعتنى المغاربة بتسيير شؤونه[1]، وقال عنه ابن بطوطة في رحلته:" **وهو من أحسن الرباطات، سكنته أيام مجاورتي بمكة المعظمة**"[2].

وكثر المجاورون المقيمون بهذا الرباط خلال القرن الثامن الهجري/14م من العلماء والزهاد، ومنهم الشيخ أبو العباس أحمد بن مرزوق (ت741هـ/1341م) الذي يعد من أهم الشخصيات العلمية التلمسانية والمغربية التي جاورت بالحرمين الشريفين، وكان له صيت طيب بين أقرانه من المجاورين والعلماء[3].

ومن سيرته خلال مجاورته بمكة أنه كان إذا صلى الصبح في مكة جلس لتجويد القرآن على يد عالم القراءات الشيخ برهان الدين بن مسعود المصري (ت 745هـ/1345م)[4].

ثم كان يخرج لمواساة الضعفاء، ثم يطوف حول الكعبة المشرفة، ثم يعود إلى بيته ويأخذ قسطا من الراحة ثم يقوم ويتلو القرآن حتى الظهر، ثم يطوف وقد يجلس لسماع دروس الحديث إلى صلاة العصر، ثم يتلو القرآن إلى الغروب وكان مشهورا بالطواف الكثير حول الكعبة[5].

ومنهم الشيخ الفقيه أبي محمد عبد الله بن موسى بن عمر بن يونس الزواوي (ت734هـ/1333م) الذي حج حوالي سنة 690هـ/1289م، وأخذ عن المقرئ الشيخ العفيف الدلاصي (ت723هـ/1322م)[6] وغيره، وأقام بمكة والمدينة متصدرا للتدريس إلى غاية وفاته وكان يعد من الأولياء الصالحين[7].

---

[1] - ابن مرزوق الخطيب، المناقب، ص 216 - الواركلي، المرجع السابق، ص81.

[2] - ابن بطوطة، المصدر السابق، ص97.

[3] - انظر ترجمته في الفصل الأول من الباب الثاني.

[4] - انظر ترجمته في: الفاسي، العقد الثمين، ج3، ص 262.

[5] - ابن مرزوق، المناقب، ص 216.

[6] - مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص496.

[7] - ابن مرزوق الخطيب، المناقب، ص 217.

وفي المدينة المنورة قام جماعة من أهل دكالة من بلاد المغرب الأقصى بإنشاء رباط لهم بأموالهم الخاصة سمي برباط دكالة، وكان يشتمل على غرف يسكنها المجاورون وأكثرهم من المغاربة الصالحين، وكانوا يتلون فيه القرآن ويذكرون الله تعالى[1].

2-4- عينة من مصنفي الرحلات الحجازية من المغاربة:

اهتم الكثير من العلماء المغاربة الذين ارتحلوا إلى المشرق عموما وإلى الحجاز والحرمين الشريفين على وجه الخصوص بتدوين مشاهداتهم بتلك البلدان ووصلت إلينا في شكل كتب للرحلات وهي مصدر هام من مصادر التاريخ السياسي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي والحضاري بالمغرب والمشرق، ولعل أهم الرحلات المدونة خلال عهد المماليك نذكر العينات التالية:

- ابن سعيد المغربي (ت 685هـ/1286م)[2]:

هو نور الدين علي بن موسى بن عبد الملك العنسي الغرناطي، يعد من من الرحالين المغاربية الأوائل الذين زاروا الحجاز زمن المماليك، وقد حج سنة 639هـ/1236م، ثم سنة 666هـ/1267م، وصنف مؤلفا في رحلته الأولى سماه "النفحة المسكية في الرحلة المكية" وفي الثانية ألف " عدة المستنجز وعقلة المستوفز" ذكر فيه بعض أخبار رحلته ببدائعها وغرائبها لكن هذا المصنف لم يصل إلينا[3].

-محمد بن عمر بن رشيد السبتي (657-721هـ/1258-1321م)[4]:

ولد بسبتة وتوفي بفاس، وهو من أشهر الرحالين المغاربة إلى المشرق، حيث زار الحجاز سنة 683هـ/1284م والتقى بأهل العلم وأثنى عليه كل من ترجم له ووصف بالثقة والعدل، وكان عارفا بعدة علوم كالقراءات واللغة العربية وعلم البيان والعروض، وكان أديبا خطيبا وله شعر. كما كانت له عناية بعلم الحديث وضبط أسانيده وحافظا للتواريخ. وصنف رحلته المسماة "**ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة**". وأهم ما يميز هذه الرحلة أن لها صبغة علمية،

---

[1] - ابن مرزوق، المصدر نفسه، ص 221.

[2] - المقري، نفح الطيب، ج2، ص273.

[3] - المقري، نفح الطيب، ج2، ص271 – نها ملاعب، "الرحلة الحجازية المغربية في زمن المماليك (648 – 923هـ/ 1250 – 1517م)"، **أوراق جامعية**:مجلة دورية متخصصة تصدرها رابطة الأساتذة في الجامعة اللبنانية، ع32، س 17، 2009، ص117.

[4] - ابن فرحون، الديباج، ص310 – لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص137- المقري، أزهار الرياض، ج2، ص347-356 – العسقلاني، الدرر الكامنة، ج4، ص111 – مخلوف، المصدر السابق، ص216.

فدون فيها تراجم من لقيهم من العلماء والحفاظ والفقهاء والأدباء في المدن المشرقية، وأوضح طرق التعليم التي كانت متبعة آنذاك، والبرنامج الدراسي الذي كان سائدا، والكتب التي أجيز فيها، فضلا عن ذكر أماكن التحصيل العلمي من المدارس والمساجد وبيوت الفقهاء[1].

- **محمد العبدري(مجهول تاريخ المولد والوفاة)**[2]:

هو محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود العبدري الحيحي نسبة إلى حاحة بنواحي مراكش، كان عالما ملما بعلوم كثيرة، ارتحل إلى بلاد المشرق سنة 688هـ/ 1279م لأداء فريضة الحج ولأهداف علمية وتجارية، ودون كل نشاطاته في كتاب سماه " الرحلة المغربية" وصف فيه البلدان التي زارها وأحوال ساكنيها بشكل من الموضوعية ودون مبالغة، ولفت انتباهه قلة إقبال أهل المدن على العلم.

- **القاسم بن يوسف التجيبي السبتي (670 – 730هـ/1271 – 1329م)**[3]:

ولد ونشأ في سبتة، أصله من الأندلس، صوف بالعالم البارع والمحدث الحافظ والمتقن العارف بالحديث. خرج لأداء فريضة الحج ولقاء العلماء سنة 695هـ/ 1295م، وسار بالطريق التي تربط بين حواضر المغرب الإسلامي إلى غاية القاهرة، ودون رحلته المسماة "مستفاد الرحلة والاغتراب" وصلنا الجزء الثالث منها والذي تحدث فيه عن القاهرة وجدة ومكة وتراجم العلماء الذين أخذ عنهم، كما صنف كتاب " البرنامج" وهو عبارة عن تراجم مستخلصة من الكتاب الأول، واعتنى في الرحلة بتدوين المشاهدات الجغرافية والعمرانية وضبط أسماء المدن وفيها إشارات سياسية واقتصادية واجتماعية كثيرة ، كما أعطى وصفا دقيقا للمسجد الحرام وحالة مكة المكرمة الدينية والعلمية والعمرانية[4].

- **أبو عبد الله محمد بن جابر الوادي آشي (673 – 749هـ/1274 – 1348م)**[5]:

هو محمد بن جابر بن محمد بن محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم القيسي الوادي آشي الأصل[1]، ولد بتونس وتعلم بها، ثم ارتحل إلى بلاد المشرق طلبا للعلم وحاجا والتقى بعدد كبير من العلماء قيدهم في برنامجه[2].

---

[1] – عواطف محمد، المرجع السابق، ص115.

[2] – ابن القاضي، جذوة الإقتباس، ج5، ص96 – العبدري، الرحلة المغربية، مقدمة الكتاب – مخلوف، المصدر السابق، ص217.

[3] – التنبكتي، نيل الابتهاج، ص222 – ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص 240 – التجيبي، البرنامج، المقدمة.

[4] – التجيبي، مستفاد الرحلة، ص 306 – 350 - عواطف محمد، المرجع السابق، ص132.

[5] – ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج3، ص413 – ابن القاضي، درة الحجال، ج2، ص102.

- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن بطوطة اللواتي الطنجي (703-770هـ/1303-1368م)[3]:

يعد من أشهر الرحالين المغاربة والعرب في القرن الثامن الهجري، ينتسب إلى أسرة علم، ارتحل من طنجة قاصدا الحج وزيارة المسجد النبوي سنة 725هـ/1324م، وأدى فريضة الحج سبع مرات، وجال في بلاد المشرق الإسلامي وبلغ فارس والهند وجزر المالديف، ودامت رحلته 25 سنة وعاد إلى فاس سنة 750هـ/1349م، ثم قصد الأندلس ثم بلاد السودان وعاد منها سنة 754هـ/1353م.

وألف بن بطوطة كتابا سماه " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" ذكر فيها مشاهداته.

- أبو البقاء خالد بن عيسى بن أحمد البلوي (713-780هـ/1313-1387م)[4]:

من أهل قنتورية بالأندلس، ارتحل سنة 736هـ/1336مبقصد الحج وطلب العلم، وأجاز البحر إلى ساحل المغرب وأقام في تونس ثم ركب البحر ثانية إلى الإسكندرية ومنها إلى القاهرة، ثم زار القدس ومنها سار إلى الحجاز رفقة ركب الحاج الشامي، ثم قضى الفرض وعاد مع ركب الحاج المصري، ثم غادر مصر إلى بلاد المغرب عائدا إلى الأندلس، ودون رحلته في كتاب سماه " تاج المفرق في تحلية علماء المشرق" ذكر فيه جملة الشيوخ الذين أخذ عنهم العلم ووصف المدن التي مر عليها وأشار إلى الحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية في عصره، واعتنى بتسجيل الكتابات الأثرية على المسجد الحرام والمسجد النبوي ووصفهما وسجل أسماء المدارس والمساجد المكية والمدنية والمكتبات الموجودة بها[5].

- أبو الحسن علي القلصادي (ت 891هـ/1486م)[6] :

---

[1] - من قرى الأندلس قرب غرناطة. الحميري، الروض المعطارٍ، ص604.

[2] - ابن القاضي، درة الحجال، ج2، ص 102.

[3] - ابن بطوطة، الرحلة، ص8 وما يليها- لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص273.

[4] - البلوي، تاج المفرق، ج1، ص2 وما يليها – ابن القاضي، درة الحجال، ج1، ص262 – المقري نفح الطيب، ج2، ص532 – لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص500 – التنبكتي، نيل الابتهاج، ص115.

[5] - عواطف محمد، المرجع السابق، ص 140.

[6] - القلصادي، المصدر السابق، ص 82-168 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 141 – السيوطي، نظم العقيان، ص 131 – السخاوي، الضوء اللامع، ج5، ص 14 – التنبكتي، المصدر السابق، ص 209 – المقرين نفح الطيب، (تح: إحسان عباس)، ج5، 692.

وهو علي بن محمّد القرشي البسطي، أصله من الأندلس، قام برحلة في المغرب المشرق وأخذ عن جملة من العلماء أمثال: ابن مرزوق الحفيد وأبي عبد الله محمد الشريف التلمساني وأبي عبد الله محمد بن النّجار، وابن زاغو و قاسم بن سعيد العقباني[1] بتلمسان، وأبي العبّاس القلشاني وأحمد المنستيري وأبي عبد الله الدهان الطبيب، بتونس[2] وزين الدين طاهر النويري المالكي وعلم الدين الحصني الشافعي بالقاهرة وكذلك ابن حجر العسقلاني وجلال الدين المحلي وقاسم النويري و تقي الدين الشمني الحنفي[3].

وكان يعقد الحلقات العلميّة ويتولى الإقراء، كما استفاد منه طلبة القاهرة لما عاد من أداء مناسك الحجّ وأقام بمصر، فقرأ عليه النّاس وكتبوا مصنفاته وكان مع ذلك يتردد على العلماء المصريين ويدرّس العقليات على وجه الخصوص[4].

وقد ترك القلصادي مجموعة من المؤلفات في الحساب والفرائض والفقه والنحو والعروض والمنطق والتراجم والقراءات و الحديث[5] منها: عتية أوي الألباب في شرح كشف الجلباب،كشف الأسرار في علم الغبار،كشف الجلباب عن علم الحساب،شرح الأرجوزة الياسمينية،شرح مختصر خليل،شرح جمل الزجاجي،شرح إيساغوجي،شرح حكم ابن عطاء الله[6].

وتعد رحلته الّتي دَوَّنَ فيها مشاهداته وعرّف فيها بالعلماء الّذين التقى بهم من أهم مصادر التراجم، كما احتوت على وصف المدن والمقدسات الإسلامية في المشرق.

3 – الرحلة في طلب العلم:

اعتبر عبد الرّحمن بن خلدون الرّحلة في طلب العلم من الأمور الّتي يجب على طلاب العلم الاعتناء بها من أجل إتمام معارفه وتقويتها والتحكم أكثر في العلوم، وقد علّل ذلك بأن البشر يأخذون معارفهم إمّا علما وتعليما وإلقاءًا وإمّا محاكاة وتلقينًا، وأنّ الإكثار من الشيوخ يعد أفضل للطالب من أجل تمييز اصطلاحات العلوم وتصحيح المعارف زيادة على أخذ العلم من منابعه[7].

---

[1] – القلصادي، المصدر السابق، ص 96-109.

[2] – القلصادي، المصدر السابق، ص 115-122.

[3] – نفسه، ص 129، 149-156.

[4] – السخاوي، الضوء اللامع، ج6، ص 15.

[5] – أبو الأجفان، مقدمة تحقيق رحلة القلصادي، ص 40-47.

[6] – ابن مريم، البستان، ص 142-143 – التنبكتي، المصدر السابق، ص 210.

[7] – ابن خلدون، المقدّمة، ص 1044.

وكان أستاذ ابن خلدون محمّد بن إبراهيم الآبلي قد أشاد بفضل الرّحلة واعتبرها أصل العلم[1].

وكان طلاب بلاد المغرب لا يكتفون بما يحصلونه في مدنهم من المعارف والعلوم، بل كانوا يشدّون الرّحلة إلى مختلف أقطار العالم الإسلاميّ من أجل الاستزادة من العلوم والتعمق فيها[2]، وكانت رغبة الطلبة في المزيد من الدّرس والتحصيل قد دفعتهم إلى التنقّل بين جامع الزيتونة بتونس وجامع القروبين بفاس، وكذلك إلى غرناطة وبجاية في مرحلة أولى، ثمّ كانوا يرتحلون إلى مصر والشام والحجاز أين كانت تتوفر المدارس المتخصصة والخانقاوات وكبار المدرّسين والشيوخ[3].

وكانت الرّحلة في طلب العلم توفر للطلبة مجموعة من الفوائد هي:

- لقاء المشايخ و العلماء و الاحتكاك بهم والأخذ عنهم.
- أخذ العلم عن طريق الرواية بدلا من أخذه عن طريق الكتب والمصنفات والمختصرات فقط حسب ما أورده الآبلي[4].
- التعرّف على مناهج التعليم والمستجدات الطارئة على التخصّصات العلميّة المختلفة، والتحكم فيها.

- التعرّف على البلدان والشعوب وثقافاتهم وعاداتهم وتقاليدهم وإمكانية التبادل الثقافي بين المجتمعات الإسلاميّة[5].
- أخذ الإجازات من عدّة شيوخ في عدّة تخصصات علمية ما يدعّم المصداقيّة العلميّة للطالب ويؤهله لتولي الوظائف المختلفة من التدريس وبعض الوظائف الإداريّة عند عودته إلى بلده[6].

وكان للأساتذة دور كبير في دفع الطلبة إلى الارتحال لطلب العلم، كما كان التوجه إلى المشرق نابعًا من الرّغبة في العلم وكذلك لما كان يتوفر من عناصر الجذب من الإقامة والأرزاق وعناية

---

[1] - المقري، نفح الطيب، ج6، ص 226 – ابن مريم، البستان، ص 216-217 – الحفناوي، المرجع السابق، 96.

[2] - لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 99 – حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص 35-36.

[3] - عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 327.

[4] - ابن مريم، المصدر السابق، ص 217- Bouali, op.cit, p.8-21 .

[5] - لخضر عبدلي ، المرجع السابق، ص 100.

[6] - لخضر عبدلي ، المرجع السابق، ص 245-246.

سلاطين المماليك بالطلبة والعلماء الوافدين عليهم، وفي ذلك يقول ابن خلدون: " **ولا أوفر اليوم**[1] **في الحضارة من مصر، فهي أمّ العالم و إيوان الإسلام وينبوع العلم و الصنائع**"[2].

3-1 – منشآت الطلبة المغاربة بمصر:

كان سلاطين المماليك عند تأسيسهم لإحدى المنشآت الدينية أو التعليميّة يلحقون بها مركبات لإقامة الطلبة والمدرسين خاصّة للوافدين من الغرباء، وكانت المساكن من عناصر الانتفاع الهامّة بالمدارس والخانقاوات والرّبط والزوايا الّتي كانت تستقبل أعدادًا من الطلبة والمتصوفة والمدرسين الّذين كانوا يقطنون بها، وكان ذلك من مظاهر عناية المماليك بأهل العلم الوافدين على مصر[3].

وأهم المنشآت الّتي خصّصت للطلبة المغاربة بمصر:

3-1-1 – رواق المغاربة بالجامع الأزهر:

كان الطلبة المغاربة يقصدون مصر لأخذ العلم عن كبار علمائها، ولما اشتهر عن سلاطين المماليك ترحيبهم وإكرامهم للوافدين عليهم، فقد كثر عدد من ارتحل منهم المغاربة إلى مصر، وكانت حركة الرّحلة من المغرب إلى المشرق مستمرّة منذ القديم، واستمرّت وتزايدت في عهد الفاطميين الّذين أسّسوا دولتهم انطلاقا من بلاد المغرب وبالاعتماد على قبائل البربر، واستمرّت بدون توقف رغم الاضطرابات السياسيّة واختلال الأمن عبر المسالك بسبب الثورات الداخليّة والحركات العسكريّة للصليبيين ضدّ بلاد المغرب والمشرق وشواطئهما.

وكان الطلبة المغاربة يلقون الحفاوة والترحيب بمصر، ولما كانوا طائفة مميّزة عن غيرها من طوائف الطّلبة الآخرين كالسودان[4] والعجم[5] وأهل ريف مصر، فقد كان لهم رواق خاص بهم بالجامع بالجامع الأزهر الّذي كان الجامعة الأولى في العالم الإسلامي من حيث العلوم الّتي كانت تدرس به وكذلك العدد الكبير من الطلبة الّذين كانوا يدرسون به، وذكر المقريزي في خططه أنّه كان يقيم

---

[1] – يقصد أواخر القرن الثامن الهجري/14م.

[2] – ابن خلدون، المقدّمة، ص 1051.

[3] – عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 321.

[4] – كان للطلبة القادمين من بلاد السودان الغربي خاصة التكاررة وأهل برنو مدرسة خاصة بهم لدراسة المذهب المالكي بمصر. القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص 281.

[5] – العجم هم الروم أو السلاجقة و كان منهم الكثير من الصوفية بمصر. ابن بطوطة، المصدر السابق، ج1، ص 56.

بالأزهر من الفقراء الملازمين حوالي 750 فردًا من بين عجم وأهل ريف مصر ومغاربة وكان لكلّ طائفة رواق يعرف باسمهم[1].

وكان رواق المغاربة مثل باقي الأروقة عامر بتلاوة القرآن ودراسته وتلقينه والاشتغال بأنواع العلوم من الفقه والحديث والتفسير والنحو فضلا عن مجالس الوعظ وحلق الذكر[2].

وكان أهل المال يقصدونه وينفقون عليه وعلى بقيّة الأروقة الأخرى، كما كان يلقى الرعاية من كبار العلماء خاصّة من المغرب، وكانوا يوقفون عليه الكتب مثلما فعل الشيخ عيسى بن عبد الرّحمن الزواوي عام 778هـ/1373م الّذي أوقف مجموعة من الكتب على الطلبة المغاربة المقيمين بالرواق[3].

وفي جمادى الأول سنة 818 هـ/1416م أمر أحد الأمراء المماليك ناظر الجامع بإخراج المجاورين منه ومنعهم من الإقامة فيه وإخراج متاعهم وخزائن كتبهم وكراسي المصاحف، وكانت فتنة أضرّت بالجامع و طلبته كثيرا[4].

إنّ وجود رواق المغاربة بالجامع الأزهر بجوار أروقة الطوائف الأخرى من الطّلبة كان من شأنه أن يتيح للطلبة القادمين من بلاد المغرب الاحتكاك بأقرانهم القادمين من باقي الدّول الإسلاميّة، وهو ما تمّ بالفعل، ممّا أنتج جوا من التبادل الثقافي تمثل في المناظرات وتبادل الآراء والاستفادة المتبادلة بين الطلبة والعلماء، وكان ذلك سببا في توسيع أفق طلاب العلم وتعمّقهم أكثر في مسائل العلوم بتخصصاتها المختلفة[5].

3-1-2 – دار المغاربة بالإسكندرية:

كانت الإسكندرية إحدى أهم المراكز الثقافية بمصر في عصر المماليك، وقد وصفها الرحالة والجغرافيون وبيّنوا مدى اتساع عمرانها وكثرة مرافقها الاجتماعيّة والتجاريّة والثقافيّة، فقال عنها ابن حوقل: "**مدينة على نحر البحر رسومها بنية وآثار أهلها ظاهرة تنطق عن ملك وقدرة وتُعرّف عن تمكن في البلاد وسمو ونصرة وتفصح عن غبطة وعبرة كبيرة...**"[6].

---

[1] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 276.

[2] – المقريزي، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] – السخاوي، الضوء اللامع، ج6، ص159 – السيد النشار، المرجع السابق، ص 84.

[4] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 277.

[5] – القلصادي، المصدر السابق، ص 126-127.

[6] – ابن حوقل، المصدر السابق، ج1، ص 150.

وعبّر عنها المقدسي بقوله: " **قصبة نفيسة على بحر الروم عليها حصن منيع وهو بلد شريف كثير الصالحين والمتعبدين....**" [1].

أما الإدريسي فقال عنها: "...**حصينة الأسوار، نامية الأشجار، جليلة المقدار، كثيرة العمارة، رائجة التجارة، شامخة البناء، رائعة المغنى، شوارعها فساح....**" [2].

و قال عنها ابن جبير:"... **إنّا ما شاهدنا بلدا أوسع مسالك منه ولا أعلى مبنى ولا أعتق ولا أحفل منه و أسواقه في نهاية الاحتفال أيضا**" [3].

ووصفها ابن بطوطة: "**هي الثغر المحروس، والقطر المأنوس...الجامعة لمفترق المحاسن لتوسطها بين المشرق والمغرب**" [4].

وكانت الإسكندرية تضم الكثير من المؤسّسات الثقافيّة والتعليميّة، وبلغ عدد مساجدها حسب تقدير بعض المؤرخين حوالي 12 مسجد[5]، منها جامع العطارين أو جامع الثغر الّذي بناه الوزير الفاطمي بدر الجمالي سنة 477هـ/ 1084م و كان مركزا لنشر المذهب الشيعي بالمدينة[6]، ومسجد الطرطوشي الّذي يضم ضريح الإمام الطرطوشي (ت520هـ/1126م) الّذي بناه الوزير الفاطمي المأمون البطائحي سنة 516هـ/1122م تكريما لهذا الإمام عندما زاره هذا الأخير بالقاهرة وقدم له كتاب "سراج الملوك"، واتخذ المسجد في عهد بني أيوب والمماليك كمرْكز لمحاربة المذهب الشيعي ونصرة مذهب السنّة[7].

كما اشتهرت الإسكندرية بمدارسها، كالمدرسة العادلية التي كانت مخصّصة للمذهب الشافعي[8]، والمدرسة الصوفيّة نسبة للحافظ أبي طاهر بن عوف الزهري (ت 581هـ/ 1186م) تلميذ تلميذ الطرطوشي وخصصت للمذهب المالكي[9]، و كذلك مدرسة ابن الجارة للفقهاء المالكية[10].

---

[1] - المقدسي، المصدر السابق، ص 196-197.

[2] - الإدريسي، المصدر السابق، ص 196-197.

[3] - ابن جبير، المصدر السابق، ص 8.

[4] - ابن بطوطة، المصدر السابق، ج1، ص 38.

[5] - الهروي، المصدر السابق، ص 48 – ابن جبير، المصدر السابق، ص 11.

[6] - حسن عبد الوهاب، المرجع السابق، ج1، ص 67.

[7] - محمد محمود زيتون، **الحافظ السلفي أشهر علماء الزمان**، الإسكندرية، مؤسّسة شباب الجامعة، (د.ت)، ص 136.

[8] - محمود زيتون، المرجع السابق، ص 138.

[9] - المرجع نفسه، ص 139.

[10] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وكانت هذه المؤسّسات من بين الأماكن الأكثر قصدًا من طرف الطلبة المغاربة إضافة إلى مؤسّسات القاهرة، ولما كان الفاطميون قد انطلقوا من بلاد المغرب، فقد استخدموا المغاربة في المناصب الحكوميّة وكانت لهم سلطة كبيرة بمصر في عهدهم، وكانت الجالية المغاربيّة من أكبر الجاليات الإسلاميّة في مصر والقاهرة والإسكندريّة[1]، ولما جاء الأيوبيون عملوا على كسب هذه الطائفة إلى جانبهم بعد إسقاط دولة الفاطميين، فقام صلاح الدين الأيوبي بإنشاء دار للمغاربة بالإسكندريّة سنة 577هـ/1182م .

وكان هدفه منها مثل هدفه من إنشاء المدارس بالقاهرة وهو نصرة مذهب السنة وكذلك تحويل المغاربة المقيمين بالإسكندريّة عن المذهب الشيعي[2].

وكانت دار المغاربة خلافا لمدارس الإسكندريّة الّتي كانت مخصّصة للفقه الشافعي أو المالكي شاملة لجميع المذاهب السنيّة إضافة إلى فروع العلوم المختلفة وجُعلت لطلاب العلم والمتعبدين الوافدين من بلاد المغرب إلى الإسكندريّة، وكان لكلّ واحد منهم مسكن يأويه، ومدرس يعلّمه الفن الّذي يريد تعلمه، وأجرا منتظمًا كافيا له، كما ألحقت بها الحمامات ونصب لهم مارستانًا للعلاج وكان الأطباء والخدم يتفقدون أحوالهم[3].

وعبر أحد الكتاب عن دار المغاربة بالإسكندريّة بأنّها كانت عبارة عن جامعة إسلاميّة، وبذلك عرف النظام الجامعي والتخصّص في فروع العلم، والاهتمام بالمغتربين من الطلبة، بتوفير الخدمات العلميّة والصحيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة للتفرغ لطلب العلم عن طريق دار المغاربة بالإسكندريّة[4].

وقد ورث المماليك كلّ شيء عن الأيوبيين خاصة الاهتمام بالطلبة الغرباء والوافدين من بلاد المغرب، فواصلوا عنايتهم بهذه المنشآت طوال عهدهم، وسهروا على السير الحسن لحياة الطلاب والعلماء داخل إقاماتهم، وذلك ما ترك الانطباع الجيّد في نفوس المغاربة عن حسن الرعاية والإكرام الّذي كانوا يحظون به بمصر، لذلك كانوا يَرْغبون ويُرغِّبون غيرهم في الارتحال إليها للاستفادة من محاسن النظام المملوكي في المجال الثقافي بما يوفره من طاقم للتدريس والأجور والأرزاق، وخاصة عدم

---

[1] – سبق لصلاح الدين الأيوبي أن جعل مسجد ابن طولون بالقاهرة مأوى للمغاربة يسكنونه و يحلقون فيه وأجرى عليهم الأرزاق كلّ شهر. ابن جبير، المصدر السابق، ص 20.

[2] – محمود زيتون، المرجع السابق، ص 141 – المقريزي، السلوك، ج1، ص 76.

[3] – ابن جبير، المصدر السابق، ص 19.

[4] – محمود زيتون، المرجع السابق، ص 143.

التمييز بين الطّلاب من جميع الجنسيات والأقاليم الإسلاميّة ممّا وفّر فرصة ثمينة لطلبة دول المغرب حتّى يحتكّوا بهم ويتبادلوا معهم العلوم والمعارف وربط جسور التواصل الثقافي بين الشعوب الإسلاميّة.

3-2 – حركة العلماء بين المغرب والمشرق ودورها في تمتين الروابط الثقافيّة:

3-2-1 – مميزات هذه الحركة:

ظلت العلاقات الثقافيّة والتبادل العلمي بين المغرب والمشرق في نمو وازدياد منذ الفتح الإسلامي وطيلة فترة العصور الوسطى، وكانت الحواضر الكبرى (غرناطة – فاس – تلمسان – تونس – القاهرة – مكة والمدينة – دمشق)تستقبل الطلاب والعلماء الوافدين عليها، وكانت مراكز إشعاع تتوفر على عناصر الجذب الثقافي من حيث كونها مقرا للحكم والسلطان وميدانا للحركة العلميّة، واستمرّ تنقل الأساتذة والشيوخ والطلاب بينها حتّى في أوقات الأزمات السياسيّة وأزمنة القطيعة بين الدوّل الّتي كانت تتنافر لأسباب سياسيّة بالخصوص[1].

وكانت رحلات وتنقلات العلماء بين مدن المغرب والمشرق للاستفادة والمناظرة أو للتدريس في المساجد والمدارس والخانقاوات والزوايا، أو لنسخ بعض الكتب والمؤلّفات ذات الصيت الذائع في العا لم الإسلامي[2].

و يمكن تحديد أبرز مميزات حركة العلماء بين البلدين بما يلي:

– فمن ناحية نسبة التوافد المتبادل، ما يمكن ملاحظته في هذا الجانب هو أنّ نسبة توافد علماء المغرب على المشرق كانت أكبر بكثرة من نسبة توافد علماء المشرق على المغرب، ويمكن تعليل ذلك بعدّة أسباب، منها أن بلاد المشرق عموما ومصر على وجه التحديد كانت المقصد الأوّل لعلماء البلاد والإسلاميّة قاطبة، بسبب مكانتها العلمية وازدهار الحياة الثقافيّة بها، خاصة بعدما صارت عاصمة للخلافة العباسيّة بعد سقوط بغداد وانتقال العلماء العراقيين إليها فرارًا من قمع المغول[3]،كما أنّها كانت المعبر الرئيسيّ للحجيج المغاربة القاصدين إلى الحجاز[4].

---

[1] – رشيد الزوادي، "التبادل العلمي بين المشرق والمغرب الإسلاميّ"، **مجلة الحضارة الإسلاميّة**، ع1، أبريل 1993، ص 325.

[2] – المرجع نفسه، ص 333 – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 329.

[3] – ابن خلدون، المقدمة، ص 750 – سحر السيد عبد العزيز سا لم، المرجع السابق، ص 46 – عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري، المرجع السابق، ص 141.

[4] – القلصادي، المصدر السابق، ص 65.

ولم يكن علماء المشرق بحاجة ماسة إلى الانتقال إلى بلاد المغرب خاصّة لطلب العلم، لأنّهم كانوا يلتقون بالعلماء المغاربة إمّا في القاهرة أو في الحجاز أين كان يتم بينهم التبادل العلمي والثقافي، لذلك لا تمدنا كتب التراجم بأسماء كثيرة للعلماء المشارقة الّذين سجلت لهم رحلات إلى المغرب[1].

كانت حركة العلماء بين المغرب والمشرق متأثرة بالظروف السياسيّة والثقافيّة والاجتماعيّة والاقتصادية، لذلك نسجل تفاوتًا في إحصاء أعداد العلماء المغاربة الّذين ارتحلوا إلى المشرق عبر فترات تاريخ دول المغرب الإسلامي ودولة المماليك[2].

وكان العلماء الذين يرتحلون بين بلدان المغرب باتجاه مصر والشام والحجاز ينسجون علاقات ثقافيّة وعلميّة قويّة مع أقرانهم من خلال الجلسات العلميّة الّتي كانوا يتبادلون فيها الآراء في العلوم والمصنفات والمستجدات في المسائل الفقهيّة والعلميّة المختلفة، وكانت هذه الجلسات تتم داخل المؤسّسات التعليميّة كالمساجد والمدارس والخوانق والرّبط والزوايا الّتي كانت منتشرة بالمدن المشرقية المملوكية، وكان علماء المغرب عادة ما يعرض عليهم المماليك الوظائف العلميّة كالتدريس والإعادة بهذه المؤسّسات مع الإكرام والرواتب المغريّة، فيستفيد منهم الطلبة المشارقة، ولم يكن التدريس بالنسبة للمغاربة مقتصرًا على المدارس الّتي كانت مخصّصة للمالكيّة فقط بل درس بعضهم في المدارس الشافعيّة وحتّى الحنفيّة، كما لم يقتصر احتكاكهم بالعلماء المالكيين فحسب بل اختلطوا وتبادلوا المعارف مع الفقهاء من جميع المذاهب وبدون تمييز ممّا يسمح لنا بالقول بأنّ مصر كانت تعيش جوّا من التسامح والتعايش بين المذاهب الفقهية السنيّة المختلفة، وهو ما جعل مسألة التبادل الثقافي تتجاوز الأطر المذهبيّة والعرقيّة، فتوسعت المعارف العلميّة لدى علماء المغرب والمشرق على السواء .

وفيما يلي عيّنة عن بعض العلماء من المغرب من الّذين ارتحلوا إلى المشرق، وكذلك عيّنة عن علماء المشرق ممن قصدوا بلاد المغرب:

3-2-2- عيّنة من العلماء المرتحلين من المغرب إلى المشرق:

كثر عدد العلماء المرتحلين من المغرب باتجاه المشرق ومنهم:

---

[1] - سبق لبلاد المغرب أن عرفت توافد عدّة علماء مشارقة في خضم تيار الفتح الإسلامي بالخصوص والذين عملوا على نشر الإسلام و توطيد أركانه و كذلك نشر التعريب. محمد مخلوف، المصدر السابق، ج2، ص 97-98- القلصادي، المصدر السابق، ص65.

[2] - عمار هلال، **العلماء الجزائريون في البلدان العربيّة والإسلاميّة فيما بين القرنين التاسع و العشرين الميلاديين /3-14هـ** ، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1995، ص 252.

-جمال الدين ابن مالك النحوي (ت 672 هـ/1274م) [1]:

هو محمد بن عبدالله بن مالك الطائي الجياني صاحب الألفية المشهورة في النحو العربي، كان من أئمة النحاة واللغة العربية في عصره، وُلد في مدينة جيان بالأندلس سنة 600هـ/1203م، وأخذ العربية عن جملة من العلماء في موطنه، واستمع إلى أبي عليّ الشلوبين، ثم ارتحل إلى بلاد الشام واستقر بحلب، ولقي ابن الحاجب وأخذ عنه، ثم تصدر للإقراء مدة، ثم استوطن دمشق وتولى بها مشيخة المدرسة العادلية.

وقد كان ينظم الشعر بشكل جيد ، ذلك ما جعله يكتب منظومات مختلفة في النحو والصرف، منها ألفيته المشهورة التي تقع في ألف بيت، و"الكافية الشافية" في ثلاثة آلاف بيت، ومنها" المؤصّل في نظم المفصَّل" للزمخشري، و"تحفة المودود في المقصور والمدود".

توفي ابن مالك في دمشق، وخلف مصنفات كثيرة في العربية منها :"شرح الكافية"، "التسهيل وشرحه"، "شرح الجزولية"،" إعراب مشكل صحيح البخاري"، "عمدة الحافظ وعدّة اللافظ وشرحه"، "إيجاز التعريف في علم التصريف"، " الفوائد في النحو" وقد بلغت مصنفاته قرابة الثلاثين مصنفًا بين منظوم ومنثور.

وقد تخرج على ابن مالك النحوي عدد كبير من طلبة العلم، كان لهم شأن عظيم فيما بعد على صعيد العلم وعلى صعيد الإدارة. نذكر منهم على سبيل المثال: المزي، والعلم الفارقي، والشمس البعلي، والشيخ النووي[2]، وكذلك المدرس محمد بن عبد الرحمن السلمي المعروف بابن النويرة المتوفى سنة 675 هـ/ 1277 م، وزين الدين أبو البركات المنجا بن عثمان بن أسعد الدمشقي المتوفى سنة 695 هـ/ 1296 م، الذي برع في علم النحو على حياة أستاذه ابن مالك، الذي قال عنه حينما سئل عن شرح "**الألفية**":

---

[1] – الصفدي، **المصدر السابق،** ج 2، ص 359 – الجزري، **غاية النهاية في طبقات القراء،** ج 2، عني بنشره ج. برحسترايز، ط 1، القاهرة، 1962، ص 180– الفيروزآبادي، **البلغة في تاريخ أئمة اللغة،** تحقيق محمد المصري، طبعة دمشق، 1972، ص 229– اليونيني، **ذيل مرآة الزمان،** ط 1، حيدر آباد الدكن، 1960، ج 3، ص 76.

[2] _ المقري، نفح الطيب، ج 2، ص ص 427. 428.

"شرحها لكم ابن المنجا"[1]، ومحمد ابن إبراهيم الأزرعي الذي ولي قضاء مدينة دمشق سنة 715 هـ/ 1306 م، ومحمد بن محمد شمس الدين الأنصاري الشافعي الذي يعد من أفضل من تخرج على ابن مالك في النحو والعربية، وتوفي بعد أستاذه في سنة 682 هـ/ 1284م، ومحمود بن سليمان بن فهد الحلبي المتوفى سنة 725 هـ/ 1325 م، الذي تسلم وظيفة كتابة السر، ووصفه بعضهم بأنه لم يكن بعد القاضي الفاضل مثله، وبقي في ديوان الإنشاء نحواً من خمسين سنة بدمشق[2] ومصر وغير هؤلاء كثيرون.

واستحوذ ابن مالك النحوي على الاهتمام بعد وفاته ما لم يستحوذ عليه أحد من قبله أو من بعده على صعيد بلاد الشام، فأثنى عليه كثيرون من المهتمين بالنحو، ووصفوه بالكمال، والمعرفة التامة بعلم النحو، وذكره ركن الدين ابن القوبع أن ابن مالك النحوي وضع حدّاً لعملية الابتكار والتجديد في ميدان علم النحو لا يمكن تجاوزه، فكان يقول دوماً: "إن ابن مالك ما خلّى للنحو حرمة..."، وقال شرف الدين الحصني يرثيه مبيناً سمو منزلته وتميز شخصيته في ميدان علمه، كما عكس ضخامة الفاجعة التي ألمت بعلم النحو من بعده يقول:

يا شتات الأسماء والأفعال بعد موت ابن مالك المفضال

وانحراف الحروف بعد ضبط بعد موت ابن مالك المفضال

ومصدراً كان للعلوم بإذن الله من غير شبهة ومجال[3]

–أبو القاسم التنوخي المهدوي (ت 677هـ/1277م)[4]:

هو أبو القاسم بن علي بن عبد العزيز بن البراء من علماء المغرب الأدنى، أخذ العلم بالمهدية، ثم ارتحل إلى المشرق سنة 622هـ/ 1222م ودرس بالقاهرة والإسكندرية والحرمين الشريفين.

- أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي (ت:680هـ/1281م)[5]:

---

[1] ـ النعيمي، المصدر السابق، ج 3، ص ص 120 . 121.

[2] ـ النعيمي ، المصدر نفسه، ج 2، ص 236.

[3] ـ الصفدي، المصدر السابق، ج 2، ص ص 362 . 363.

[4] – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص191.

[5] – ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص ص273 .

بعد ما درس بمسقط رأسه، وبمليانة وشلف وتلمسان وبجاية وتونس، ارتحل إلى القاهرة والتقى في رحلته أعلام المصريين كالشمس الأصبهاني[1] وشهاب الدين القرافي (ت 684هـ/ 1286م[2] والشيخ سيف الدين الحنفي، وأخذ عنهم مجموعة من العلوم والمصنفات والإجازات العلميّة[3].

وعرض عليه نقيب الجيوش بالديار المصريّة الأمير طيبرس بن عبد الله الوزيري (ت719هـ/1419م) وظيفته التدريس بمدرسته الّتي أنشأها بجوار الجامع الأزهر بالقاهرة وقرّر بها درسًا للفقهاء الشافعيّة[4]، لكن أبا إسحاق التنسي رفض الوظيفة واعتذر عنها رغم إصرار الأمير المملوكي الّذي قام بتكليف الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد قاضي القضاة لإقناعه، كما عرض عليه راتبا مغريًا لكنه أصرّ على عدم القبول[5].

وقد وفّرت هذه الرّحلة لأبي إسحاق التنسي إضافة إلى زيادة معارفه في المنطق والجدل والعلوم الدينيّة أن صارت له سمعة طيبة في المشرق والمغرب، وعاد إلى بلاد المغرب وقد انتهت إليه رئاسة المذهب المالكي واستفاد منه طلبة العلم[6].

-عبد السلام بن علي الزواوي (ت 681هـ/1282)[7]:

أبو محمد زين الدين عبد السلام بن علي بن عمر بن سيد الناس الزواوي المالكي المقرئ، كان شيخ القراء والمالكية بالشام، ولد في بجاية سنة 589هـ/1193م، ارتحل إلى القاهرة سنة 614هـ/1216م وأخذ على علمائها في الفقه الماكي، ثم كلف بتولي قضاء المالكية بمدينة دمشق سنة 664هـ/1266م ثم اعتزله حتى وفاته، ودفن بدمشق.

---

[1] - أبو عبد الله محمد بن محمود بن عباد الكافي الأصبهاني نزيل مصر (ت 688 هـ/ 1290م)، من تصانيفه شرح المحصول للرازي و كان أصوليا، كما ألّف كتاب القواعد، و عنه أخذ التنسي علوم المنطق و الجدل. الذهبي، المصدر السابق، ج16، ص 246.

[2] - درس على ابن الحاجب والعز بن عبد السلام، من تآليفه: كتاب التنقيح في أصول الفقه المالكي. مخلوف، المصدر السابق، ص 188-189.

[3] - ابن مريم، المصدر السابق، ص 67.

[4] - المقريزي، الخطط، ج2، ص 383.

[5] - عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 329.

[6] - ابن مريم، المصدر السابق، ص 67 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 114 – التنسي، تاريخ بن زيان، ص 126.

[7] - ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج7، ص 256.

–ابن أبي الدنيا الصدفي الطرابلسي (ت 684هـ/1284م)[1]:

القاضي أبو محمد عبد الحميد بن أبي البركات بن عمران، فقيه وأصولي، أخذ العلم بتونس ثم ارتحل إلى المشرق وأخذ عن علماء مصر مثل العز بن عبد السلام،ولي قضاء تونس، وممن أخذ عنه أبو العباس الغبريني وابن جماعة.

–عفيف الدين التلمساني (ت 690هـ/1291م)[2]:

أبو الربيع عفيف الدين سليمان بن علي بن عبد الله العابدي الكومي التلمساني، أصله من بني عابد وهي من بطون قبيلة كومية بساحل تلمسان قرب هنين وندرومة، أديب وشاعر وصوفي ذاع صيته في بلاد المشرق، ولد سنة 620هـ/1223م، ارتحل القاهرة والشام وبلاد الروم، وكلف ببعض الوظائف الإدارية في دمشق، وكان يعد من الصوفية ذوي الميول الاتحادية مثل ابن سبعين وابن عربي. ألف الكثير وترك ديوان شعر.

– محمد بن عبد الله حافي رأسه (ت:693هـ/1290م):

هو محي الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر المالكي التلمساني، ولد سنة 606هـ/1209 بتيهرت[3] وتعلم بتلمسان[4]، ثمّ ارتحل إلى مصر واستقر بالإسكندريّة وأخذ بها عن عن جملة من العلماء [5]، ثمّ تصدّر للتّدريس مدّة طويلة وتخرّج به الكثير من العلماء منهم تاج الدّين الفاكهاني[6]، و انتهت إليه رئاسة النّحو بالإسكندريّة وصار شيخ هذا العلم بها[7]، وكان أحد النّحاة

---

[1] – مخلوف، المصدر السابق، ص 192.

[2] – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج6، ص ص 38 – 43 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج8، ص ص 29-31 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص412 – العيني، عقد الجمان، ج3 ص 95.

[3] – الذهبي، المصدر السابق، ج17، ص 175.

[4] – عمّار هلال، المرجع السابق، ص 244.

[5] – منهم شيوخ الإسكندريّة في النحو: عبد العزيز بن مخلوف بن الجراد، ابن الصفراوي، ابن رواج، أبو زيد بن الزّيات، كما تلقى عن المعيد اليعمري صاحب ابن بري. انظر : الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، ص 175.

[6] – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 201.

[7] – عادل نويهض، المرجع السابق، ص 119.

الثلاثة المشهورين بالمشرق، حتّى قيل : حافي رأسه بالإسكندريّة و ابن مالك بدمشق وابن النّحاس بمصر[1].

وكان في رأسه حفرة فقالوا حفي رأسه، وقيل كان أوّل أمره مكشوف الرّأس فأعطي ثيابا فقال : هذا لبدني ورأسي حافي؟ فأمر له بعمامة[2].

–تقي الدين أبي القاسم بن أبي بكر بن مسافر التونسي المعروف بابن زيتون (ت699هـ/1297م)[3]:

يعد ابن زيتون من أكبر علماء المغرب الإسلامي، وكان قاضيا ومفتيا، وبعدما تفقه في إفريقية ارتحل إلى المشرق مرتين كانت الأولى سنة 648هـ/1250م وأخذ عن علماء مصر مثل العز بن عبد السلام، ثم ارتحل للمرة الثانية سنة 656هـ/1252م ثم رجع إلى تونس، ومما جاء به من المشرق طرق التدريس التي كانت منتشرة في المدارس المملوكية.

– محمد بن أبي القاسم الربيعي التونسي (ت 715هـ/1315م)[4]:

بعدما درس ببلده في تونس، ارتحل إلى مصر، وتمكن من علوم الفقه والفتيا، وولاه المماليك القضاء في مدينة الإسكندرية، كما استفاد منه طلبة العلم بمصر، واستقر هناك حتى وفاته بالقاهرة.

– أبو علي ناصر الدين الزواوي المشذالي (ت731هـ/1371م):[5]

ارتحل وأقام بالمشرق حوالي 20 سنة ولقي الكثير من العلماء وأخذ عنهم منهم العز بن عبد السلام، وشمس الدين الأصفهاني، وصدر الدين سليمان الحنفي، وشرف الدين السبكي، واستفاد كثيرا منهم، وتبحر في العلوم الدينية والعقلية واللسانية، وعاد إلى بلاد المغرب بعلم غزير، وهو أول من أدخل مختصر ابن الحاجب الفرعي إلى بجاية ومنه انتشر في سائر بلاد المغرب الإسلامي، واستفاد منه الكثير من الطلبة الذين صاروا لاحق علماء ومنهم: أبو منصور الزواوي، وابن مرزوق الجد، وأبو علي البجائي وغيرهم.

---

[1] – شاوش رمضان، الغوثي بن دحمان، المرجع السابق، ج1، ص 218.

[2] – الذهبي، المصدر السابق، ج17، ص 175.

[3] – مخلوف، المصدر السابق، ص 193.

[4] – ابن فرحون، الديباج، ص – مخلوف، المصدر السابق، ص

[5] – الغبريني، عنوان الدراية، ص 200- مخلوف، المصدر السابق، ص 217.

- أبو الروح عيسى بن مسعود المنكلاتي الزواوي (ت 743هـ/1343م)[1]:

فقيه ومحدث، درس بمدينة بجاية، ثم ارتحل إلى المشرق وقرأ على علماء الإسكندرية والقاهرة ثم انتهت إليه رئاسة الفتوى بها، وتولى الكثير من الوظائف الإدارية منها القضاء بمدينة نابلس، ثم بدمشق، وتولى النيابة عن قاضي القضاة شرف الدين بن مخلوف بالقاهرة، ثم عن قاضي القضاة تقي الدين الأخنائي. من مؤلفاته شرح على صحيح مسلم.

- أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسي المعروف بابن الحاج (ت 744هـ/1344م)[2]:

عرف بالعلم والزهد والصلاح، أخذ عن أبي إسحاق التنسي، ارتحل إلى مصر وأخذ عنه جملة من علمائها منهم عبد الله المنوفي و الشيخ خليل، توفي بالقاهرة.

- أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن القرشي الهاشمي (ت 738هـ/1338م)[3]:

عرف بابن القوبع، وبشيخ الديار المصرية والشامية في فنون العلم، كان فقيها ومحدثا، أصله من تونس، قرأ النحو على ابن زيتون والأصول على قاضي تونس محمد بن عبد الرحمن، وارتحل إلى الشام واستقر في دمشق سنة 699هـ/1299م، وسمع من ابن عساكر وابن القواس وآخرين، كما درس الطب بها، واجتمع به أوي العباس أحمد بن فضل الله العمري الدمشقي صاحب كتاب مسالك الأبصار، واستفاد منه، ودخل القاهرة وتولى بها بعض المناصب الإدارية ثم اعتزلها، وله عدة مؤلفات منها "تفسير سورة ق" وله شرح على ديوان المتنبي. واستفاد منه كثير من شيوخ مصر، ومنهم الشيخ الصوفي عبد الله المنوفي، وبقي في القاهرة إلى غاية وفاته، وقال عنه تقي الدين السبكي:" ما أعرف أحدا مثله"[4].

- محمد بن إبراهيم الآبلي (ت:757هـ/1356م):

ارتحل الآبلي إلى بلاد المشرق، وقد واجهته محنة كبيرة في سفره بحرًا، حيث ركب السفينة من تونس إلى الإسكندريّة وأصيب بمرض أثناء الرّحلة، ممّا تسبب في عدم تمكنه من استغلال رحلته

---

[1] - مخلوف، المصدر السابق، ص 19.

[2] - مخلوف، المصدر السابق، ص 208.

[3] - التنبكتي، نيل الابتهاج، ص387 / كفاية المحتاج، ص299- مخلوف، المصدر السابق، ص208.

[4] - مخلوف، المصدر السابق، ص 208.

بشكل جيّد، و ممّن التقى بهم من العلماء بمصر: ابن دقيق العيد، و ابن الرّفعة، والصفي الهندي، والتبريزي[1]، ثمّ حجّ ورجع إلى تلمسان، ولازم علماء فاس ومرّاكش وانتصب للتدريس وغصّت مجالسه بالطلبة وانتشر علمه العقلي والنقلي وبثّ آراءه الّتي كانت تبدو غريبة عن علماء ذلك العصر في نفوس وعقول تلاميذه الّذين أخرجوها إلى الوجود من خلال مؤلفاتهم خاصّة عبد الرّحمن بن خلدون[2].

- **أبو عبد الله المقرّي** (ت:**759هـ/1359م**):

ارتحل المقرّي إلى المشرق، وعند مروره بمصر التقى بالكثير من العلماء منهم: أثير الدين أبا حيّان الغرناطي وروى عنه واستفاد منه، وشمس الدين الأصبهاني وشمس الدين بن عدلان الّذي سمع منه بعض شروحه على كتب المزني، وشمس الدين بن اللّبان، وفقيه المالكيّة أبا محمد المنوفي، وتاج الدين التبريزي[3] وغيرهم، ثمّ انتقل إلى باقي المراكز الثقافيّة كمكّة والمدينة ودمشق وبيت المقدس وناظر وأفاد واستفاد، ثمّ رجع إلى تلمسان وانتهت به الرّحلة إلى غرناطة، وممّن تخرّج عنه ابن خلدون ولسان الدين بن الخطيب[4]

- **ابن أبي حجلة التلمساني** (ت:**776هـ/1375م**)[5]:

هو أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يحي بن عبد الواحد بن أبي حجلة التلمساني، ولد بزاوية جده بتلمسان سنة 725هـ/1325م وسط عائلة صوفيّة، وتعلّم على شيوخ المدينة، ثمّ ارتحل رفقة عائلته إلى المشرق فزرا الحجاز ثم قصد الشام واستقرّ بدمشق ما بين 742هـ إلى 752هـ/1352م، ثمّ

---

[1] - ابن خلدون ، التعريف، ص 325-828.

[2] - يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 120 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 214- المقري، نفح الطيب، ج6، ص 202-205.– علي رحومة سحبون، **الآبلي نابغة المغرب الكبير وأستاذ ابن خلدون** (**681 – 757هـ**)، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2009، ص45.

[3] - المقري، نفح الطيب، ج6، ص 209-229.

[4] - ابن الخطيب، الاخاطة، ج2، ص 136-165 – التنبكتي، المصدر السابق، ص 249-254 – النباهي، المصدر السابق، ص 169-170 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 154-164.

[5] - انظر ترجمته في: المقري، نفح الطيب، ج2، ص 337 – المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، ج2، القاهرة، 1939، ص 321 – ابن العراقي، المصدر السابق، ج2، ص 383 – ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص 350 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص 131 ، المقريزي، السلوك، ج3، ص 243 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص 240 – الحفناوي، المرجع السابق، ص 55 – ابن أبي حجلة التلمساني، ديوان ابن أبي حجلة، تح: مجاهد مصطفى بهجت، كنوز للإنتاج والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص ص 13 – 38.

ارتحل منها إلى القاهرة، وتولى مشيخة الصوفيّة بجامع صهريج منجك[1] بظاهر المدينة في أواخر حياته، وتوفي بالطاعون سنة 776هـ/1375م[2]. وكان ابن أبي حجلة شاعرًا وأديبًا، وألّف أكثر من ثمانين مصنفا في العلوم الدينيّة والنّحو والآداب[3] أهمها ديوانه الشعري المسمى "الصّبابة" والّذي كان موضوعه المحبّة، وقدّمه إلى السلطان النّاصر حسن[4] سنة (756هـ/1355م)[5].

- **ابن مرزوق الخطيب** (ت **781هـ/1379م**) [6]:

يعد ابن مرزوق الخطيب من أبرز علماء المغرب الإسلامي الّذين كان لهم أثر ملحوظ في مصر نظرًا لمكانته المعتبرة بين العلماء المصريين وعند السلطان المملوكي والأمراء المماليك، وكانت له عدّة رحلات إلى مصر التقى خلالها كبار العلماء وتولى الوظائف العلميّة بالمدارس المملوكيّة، فارتحل أوّل مرّة سنة 717هـ/1317م وعمره 15 سنة[7]، ثمّ ارتحل مرّة ثانيّة ما بين 724هـ/1324م و729هـ/1329 جاور خلالها مع والده بمكّة والمدينة مدّة خمس سنوات وزار خلالها القدس والخليل[8]، وفي سنة 734هـ/1334م ارتحل مع والده للمرّة الثالثة وأقام رفقة والده بالقاهرة لمدّة سنتين تزود خلالها بالعلوم على كبار الشيوخ المصريين في العلوم الدينية والتصوف، ومنهم بالقاهرة علاء الدين القونوي[9]، وتقي الدين محمد الأقنائي (ت 750هـ/1349م)، جلال الدين القزويني (ت739هـ/1339م) والبرهان الحنبلي (ت:741 هـ/1340م) ومحمد بن نباتة الفارقي (ت:768هـ/1366م) وأبي محمد بن المنير (ت:733هـ/1353م)[10]، وأبي حيان

---

[1] - بناه الأمير سيف الدين منجك اليوسفي الوزيري سنة 751 هـ/1350م، و جعل به صهريجًا فعرف به ورتب فيه صوفية وخطيبًا للجمعة . انظر: المقريزي، الخطط، ج2، ص 320.

[2] - عبد الرّحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 173.

[3] - عادل نويهض، المرجع السابق، ص 364-365.

[4] - الناصر بدر الدين أبو المعالي حسن بن محمد بن قلاوون، تسلطن سنة 748 هـ/1348م، و كان المتحدث في الدّولة و صاحب القرار في عهده الأمير شيخو صاحب الخانقاه الشيخونية. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج6، ص 257 – المقريزي، الخطط، ج2، ص 240.

[5] - ابن العراقي، المصدر السابق، ج2، ص 383 – عبد العزيز فيلالي، تلمسان، ج2، ص 403 – جرجي زيدان، المرجع السابق، ج3، ص 129.

[6] - ابن مرزوق الخطيب، المناقب، ص 55 وما يليها.

[7] - ماريا خيسوس بغيرا، مقدّمة تحقيق المسند، ص 23.

[8] - المقري، نفح الطيب، ج6، ص 323-324 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 184.

[9] - هو أبو الحسن علي بن اسماعيل فقيه شافعي (ت 729هـ/1329م). ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص 24.

[10] - المقري، نفح الطيب، ج6، ص 325 – مخلوف، المصدر السابق، ةص 205..

(ت:745هـ/1344م) وتقي الدين السبكي (ت:756 هـ/1355م) وبالإسكندريّة: أحمد المرادي بن العشاب، وأبي القاسم بن علي بن البراء، وناصر الدين بن منير (ت 733هـ/1337م) فضلا عن آخرين بالحجاز[1].

وكان ابن مرزوق الخطيب لما ارتحل مع والده وكان عمره آنذاك 19 سنة، حمله إلى الشيخ المتصوف محمّد المرشدي[2] الّذي قدّمه لإلقاء خطبة الجمعة، فاستحسن المرشدي خطبته وسمّاه بالخطيب، وأمره بأنّ يخطب بالجامع الغربي بالإسكندريّة، وكان لابن مرزوق اعتقاد في هذا الشيخ، وذكر في كتابه المناقب الكثير من كراماته[3].

وقد ذاع صيت ابن مرزوق بمصر فعرض عليه العمل كمعيد للدّروس بجامع الحاكم وجامع ابن طولون ومرتّب مغر لكن والده الّذي كان يصاحبه في رحلته رفض ذلك[4].

وفي سنة 763هـ/1360م، ارتحل ابن مرزوق إلى مصر بنية الاستقرار[5]، فنزل الإسكندريّة ثمّ قدم القاهرة، فأكرمه السلطان الأشرف شعبان وولاه الوظائف العلميّة والتّدريس بالخانفاه الشيخونية[6] الشيخونية[6] والمدرسة الصرغتمشية[7] والنّجمية، وكان له حرمة وقدر كبير عند المماليك، وظلّ ملازمًا لنفع الطلبة حتّى وفاته بالقاهرة سنة 781هـ/1379م، وكان من المرشحين لتولي منصب قاضي المالكيّة بمصر[8].

- **عبد الرّحمن بن خلدون** (ت **808هـ/1406م**):

---

[1] - ماريا خيسوس بغيرا، مقدمة تحقيق المسند، ص 41 – ابن فرحون، المصدر السابق، ص 305-307.

[2] - هو صاحب زاوية فوة بين القاهرة والإسكندريّة في صعيد مصر. ابن مرزوق، المناقب، ص 257-264.

[3] - ابن مرزوق، المناقب، ص 259- المقري، نفح الطيب، ج6، ص 344-355.

[4] - عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 333.

[5] - كان للظروف السياسيّة دور كبير في دفع ابن مرزوق الخطيب إلى الارتحال و الاستقرار بمصر. ابن الخطيب، كناسة الدكان، ص 157-162 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 185 – ابن فرحون، المصدر السابق، ص 309.

[6] - هي الخانقاه التي بناها الأمير شيخو وتسمى أحيانا بالمدرسة وقد سبق التعريف بها.

[7] - تقع هذه المدرسة خارج القاهرة بجوار جامع ابن طولون، بناها الأمير صرغتمش الناصري من مماليك الناصر محمد بن قلاوون (ت 759 هـ/1359م) سنة 756-757 هـ/1356-1357م، و كانت من أبدع المباني و أحسنها. المقريزي، الخطط، ج2،ص 403-405 – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج6، ص 242 – حسن عبد الوهاب، المرجع السابق، ج1، ص 160.

[8]- ابن خلدون، التعريف، ص 848 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 115 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 186-187 – الحفناوي، المرجع السابق، ص 143.

يعد عبد الرّحمن بن خلدون من أبرز الشخصيّات العلميّة الّتي قامت بدور كبير في ربط العلاقات والصلات الثقافيّة بين المشرق والمغرب الإسلاميين، حيث كانت رحلاته المتعدّدة إلى الأندلس والمغرب الأقصى والأوسط والأدنى ثمّ إلى مصر والشام قد مكنته من تحديد معالم التفكير لدى المجتمعات الإسلاميّة في العالم الإسلامي ووضع أسسا المقارنة بينها ومدى اتصالها، ويعد فكره امتدادًا لفكر أساتذته خاصّة محمد بن إبراهيم الآبلي.

وكان ابن خلدون قد دوّن زبدة أفكاره في كتابه المقدّمة بالمغرب الأوسط[1]، ثمّ قام برحلته إلى الأقطار الإسلاميّة مشرقا ومغربًا، ولما حلّ بمصر سنة 784هـ/13م[2] اتصل بالسلطان الظاهر برقوق الّذي أكرمه وولاّه التدريس بالمدرسة القمحيّة، كما درّس بالمدرسة البرقوقيّة والصرغتمشية[3] وفي الخانقاه البيبرسية ودرّس مدّة بالجامع الأزهر[4]، وتولى قضاء المالكيّة بالدّيار المصريّة[5].

وكانت حلقات ابن خلدون العلميّة بالمؤسّسات التعليميّة بمصر قد مكّنت الطلاّب المصريين والوافدين من الأقطار الإسلاميّة من الاستفادة من أفكاره وعلومه، وتمكن من غرس أسس مناهج عدّة علوم في عقول الطلبة أمثال المقريزي[6]، فطبقوها بشكل لم يطبّقه حتّى هو نفسه في كتاباته، فتمّ فتمّ بذلك انتقال عدّة نظريات عقليّة من المغرب إلى المشرق عن طريق عبد الرّحمن بن خلدون خاصة في مجال علم الاجتماع الإنساني وعلم الاقتصاد وعلم التاريخ وفلسفته[7].

– عبد القوي بن محمد بن عبد القوي البجائي (ت 816هـ/1413م)[8]:

أصله من بجاية حيث ولد سنة 743هـ/1342م وارتحل وعمره 18 سنة إلى القاهرة وأخذ العلم عن الشيخ يحيى الرهوني، وحج ثلاث مرات ثم استقر بمكة، وممن أخذ عنهم العلم بالحرم المكي الشيخ

---

[1] – دوّن ابن خلدون مقدمته في مغارة بني سلامة تاوغزوت. ابن خلدون، العبر، ج7، ص 335.

[2] – ابن خلدون، التعريف، ص 1058.

[3] – عبد الرحمن بن خلدون، التعريف، ص 1121.

[4] – المصدر نفسه، ص 1138.

[5] – المصدر نفسه، ص 1223.

[6] – قاسم عبده قاسم، المقريزي، **مجلة العربي**، ع 566، يناير 2006، ص 154.

[7] – الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص 237.

– سعيد محمد رعد، "دور بجاية الحمادية في تكوين نظرية ابن خلدون التاريخيّة العمرانية عن العمران البشري، وأثر ذلك في تاريخ الفكر الإسلامي"، **الملتقى الثامن للفكر الإسلامي**، بجاية، 1974، ص 533.

[8] – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج7، ص328 – السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص302 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص121.

موسى المراكشي، وسعد الدين الإسفرائيني، ثم تولى التدريس والفتوى، وكان ذا معرفة بالفقه ويستحضر كثيرا من الأحاديث والحكايات والأشعار.

– الشيخ خليفة المعتقد المغربي (ت 829هـ/1425م)[1]:

أصله من بلاد المغرب، قدم القاهرة ونزل بالجامع الأزهر وأقام به لمدة تزيد على الأربعين سنة، وكان من المتصوفة وصار للناس فيه اعتقاد كبير، وكان يقصد للزيارة. قال عنه ابن تغري بردي:" رأيته غير مرة، وحضرت مجلسه، كان عليه حرمة ومهابة وخفر زائد، بحيث أن الناس لا يتحدثون معه في الغالب إلا جوابا..."[2].

– أبو الفضل محمّد بن إبراهيم بن عبد الرّحمن بن محمّد بن الإمام (ت845 هـ/1443م):

درس بتلمسان وتمكن في علوم البيان والتصوف والطّب والآداب، وقد أثنى عليه كلّ من السخاوي والمقريزي[3]، ارتحل إلى القاهرة وزار القدس، وتزاحم عليه النّاس بدمشق، وهو أوّل من أدخل بعض الكتب المشرقيّة إلى بلاد المغرب منها كتاب شامل بهرام وشرحه على المختصر، وحاشية التفتازاني على العضد وشرح ابن هلال على ابن الحاجب الفرعي وغيرها من الكتب الّتي لم تكن معروفة ومتداولة بالمغرب[4]، وممّن أخذ عنه بمصر الشيخ تقي الدين الشمني شارح المغني[5].

– قاسم بن سعيد العقباني (ت 854هـ/1450م):[6]

---

[1] – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج5، ص231 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج15، ص134 – السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص187.

[2] – ابن تغري بردي، المنهل الثافي، ج5، ص231.

[3] – ابن مريم، المصدر السابق، ص 220-221 – السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص 74 التنبكتي، المصدر السابق، ص 305 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 254.

[4] – ابن مريم، المصدر السابق، ص 221.

[5] – هو تقي الدين أبي العبّاس أحمد القسنطيني التميمي الحنفي، كان إمام النحاة في زمانه، برع في العلوم الدينية، ولد بالإسكندرية و قدم القاهرة وأخذ بها عن الشمس البساطي والولي العراقي وأبي الفضل بن الإمام التلمساني، توفي سنة 872 هـ/1468م، ومن مؤلفاته: شرح مغني ابن هشام. انظر: القلصادي، المصدر السابق، ص 151 – عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 218.

[6] – ابن مريم، المصدر السابق، ص 147-149 – التنبكتي، المصدر السابق، ص 223-224 – السخاوي، الضوء اللامع، ج6، ص 181 – القلصادي، المصدر السابق، ص 106-107 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 255 – الحفناوي، المرجع السابق، ص 85.

درس بتلمسان ثمّ ارتحل إلى مصر سنة 830هـ/1430م ، وحضر إملاء ابن حجر العسقلاني واستجاز ابن حجر فأجازه، وحضر درس البساطي[1]، وانتفع بهما كثيرًا، وعاد إلى تلمسان بدرجة علمية كبيرة ما أهّله لتولّي التدريس وتخرّج به الكثير من علماء تلمسان أمثال ابن زكري وابن مرزوق الكفيف وغيرهما[2].

3-2-3- عينة من العلماء المرتحلن من المشرق إلى المغرب:

عرفت بلاد المغرب الإسلامي توافد الكثير من المشارقة منذ الفتح، وكان من جملتهم العلماء والمثقفون، لكن هذا العدد بدأ في التناقص تدريجيا لعدة عوامل أهمها أن المنابع الأولى للثقافة الإسلامية والتيارات الفكرية كانت بالحواضر المشرقية، أي أن المشارقة كانوا في غنى عن الانتقال إلى بلاد المغرب لأخذ العلم إلا في حالات ناذرة عندما يتعلق الأمر بالتجار العلماء، كما أن المغاربة كانوا في حركة مستمرة إلى بلاد المشرق لزيارة البقاع المقدسة وهناك كان يلتقي بهم المشارقة للأخذ عنهم بدلا من تكلف مشقة السفر إلى بلاد المغرب.

وخلال القرن السادس شهدت الدولة الموحدية وفود عدد من المشارقة في شكل بعثات دبلوماسية أو في مبادرات حرة وفردية[3].

أما في عهد الدول المستقلة بعد الموحدين فتكاد كتب التراجم تخلوا من أسماء العلماء أو الطلبة ممن آثروا الارتحال من المشرق إلى المغرب، ومن خلال البحث أمكن التعرف على مجموعة منهم:

- **جلال الدين الأقشهري** (731هـ/1330م):

هو محمد بن أحمد بن أمين التركي القونوي، ذكر عنه لسان الدين بن الخطيب بأنه قدم بلاد المغرب فاستوطن بعض بلاده، واستفاد من علمائه وشيوخه أمثال أبي مروان عبد الملك الشريشي وأبي بكر محمد بن محمد بن معنصر المومناني، واتصل بأبي ابراهيم الماجري، ثم ارتحل إلى بلاد الأندلس

---

[1] – هو قاضي القضاة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان البساطي المالكي (ت 842 هـ)، تخرّج به أغلب علماء مصر و أفتى ودرّس، انظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج15، ص 466 – مخلوف، المصدر السابق، ص 241-242.

[2] – ابن مريم، المصدر السابق، ص 149.

[3] – ابراهيم حركات، مدخل إلى تاريخ العلوم، ج1، ص149.

سنة 704هـ/ 1304م[1]، وذكره ابن الحجر العسقلاني في كتابه الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة بقوله:" **ورحل إلى مصر ثم إلى المغرب، فسمع من أبي جعفر بن الزبير بالأندلس، ومحمد بن محمد بن عيسى بن معنصر بفاس، وغيرهما، وجمع رحلته إلى المغرب والمشرق في عدة أسفار**"[2]. ويظهر من هذه الترجمة الموجزة أن هذا العالم قد ارتحل من المشرق وطاف ببلدان المغرب ولاشك أنه مر بأهم حواضر المغرب الإسلامي، والتقى بالكثير من الشيوخ والعلماء ممن أخذ عنهم، ولما أتم الرحلة في تحصيل العلم قام بجمع ملاحظاته في كتاب يتكون من عدة أجزاء. وتوفي بالمدينة المنورة سنة 731هـ/1330م[3].

-تقي الدين محمد بن الشيخ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن الغرس الحنفي المصري:

ذكره أبو العباس المقري في نفح الطيب، وقال أنه قدم الأندلس والتقى بالوادي آشي ووقعت بينهما محادثات في الفقه وعلو الدين ولم يذكر معلومات أكثر عنه إلا أنه كان من أعلام المصريين[4].

-سيدي يوسف الدمشقي:

من أعلام القرن 9هـ/15م، كان متصوفا على الطريقة الشاذلية، قدم الأندلس وكان يتردد على وادي آش[5].

-ابن طراد النحوي الحجازي (709-788هـ/1309-1386م)[6]:

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد المعطي بن أحمد بن عبد المعطي بن مكي بن طراد الأنصاري المخزومي المالكي النحوي عالم الحجاز، ولد بالقاهرة، وبها درس حيث تفقه على الشيخ عبد الله المنوفي الذي قرأ عليه الرسالة لابن إبي زيد القيرواني و سمع عليه مختصر ابن الحاجب، كما أخذ العربية على الشيخ أثير الدين بن حيان، ثم سافر مع والده إلى بلاد المغرب مع والده، والتقى

---

[1] - محمد المنوني، ورقات، المرجع السابق، ص 258.

[2] ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص309

[3] - المنوني، ورقات، المرجع السابق، ص258.

[4] - المقري، نفح الطيب، ج3، ص 147.

[5] - المقري، نفح الطيب، ج3، ص 148.

[6] - ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج2، ص ص 155-157 – ابن القاضي، درة الحجال، ص80، ترجمة رقم 176.

بمجموعة من العلماء ومنهم الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن عفان الجزولي[1] الذي كان يقرئ المدونة في الفقه المالكي فحضر دروسه.

ثم درس بمكة على شيوخها وعلى القادمين إليها من العلماء الحجاج، ثم استقر بها لتدريس العربية والعروض، واشتهر بخطه الحسن.

- **عبد الباسط بن خليل (ت 920ه/1514م)**[2]:

ولد عبد الباسط بن خليل بن شاهين الشيخي الأصل الملطي ثمّ القاهري الحنفي سنة 844ه/1440م بملطية[3] ونشأ بها وبحلب ودمشق، الّتي قرأ فيها القرآن والقراءات، ثم حفظ منظومة النسفي والكنز ونصف المجمع، وأقرأه أبوه[4] الكثير، وحضر دروس قوام الدين وحميد الدين النعماني وغيرهما من علماء الحنفية، وقرأ على جماعة من علماء الرّوم كالعلاء الرومي قاضي قضاة العسكر بدمشق، والبرهان البغدادي في مدينة طرابلس الشام، وقدم القاهرة ولازم النجم القرمي في العربية والمعاني والبيان، والشّرف يونس الرّومي نزيل الخانقاه الشيخونية في المنطق والحكمة والكلام، والمحيوي الكافياجي الّذي استفاد منه كثيرًا وأجاز له الشّمني وابن الدّيري و آخرون[5].

ومال عبد الباسط إلى دراسة علم الطب، ولما كانت بلاد المغرب لا تزال مشهورة بهذا العلم قرّر أن يرتحل للأخذ عن كبار علماء الطب بها عبر حواضرها[6].

وتحت ستار التجارة غادر الإسكندرية على ظهر سفينة للتجّار البنادقة سنة 866ه/1461م، ونزل طرابلس ثمّ قصد تونس، الّتي وصلها في يوم الأربعاء 12 ذي القعدة 866ه/1461م بعدما بقوا

---

[1] - ينتسب إلى قبيلة جزولة البربرية بالمغرب الأقصى، كان يلقب بشيخ المدونة، وكان من أعلم الناس بمذهب الإمام مالك وتخرج به الكثير من العلماء توفي سنة 741ه/1340م. ابن القاضي، درة الحجال، ص329، ترجمة رقم 1001.

[2] - السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص 27 – السيوطي، نظم العقيان، ص 122 – محمد كمال الدين عز الدين، **عبد الباسط الحنفي مؤرخا**، مطبعة عالم الكتب، القاهرة، 1990، ص 15 وما يليها – محمود بوعياد، رحالة مصري يزور الجزائر في القرن 9ه، **الأصالة**، ع 24، 1975، ص 124-135 – زكي محمد حسن، **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى**، دار الرائد العربي، بيروت، 1981، ص 172 –كرا تشكو فسكي، المرجع السابق، ص 445.

[3] - ملطية: من مدن الشام، بناها الإسكندر، و بنى جامعها الصحابة بعد الفتح – اليعقوبي، المصدر السابق، ص 205 – الحموي، معجم البلدان، ج5، ص 192.

[4] - أبوه خليل بن شاهين الظاهري كان من كبار أمراء المماليك و أعلام رجال الإدارة و هو صاحب كتاب زبدة كشف الممالك و بيان الطرق و المسالك جرجي زيدان، المرجع السابق، ج3، ص 273.

[5] - السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص 27.

[6] - السخاوي، المصدر نفسه، ج4، ص 27 –كرا تشكو فسكي، المرجع السابق، ص 445 – محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص 16.

في البحر ثلاثا وثلاثين يومًا[1]، واجتمع مع الكثير من علمائها بجامع الزيتونة وأنشد بين يدي السلطان الحفصي المسعود بالله محمد بن المتوكل على الله عثمان قصيدة جاء فيها:

ألا يا آل حفص يا ملوكا   ويا دررا بهم نظمت سلوك

ألا فقتم فما بعدكم   ملوك الأرض أحد مليك[2]

ثمّ توجّه إلى بجاية في ذي القعدة 868هـ/1463م واجتمع بالشيخ أبي القاسم محمّد المشدالي وأخذ عنه الكثير[3] ثمّ دخل مدينة الجزائر وتبرّك بالشّيخ الوليّ عبد الرّحمان الثعالبي وسمع بعضا من فوائده وسأله بعض الأسئلة التي كانت تشكل عليه فأفاده بإجابتها كما رأى تفسيره وقرأ عليه من أوائله بعض السطور وأجازه[4].

ثمّ قصد تلمسان ومرّ في طريقه إليها بمدينة مازونة وقلعة هوّارة والبطحاء ودخل تلمسان في أواخر ذي القعدة 868هـ/1463م[5]، و صادف وصوله إليها مناسبة عيد النّحر أو عيد الأضحى فحضر الاحتفال في المصلّى بظاهر المدينة مع السلطان محمد بن أبي ثابت[6].

وفي المحرم سنة 869هـ/1464م قصد عبد الباسط العبّاد بظاهر تلمسان وزار ضريح الشيخ أبي مدين شعيب واجتمع بالشيخ أبي عبد الله محمد بن العبّاس[7]، وقال عنه: "**عالمها وخطيب جامع جامع العبّاد تغمّده الله، فوجدته بحرًا في الفنون العلميّة آية في ذلك، فأنس بي ثمّ سمعت من خطبته الّتي شنّف بها الأسماع وموعظته الّتي بها الانتفاع وتردّدت إليه بعد ذلك وحضرت كثيرًا من دروسه الحافلة في كثير من الفنون العلميّة واستنفذت الجمّ من فوائده في مدّة ستّة**

---

[1] – عبد الباسط بن خليل، **رحلة عبد الباسط**، نشر و ترجمة إلى الفرنسيّة روبرت برونشفيك في كتاب: Deux récits de voyage inédits en Afrique du Nord au XV siècle ABDALABA Sit B.HALILET ADORNE, LAROSE éditeurs, Paris, 1936, p.17.

[2] – المصدر نفسه، ص

[3] – عبد الباسط بن خليل، المصدر نفسه، ص 41. وهو أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم المشدالي البجائي عالم بجاية ومفتيها وخطيبها .مخلوف، المصدر السابق، ص263.

[4] – عبد الباسط، المصدر السابق، ص 41.

[5] – عبد الباسط بن خليل ، المصدر السابق، ص41.

[6] – هو أبو عبد الله محمد المتوكل الزياني، تولى الحكم سنة 866 هـ حتى 873 هـ /1469م. التنسي، تابع بني زيان، ص 255.

[7] – هو محمد بن العباس بن محمد بن عيسى العبادي، أخذ عن ابن مرزوق الحفيد وأبي الفضل العقباني وأخذ عنه الحافظ التنسي وابن مرزوق الكفيف و السنوسي وابن زكري. توفي سنة 871 هـ/1469م. ابن مريم، المصدر السابق، ص 223 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 264 – القلصادي، المصدر السابق، ص 109.

شهور وكان أجلّ علماء تلمسان في عصره ذلك وله من السّن نحو الثمانين سنة أو جاوزها مع تمتّعه بحواسه وسلامة بدنه"[1].

كما التقى عبد الباسط من علماء تلمسان بقاضي الجماعة بها الشيخ أبي عبد الله محمد العقباني وأخيه أبي سالم إبراهيم[2] خطيب جامع تلمسان الكبير وإمامه الشيخ محمد بن مرزوق الكفيف[3] والشيخ ابن زكري مفتي تلمسان، والشريف يحي بن أبي الفرج[4] قريب الشريف التلمساني قاضي غرناطة[5].

كما التقى بالطبيب محمد بن علي بن فشوّش أحد أطبّاء تلمسان وسمع من فوائده وحضر دروسه و أجازه[6]، و لازم في الطّب الطبيب موشي بن سمويل بن يهود الإسرائيلي المالقي الأندلسي اليهودي المعروف بابن الأشقر وقال عنه: " **لم أسمع بذمّي و لا رأيت كمثله في مهارته في هذا العلم وفي علم الوفق والميقات وبعض العلوم القديمة مع التعبّد الزّائد في دينه على ما يزعمه ويعتقده وهو في الأصل من يهود الأندلس وولد بمالقة قبل 820هـ و أخذ عن أبيه وغيره وشهر في صناعة الطب و انتقل إلى تلمسان فقطنها و قصده الكثير من الفضلاء للأخذ عنه، لازمته مدّة و أخذت عنه نبذة كبيرة نافعة في الطّب وغيره و أجازني"**[7].

---

[1] – عبد الباسط بن خليل، رحلة، ص 43-44.

[2]– إبراهيم بن قاسم بن سعيد بن محمد العقباني التلمساني قاضي الجماعة ولد سنة 808 هـ/ و توفي سنة 880 هـ – ابن مريم، المصدر السابق، ص 57-58 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 265.

[3] – أبو عبد الله بن محمّد بن أحمد بن الخطيب بن مرزوق الكفيف (ت 901 هـ/1495م)، تفقه بعلماء تلمسان و مصر كأبي الفضل العقباني وأبي زيد الثعالبي وابن حجر، و أخذ عنه الكثير من علماء تلمسان – المقري، نفح الطيب، ج6، ص 347 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 249 – مخلوف، المصدر السابق، ص 268.

[4] – قاضي الجماعة أبو جعفر أحمد بن أبي يحي الشريف التلمساني (ت 895 هـ) – ابن مريم البستان، ص 45 – مخلوف، المصدر السابق، ص 267.

[5] – عبد الباسط بن خليل، رحلة، ص 44.

[6] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها – لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 246 – الطّمار، **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1983، ص 230.

[7] – عبد الباسط بن خليل، رحلة، ص 44 – و ص 107 من النّص الفرنسي.

وفي 24 ربيع ثاني سنة 869هـ/24 ديسمبر 1464م اتجه عبد الباسط نحو مدينة وهران ووصلها بعد ثلاثة أيام وأقام بالقرب من زاوية الشيخ إبراهيم التازي والتقى بكبار علماء المدينة أمثال الشيخ أبو العبّاس أحمد بن العبّاس المالكي مفتي وهران و الشيخ سليمان الحميدي[1].

حضر عبد الباسط وليمة في منزل خطيب المدينة بمناسبة ختم ولده للقرآن وحضرها جماعة من الأعيان المدينة وأهل البلد وحصّل الشيخ عبد الرّحمان بن عزوز إمام الزاوية التازية وفقيه المكتب الّذي أنشأه الشيخ المذكور وهو فقيه الصبيّ الّذي أتم حفظ القرآن كميّة كبيرة من المال قدّرها عبد الباسط بـ 100 دينار ذهبا[2].

ثمّ توجه من وهران إلى تلمسان في شهر رمضان 869هـ/1464م ونزل في بيت صاحب الأشغال عبد الرّحمان بن النجّار وكان له نفوذ كبير في الدّولة الزيانيّة، وسأله ابن النجّار أن ينظم قصيدة يمدح فيها السلطان الزّياني يوم عيد الفطر فأجابه عبد الباسط بظم قصيدة مكوّنة من أربعين بيتًا، ولما وصلت إلى السلطان دعاه إليه و رفع من شأنه وشكره على ذلك وكتب له ظهيرًا بمسامحته في كلّ ما كان يتصرّف فيه من البضائع، وأمر بإقامة نزل له بوهران إلى حين سفره من المغرب الأوسط ورتّب له طعامًا، وسأله عن مواضع من القصيدة أشكلت عليه فأجابه عنها وباحثه في ذلك، فقال عبد الباسط عنه: " **فوجدته ممّن ينسب للعلم والفضيلة التامّة ومعرفة الأدب ونقد الشّعر**"[3].

وأمر السلطان الزياني بأن تكتب القصيدة بخطّ جيّد وأن يقرأها إنسان من أهل تلمسان ممّن له حسن الصوت حتّى ينشدها بين يديه في يوم العيد، وممّا جاء فيها:

أعني المليك الّذي شاع مكارمه * من آل زيّان أقيال أماجيد

هم الملوك و أبناء الملوك ومن * يقل سوى ذا فذاك القول مردود[4]

ثمّ قصد عبد الباسط الأندلس رفقة تجار من تلمسان ووهران في مركب للجنويين، ودخل مدينة مالقة يوم الجمعة 23 ربيع الآخر سنة 870هـ/1465م واجتمع بالعالم أبي العباس أحمد الشريف التلمساني قاضي الجماعة بغرناطة وقال عنه:" ...**بل عالم المغرب في وقته، فأنس بنا وسمعنا**

[1] – المصدر نفسه، ص 45 – Brunshvie, op.cit, p.110.

[2] – المصدر نفسه، ص 47.

[3] – عبد الباسط خليل، المصدر السابق، ص 48.

[4] – عبد الباسط، المصدر السابق، ص 49.

الكثير من فوائده"[1] ، كما اجتمع بالعالم أبي عبد الله محمد بن الترعة قاضي مالقة وخطيبها والذي سأله عن ترجمة الشيخ خليل المالكي، وذكر له أنه بصدد شرح مختصره وأفاده عبد الباسط بالترجمة وسمع منه الكثير من الدروس خاصة في العربية، ثم دخل غرناطة وجال بها وقدم لها وصفا دقيقا في رحلته، وفي يوم الإثنين فاتح رجب 870هـ/1465م ركب البحر عائدا إلى وهران، وفي 11 ربيع الأول 871هـ/1466م ركب البحر ثانية إلى تونس فطرابلس الغرب التي أقام بها شهورا ثم سافر مع ركب من الحجاج المصامدة ، ووصل القاهرة في يوم الثلاثاء 07 ذي القعدة 871هـ/ 1466م[2]، واستقر بالخانقاه الشيخونية، وكان يتردد على أشهر العلماء في عصره أمثال شمس الدين السخاوي، وجلال الدين السيوطي، واشتغل بالتأليف في الفقه الحنفي والسير والتاريخ والطب والتدريس[3]، وأصيب في نهاية حياته بداء السل ولازمه المرض لمدة 18 شهرا وتوفي في يوم الثلاثاء 05 ربيع الآخر 920هـ/1514م[4].

وكان عبد الباسط من المؤرخين الموسوعيين، ومن مؤلفاته في التاريخ:

- تاريخ الأنبياء الأكابر وبيان أولي العزم منهم.
- الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم.
- غاية السؤل في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم.
- نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين.
- نيل الأمل في ذيل الدول.[5]

لقد ساهمت هذه الرحلات بجد في تمكين علماء المشرق والمغرب من التواصل فيما بينهم وتبادل المعارف والعلوم والمستجدات والآراء، وعادة ما كان المغاربية المهاجرون إلى المشرق يفضلون الاستقرار وتولي الوظائف العلمية أو الإدارية مثل التدريس أو الفتيا أو القضاء، وكان أغلبهم ممن كان لهم رغبة في الابتعاد عن جو الصراعات في بلاد المغرب خاصة وأن بلاد المماليك كانت أكثر استقرارا من الناحية السياسية، كما أن المسلمين كانوا يعتبرون كل بلاد الإسلام هي أوطانهم ولم تكن هناك ما يسمى بالجهوية أو القطرية، وكان المغربي يرحب به في بلاد المشرق وكذلك المشرقي كان له كل

---

[1] - عبد الباسط ،المصدر السابق، ص 50

[2] – كراتشكوفكي، المرجع السابق، ص 446.

[3] – عبد الباسط، المصدر السابق، ص 48.

[4] – السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص 27– محمد كمال الدين، المرجع السابق، ص27.

[5] – ابن إياس، بدائع الزهور، ج4، ص 374– محمد كمال الدين، المرجع السابق، ص ص 31-32

الترحاب في بلاد المغرب خاصة من الشيوخ الصوفية ممن كان الناس يعتقدون في بركاتهم، فضلا عن العلماء والطلبة والحجيج الذين لم ينتقص من قدرهم طيلة فترات التاريخ المغاربي.

الفصل الرابع

مظاهر التواصل الثقافي

بين دول المغرب الإسلامي ودولة المماليك

1- المظاهر الدينية والروحية

1-1- انتشار المذهب السني

1-2- انتشار التصّوف والطّرق الصوفيّة

2- المظاهر العلمية

2-1- تطور مناهج التعليم وطرق التدريس

2-2- الإجازات العلميّة

2-3- المناظرات العلميّة

3- الوِراقة والنّسخ وتبادل الكتب

توطدت العلاقات بين المغرب الإسلامي وبلاد المشرق بفعل المراسلات بين ملوك المغرب وسلاطين المماليك، وعن طريق رحلات المغاربة إلى مصر والحجاز والشام بمختلف فئاتهم من الطلبة والعلماء والحجيج، والِتقائهم في المدن المصريّة والحجازيّة والشاميّة بنظرائهم المشارقة، ما مكن من نسج علاقات متنوّعة فيما بينهم، ونتيجة لذلك حدث تبادل ثقافي واسع النطاق شمع الميادين الدينيّة والروحيّة والعلميّة بمختلف جزئياتها ومركباتها، وكان هذا التبادل من الطرفين في عمليّة أخذ وعطاء وتأثير وتأثر من الجانبين.

وقد حاول بعض المؤرخين الغربيين حصر مظاهر العلاقات الثقافيّة بين المغرب والمشرق عمومًا في الاستفادة الّتي تلقاها المغاربة من المشارقة والمتمثلة حصرًا في الديانة الإسلاميّة والتعريب[1]، وإن كان هذا صحيحًا في الفترات الأولى من تاريخ المغرب الإسلامي نظر للضرورة الّتي أملتها مهمّة الفاتحين وهي نشر الإسلام واللّغة العربيّة[2]، إلاّ أنّ الأمر اختلف في مرحلة ما بعد الفتح وقيام الدّول المغاربيّة ومساهمتها في إثراء الحضارة الإسلاميّة، وأصبح المشارقة يأخذون من المغاربة بقدر ما كان المغاربة يأخذون منهم من العلوم والتأثيرات الثقافيّة المختلفة.

1 – المظاهر الدينية والروحية:

---

[1] – جورج مارسي، **بلاد المغرب و علاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، تر: محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف،الإسكندريّة، 1991، ص 44-54.

[2] – محمد مخلوف، المصدر السابق، ج2، ص 98 – عبد الحميد حاجيات، تلمسان مركز الإشعاع الثقافي، المرجع السابق، ص 36-37 – عبد الحميد سعد زغلول، **تاريخ المغرب العربي**، ج1، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1979، ص 262-263.

إن الحديث عن مظاهر العلاقات الثقافية بين المغرب والمشرق الإسلاميين خلال القرنين السابع والتاسع الهجريين، يدفعنا بالضرورة إلى الحديث عن الجو الديني العام وما تميز به من انتشار للمذاهب السنية واضمحلال المذاهب الأخرى، وإن كان العلماء في القطرين هم المسؤولين عن انتشار مذهب من المذاهب في بلدانهم من خلال تدريس مؤلفاته ونشرها، إلا أن السلاطين لم يغفلوا مسألة الرقابة المذهبية والانتصار للمذاهب السنية، حيث تم تأسيس المدارس لهذا الغرض، وقامت حرب فكرية ضد المخالفين من المبتدعين في الدين محاولة للحفاظ على نقاء الجو المذهبي.

1 – 1– انتشار المذهب السني:

عمل ملوك المغرب الإسلامي على إرجاع مكانة المذهب المالكي إلى سابق عهده قبل مجيء الموحدين الّذين اتبعوا سياسة مذهبيّة رسم معالمها محمد المهدي بن تومرت، وتلخصت في الاعتناء بالمذهب الظاهري[1] على حساب المذهب المالكي، إضافة إلى نشر بعض الأفكار المقتبسة من المذاهب الأخرى مثل فكرة الإمامة والمهدوية والعصمة[2].

وكان الموحدون قد عملوا على تحويل المغاربة بشتى الطّرق عن المذهب المالكي الّذي كان سائدًا أيام المرابطين، وأمروا بالاجتهاد ولعودة إلى الأصول ونبذ علم الفروع[3]، واستخدموا المناظرات مع الفقهاء المالكية واللغة البربرية لزرع عقيدتهم في أعماق المجتمع، وادعاء بعض الكرامات، واستعمال المعارك الكلاميّة والمسلحة لنشر الدّعوة الموحديّة وبث أفكارها[4].

ولما انهارت سلطة الموحدين وقامت الدول المستقلة بالمغرب الإسلامي عمل حكامها على تدعيم أركان المذهب المالكي عن طريق إقامة المؤسّسات التعليميّة واستقدام كبار فقهاء المالكيّة للتدريس بها، فاستقدم العاهل الزياني يغمراسن بن زيان الفقيه المالكي **أبا إسحاق إبراهيم بن يخلف**

---

[1]– نسب المذهب الظاهري إلى ابن حزم الأندلسي الذي كان يلتزم بنص القرآن والسّنّة والاجتماع ونبذ القياس والرّأي في الدّين، وساد هذا المذهب في بلاد المغرب أيام يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وأحرقت كتب الفروع بعدما جرّد ما فيها من قرآن وأحاديث. انظر: المكي قلاينة، "التعديل عند ابن حزم"، **مجلة الحضارة الإسلاميّة**، ع1، أبريل 1993، ص 188-203 – ابن خلدون، المقدمة، ص 799-800.

[2] – ابن تومرت، المصدر السابق، ص 229-234.

[3] – حاجيات، ملاحظات، المرجع السابق، ص 107.

[4] – المراكشي، المصدر السابق، ص 202-204 – حسن علي حسن، **الحضارة الإسلاميّة في المغرب والأندلس (عصر المرابطين والموحدين)**، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980، ص 400 – لي تورنو، المرجع السابق، ص 42-43.

التنسي ليدرس بالجامع الكبير بتلمسان[1]، واستقدم السلطان أبو تاشفين عبد الرّحمن الأوّل الفقيه **أبا عمران موسى المشذالي** للتدريس في مدرسته التاشفينية[2].

ونتيجة لذلك عادت إلى حلقات الدّرس بالمساجد والمدارس كتب المالكيّة الّتي اشتهرت ببلاد المغرب وهي الموطأ للإمام مالك، والمدوّنة للإمام سحنون (ت 240هـ/850م) [3] والرّسالة لابن أبي زيد القيرواني (ت:386هـ/966م)[4] وكتاب التهذيب للبرادعي (ت:392هـ/983م)[5] وغيرها[6]، ثمّ دخلت المؤلفات المصريّة المشهورة في المذهب المالكي، خاصة مختصر ابن الحاجب أو المختصر الفرعي، وكذلك مختصر خليل الّذي كان يعد من أجل كتب الفروع، وعرف تداولاً كبيرًا واعتنى بدراسته الطلبة والعلماء[7]، وعاد الفقه المالكي إلى سابق عهده وازدهاره، وواصل الطلبة الاشتغال به وبعلم الفروع، وكان أغلب العلماء المغاربة على مذهب مالك، وكانوا يفتخرون به ويجتهدون ويفتون في إطاره[8].

أمّا بالمشرق، فبالرغم من أنّ المماليك قد حكموا بعد قرن من سقوط دولة الفاطميين، ورغم الجهود الّتي بذلها الأيوبيون في محاربة المذهب الشيعي، إلاّ أنّ المعتقدات الشيعية كانت لا تزال منتشرة في بعض مدن الصعيد مثل أسوان وإدفو و إسنا[9]، فعمل السلاطين المماليك على إتباع سياسة مذهبيّة واضحة وموثقة بمراسيم عليا، ففي سنة 665هـ/1264م قام السلطان الظاهر بيبرس البندقداري بتحريم أي مذهب ما عدا المذاهب السنيّة الأربعة، ولم تعد تقبل شهادة ولا يرشح أحد

---

[1] – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 126-127.

[2] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 130-131 – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 141.

[3] – هو عبد السلام بن سعيد التنوخي قاضي القيروان. انظر: أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، **رياض النفوس**، ج1، تح: بشير بكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984، ص 376-385 – سزكين، المرجع السابق، ج2، ص 138.

[4] – كان يلقب بمالك الصغير. ابن العماد، شذرات الذهب، ج3، ص 131 – سزكين، المرجع السابق، ج2، ص 154.

[5] – أبو القاسم خلف بن أبي القاسم الأزدي، كان من كبار أصحاب أبي زيد القيرواني. الزركلي، الأعلام، ج2، ص 359-360.

[6] – حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص 39.

[7] – الونشريسي، المعيار، ج2، ص 169 – ابن زكري، المصدر السابق، ج1، ص 213-214- حركات، المرجع السابق، ج2، ص204.

[8] – ابن مريم، المصدر السابق، ص 96 – محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص 100-101.

[9] – فوزي أمين، المرجع السابق، ص 210.

للقضاء أو الخطابة أو الإمارة أو التّدريس إلاّ إذا كان الشّخص من أتباع إحدى المذاهب السنيّة المعتمدة وهي: المذهب المالكي والمذهب الشافعي والمذهب الحنفي والمذهب الحنبلي[1].

وكان لهذه المذاهب أتباع وفقهاء يقومون على تدريسها في المؤسّسات التعليميّة الّتي خصّصت لكلّ مذهب أو الّتي كانت تجمعها معًا، وتخرّج فيها عدّة علماء[2]، كما انتشرت عدّة كتب بين الطلبة الطلبة المشارقة كانوا يتدارسون من خلالها الفقه على هذه المذاهب ومنها: المسند للإمام الشافعي، والرّوضة لجمال الدين الإسنوي، والوسيط للغزالي، والمنهاج للنووي في فقه الشافعيّة، والنوادر لابن أبي زيد، والذخيرة للقرافي في فقه المالكيّة، والمغني لابن قدامة والنهاية الصغرى لابن رزين في فقه الحنابلة،والبداية ومجمع البحرين والجامع الكبير في فقه الحنفيّة وغيرها[3].

ونتيجة للسياسة المذهبيّة الّتي اتبعها الحكام المغاربة والمماليك، فقد ضيق الخناق على باقي المذاهب الّتي لم تجد لها منفذًا في مجتمع البلدين، خاصّة المذهب الشيعي الّذي أعلن المماليك حربا حقيقيّة على منتحليه، وهذا الأمر هو مواصلة لما بدأه صلاح الدين الأيوبي وخلفاؤه من جهود لمحو آثار الشيعة والتشيع من المجتمع وإحلال مذهب أهل السُنّة[4]، وكان مذهب الشيعة شبه مختف من المغرب الأوسط رغم بعض المحاولات من طرف البعض لنشر أفكار التشيع كما أورده ابن خلدون عند تعرضه لترجمة شيخه الآبلي[5].

وتسجل لنا بعض المصادر تحول الكثير من فقهاء المغرب الإسلامي إلى المذهب الشافعي أو جمعوا بين المذهبين المالكي والشافعي، ومنهم:

- **محمد بن أبي بكر الوتري البغدادي (ت: 663هـ/1264م)**، الذي يعود أصله إلى المغرب الأقصى، ودرس بالأندلس وارتحل إلى المشرق وتلقى عن علماء مدينة بغداد ثم عاد إلى المغرب وعرف بالوعظ، وتخرج على يديه بمراكش ابن رشيد السبتي وغيره، وكان من فقهاء الشافعية وعلى هذا المذهب كان يناظر ويحتج له[6].

---

[1] - المقريزي، الخطط، ج2، ص 344 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 134.

[2] - عبد اللّطيف حمزة، المرجع السابق، ص 196-197.

[3] - القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص 473-474.

[4] - المقريزي، الخطط، ج2، ص 343 – ابن خلدون، المقدمة، ص 804-805.

[5] - ابن خلدون، التعريف، ص 827.

[6] - حركات، المرجع السابق، ج2، ص 317.

- **أبو جعفر أحمد بن يوسف اللبلي** (**ت: 691هـ/1291م**)، من علماء الأندلس درس ببجاية وتونس ومصر والحجاز، واشتغل بتدريس اللغة وأصول الدين في المغرب الأدنى، واعتبر من أعلام الشافعية ببلاد المغرب وكانت عقيدته أشعرية، وألف في اللغة وعلم الكلام[1].

- **تاج الدين محمد بن إبراهيم المراكشي** (**ت: 752هـ/ 1353م**)، قال عنه السبكي في كتابه طبقات الشافعية كان فقيها نحويا كفيفا استقر بمدينة دمشق وزاول بها دراسته وتوفي بها[2].

- **أبو القاسم محمد بن أحمد السبتي** (**ت: 760هـ/1360م**) وهو من الأشراف الحسنيين، درس بمدينة سبتة وكان فقيها أديبا لغويا، وكان جامعا بين المذهبين الشافعي والمالكي، وتولى القضاء بغرناطة[3].

- **محمد بن موسى الدكالي المراكشي** (**823هـ/1425**)، أصله من المغرب وولد بمكة وبها توفي وجال أقطار المشرق وتخصص في علوم الحديث، وكانت على المذهب الشافعي[4].

لقد كان انتشار المذهب السني بالمغرب الإسلامي وأقاليم الدولة المملوكية ممثلا في المذهب المالكي عند ملوك المغرب والمذاهب السنيّة الأربعة عند المماليك من السمات البارزة في مجال العلاقات الثقافيّة في جانبها الدينيّ، ولا شكّ أنّ حكام دول المغرب الإسلامي قد أدركوا أنّ المذهب المالكي هو الأكثر قبولا في الأوساط الشعبيّة للمغاربة، فعملوا على تدعيمه رسميّا وجعله المذهب الأوحد والرّسمي للدّولة، كما كان المماليك كانوا على دراية تامّة بالتوجهات المذهبية لمجتمعاتهم لذلك فسحوا المجال للمذاهب السنيّة الأربعة وعيّنوا لكلّ مذهب قاض[5] يفصل في المسائل الّتي كانت تحدث بين المتخاصمين من أبناء المذهب الواحد، وفي ما يخصّ قضاء المالكيّة بمصر فقد تولاه بعض المغاربة نذكر منهم عبد الرّحمن بن خلدون الّذي أسند له هذا المنصب من طرف السلطان الظاهر

---

[1] - حركات، المرجع نفسه، ص317.

[2] - السيوطي، بغية الوعاة، ص7.

[3] - النباهي، المصدر السابق،ص ص171-177- حركات، المرجع السابق، ج2، ص318.

[4] - حركات، المرجع السابق، ج2، ص 3018.

[5] - القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص 35 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 121.

برقوق عدّة مرّات كان آخرها سنة 808 هـ/ 1406م حتّى وفاته[1]، كما كان أبو عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب من المرشحين لتولي قضاء قضاة المالكيّة بمصر[2].

1-2- انتشار التصّوف والطّرق الصوفيّة:

تعد ظاهرة انتشار التصوّف في المغرب الإسلامي ومصر والشام خلال من أبرز مميّزات ومظاهر العلاقات الثقافيّة الّتي جمعت بين البلدين، ودليلا على عمق الروابط الروحيّة بينهما وتأصلها.

وما ميّز التصوّف خلال هذه الفترة خروجه عن صبغته الدينيّة البحتة، وأخذه لصبغة اجتماعيّة، خاصّة بعد تأسيس الطّرق الصوفيّة وانتساب عامّة المجتمع في البلدين إلى هذه الطرق.

والتصوّف[3] قديم في المجتمع الإسلامي، وظهر حوالي القرن الثاني الهجري في شكل زهد وورع، وكان عبارة عن احتجاج على الانحراف عن المبادئ الإسلاميّة، ثمّ تطور حتّى صار نظاما للعبادة واتجاهًا نفسيّا وعقليّا خاصًّا[4].

وعرّفه ابن خلدون بأنّه: "العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما أقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة و العبادة"[5].

وقد انتشر التصوّف في العالم الإسلاميّ مشرقا ومغربا، وكان يستند في أصوله ومبادئه إلى الإسلام ومضمونه، ويقتبس من الكتاب والسنّة[6].

ودخل التصوّف إلى بلاد المغرب على شكل زهد وورع، ثمّ تطور إلى تصوّف فلسفي نتيجة عدّة مؤثرات أهمها اتصال المغاربة بالمشارقة عن طريق الحج والرحلة واطلاعهم على مؤلّفات ومذاهب واتجاهات الصوفيّة بالمشرق، والتزوّد بمصنفاتهم الّتي نقلوها، خاصّة رسالة القشيري وكتاب إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي[7].

---

[1] - ابن خلدون، التعريف والرحلة، ص 1223-1224 - الشوكاني، البدر الطالع، ج2، ص 237.

[2] - ابن خلدون، التعريف والرحلة، ص 848.

[3] - اختلف في اشتقاق هذه الكلمة، انظر: عبد الرّحمان بن خلدون، **شفاء السائل لتهذيب المسائل**، تح: الأب أغناطيوس عبده خليفة اليسوعي، المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت، 1959، ص 27 - عمر فروخ، **تاريخ الفكر العربي**، دار العلم للملايين، بيروت، 1966، ص 470.

[4] - مختار فيلالي، المرجع السابق، ص 11.

[5] - ابن خلدون، المقدّمة، ص 863.

[6] - عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 384.

[7] - ابن خلدون، المقدمة، ص 866 - إبراهيم بوتشيش، المرجع السابق، ص 147.

واشتهر تياران للتصوّف بالمغرب، يمكن تسميتهما بتيار التصوّف الفلسفي وتيار التصوّف السنّي، وتزعّم هذا الأخير القطب أبو مدين شعيب الاشبيلي دفين العبّاد (ت:595هـ/1198م)[1] الّذي أخذ التصوّف عن عبد القادر الجيلاني (ت:561هـ/1166م) [2] ببغداد والّذي كان متأثرا بفكر الغزالي في هذا الجانب.

وكان للموحدين موقف خاص من أبي مدين وتياره الصوفي، واستبعد بعض الباحثين أن يكون هذا الموقف عدائيا كما هو شائع لدى عامّة المؤرخين، فمنهم من أرجع استدعاء الخليفة الموحدي يعقوب المنصور لأبي مدين من بجاية أين كان يقيم إلى مراكش بدافع ورعه وزهده وتقديره للصالحين و رغبة منه في التبرّك بالولي الصالح ونيل رعاية الله ورضاه من خلال دعائه له بالنصر على العدو خاصّة في خضم جهاده المستمر بالأندلس، ويمكن القول بأنّ التيار الصوفي لم يضطهد في عهد الموحدين بقدر ما عظم شأنه وانتشاره[3].

وفي عهد ما بعد الموحدين شهد المغرب الإسلامي ازدهار تيار التصوّف الّذي انتشر بقوّة منذ نهاية القرن 6هـ/12م، وانتقل التصوّف من كونه ظاهرة دينيّة خاصّة ببعض المتصوّفة إلى الانتشار وسط المجتمع، واعتقد الكثير من الأمراء السلاطين في رجال الصوفيّة وقاموا بالسعي إلى احتوائهم وجعلهم تحت المراقبة والسيطرة نظرا لما كانوا يتمتعون به من شعبية كبيرة لدى الناس[4].

أمّا بمصر والشام فكان التصوّف من السمات البارزة للحياة الدينيّة والاجتماعيّة، وأدت أحداث العالم الإسلاميّ خاصّة الهجمة الصليبيّة وحركة التتار والمغول والاضطرابات السياسيّة والكوارث الطبيعيّة والاجتماعيّة إلى نزوع عام تجاه تيار التصوّف[5].

كما أصبحت مصر مقصدًا لرجال التصوّف من بقية الأقطار الإسلاميّة الأخرى، خاصّة من العراق والمغرب، ونتيجة لذلك ازدهرت الحركة الصوفيّة، وأسّست عدّة طرق صوفية، وساهم في ذلك

---

[1] - ابن مريم، المصدر السابق، ص 108 – الغبريني، المصدر السابق، ص 55-65 – الشعراني، المصدر السابق، ج1، ص 131.

[2] - الشعراني، المصدر السابق، ج1، ص 108 – أبو الحسن الندوي، المرجع السابق، ج1، ص 319-350.

[3] - عبد الحميد حاجيات، ملاحظات، المرجع السابق، ص 109.

[4] - حركات، المرجع السابق، ج2، ص139-142.

[5] - سعيد عبد الفتاح عاشو، المجتمع المصري، المرجع السابق، ص 162-163. – سحر سالم، العراقيون في مصر، المرجع السابق، ص 50.

اهتمام سلاطين المماليك بتيار التصوّف ورجاله فأنشؤوا لهم المؤسّسات الصوفيّة كالخانقاوات والزوايا والرّبط.

واشتهرت بدولة المماليك عدّة طرق صوفيّة كانت في معظمها وافدة وليست من تأسيس المصريين وأهمها:

– الطريقة القادرية:

أسّسها الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت:561هـ/1165م) [1]، واعتمد في تصوفه على الكتاب والسنّة، وانتشرت طريقته في مصر والشام[2]، وأصبحت هذه الطريقة أصل الكثير من الطرق الصوفيّة بالمشرق والمغرب.

– الطريقة الرفاعيّة:

نسبة لمؤسّسها الشيخ أحمد بن أبي الحسن بن أبي العبّاس المعروف بابن الرفاعي (ت:587هـ/1191م) [3]، وقد أسّسها بالعراق ثمّ انتقلت هذه الطريقة إلى مصر عبر تلميذه أبي الفتح الواسطي (ت:580هـ/1184م) [4] أواخر القرن 6هـ/12م، وأنشأ رباطا له ولمريديه بالإسكندريّة عرف برباط الواسطي[5]، واستمر نشاط هذه الطريقة بمصر خلال عصر المماليك وانتسب إليها الكثير من أفراد المجتمع المصري[6].

– الطريقة السهْرُورَدِية:

---

[1] – ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص246- الكتبي، فوات الوفيات، ج2، ص2-3 – ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص52 – ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج4، ص198 - الشعراني، المصدر السابق، ج1، ص 108 – أبو الحسن الندوي، المرجع السابق، ج1، ص 319-350 – أبو الوفاء الغنيمي التفتازاني، **مدخل إلى التصوف الإسلامي**، ط3، دار الثقافة، القاهرة، 1979، ص 236 – منى بهجت، المرجع السابق، ج1، ص 125 – مختار فيلالي، المرجع السابق، ص 35
Louis Rinn, Marabouts et Khouans, Alger, 1884, p.173.

[2] – استقر في مصر أحد أبناء عبد القادر الجيلاني وهو الشيخ عيسى صاحب كتاب لطائف الأنوار في التصوّف و نشر طريقة أبيه. Louis Rinn, op.cit, p.178- عبد الباقي مفتاح، **أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتشار طريقته**، دار الهدى، الجزائر، 2008، ص342 وما يليها.

[3] – ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 55 – ابن تغري بردي، النجوم، ج6، ص 92 – الشعراني، المصدر السابق، ج1، ص 120 – عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 189.

[4] – ابن الملقن، طبقات الأولياء،ص 489- الشعراني، المصدر السابق، ج1، ص 171.

[5] – سحر سالم، العراقيون في مصر، المرجع السابق، ص 53-54 – التفتازاني، المرجع السابق، ص 238.

[6] – محمد توفيق، **تذييل كتاب بحر الأنساب المحيط للنجفي**، مصر، 1336 هـ، ص 3 و ما يليها.

أسّسها أبو النّجيب عبد القادر السّهْرُورَدِي (490-564هـ/1096-1167م)[1] وابن أخيه شهاب الدين أبي حفص عمر السَّهْرُوردي البغدادي (ت:632هـ/1235م) [2] صاحب كتاب عوارف المعارف، وقد انتشرت هذه الطريقة بمصر بشكل كبير، وأصبح أتباعها يؤسّسون المدارس والربط الخاصّة بهم لنشر تعاليم طريقتهم[3].

– الطريقة الأحمديّة:

أسّسها السيد أحمد البدوي (ت:675هـ/1276م) [4]، الّذي ارتحل من المغرب إلى مكّة ومنها إلى مصر حوالي 634هـ/1237م، ودعا النّاس إلى طريق الله، ولما توفي خلفه في رئاسة الطريقة تلميذه عبد العال الأنصاري (ت 733هـ/1333م) [5].

– الطريقة البَرْهَامية:

أسّسها الشيخ إبراهيم الدَّسُوقي القرشي (ت:676هـ/1278م)[6]، وهو مصري الأصل والمولد، وانتشرت طريقته في مصر وبقية بلدان المشرق[7].

غير أنّ أشهر طريقة عمّت المشرق والمغرب وكان أصل مؤسّسها مغربي هي:

– الطريقة الشاذلية:

وهي منسوبة لمؤسّسها الشيخ أبي الحسن الشاذلي (ت 656 هـ/1258م) [8]، وهو صوفي بارز الاتجاه، وأصله من غمارة قرب سبتة بالمغرب الأقصى وانتقل إلى شاذلة بإفريقيّة، ووفد إلى مصر مع

---

[1] – الشعراني، المصدر السابق، ج1، ص 119.

[2] – ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 480 – ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص162– ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص178 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص 283- 285- ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص153.

[3] – سحر سالم، العراقيون في مصر، المرجع السابق، ص 52 – التفتازاني، المرجع السابق، ص 239 – من بهجت، المرجع السابق، ج1، ص 125.

[4] – الشعراني، المصدر السابق، ج1، ص 155-159 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 252 – ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 422.

[5] – التفتازاني، المرجع السابق، ص 242 – منى بهجت، المرجع السابق، ج1، ص 126.

[6] – الشعراني، المصدر السابق، ج1، ص 140-155.

[7] – التفتازاني، المرجع السابق، ص 243.

[8] – ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص458- الصفدي، نكت الهميان، ص213- الشعراني، المصدر السابق، ج2، ص 4-11 – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج2، ص 43 – السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 52 – الذهبي، المصدر السابق،

جملة من تلاميذه، واستوطنوا مدينة الإسكندريّة حوالي سنة 642هـ/1243م وكونوا بها مدرسة صوفيّة[1].

وكان من أشهر تلامذة أبي الحسن الشاذلي الشيخ أحمد أبي العبّاس المرسي الّذي خلفه وتولى قيادة الطريقة الشاذليّة حتّى وفاته بالإسكندريّة سنة 686 هـ/1284م[2]، ثمّ خلفه تاج الدين بن عطاء الله السكندري المصري الّذي ألّف في مناقب شيوخه كتاب لطائف المنن[3].

وكانت الطريقة الشاذلية قريبة في تعاليمها[4] و منهجها في التصوّف من مذهب الإمام أبي حامد الغزالي وهو التصوّف السني الّذي يتقيد بنصوص القرآن والسُنّة[5]، كما كانت امتدادًا لتصوف أبي مدين شعيب الغوث، خاصّة وأنّ أبا الحسن الشاذلي يعد تلميذا وخليفة للشيخ عبد السلام بن مشيش[6] الّذي تتلمذ بدوره على أبي مدين شعيب[7].

وكان للطريقة الشاذليّة أثر كبير في العالم الإسلامي، فانتشرت في جميع أقطاره، ووصلت إلى الأندلس، ومن أبرز التلاميذ والشيوخ الذين قاموا بنشرها:

- **محمد بن أحمد بن جعفر السلمي القونجي** (ت: **750هـ/1351م**) من بلدة قرب غرناطة، درس بالأندلس ثم ارتحل إلى المشرق وأخذ عن ابن عطاء الله السكندري مبادئ الطريقة الشاذلية، وألف كتاب **"الأنوار في المخاطبات والأسرار"**[8].

ج17، ص 12 – ابن العماد شذرات الذهب، ج5، ص 278 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 186 – ابن قنفذ، الوفيات، ص 50.

[1] – التفتازاني، المرجع السابق، ص 240 – حركات، المرجع السابق، ج2، ص ص 137-142.

[2] – الشعراني، المصدر السابق، ج2، ص 11 – المقري، نفح الطيب، ج2، ص 330.

[3] – الشعراني، المصدر السابق، ج2، ص 18 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص 19-20 – محمّد مخلوف، المصدر السابق، ص 204- أحمد بن عجيبة، **ألقاط الهمم في شرح الحكم**، ج1، المطبعة الجمالية، مصر، 1913، ص9- المقري، نفح الطيب، ج2، ص330- ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 421.

[4]– تتلخص تعاليمها في خمسة أصول هي: تقوى الله في السرّ والعلانية - إتباع السنّة في القول والفعل – الإعراض عن الخلق في السرّ والعلانية والإقبال والإدبار – الرضا عن الله في القليل والكثير – الرجوع إلى الله في السراء والضراء. التفتازاني، المرجع السابق، ص 241.

[5] – التفتازاني، المرجع السابق، ص 240 – حركات، المرجع السابق، ج3، ص 151.

[6]– هو أحد أقطاب التصوف بالمغرب والأندلس. وكانت مدرسته في التصوف أصل المدرسة الشاذلية. عبد الغني قاسم عبد الحكيم، **المذاهب الصوفيّة و مدارسها**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999، ص 178-179.

[7] – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 186- .Louis Rinn, op.cit, p211

[8] – الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص 378.

- **محمد بن يحيى بن إبراهيم بن عباد الرندي (ت792ه/1392م)** أصله من نفزة المغربية، ولد برندة بالأندلس سنة 733هـ/1334 وبها تلقى تعليمه، وواصل التحصيل بتلمسان وفاس على يد الشيخ محمد بن إبراهيم الآبلي والشيخ أبي عبد الله الشرف التلمساني والشيخ أبو عبد الله المقري وعيسى المصمودي وعبد الرحمن المجاصي المكناسي، وانتقل إلى مدينة سلا قرب الرباط ولازم الصوفي أحمد بن عاشر وتلقى عنه التصوف وتعلق بتعاليم الطريقة الشاذلية. ومن تآليفه شرح حكم ابن عطاء الله السكندري، كما تولى إمامة جامع القرويين، وكان يحث المريدين على مطالعة كتب التصوّف السني من خلال رسائله، وتوفي بفاس وترك بها ذريته[1].

- **أبو القاسم بن أحمد البرزلي البلوي ثم التونسي (ت: 843هـ/1445م)** أخذ أحزاب الشاذلي بتونس عن أبي الحسن البطراني الأندلسي[2].

- **محمد بن أحمد ابن زغدان التونسي (ت 882هـ/1485م)**، ارتحل إلى مصر ودرس بالجامع الأزهر، وأخذ الطريقة الشاذلية وألف عدة كتب في التصوف منها شرح الحكم العطائية[3].

وأصبحت الطريقة الشاذليّة أصل كثير من الطرق الصوفية في المغرب الإسلامي، منها العروسية بتونس التي أسسها الشيخ أحمد بن عبد الله بن عروس الهواري التونسي(ت: 868هـ)[4]، والطريقة الجزولية التي تنسب إلى الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن سليمان الجزولي (806-870هـ) بالمغرب الأقصى[5]، والطريقة الزروقية التي أسسها الشيخ أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى زروق البرنسي (846-899هـ) بالمغرب [6].

إن وجود المدرسة الشاذلية الأم بمصر ومدفن الشاذلي بصحراء عيذاب،جعل هذه البقاع مقصودة بشكل كبير من طرف المغاربة للزيارت[7]، ونسجت علاقات روحيّة وثقافيّة وطيدة بين مريدي مريدي الطريقة في بلاد المغرب والمشرق.

---

[1] – ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص 315 – المقري، نفح الطيب، ج7، صص 261 – 272 – مخلوف، المصدر السابق، ص238 – ابن عباد الرندي، الرسائل الصغرى، ص 210 – حركات، المرجع السابق، ج2، ص162.

[2] – مخلوف، المصدر السابق، ص 245.

[3] – مخلوف، المصدر نفسه، ص 257.

[4] – الزركشي، تاريخ الدولتين، ص 155 – حركات، المرجع السابق، ج3، ص165-171.

[5] – مخلوف، المصدر السابق، ص 255.

[6] – ابن مريم، البستان، ص45 – حركات، المرجع السابق، ج3، ص ص 183-194.

[7] – ابن بطوطة، المصدر السابق، ج1، ص 43 – الصفدي، نكت الهميان، ص 213.

هذا و قد ارتبط كبار المتصوّفة بالمغرب الإسلامي مع نظرائهم المشارقة بعلاقات وثيقة، وكعيّنة عن ذلك شخصيّة الصوفي الشيخ أبي العبّاس أحمد بن محمد بن مرزوق التلمساني (ت:741هـ/1341م)[1] كان له أصدقاء وإخوان كثيرون بمصر، لاسيما من الفقهاء والقضاة وخاصّة رجال التصوف، وكان الاحترام متبادلاً بينهم وبينه، وكان شديد الاعتقاد بالشيخ محمد المرشدي صاحب زاوية فوة بصعيد مصر[2]، وكان يزوره كلّ سنة في شهر رجب، وكان المرشدي يقدر أبا العبّاس بن مرزوق، ويصفه بأنّه من أحبابه وإخوانه وأنّه خير خلف لخير سلف[3].

وكان أبو العبّاس بن مرزوق يلبس الخرقة بالقاهرة مع أمثاله من المتصوفة، وكان أمراء المماليك يطلبونه للإقامة في خانقاه سعيد السعداء[4].

وتوثّقت الصلات الروحيّة بين المتصوّفة من المغرب الأوسط ومصر عن طريق مثل هذه اللّقاءات، وشكّلت بذلك جسر تواصل ثقافي ميزه انتشار التصوّف السنيّ بالخصوص.

ولما كان للمتصوفة في البلدين أثر كبير في المجتمع، وكان لهم الكثير من الأتباع والمريدين، فقد كان بيدهم توجيه هؤلاء وتعليمهم وتربيتهم روحيا وعلميا عن طريق دروس التصوف في الخانقاوات والزوايا والرّبط الّتي انتشرت بالمغرب الإسلامي وبلاد المشرق، وكان يلتقي فيها شيوخ التصوّف والمريدون. وكان بعض المتصوّفة من المغرب الإسلامي قد تولى التدريس بالمؤسّسات الصوفيّة المصريّة بل ورئاستها مثل ابن أبي حجلة التلمساني (ت 776هـ/1375م) الّذي تولى مشيخة صهريج منجك بظاهر القاهرة، وكان به مجموعة من الصوفية[5].

كما انتشرت بين المتصوفة بالبلدين كتب معيّنة في التصوّف تداول دراستها وتدارسها الطلبة المغاربة والمشارقة على حد سواء مثل: مقالات الهروي ورسالة القشيري وإحياء علوم الدين للغزالي وكتاب الشفاء للقاضي عياض[6].

---

[1] – ابن مريم، المصدر السابق، ص 27.

[2] – ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص ص 257-266 - ابن بطوطة، المصدر السابق، ج1، ص 47 – ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 568.

[3] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 394.

[4] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[5] – ابن العراقي، المصدر السابق، ج2، ص383 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص131 - عبد الرّحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 173.

[6] – ابن خلدون، المقدمة، ص 866 – الغبريني، المصدر السابق، ص 320-321 – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 401.

2- المظاهر العلمية:

2 -1- تطور مناهج التعليم و طرق التدريس:

نتج عن حركة العلماء بين المغرب الإسلامي وبلاد المماليك إطلاع هؤلاء على المناهج الّتي كانت معتمدة في التعليم والتدريس بأطواره المختلفة، فعملوا على الاقتباس منها وتوظيفها في حلقاتهم الدراسيّة في مدنهم الأصليّة.

وكانت مدينة القاهرة تشهد حركة تعليميّة نشيطة، ممّا دفع العلماء المغاربة إلى الارتحال إليها للاستفادة من المناهج المتبعة لدى علمائها في التدريس، فارتحل من إفريقيّة القاضي أبو القاسم بن زيتون[1] في أواسط القرن 7هـ/13م، فأخذ عن جماعة من العلماء ورجع إلى تونس بمنهج المشارقة في التعليم[2].

وارتحل من المغرب الأقصى أبو عبد الله بن شعيب الدكالي وأخذ عن مشيخة مصر ورجع إلى تونس واستقرّ بها، وكان تعليمه مفيدًا، فأخذ عنهما أهل تونس[3] ولقنا منهج تعليمهما لتلامذتهما جيلا بعد جيل، وانتقل منهجهما إلى تلمسان عن طريق ابني الإمام وتلامذتهما[4].

كما ارتحل من زواوة أواخر القرن 7هـ/13م أبو علي ناصر الدين المشدالي[5] وأدرك جملة من جلة المشايخ، وأخذ عنهم واستفاد من منهجهم في التعليم، ورجع إلى المغرب بعلم غزير وتعليم مفيد ونزل بجاية ونشر بها طريقته في التعليم[6].

ومن إفريقيّة وبجاية انتشرت مناهج التعليم الّتي اقتبست من المشرق، ووصلت إلى بقية المدن بالمغرب الإسلامي عن طريق حركة الطلبة والعلماء بين هذه الأقطار.

---

[1]- هو قاضي الجماعة تقي الدين أبي القاسم بن أبي بكر بن مسافر اليمني التونسي المعروف بابن زيتون (621-691 هـ)، كانت له عدّة رحلات إلى المشرق في سنة 648 هـ أخذ فيها عن العز بن عبد السلام و الفخر بن الخطيب، والثانية سنة 656 هـ. الغبريني، المصدر السابق، ص 114 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 193.

[2] – ابن خلدون، المقدمة، ص 772 – مخلوف، المصدر السابق، ص 193.

[3] – ابن خلدون، المقدمة، ص 772.

[4] – المصدر نفسه، الصفحة عينها.

[5]- هو أبو علي ناصر الدين منصور بن أحمد بن عبد الحق الزواوي المشدالي (631-731 هـ)، دامت رحلته إلى المشرق حوالي 20 عامًا، وهو أوّل من أدخل مختصر ابن الحاجب الفرعي إلى بلاد المغرب. ابن قنفذ، الوفيات، ص 54 – الغبريني، المصدر السابق، ص 200 – محمّد مخلوف، المصدر السابق، ص 218 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 132.

[6] – ابن خلدون، المقدمة، ص 775.

أمّا في مصر فلم ينقطع سند التعليم به، وفي ذلك يقول ابن خلدون:"بل أسواقه نافقة وبحوره زاخرة لاتصال العمران الموفور واتصال السند فيه"[1].

وأبرز المناهج الّتي أدخلت من مصر إلى المغرب الإسلامي في مجال التدريس هي طريقة السؤال والجواب أو المحاورة الّتي انتقلت إلى إفريقيّة ثمّ إلى بقية المدن في المغربين الأوسط والأقصى عن طريق ابني الإمام وعمران المشذالي، ولقيت هذه الطريقة القبول لدى العلماء والطلبة، وأصبح الطالب يقوم بدور محوري في الوصول إلى المعلومات أثناء الدرس، وكان الأساتذة يقومون بالتوجيه و إدارة المناقشات بين الطلبة[2]، ونتيجة لذلك ازدهر التعليم بالمدارس والمساجد.

كما انتقلت من مصر ظاهرة الكراسي العلميّة، ونقل هذا التقليد عن طريق الرحلة، وكان العلماء يلقون دروسهم وهم جلوس وسط طلبتهم على كرسي، وكانت ولاية الكراسي العلميّة في بلاد المغرب كولاية القضاء والفتيا والوزارة، وكان السلاطين يشرفون شخصيّا على إسناد هذه المناصب لمن تتوفر فيهم المؤهلات العلميّة[3].

وكان كلّ كرسيّ مخصّص لإحدى المواد الدراسيّة الّتي كانت تدرس بالمساجد والمدارس، وكانت هناك كراسي أخرى مخصّصة للعامّة من أجل الوعظ، فضلا عن الكراسي المخصّصة للتدريس[4]، واعتبر بعض الفقهاء التدريس على الكرسي بدعة[5] وتصدى آخرون لإباحتها حتّى يتمكّن يتمكّن الأساتذة من إيصال المعلومات لجميع الطلبة[6].

وفي جامع القرويين بلغ عدد الكراسي العلمية أربعون كرسيا في عهد بني مرين، وكانت لها أسماء متمايزة، وكان العلماء يتعاقبون عليها للتدريس[7].

وفي مجال تعليم المرأة، لم يشتهر هذا النمط من التعليم بالمغرب الإسلامي، وانحصر في طبقة الحكام والفقهاء والعلماء الّذين حرصوا على تعليم بناتهم في حدود المنزل وليس في المؤسّسات

---

[1] - ابن خلدون، المقدمة، ص 775.

[2] - عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 353.

[3]- إدريس عزوزي،"الكراسي العلميّة بجامعة القرويين أيام ازدهارها وإشعاعها الفكري"،**مجلة الحضارة الإسلاميّة**، ع1، أبريل 1993، ص103.

[4] - الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 177-178.

[5] - الونشريسي، المعيار، ج2، ص 486.

[6] - عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 349.

[7] - إدريس عزوزي، المرجع السابق، ص ص 105-112.

التعليميّة كالمدارس[1]، ويبدوا أنّ اهتمام هذه الفئة بتعليم البنات كان بدافع ما شاهده بعض العلماء الّذين ارتحلوا إلى المشرق من وجود كثير من النّساء العالمات والفقيهات في شتّى العلوم، خاصّة الدينيّة منها، ونجد في تراجم الكثير من علماء المغرب الإسلامي ممن شيوخهم من النّساء أخذوا عنهم العلم بمصر والحجاز.

2-2 - الإجازات العلميّة:

تعرف الإجازة على أنها الشهادة التي يقوم الأستاذ بتسليمها إلى الطالب[2]، وكانت تبادل الإجازات العلميّة بين علماء وطلبة المغرب الإسلامي ونظرائهم من دولة المماليك من أبرز مظاهر العلاقات الثقافيّة في الجانب العلمي، وكان الطلاب يترددون باستمرار بين المراكز الثقافيّة في المغرب والمشرق للتعمق في العلوم، حتّى إذا عادوا إلى بلدانهم وتهيئوا للتدريس كانوا على بينة وإلمام بالمواضيع الّتي يمكن أن يطرحها عليهم الدارسون[3].

وكان طلبة المغرب الإسلامي لا يكتفون بالإجازات الّتي كانت تمنح لهم من طرف شيوخهم بالمغرب، بل كانوا يرتحلون إلى الأقطار الإسلاميّة الأخرى، خاصّة مصر لأخذ العلم من منابعه، وعن الشيوخ المبرزين ونيل الإجازات عنهم، وعبّر عن ذلك أحد الباحثين بقوله:" وذلك ما يمكن تسميته بالتبادل الثقافي بين بلدان المغرب والمشرق، حيث لعبت هذه الطريقة دورًا هاما في توحيد الثقافة والعلم وامتزاج طرائقها وأساليبها المتعدّدة في الهيئات العلميّة ممّا وحّد المناهج التعليميّة وطرائق البحث في العالم الإسلامي"[4].

وكانت الإجازة تعني عند العلماء الإذن في الرواية[5]، وكانت في الأصل تمنح لدارسي علم الحديث، ثمّ عمّمت على سائر العلوم، وكانت تدلّ على المستوى العلمي الّذي بلغه الطالب بعد تحصيله لعدّة علوم نقليّة وعقليّة، ممّا كان يهيئه للتدريس[6].

---

[1] - ابن قنفذ، أنسر الفقير، ص 44-46 – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 355.

[2] - حركات، المرجع السابق، ج1، ص 43.

[3] - أحمد شلبي، **تاريخ التربيّة الإسلاميّة**، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة 1973، ص 245-246.

[4] - لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 101.

[5] - الونشريسي، المعيار، ج11، ص 15-16.

[6] - عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 356 – سعد الله، المرجع السابق، ج2، ص 41.

هذا واشترط في المجيز أن يكون عالما لما يجيز به وثقة في دينه وروايته[1] وأن يكون المستجيز من أهل العلم[2]، وبعد الإجازة يصبح الطالب شيخا، ويترقى إلى مصاف العلماء والفقهاء والأدباء، وتتميّز مكانته في المشيخة العلميّة بين أقرانه[3].

وتزخر تراجم العلماء المغاربة والمشارقة بأنواع الإجازات الّتي أخذها هؤلاء عن بعضهم البعض، وكان من عادة أي عالم أن يكثر من الإجازات في رحلته العلميّة، حيث يأخذ من كلّ مدينة يمر بها إجازة من شيوخها، وذلك ما يدلّ على مدى سعي طلاب العلم في الاستزادة من الإجازات لتدعيم مصداقيتهم العلميّة، لذلك كان العلماء والطّلبة المرتحلون يستغلون فرصة مرورهم بإحدى الحواضر بالمشرق أو المغرب لنيل الإجازة، وذكر عبد الباسط بن خليل أنّه أخذ العلم عن الطبيب موسى بن صموئيل بن يهودا الإسرائيلي بتلمسان فأجازه[4]، وكان قاسم بن سعيد العقباني لما حضر بمصر إملاء ابن حجر واستجازه أجازه ابن حجر العسقلاني[5]، وإجازة ابن مرزوق الخطيب لقاضي المدينة المنورة برهان الدين بن فرحون المدني[6]

وكانت الإجازات عادة ما تكتب في آخر المؤلفات الّتي كان الطلبة يرغبون في الاستجازة فيها، ففي تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن وجد في آخر أسفل النسخة إجازتان يرجع عهدهما إلى ثلاثين سنة قبل وفاة المؤلف و هي بخط الثعالبي، وفيها ذكر المستجاز طريقته نشر تأليف الثعالبي خصوصا في التفسير، وممّا جاء فيها:" قرأت على الشيخ العالم المتفنن المحدث الزاهد الورع الحاج المبرور والحافظ المقرئ الثبت أبي زيد سيدي عبد الرّحمان بن الشيخ الصالح الزاهد سيدي محمد بن الشيخ الصالح الزاهد المتبرك به سيدي مخلوف نفعني الله بهم جميعًا، و أعاد عليّ بركاتهم، ختمت عليه من تواليفه النّفسيّة وتصانيفه الرفيعة الّتي أقام الله بها الدين... ورويته تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن...." [7].

---

[1] - الونشريسي، المعيار، ج11، ص 15-16.

[2] - ابن قنفذ، الوفيات، ص 64 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 307- أحمد شلبي، المرجع السابق، ص 267.

[3] - عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2ن ص 357.

[4] - عبد الباسط بن خليل، رحلة، ص 44.

[5] - ابن مريم، المصدر السابق، ص 148.

[6] - مخلوف، المصدر السابق، ص 222.

[7] - المهدي البوعبدلي، "اهتمام علماء الجزائر بعلم القرآءات في القديم والحديث"، **ضمن كتاب الأصالة**: ج1، دار البحث، قسنطينة 1983، ص 154-155.

وكتب الثعالبي تحت إجازة تلميذه ما يلي: "الحمد لله سمع علي الفقيه المحبّ الفاضل إسماعيل بن إبراهيم السنجاسي هذا السفر إلى سورة سبأ وأجزته أن يرويه عني ويقرئه مثبتا ومتحريا بالوقف على الخوض فيما لم يصل إليه فهمه"[1].

وكان بعض الشيوخ يكتب نسب المجاز له في الإجازة، وذكر الشيخ أبو الفضل بن الإمام التلمساني عند تعرضه لنسب الشيخ المقري قائلا: "نطقت به الألسن والمكاتبات و الإجازات"[2].

كما اشتهر بالبلدين أن يذكر على الإجازة اسم الطالب وشيخه ومذهبه وتاريخ الإجازة، خاصّة في مصر الّتي تعدّدت بها المذاهب السُنّية[3].

2-3- المناظرات العلميّة:

عرفت المناظرات العلميّة منذ أقدم العصور، وفي العالم الإسلاميّ ذاع صيت مناظرات الخليفة العباسي المأمون الّذي خصّص لها يوما في الأسبوع لمناظرة العلماء والفقهاء والمتكلمين[4].

وكانت المناظرات العلميّة وسيلة فعّالة وعقليّة ومنظمة للرّد على أهل المذاهب الّتي كانت محرمة في البلدان الإسلاميّة، كما كانت عبارة عن فرصة يتمكّن من خلالها العلماء من تبادل الآراء والنقاش حول أفكار معيّنة في أصناف مختلفة من العلوم.

وقد عمل ملوك المغرب الإسلامي وسلاطين الدولة المملوكيّة على إحياء مجالسهم بالمناظرات، وكان السلطان أبو تاشفين عبد الرّحمان الأوّل يجلس في مجلسه، ويتناظر أمامه العلماء مثل المناظرة الّتي حدثت بحضرته بين الشيخين العالمين أبي زيد عبد الرّحمان بن الإمام، وأبي موسى عمران المشدالي في مسألة التقليد والاجتهاد[5].

---

[1] - المرجع نفسه، ص 156.

[2] - المقري، نفح الطيب، ج6، ص 172.

[3] - بيبرس الدوادار، المصدر السابق، ص 18.

[4] - أحمد فريد رفاعي، **عصر المأمون**، ج1، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1927، ص406 - منى بهجت، المرجع السابق، ج1، ص 135 – وصفى أبو مغلي، "مساهمة الحضارة والفكر الإسلاميين في مختلف مجالات العلوم والفنون"، **الملتقى الثامن للفكر الإسلامي**، المجلد 2، بجاية 1974، ص 887.

[5] - الونشريسي، المعيار، ج11، ص 383 – المقري، نفح الطيب، ج6، ص 183-184.

واعتنى المماليك بالمناظرات خاصّة وأنّهم كانوا في حرب مستمرّة ضدّ بعض العقائد كالشيعة ومذهب ابن تيميّة، الّذي تعد مناظراته الكثيرة إحدى مميزات الحوار الفكري بين مختلف المذاهب والآراء في الفقه على وجه الخصوص[1].

وازدادت أهميّة المناظرات وكثر انتشارها تبعًا لحركة بناء المدارس، حيث كانت المكان الأمثل لالتقاء أهل العلم من جميع المذاهب والتخصّصات العلميّة، وفيها كان يتم تبادل الآراء حول المسائل المختلفة في جميع أصناف العلوم، وساهمت هذه المناظرات في تشجيع الحوار الفكري والعقلي بين علماء البلدان الإسلاميّة على اختلاف مذاهبهم.

كما كانت مكة المكرمة خاصة في مواسم الحج من أكبر المراكز العلمية التي كانت تجري فيها المناظرات بين العلماء وحتى بين الطلبة وشيوخهم.

ومن أشهر المناظرات الّتي حدثت بين علماء المغرب الإسلامي وعلماء المشرق في عصر المماليك:

– مناظرة الشيخ ابن رشيد السبتي للشيخ شمس الدين الأصفهاني في علوم اللغة:

يعد الشيخ شمس الدين محمد بن محمود بن محمد بن عباد السلماني الأصفهاني (ت 687هـ/1287م) من العلماء المشارقة الذين ذاع صيتهم في المناظرات، وكان عالما في الحديث وأصول الفقه وأصول الدين، والمنطق والخلافيات، والنحو والأدب، وارتحل من دمشق إلى مصر واستقر بالقاهرة، وتولى التدريس بمشهد الحسين والإمام الشافعي، وقصده الطلبة من المشرق والمغرب[2].

وممن جلس للأخذ عنه في مكة المكرمة أبو عبد الله محمد بن عمر الفهري المعروف بابن رشيد السبتي (ت 721هـ/1321م)[3]، وذكر في رحلته وفي أثناء ترجمته للشيخ شمس الدين الأصفهاني[4] حدوث مناظرة بينه وبين الشيخ الأصبهاني استخدمت فيها مجموعة آراء العلماء الآخرين من المغرب والمشرق[5].

---

[1] – أبو الحسن الندوي، المرجع السابق، ج2، ص 77-113.

[2] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص219.

[3] – مخلوف، المصدر السابق، ص ص216 – 217.

[4] – ابن رشيد، ملء العيبة، المصدر السابق، ص ص 351-354.

[5] – عبد السلام بن المختار شقور، المناظرات والإنشادات في رحلات المغاربة الحجازية، **بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية**، المملكة العربية السعودية، 1426هـ، ص 118.

وكان موضوع المناظرة هو دلالة الحرف في اللغة العربية واختلاف علماء اللغة في كون أن الحروف العربي يحمل دلالة مستقلة أم أنه يحتاج لأن يضاف إلى حروف أخرى حتى يصير له الدلالة[1].

ومن خلال هذه المقابلة العلمية يتضح مدى احترام ابن رشيد السبتي لآداب المناظرة وتوقيره لشيخه الأصفهاني حيث أنه اعترض بأدب على رأي شيخه في المسألة، ولما سمح له بالكلام أبدى رأيه مستدلا بأقوال العلماء، كما أنها تبين مدى موسوعية علماء المغرب الإسلامي واستعدادهم للخوض في المسائل الخلافية بكل حرية وأمام كبار العلماء المشارقة[2].

- مناظرة الشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد بن علي العبدري لأحد شيوخ الشافعية في مسألة البيع بالإشارة:

قام الشيخ المحدث الأديب أبو عبد الله العبدري برحلة من المغرب إلى المشرق قاصدا الحج سنة 688هـ/1288م، وكان عند مروره بالحواضر المغربية والمشرقية يبحث عن العلماء من أجل التحصيل، وكان حريصا على معرفة دقائق الأمور في العلم، ولما بلغ الإسكندرية وفي مجلس الشيخ زين الدين الواسطي جرت له مناظرة مع أحد شيوخ الشافعية لم يذكر العبدري اسمه في رحلته[3]، وكان موضوع المناظرة في مسألة خلافية بين فقهاء المالكية والشافعية وهي البيع بالإشارة، حيث يرى المالكية أنه جائز بحكم كونه عرفا، أما الشافعية فكانوا يرون غير ذلك وأن المشتري لا يبتاع سلعة بالإشارة إلا إذا كان يتعذر عليه الكلام[4].

2-3-1- مناظرة الشيخين أبي زيد عبد الرحمن وأبي موسى عيسى اِبني الإمام للشيخ تقي الدين ابن تيمية الحراني:

ذكرت المصادر التاريخيّة أنّ اِبنا الإمام أبي زيد عبد الرّحمان وأبي موسى عيسى قد اِرتحلا إلى بلاد المشرق في حدود سنة 720هـ/1320م وناظرا الشيخ تقي الدين بن تيمية فظهرا عليه[5].

---

[1] - عبد السلام شقور، المرجع السابق، ص 119.

[2] - ابن رشيد، ملء العيبة، المصدر السابق، ص ص 352-353.

[3] - العبدري، الرحلة، المصدر السابق، ص ص 123-124.

[4] - عبد السلام شقور، المرجع السابق، ص ص 113-115.

[5] - المقري، نفح الطيب، ج6، ص 182 – التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 166 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 123 – الحفناوي، المرجع السابق، ص 210 – عبد الرّحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 165.

ولا يخفى من خلال المصادر أن الشيخ تقي الدين ابن تيمية الحراني كان أحد الأعلام الكبار في عصر المماليك، وقد وقعت له محن كثيرة بسبب بعض مواقفه وآرائه الفقهيّة ا لّتي خالف فيها الفقهاء من المذاهب السنيّة الأربعة، وفيه يقول الذهبي:"**كان قَوَّالاً للحق، نهاءًا عن المنكر وكان يحتج للمسائل المفردة بالقرآن والحديث أو القياس ويبرّرها ويناظر عليها ويطيل الحديث**"[1]، وقال عنه الكتبي:"**لا يعرف أنّه ناظر أحدًا فانقطع منه**"[2]، وقال عنه الشيخ ابن كثير:" **أثنى عليه وعلى فضائله جماعة من علماء عصره، مثل القاضي الخويي، وابن دقيق العيد، وابن النحاس، وابن الزملكاني، وغيرهم... ووجدت بخط ابن الزملكاني أنه اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها، وأن له اليد الطولى في حسن التصنيف، وجودة العبارة، والترتيب والتقسيم والتبيين ... وبالجملة كان من كبار العلماء، وممن يصيب ويخطئ...**"[3].

وقد تأثر بعض العلماء المغاربة بالشيخ ابن تيمية، حيث ثبت أنهم رووا عنه مباشرة أو مكاتبة ومنهم:

– **القاسم بن يوسف بن محمد السبتي أبو القاسم التجيبي (ت 730هـ/1330م)**، ارتحل إلى مدينة دمشق وفيها التقى بالشيخ ابن تيمية في مدرسة القصاعين، ودرس عليه بعض كتبه وهي "بيان الدليل على بطلان التحليل"، و كتاب" الصارم المسلول على شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم"، وكتاب" رفع الملام عن الأئمة الأعلام"[4].

– **عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن الحضرمي السبتي المولد التونسي القرار (ت 749هـ/1349م)**[5]، روى عن ابن تيمية مكاتبة[6].

– **الشيخ علي المغربي (ت 749هـ/1349م)**، ذكره الشيخ ابن كثير في كتابه البداية والنهاية في لاحوادث سنة 749هـ/1349م بقوله:" وفي يوم السبت ثالث رجب صلي على الشيخ علي المغربي، أحد أصحاب الشيخ تقي الدين بن تيمية بالجامع الأفرمي بسفح قاسيون ... وكانت له

---

[1] – الذهبي، المصدر السابق، ج17، ص 542.

[2] – الكتبي، فوات الوفيات، ج1، ص 65.

[3] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص ص 98- 100.

[4] – المنوني، ورقات، المرجع السابق، ص 403.

[5] – مخلوف، المصدر السابق، ص ص220-221.

[6] – المنوني، ورقات، المرجع السابق، ص404.

عبادة وزهادة وتقشف وورع، ولم يتولى في هذه الدنيا وظيفة بالكلية، ولم يكن له مال ... وكان يعاني التصوف، وترك زوجة وثلاثة أولاد..."[1].

– **أبو عبد الله بن رشيق المغربي (ت 749هـ/1349م)**، قال عنه ابن كثير:" ... كاتب مصنفات شيخنا العلامة ابن تيمية، كان أبصر بخط الشيخ منه، إذا عزب شيئ منه على الشيخ استخرجه أبو عبد الله هذا، وكان سريع الكتابة لا بأس به، دينا عابدا، كثير التلاوة، حسن الصلاة..."[2].

وكان ابن تيمية قد بلغ رتبة الاجتهاد في وقته، واجتهد في مسائل فقهية كثيرة، منها مسألة الطلاق الثلاث[3] الّتي ربّما تكون أحد المواضيع الّتي ناظره فيها ابني الإمام، خاصته وأنّها حدثت في السنة التي ارتحلا فيها إلى مصر و هي سنة 720هـ/1320م.

وفي يوم الخميس ثاني عشرين رجب (720هـ/1320م) عقد مجلس للشيخ تقي الدين بن تيمية بحضرة نائب السلطنة في الدّولة المملوكيّة، وحضر القضاة و المفتون من المذاهب، وحضر الشيخ ابن تيمية وعاتبوه على الإفتاء بمسالة الطلاق ثمّ حبسوه بالقلعة[4].

وذكر ابن بطوبة[5] في رحلته بعض الأمور و المواقف المتعلّقة بابن تيميّة، لكن يبدو أنّه كان متحاملاً ضدّه ما يدفعها للاحتراز ممّا أورده، خاصة مسألة قيام العامّة إليه وضربه بالأيدي والنعال[6]، والنعال[6]، حيث أنّ ابن تيمية كان فقيهًا ذائع الصيت ببلاد الشام، وكان له أتباع، وحتّى سلاطين

---

[1] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج 14، ص 172.

[2] – ابن كثير، المصدر نفسه، ج14، ص173.

[3] – كان الحلف بالطلاق عاما بين النّاس وراَه ابن تيميّة على أنّه: أسلوب من القسم و تنفذ عليه الأحكام المتعلّقة بالطلاق، وقال أنّ على الحالف أن يحنث إذا خالف قوله وعمل بخلافه وتلزم عليه كفارة اليمين من غير وقوع الطلاق. وكانت هذه الفتوى تعارض القول المشهور بين الفقهاء، وأحدثت اضطرابا عاما، ومنعت الفتوى، كما كان ابن تيمية يقول بأنّ المطلّق بالثلاث في كلمة واحدة لا تلزمه إلاّ طلقة واحدة. أبو الحسن الندوي، المرجع السابق، ج2، ص 112-113.

[4] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص 67 – المقريزي، السلوك، ج1، ص 16 ، ص 400 – ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص194- 197 – ابن تيمية، **مجموع فتاوي ابن تيمية**، ج5، جمع وترتيب: عبد الرحمن النجدي، مطابع الرياض، السعودية، 1381هـ ، ص 194 – 225.

[5] – في هذا الصدد كتب الأستاذ الدكتور خالد كبير علال دراسة حول الموضوع تحت عنوان " هل رأى الرحالة ابن بطوطة الشيخ ابن تيمية في دمشق سنة 726هـ ؟" واستنتج بعد عرض الدلائل على أن الرواية تحتاج إلى دعائم تاريخية لتصديقها واستبعد حصول ذلك. خالد كبير علال، **قضايا تاريخية وفكرية من تاريخنا الإسلامي**، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص ص152-156.

[6] – ابن بطوطة، المصدر السابق، ج1، ص 111-112. وثبت أن القصة غير صحيحة .

المماليك الّذين قاموا ضد مذهبه قد استعانوا به في بث روح الحماس والجهاد لدى المسلمين لقتال التتار[1].

ومما يؤكد مكانته ما رواه المؤرخون عن جنازته التي كانت في يوم 22 ذي القعدة 728هـ/1328م، في دمشق والتي حضرها الآلاف من الرجال والنساء، من مختلف الفئات[2].

وفي ظل غياب تفاصيل دقيقة حول المناظرة التي تمت بين إبني الإمام للشيخ ابن تيميّة، فإنه لا يمكننا الخروج برؤية واضحة حول هذا اللقاء العلمي الذي كان مشوبا بالسياسة، حيث سعى بعض الأطراف في النظام المملوكي إلى التضييق على شيخ الإسلام عن طريق المناظرات العلمية، لكن هذا لم ينقص من شأن ابن تيمية، كما أن إبني الإمام قد نالا شرف الجلوس إلى هذا الشيخ ما زاد من شهرتهما في المشرق، فذاع صيتهما وأصبحا مقصدًا للطلبة والعلماء للأخذ عنهما[3].

– مناظرة محمد بن عبد الكريم المغيلي للجلال السيوطي في علم المنطق:

عرّف ابن خلدون علم المنطق بقوله:"هو قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعروفة للماهيات، والحجج المفيدة للتصديقات وذلك لأنّ الأصل في الإدراك إنّما هو المحسوسات بالحواس الخمس"[4].

وكان علم المنطق منذ القديم محلّ الرّفض والنكير من طرف بعض الفقهاء المسلمين الّذين طعنوا فيه،وحظروا الخوض في مسائله، وأباح بعضهم الآخر الاشتغال به وبيّنوا فوائده وفضائله[5].

وقد اهتم بعض علماء المغرب الإسلامي بهذا العلم وألّفوا فيه المصنفات خاصّة الشروح على جمل الخونجي[6] الّتي كانت عبارة عن طلاسم يصعب فهمها وحفظها، فعكف العلماء على تبسيطها[1].

تبسيطها[1].

---

[1] – الكتبي، فوات الوفيات، ج1، ص 71 – محمد أبو زهرة، **ابن تيمية**، ط2، دار الفكر العربي، 1958، ص39.

[2] – ابن كثير، البادية والنهاية، ج14، ص 98.

[3] – المقري، نفح الطيب، ج6، ص 124 – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 139 – التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 166 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 123-124.

[4] – ابن خلدون، المقدمة، ص 908 – ابن زكري ،المصدر السابق، ج1، ص 337.

[5] – ابن خلدون، المقدمة، ص 913.

[6] – هو محمّد بن نامارو بن عبد الملك الخونجي الشافعي نزيل مصر (ت 646 هـ/1246م)، كان منطقيا حكيما، من مؤلفاته أدوار الحميات في الطب – الجمل في مختصر نهاية الأمل في المنطق. شرح مقامة ابن سينا في النبض – الموجز في المنطق –كشف الأسرار عن غوامض الأفكار في المنطق. الذهبي، المصدر السابق، ج16، ص 469 – حاجي خليفة، كشف الظنون، ج2، ص 602.

وألّف محمّد بن عبد الكريم المغيلي مؤلفات في شرح جمل الخونجي ومقدمة في علم المنطق ومنظومة فيه سماها "منح الوهاب"، ثمّ كتب ثلاثة شروح عليها[2].

وكانت للمغيلي مناظرة في هذا العلم مع الإمام جلال الدين السيوطي، هذا الأخير الّذي ألّف كتابا في تحريم علم المنطق، وذكر السخاوي أنّه جرّده من مصنّف لابن تيمية "فقام عليه الفضلاء" بحيث كفّه بعض العلماء عنه وأخذ ما كان استَكتبه في المسألة[3].

وكان المغيلي من الذين انتصبوا للدفاع عن علم المنطق وأهميّته، فكتب للإمام السيوطي رسالة ضمّنها قصيدة ناقشه فيها وحاجّه على تنفيره من دراسة المنطق مع أنّه الوسيلة الضروريّة لإدراك الحقيقة وحاول أن يكون قوي الحجّة وجاء في قصيدته[4]:

سمعت بأمر ما سمعت بمثلـه	وكلّ حديث حكمه حكم أصله
أيمكن أن المرء في العلم حجّـة	و ينهى عن الفرقان في بعض قوله
هل المنطق المعني إلاّ عبـارة	عن الحق أو حقيقة حين جهله؟
معانيه في كلّ الكلام فهل ترى	دليلا صحيحا لا يرد لشكله؟
أريني هداك الله منه قضيـة	على غير هذا تنفها عن محلّه
ودع عنك ما أبدى كفور وذُمّه	رجال وإن اثبت صحّة نقله
خذ الحق حتّى من كفور ولا تقم	دليلا على شخص بمذهب مثله
عرفناهم بالحقّ لا العكس فاستبن	به لا بهم إذ هـم هداة لأجله
لئن صحّ عنهم ما ذكرت فكم هـم	وكم عالـم بالشرع باح بفضله

فأجابه السيوطي بقصيدة أخرى أبدى من خلالها تعجبه من ميل كثير من العلماء بما فيهم المغيلي لدراسة علم المنطق وتحجج بأنه من علوم الكفرة وأنه لا يجوز للمسلمين الاشتغال به، ودافع عن كتابه الذي صنفه في تحريم علم المنطق، وختم قصيدته بالثناء والتقدير للمغيلي وجاء في رده:

---

[1] – حول الانتاج المغربي في علم المنطق يراجع: حركات، المرجع السابق، ج1، ص ص397-401.

[2] – ابن مريم، المصدر السابق، ص 255-256 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 274.

[3] – السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص 66.

[4] – ابن مريم، المصدر السابق، ص 256 – محمد بن عبد الكريم المغيلي، **مصباح الأرواح في أصول الفلاح**، تح: رابح بونار، الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968، ص 11 – لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 155-156.

حمدت إله العرش لفضله وأهدي صلاة للنبيّ وأهله
عجبت لنظم ما سمعت بمثله أتاني عن حبر أقرّ بفضله
تعجَّب منّي حين ألّفت مبدعا كتابا جموعًا فيه جم بنقله
أقر رفيد النهي عن علم المنطق وما قاله من قال من ذم شكله
وسماه بالفرقان يا ليت لم يقل فذا وصف قرآن كريم لفضله
وقد قال محتجًّا بغير رواية مقالاً عجيبًا نائيًا عن محله
ودع عنك ما أدى كفورا و بعد ذَا خذ الحقّ حتى من كفور بخلتة
وقد جاءت الآثار في ذم من حوى علوم يهود أو نصارى لأهله
يجوز به علمًا لديه وإنّه يعذّب تعذيبًا يليق بفعله
وقد منع المختار فاروق صحبه وقد خط لوحًا بعد توراة أهله
وكم جاء من نهى إتباع لكافر وإن كان ذلك الأمر حقّا بأصله
أقمت دليلاً بالحديث ولم أُقِم دليلاً على شخص بمذهب مثله
سلام على هذا الإمام فكم له لدي ثناء و اعترافا بفضله[1]

ومن خلال هذه المناظرة يتضح لنا مدى والاحترام والتقدير المتبادل بين العالمين محمد بن عبد الكريم المغيلي وجلال الدين السيوطي، ولعل الشيء المشترك بين هذين العالمين أيضا هو اشتراكهما في الرحلة إلى بلاد السودان الغربي، حيث ساهما معا في تنشيط الثقافة الإسلامية بممالك برنو وسنغاي والتكرور.

3 – تبادل الكتب بين المغاربة والمشارقة:

ازدهرت الوراقة في العالم الإسلاميّ، وظهر كثير من الورّاقين البارعين، واستُعمل ورق البردي خصوص في عملية النسخ في مصر والشام، وكان يسمى القرطاس، ومن مصر دخل البردي إلى بلاد المغرب عن طريق التجارة[2].

واتسع نطاق صناعة الوراقة بسبب كثرة التآليف العلميّة والدواوين، وحرص النّاس على تداولها وتناقلها عبر الأقطار جيلا بعد جيل فانتسخت وجلّدت[3].

---

[1] – ابن مريم، المصدر السابق، ص 257 – المغيلي، مصباح الأرواح، ص 17.

[2] – حسين محمد سليمان، التراث، **العربي الإسلامي دراسة تاريخيّة مقارنة**، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1988، ص 188-190 – الكتاني، المصدر السابق، ج2، ص 242-243.

[3] – ابن خلدون، المقدمة، ص 755.

وظهر بالمغرب والمشرق الإسلاميين فئة من الورّاقين اهتموا بنسخ التراث العربي الإسلاميّ العلمي والأدبي، واتّخذوا ذلك حرفة لهم. وازدهر فنّ النّسخ، خاصّة نسخ المصاحف والكتب النفسيّة القديمة، وكتب الصحاح، فضلا عن المصنفات المحليّة ومختلف المؤلفات العلميّة والأدبيّة، وتطوّر تبعًا لذلك فنّ الخطّ والتجليد والتوريق والتذهيب وتلوين الحروف، وتجميل المخطوطات لإخراجها في ثوب يليق بمضمونها العلمي[1].

وتنافس الخطاطون والفقهاء والطّلبة وحتّى بعض السلاطين في نسخ الكتب والمصاحف، فهذا السلطان أبو زيان بن أبي حمو قد نسخ نسخة من المصحف الشريف بيده وحبّسها، ونسخة من صحيح البخاري ونسخا من الشفاء للقاضي عياض، جعلها بخزانته[2].

وكان أبو عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب ينسخ المصاحف في دكان له بتلمسان، وكان جدّه ينسخ المصاحف والكتب الدينيّة[3]، واشتهر محمّد السنوسي بنسخ الكتب، وكتب نحو ثلاثين كتابا بخطه كلّفه بها أحد شيوخه[4].

وفي مصر اشتهر كثير من الخطاطين والوراقين وكانت صناعة الوراقة حرفة كثير من الطلبة والفقهاء والصوفيّة، وممّن ذاع صيتهم في هذا المجال: الشيخ زين الدين عبد الرّحمان يوسف بن الصائغ (ت 845هـ/1442م) الّذي كان صاحب مدرسة في الخطّ، وكان شيخ النّساخ والكتاب في عصره، ونسخ عدّة مصاحف وقصائد بخطّه وقرّر في عدّة مدارس بالقاهرة لتعليم الخطّ[5].

وتأثر الخطاطون في المغرب الإسلامي بنظرائهم في المشرق، واشتغل بعضهم بالخطّ المشرقي والمغربي مثل ابن مرزوق الخطيب الّذي كان يحسن الكتابة بالخطين معًا[6].

وكانت الكتابة العربيّة قد وفدت إلى المغرب مع الفاتحين المسلمين، وأدّت رحلات المغاربة إلى المشرق و اِطلاعهم على طريقة الكتابة المشرقيّة إلى اقتباس كثير من التقنيات في هذا المجال، فأقبلوا على ترتيب الحروف الهجائيّة مع اختلاف يسير عن المشارقة، واستعملوا الإعجام مع نقط القاف

---

[1] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 336.

[2] – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 211.

[3] – ابن مرزوق الخطيب، المناقب المرزوقية، 148.

[4] – ابن مريم، المصدر السابق، ص 243.

[5] – السخاوي، الضوء اللامع، ج2، ص 162 – القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 100-101.

[6] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 336.

بواحدة من أعلى والفاء نقطة من أسفل، واستعملوا الشّكل لبيان الحركات الإعرابيّة بطريقة الخليل بن أحمد[1]، كما كانوا يكتبون أسماء السور في المصاحف بخطّ الثلث المشرقي[2].

وكانت الكتب المنسوخة توقف وتحبّس على المؤسّسات التعليميّة كالمساجد والمدارس والزّوايا والخانقاوات، وكانت تزوّد بها المكتبات، في حين خصّصت بعضها لترسل إلى البقاع المقدّسة بالحجاز لوقفها على الحرمين الشريفين أو بالقدس الشريف[3].

مكّنت حركة النسخ وصناعة الوراقة من توفير الكتب والمؤلّفات في جميع أصناف العلوم، وتزامن ذلك مع حركة التأليف وغزارة الإنتاج العلمي لعلماء المغرب الإسلامي والمشرق على حدّ سواء، وأصبحت مؤلفاتهم تقطع المسافات بين المشرق والمغرب تبعًا لحركة العلماء ورحلاتهم في طلب العلم، وكذلك حركة التجارة بما فيها تجارة الكتب، وكانت المؤلّفات تصل من المشرق إلى المغرب عن طريق المرتحلين والحجيج والتجار الّذين كانوا يعملون على اقتنائها من تلقاء أنفسهم أو بطلب من نظرائهم، مثلما حدث مع عبد الرّحمن بن خلدون الّذي وجّه إليه الوزير الغرناطي والشّاعر ابن زمرك رسالة بأسماء كتب معيّنة ليقتنيها له من مصر سنة 789هـ/1389م، وممّا جاء فيها:" **والمرغوب من سيدي أن يبعث لي ما أمكن من كلام فضلاء الوقت و أشياخهم على الفاتحة**[4]...**والسفر الأوّل من تفسير أبي حيان، وملخّص إعرابه وكتاب المغني لابن هشام...**" [5].

و كان لبعض علماء المغرب الإسلامي قصب السبق في إدخال بعض الكتب غير المألوفة إلى الحواضر المغربية عموما مثل محمد بن إبراهيم بن عبد الرّحمن بن محمد بن الإمام (ت:845هـ/ 1442م) الّذي أدخل كتاب شامل بهرام وشرحه على المختصر وحاشية التفتازاني على العضد وشرح ابن هلال على ابن الحاجب الفرعي[6].

---

[1] – هو أبو عبد الرّحمن بن أحمد البصري الفراهيدي الأزدي (ت 160 هـ)، أوّل من استخرج العروض و ضبط اللّغة. انظر: أبو البركات كمال الدين الأنباري، **نزهة الألباب في طبقات الأدباء**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص 49-51.

[2] – محمد سعيد شريفي، **خطوط المصاحف عند المشارقة و المغاربة من ق 4–10 هـ**، الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 245.

[3] – المرجع نفسه، ص 58.

[4] – كتب العلماء والمفسرون الكثير حول تفسير سورة الفاتحة. انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص 454-456.

[5] – ابن خلدون، التعريف، ص 1090-1091.

[6] – ابن مريم، المصدر السابق، ص 221.

وكان علماء المغرب يبعثون بكتبهم لتحبّس على رواق المغاربة بالجامع الأزهر مثل كتاب القواعد للإمام المقرّي الجدّ[1]، كما بعث لسان الدين بن الخطيب نسخة من كتابه الإحاطة لتوقف على أهل العلم في خانقاه سعيد السّعداء و اعتمد عليه كثير من المؤرخين كالمقريزي والسيوطي وابن دقماق والحافظ ابن حجر العسقلاني[2].

ودخلت إلى بلاد المغرب خلال الفترة المدروسة عدّة كتب مشرقية لقيت عناية العلماء الذّين عكفوا على دراستها وشرحها واختصارها وتدريسها في المساجد والمدارس ومن أشهر هذه المؤلفات:

- **مختصر ابن الحاجب في فروع الفقه المالكي:**

ألّفه الشيخ أبو عمرو عثمان بن الحاجب (ت 646 هـ/1248م) [3] الّذي يعد أوّل من جمع بين فقه المالكيّة في مصر وبلاد المغرب، وكتابه عبارة عن مؤلّف لخص فيه طرق أهل المذهب المالكي في كلّ باب، وعدّد أقوالهم في كلّ مسألة، فجاء كالبرنامج للمذهب[4]، وأدخله إلى بلاد المغرب كبير مشيخة بجاية أبي علي ناصر الدين الزواوي الّذي كان قد ارتحل إلى مصر وأخذ العلم على أصحاب أبي عمرو بن الحاجب، ونسخ مختصرة، وجاء به ونشره ببلده، ومن بجاية انتقل إلى سائر أقطار المغرب[5]، وأكب الطلبة على دراسته وقراءته وتداوله، حتّى صار من مصادر الفقه المالكي وأحد الكتب الأساسيّة في تدريس العلوم الدينيّة في بلاد المغرب بأكملها[6].

---

[1] – المقري، نفح الطيب، ج6، ص 232.

[2] – المقري، نفح الطيب، ج8، ص 288-289.

[3] – هو أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الدوني ثم المصري الفقيه المالكي الذائع الصيت المعروف بابن الحاجب والملقب بجمال الدين. كان أبوه حاجبًا لأحد الأمراء وكان كرديا، و اشتغل ابن الحاجب بالقرآن في القاهرة، ثم تفقه على مذهب مالك وفي العربيّة والقراءآت وبرع فيها، ثمّ انتقل إلى دمشق ودرس بجامعها، وأكب عليه الطلبة، ألف في الفقه المختصر الفرعي والأصلي وفي العربيّة والأدب والقراءات . توفي بالإسكندريّة سنة 646 هـ/1248م و كان مولده سنة 570 هـ/1174م. انظر ترجمته في: النعيمي الدمشقي، الدارس في تاريخ المدارس، ج2، ص 3- ابن فرحون، المصدر السابق، ص 189- ابن كثير، البداية و النهاية، ج13، ص 176- ابن دقماق، نزهة الأنام، ص 180-181- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج16، ص 492- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص 36- المنهل الصافي، ج7، ص 421-423- ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج5، ص 234- محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 167 – ابن قنفذ، الوفيات، ص 49-50- محمود زيتون، المرجع السابق، ص 185-186- حاجي خليفة، كشف الظنون، ج2، ص 162-593.

[4] – ابن خلدون، المقدّمة، ص 808.

[5] – ابن خلدون، المقدّمة، ص 809 – الغبريني، المصدر السابق، ص 200 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 167-218 – ابن قنفذ، الوفيات، ص 54.

[6] – ابن مريم، المصدر السابق ، ص99.

وإضافة إلى هذا المختصر في الفروع، تداول علماء و طلبة المغرب الإسلامي كتابا آخر لابن الحاجب في الأصول وهو مختصره الأصلي أو المختصر الكبير المسمّى "السول والأمل في علمي الأصول والجدل". واعتنوا بشرحه ودراسته مع المختصر الفرعي، وأهم ما كتب حولهما :

- صنف أبو زيد عبد الرّحمن بن الإمام (ت:743هـ/1343م) كتابًا ضمنه شرحًا لمختصر ابن الحاجب في الفروع[1]، كما ألّف ابن أبي حجلة التلمساني (ت:776هـ/1374م) شرحًا لمختصر ابن الحاجب الأصلي[2]، وألّف أبو عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب شرحًا لابن الحاجب الفرعي سماه "إزالة الحاجب على فروع ابن الحاجب"[3] وصنف ابن مرزوق الحفيد "شرح فرعي ابن الحاجب"[4]، وألف ابن زاغو التلمساني شرحًا على مختصر ابن الحاجب الفرعي وبعض الأصلي[5]، وألّف سعيد العقباني شرحًا على ابن الحاجب الأصلي[6]، كما ألّف محمّد عبد الكريم المغيلي" شرح بيوع الآجال من ابن الحاجب"[7] وألف الشيخ السنوسي تعليقا على فرعي ابن الحاجب[8]، وألّف أحمد بن يحي الونشريسي تعليقا على ابن الحاجب الفرعي في ثلاثة أسفار[9]. وألّف ابن زكري،"بغية الطالب في شرح شرح عقيدة ابن الحاجب"[10]،وألّف أبو عبد الله المقري الجدّ حاشية على مختصر ابن الحاجب[11]، وألّف عبد الرّحمن الثعالبي:"شرح ابن الحاجب الفرعي"في سفرين[12]، وصنف محمد بن عبد السلام التونسي كتاب " تنبيه الطالب لفهم كلام ابن الحاجب"[13]

- مختصر خليل:

---

[1] - ابن مريم، المصدر السابق، ص 126.

[2] - عادل نويهض، المرجع السابق، ص 365.

[3] - ابن مريم، المصدر السابق، ص 189 – المقري، نفح الطيب، ج6، ص 346.

[4] - المصدر نفسه، ص 211 – المقري، نفح الطيب، ج6، ص 354-355.

[5] - القلصادي، المصدر السابق، ص 104 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 43.

[6] - ابن مريم، المصدر السابق، ص 106 – مخلوف، المصدر السابق، ص 274.

[7] -ابن مريم، المصدر السابق، ص 255.

[8] - محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 266.

[9] - ابن مريم، المصدر السابق، ص 54 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 275.

[10] - الحفناوي، المرجع السابق، ص 42.

[11] - المقري، نفح الطيب، ج6، ص 254.

[12] - الحفناوي، المرجع السابق، ص 70.

[13] - مخلوف، المصدر السابق، ص 210.

ألّفه الشيخ خليل بن إسحاق بن موسى بن شعيب المالكي المصري (ت:767ه/1367م) [1]، وهو عبارة عن مصنف في الفقه المالكي، وذكر أنّه بقي في تأليفه 25 سنة، وأنّه وصل فيه إلى فصل النكاح وباقيه وُجِدَ في تركته في أوراق مسودّة فجمعه أصحابه وضموه إلى ما ألّفه فكمل الكتاب[2] .

وقد دخل هذا الكتاب إلى بلاد المغرب وانتشر وذاع صيته حتّى صار من الكتب المعتمدة في تدريس العلوم الدينيّة إضافة إلى الموطأ ومختصر ابن الحاجب والمدونة والرسالة لابن أبي زيد.

وقد أثنى عليه علماء المغرب عامّة، وألّفوا عليه الشروح والتعاليق حتّى بلغت ستين تعليقًا بين شرح وحاشية[3].

ومن العلماء الذّين اهتموا بدراسته وشرحه ابن مرزوق الحفيد الّذي ألّفه عليه:" المنزع النبيل في شرح مختصر خليل"[4] وعبد الكريم المغيلي الذي صنّف"إيضاح السبيل في بيوع آجال خليل"[5]، وأبو عبد الله محمد بن عمر بن الفتوح التلمساني (ت 818هـ/1415م) الذي أدخله إلى فاس[6].

- كتاب تنقيح الفصول في الأصول:

ألّفه شهاب الدين أبو العبّاس أحمد بن إدريس القرافي الصنهاجي المصري (ت:684هـ/ 1286م)[7]، وهو كتاب في مقدمات وقواعد علم الأصول، وقد لقي عناية علماء المغرب الأوسط وألّفوا عليه الشروح وأصبح مقرّرًا في برنامج تدريس العلوم الدينيّة[8].

- أليفة ابن مالك في النّحو:

---

[1]- ابن العراقي، المصدر السابق، ج1، ص 196 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 96 – الزركلي، الأعلام، ج2، ص 364 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 223.

[2] – ابن مريم، المصدر السابق، ص 100.

[3] – ابن مريم، المصدر السابق، ص 99.

[4] – ابن مريم، نفسه، ص 211.

[5] – ابن مريم، نفسه، ص 255.

[6] – ابن مريم، نفسه، ص 264.

[7] – محمّد مخلوف، المصدر السابق، ص 188 – حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص 499 – الزركلي، الأعلام، ج1، ص 90.

[8] – محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص 121 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 222. – القلصادي، المصدر السابق، ص 87، 100.

ألّفها الشيخ العلاّمة جمال الدين أبي عبد الله محمّد بن عبد الله الطائي الجياني المعروف بابن مالك النحوي (ت:672هـ/ 1273م) [1]، وهي عبارة عن مقدّمة جمع فيها مقاصد اللّغة العربيّة وسماها الخلاصة و اشتهرت بالألفيّة لأنّها نظمت في ألف بيت في الرّجز ومطلعها:

قال محمد هو ابن مـالك أحمد ربّي الله خير مـالك[2]

و أصبحت هذه الألفية من المقرّرات في تدريس آداب اللّغة العربيّة بالبلدين.

وقد ألّفت عدّة شروح عليها في كلّ من بلاد المشرق والمغرب الإسلامي ومنها: شرح ابنه بدر الدّين أبي عبد الله محمّد (ت 686هـ/ 1286م) [3]، وكتب على هذا الشرح عدّة حواشي منها حاشية حاشية للشيخ عز الدين محمّد بن أبي بكر بن جماعة الكناني (ت 819هـ/ 1417م) [4]، وتعليقا للشيخ جلال الدين السيوطي (ت 911هـ/ 1505م) [5]. وشرح العلامة تقي الدين الشمني (ت: 872هـ/ 1470م) [6]، وشرح أبي حيان النحوي (ت 715هـ/ 1315م) [7]، وشرح أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد (ت 842هـ/1439م) [8] سماه إيضاح المسالك على ألفيّة ابن مالك انتهى فيه إلى اِسم الإشارة أو الموصول في مجلد، كما ألّف مجلدا في شرح شواهد شرّاحها إلى باب كان وأخواتها، كما ألّف أرجوزة في اختصار الألفيّة[9].

– تسهيل الفوائد و تكميل المقاصد في النّحو:

لابن مالك صاحب الألفيّة، وهو عبارة عن كتاب جامع لمسائل النّحو، واعتنى به العلماء وصنّفوا له شروحًا[10]، مثل شرح ابن مرزوق الحفيد[11].

---

[1] – ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص 339.
[2] – حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص 151.
[3] – المصدر نفسه، ص 151.
[4] – حاجي خليفة، نفسه، ص 152.
[5] – نفسه، ص 152.
[6] – نفسه، ص 152.
[7] – نفسه، ص 152.
[8] – حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص 153.
[9] – ابن مريم، المصدر السابق، ص 211.
[10] – حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص 405.
[11] – ابن مريم، المصدر السابق، ص 211.

- **مغني اللبيب من كتب الأعاريب أو المغني لابن هشام :**

(ت 761هـ/1360م) هو كتاب في علوم اللّغة العربيّة والنّحو، وقد أثنى عليه عبد الرّحمان بن خلدون كثيرًا وقال عن مؤلفه ابن هشام: " مثل ما وصل إلينا بالمغرب لهذا العهد من تأليف رجل من أهل صناعة العربيّة من أهل مصر يعرف بابن هشام، ظهر من كلامه أنّه استولى على غاية ملكة تلك الصناعة، لم تحصل إلاّ ليسبويه [1] وابن جني[2] وأهل طبقتهما، لعظم ملكته وما أحاط به من أصول ذلك الفن وتفاريعه و حسن تصرفه فيه"[3].

وأضاف في موضع آخر: " ووصل إلينا بالمغرب لهذه العصور ديوان من مصر منسوب إلى جمال الدين بن هشام من علمائها استوفى فيه أحكام الإعراب مجملة ومفصلة. وتكلّم على الحروف والمفردات والجمل، وحذف ما في الصناعة من المتكرّر في أكثر أبوابها وسماه المغني في الإعراب. و أشار إلى نكت إعراب القرآن كلّها وضبطها بأبواب وفصول وقواعد انتظمت سائرها فوقفنا منه على جم يشهد بعلوّ قدره في هذه الصّناعة ووفور بضاعة منها، وكأنّه ينحو في طريقته منحى نحاة أهل الموصل الّذين اقتفوا أثر ابن جنيّ واتبعوا مصطلح تعليمه، فأتى من ذلك بشيء عجيب دالّ على قوّة ملكته و اِطّلاعه"[4].

وأصبح هذا الكتاب من المقرّرات الأساسيّة لتدريس علوم اللّغة العربيّة في المؤسّسات التعليميّة بالمغرب الإسلامي.

- **البردة للبوصيري:**

ألّفها شرف الدّين البوصيري (ت 695 هـ/ 1296م) [5]، وهي عبارة عن نظم في مدح الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، واهتم علماء بلاد المغرب خاصّة ذوي الميول الصوفيّة بشرحها، مثل شرح ابن مرزوق الخطيب، وشرح أبي القاسم الماجري الزموري المسمى " أنس الوحدة في شرح الوحدة"، وشرح عبد الرحمن بن خلدون الذي أثنى عليه لسان الدين بن الخطيب[6]، وشرح سعيد

---

[1] -أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر فارسي الأصل، نشا بالبصرة وبرع في النّحو (ت 194 هـ) – الأنباري، المصدر السابق، ص 60-65.

[2] – أبو عثمان بن جني كان من حذاق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف (ت 392 هـ) – الأنباري، المصدر السابق، ص 287-288.

[3] – ابن خلدون، المقدمة، ص 1022.

[4] – ابن خلدون، المقدمة، ص 1059.

[5] – ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص 432.

[6] – المنوني، ورقات، ص ص 534-535.

العقباني (ت 811 هـ/1408م) [1]، كما ألّف ابن مرزوق الحفيد ثلاثة شروح عليها هي الشرح الأكبر المسمى "إظهار صدق المودة في شرح البردة"[2] والأوسط، والأصغر المسمى" الاستيعاب لما فيها من البيان والإعراب"[3]، وشرح محمد الأنصاري السبتي (ت 836هـ/1432م)[4].

- الجمل في مختصر نهاية الأمل في المنطق:

لمحمد بن نامارو بن عبد الملك الخونجي الشافعي (ت 646 هـ/ 1247م) نزيل مصر، وقد ألّف عليه علماء المغرب الإسلامي الكثير من الشروح[5]، ومنها: شرح ابن قنفذ القسنطيني المسمى"إيضاح المعاني وتبيان المباني"[6]، وشرح أبي الفضل المشذالي البجائي (ت 865هـ/1462م)[7]، وشرح محمد بن عبد الكريم المغيلي[8].

- حكم ابن عطاء الله السكندري:

ألّفها تاج الدّين أحمد بن عطاء الله السكندري (ت 709هـ/1309م) تلميذ الشيخ أبي الحسن الشاذلي و أبي العبّاس المرسي، وهي عبارة عن أقوال منثورة في التصوّف لشيوخ الطريقة الشاذليّة، و أصبحت من المقرّرات الدراسيّة بالمغرب الإسلامي إضافة إلى شرحها لابن عبّاد الرندي (ت 792هـ/1392م) ممثل الطريقة الشاذليّة بالأندلس[9].

وقد انعكس دخول هذه الكتب وغيرها إلى بلاد المغرب الإسلامي إيجابًا على تطور العلوم الدينيّة و اللّغويّة و العقليّة، ولما صارت من المقرّرات الّتي على طلاب العلم دراستها، فإنّها كانت من أبرز الوسائل الّتي ساهمت في تمتين الروابط العلميّة والمعرفيّة لدى طلبة وعلماء المغرب والمشرق على حد سواء وتركت آثارًا في توحيد المعارف وطرق البحث والتأليف.

---

[1] - ابن مريم، المصدر السابق، ص 106.

[2] - المقري، نفح الطيب، ج6، ص 354.

[3] - ابن مريم، المصدر السابق، ص 210.

[4] - السخاوي، الضوء اللامع، ج7، ص 279.

[5] - الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج16، ص 469 – حاجي خليفة، كشف الظنون، ج2، ص 602 – راجع أيضا مناظرة المغيلي للسيوطي.

[6] - المقري، نفح الطيب، ج7، ص 206.

[7] - حركات، المرجع السابق، ج2، ص 401.

[8] - ابن مريم، المصدر السابق، ص 255-256 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 274.

[9] - حاجي خليفة، كشف الظنون، ج2، ص 675.

وقد أثر هذا التبادل العلمي من خلال المؤلفات أيضا في انتقال الأفكار المشرقية إلى المغرب وانتقال الأفكار المغربية إلى المشرق، وهو أسمى تجسيد للتمازج الفكري ووحدة التصور في مسألة بناء الثقافة الإسلامية الموحدة، حيث كان الطالب أو العالم ينتقل بين الحواضر المغربية والمشرقية ولايجد كبير الاختلاف في مناهج التدريس أو التحصيل العلمي أو نظم الإجازة، بل أن مسألة الاستزادة من العلم لم تكن تعيقها غير بعد المسافات التي لم تحل دون الوصول إلى مصادر العلوم في القاهرة ومكة والمدينة ودمشق، وتونس وتلمسان وفاس، إضافة إلى الظروف السياسية المتردية التي لم تحل أيضا في سبيل تحقيق الازدهار الفكري في العالم الإسلامي، كما أن التنوع المذهبي والفكري والعقدي قد زاد من الرغبة في المناظرة بين العلماء من أجل الانتصار لمذاهب

الخاتمة

إن العلاقات بين دول المغرب الإسلامي وبلاد المشرق في عصر المماليك هي تواصل لذلك الترابط التاريخي الذي شمل الأقطار الإسلامية منذ الفتح الإسلامي بعدما صار الدين واحدا والخطر مشتركا والمصير واحدا.

وكان سقوط دولة الموحدين بالمغرب الإسلامي في النصف الأول من القرن السابع الهجري/13م إيذانا بانقسامات سياسية وفوضى شملت بلاد المغرب في كل أقطارها، فظهرت دول مستقلة هي الدولة الحفصية في المغرب الأدنى ودولة بني عبد الواد الزيانية بالمغرب الأوسط ودولة بني مرين بالأقصى والدولة النصرية بما تبقى للمسلمين في الجزء الجنوبي من شبه جزيرة الأندلس، فضلا عن بعض الإمارات الصغيرة مثل إمارة سبتة شمال المغرب الأقصى، وإمارة سكسيوة قرب مراكش.

هذا التردي والانقسام السياسي قد ولد صراعا داخليا مستمرا بين القبائل التي كانت تسعى إلى الزعامة وتأسيس الإمارات، وكانت الدولة الزيانية في وسط هذا الصراع ما جعلها تختفي من الوجود في كثير من الأحيان، أما الدولتان الحفصية والمرينية فكانتا من القوة ما مكنهما من إعلان الخلافة بالنسبة لسلاطين تونس، وتزعم الجهاد في الأندلس والسعي إلى توحيد المغرب الإسلامي تحت راية واحدة بالنسبة لسلاطين فاس.

أما بالمشرق الإسلامي فقد برزت دولة المماليك التي تزعمت الحرب ضد النصارى والمغول، واستحقت بكل جدارة لقب أقوى دولة في العالم الإسلامي خلال القرن السابع والثامن الهجريين/13-14م، كما تم نقل مقر الخلافة العباسية إلى القاهرة عاصمة المماليك بعد سقوط بغداد.

وارتبطت دول المغرب الإسلامي مع الدولة المملوكية بعلاقات دبلوماسية، ولم تتوقف المراسلات طيلة الفترة الممتدة بين القرنين 7-9هـ/13-15م، وكانت مواضيعها مختلفة بين تهنئة أو طلب وساطة أو دعم وتدخل، أو توصية بالحجيج.

ولما كانت الدولتان الحفصية والمرينية هما الأكثر تأثيرا بالمغرب الإسلامي فقد اعتنى المماليك بالتواصل السياسي معهما على خلاف من الزيانيين الذين لم تسجل لنا المصادر الكثير من المراسلات الصادرة عن ديوان إنشائهم إلى المماليك.

أما بنو نصر فقد كان هدفهم من التواصل مع المماليك هو طلب الدعم المادي والعسكري من أجل تخليصهم من الخطر النصراني.

أما من الناحية الثقافية فقد شهد المغرب الإسلامي خلال الفترة الممتدة من القرن 7- 9هـ/13-15م، نشاطا ثقافيا ملحوظا مميزة اهتمام السلاطين بالعلم والعلماء وتقربهم لأهل الثقافة من مختلف

الأقطار واستقدامهم إلى العواصم لتدعيم الهيئة العلمية وإفادة الطلبة، كما ازدهرت حركة إنشاء المؤسسات التعليمية تبعا لذلك من مساجد ومدارس في مختلف المدن المغربية، وقد تخرج من هذه المؤسسات الكثير من العلماء الذين ذاع صيتهم بالمغرب والمشرق في مختلف العلوم الدينية والإنسانية والاجتماعية والعقلية.

أما بالمشرق فكانت عاصمة المماليك القاهرة المركز الثقافي والعلمي الأول في العالم الإسلامي، ما جعلها مقصدا للطلبة من مختلف البلدان الإسلامية، وقد اهتم السلاطين المماليك بالمنجزات العلمية، فأكثروا من إنشاء المساجد والمدارس والخوانق والبيمارستانات، والتي كانت تؤدي عدة وظائف خاصة التعليم، وكان لهذه المؤسسات طاقم يسيرها وفق شروط معينة وكانت تنفق عليها الأموال بسخاء نظرا لوفرة المداخيل المالية من عائدات التجارة الدولية وتجارة العبور، ذلك ما مكن الطلبة من التفرغ التام للعلم والاستفادة من أعلام العلماء المصريين في شتى العلوم النقلية والعقلية.

والذي يمكن قوله أن الازدهار الثقافي بالمغرب الإسلامي والمشرق كان متوازيا خاصة خلال القرن الثامن الهجري/14م، ما جعل من عواصم دول المغرب الإسلامي تونس وتلمسان وفاس مراكز جذب ثقافي.

كما توطدت العلاقات بشكل أكبر عن طريق الرحلة بين المغرب والمشرق، وقد كانت الرحلة في طلب العلم ورحلة الحج من الفرص الثمينة التي توفرت لطلاب المغرب الإسلامي ومكنتهم من لقاء المشايخ والعلماء ونسج العلاقات فيما بينهم، وأتاحت لهم فرصة الاطلاع على علوم ومناهج المشارقة.

هذا وأتاح توفر مصر على بعض المنشآت التي خصصت للمغاربة على أراضيها، خاصة رواق المغاربة بالجامع الأزهر، من التفرغ لطلب العلم في جو ميزه وجود عدة طلبة من عدة أقطار إسلامية في مكان واحد ما سهل عملية التواصل الثقافي والتبادل العلمي.

كما ساهم العلماء الذين ارتحلوا من المغرب الإسلامي إلى مصر والشام والحجاز، أو الذين ارتحلوا من المشرق إلى المغرب الإسلامي في نسج علاقات قوية مع بعضهم البعض في المؤسسات التعليمية التي انتشرت بالمدن المملوكية خاصة القاهرة ودمشق والقدس ومكة والمدينة.

لقد أنتج الاتصال الثقافي بين المغاربة والمشارقة عدة مظاهر وآثار في الجوانب الدينية والروحية والعلمية والفنية، فانتشر المذهب السني. كما ألقت العلاقات الثقافية بظلالها على الحياة الروحية، فعم

التصوف القطرين، وأصبح من مظاهر الحياة الدينية، وانتشرت تعاليم الطرق الصوفية التي بدأت تظهر بمصر وانتقلت إلى المغرب الإسلامي عن طريق الرحلة بين البلدين، خاصة الطريقة الشاذلية.

ونالت الجوانب العلمية النصيب الأوفر فيما يخص مظاهر العلاقات الثقافية بين المغرب والمشرق، حيث كان التأثر والتأثير متبادلا بين العلماء في مناهج وأساليب التعليم، كما تبادلوا الكتب والمصنفات التى أصبحت من المقررات الدراسية بالبلدين. وكانت المناظرات العلمية من أبرز المظاهر التي تجلت من خلالها العلاقات الثقافية، حيث أتاحت الفرصة لتقييم المستوى العلمي لعلماء البلدين.

إن التواصل الثقافي بين المغرب الإسلامي وبلاد المشرق، كان له أبعاد إيجابية على الجوانب التي كان يشملها النشاط الثقافي في العصور الوسطى، أي الجوانب العلمية، حيث استفاد أهل العلم والثقافة من إنتاج بعضهم البعض في عملية أخذ وعطاء علمي، وساهم ذلك في تشكيل معالم الوحدة الإسلامية بين البلدان الإسلامية، خاصة في الجانب الثقافي.

الملاحق

جداول الحكام من السلاطين والخلفاء في المغرب الإسلامي ومصر والشام خلال القرنين 7-9هـ/13-15م

جدول رقم (1)

سلاطين دولة بني أبي حفص

أسماء السلاطين	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي
أبو محمد عبد الواحد	618/603	1221
أبو زكريا يحيى الأول	647	1249
أبو عبد الله محمد المستنصر	675	1277
أبو زكريا يحيى الثاني الواثق	678	1279
أبو إسحاق إبراهيم الأول	681	1283
الدعي أحمد بن مرزوق بن عمارة	683	1284
أبو حفص	694	1295
أبو عبد الله محمد أبو عصيدة	709	1309
أبو يحيى أبو بكر الشهيد	27 ربيع الآخر 709	1309
أبو البقاء خالد الأول	711	1311
أبو يحيى زكريا الأول بن اللحياني	717	1317
أبو عبد الله محمد أبو ضربة	718	1318
أبو بكر	747	1347

أبو حفص عمر (للمرة الأولى)	**747**	**1346**
أبو العباس أحمد	**747**	**1347**
أبو حفص عمر (للمرة الثانية)	**748**	**1347**
استيلاء أبي الحسن المريني على إفريقية	**750/748**	**1350/1347**
أبو العباس أحمد الفضل	**751**	**1351**
أبو إسحاق إبراهيم الثاني	**770**	**1369**
أبو البقاء خالد الثاني	**772**	**1370**
أبو العباس أحمد	**796**	**1394**
أبو فارس عبد العزيز	**837**	**1434**
أبو عبد الله محمد السادس المنتصر	**839**	**1435**
أبو عمرو عثمان	**894**	**1488**
أبو زكريا يحيى الثالث	**895**	**1489**
عبد المؤمن	**895**	**1489**
أبو يحيى زكريا الثاني	**899**	**1494**
أبو عبد الله محمد الخامس	**932**	**1526**

جدول رقم (2)

سلاطين دولة بني عبد الواد الزيانية

أسماء السلاطين	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي
أبو يحيى يغمراسن بن زيان	**681/633**	**1282/1235**
أبو سعيد عثمان الأول بن يغمراسن	**703**	**1303**
أبو زيان محمد بن عثمان الأول	**707**	**1307**
أبو حمو موسى بن عثمان الأول	**718**	**1318**
أبو تاشفين عبد الرحمن الأول	**737**	**1337**
أبو سعيد عثمان الثاني	**753**	**1352**
أبو حمو موسى الثاني	**791/760**	**1389/1359**
أبو ثاشفين عبد الرحمن الثاني	**795**	**1392**
أبو ثابت يوسف بن أبي تاشفين الثاني	**796**	**1393**
أبو الحجاج يوسف بن أبي حمو الثاني	**797**	**1394**
أبو زيان الثاني عبد الرحمن بن أبي حمو الثاني	**801**	**1399**
أبو محمد عبد الله الأول بن أبي حمو الثاني	**804**	**1402**
أبو عبد الله محمد الأول ابن خولة	**813**	**1411**
عبد الرحمن الثالث	**814**	**1412**
السعيد بن أبي حمو الثاني	**814**	**1412**

أبو مالك عبد الواحد بن أبي حمو (للمرة الأولى)	827	1424
أبو عبد الله محمد الثاني ابن الحمراء (للمرة الأولى)	831	1428
أبو مالك عبد الواحد (للمرة الثانية)	833	1430
أبو عبد الله محمد الثاني (للمرة الثانية)	834	1431
أبو العباس أحمد العاقل بن أب حمو الثاني	866	1462
أبو عبد الله محمد الثالث المتوكل	873	1468
أبو عبد الله محمد الرابع الثابتي	910	1505
أبو عبد الله محمد الخامس بن محمد الثابتي	922	1516
أبو حمو الثالث بن محمد الثابتي (للمرة الأولى)	923	1517
أبو زيان أحمد الثالث	924	1521
أبو حمو الثالث بن محمد الثابتي (للمرة الثانية)	934	1528
عبد الله بن أبي حمو بن محمد الثابتي	947	1540
أبو زيان أحمد الثاني بن عبد الله الثاني (للمرة الأولى)	949	1542
أبو عبد الله محمد بن أبي حمو	949	1542
أبو زيان أحمد الثاني بن عبد الله الثاني (للمرة الثانية)	957	1550
الحسن بن عبد الله الثاني الزياني	962	1554

جدول رقم (3)

سلاطين دولة بني مرين

أسماء السلاطين	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي
أبو محمد عبد الحق المريني	637/613	1240/1217
أبو معروف محمد بن عبد الحق	642	1244
أبو يحيى أبو بكر بن عبد الحق	647	1249
أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق	685	1286
أبو يعقوب يوسف الناصر بن يعقوب	707	1307
أبو ثابت عامر بن يوسف	708	1308
أبو الربيع سليمان بن يوسف	710	1310
أبو سعيد عثمان بن يعقوب	731	1331
أبو الحسن علي بن عثمان	746	1348
أبو عنان فارس بن علي	758	1358
أبو زيان السعيد محمد بن فارس	758	1358
أبو يحيى أبو بكر بن فارس	759	1359
أبو سالم إبراهيم بن علي	761	1361
محمد بن يعقوب	767	1366
أبو فارس عبد العزيز بن علي	774	1372

أبو زيان السعيد محمد بن عبد العزيز	775	1373
أبو العباس أحمد بن إبراهيم	786	1384
أبو فارس موسى بن فارس	789	1387
أبو العباس أحمد بن أحمد	796	1393
أبو فارس عبد العزيز بن أحمد	798	1396
أبو عامر عبد الله بن أحمد	800	1398
أبو سعيد عثمان بن أحمد	823	1420
أبو محمد عبد الحق بن عثمان	830	1428
أبو محمد عبد الحق	869	1465

جدول رقم (**4**)

سلاطين بني الأحمر في الأندلس

أسماء السلاطين	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي
الغالب بالله محمد بن يوسف بن محمد بن نصر بن الأحمر الأول	629	1232

محمد الفقيه الثاني	672	1273
محمد الثالث المخلوع	701	1302
نصر بن محمد	708	1309
أبو الوليد بن فرج إسماعيل الأول	713	1314
محمد بن إسماعيل الرابع	725	1325
أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل الأول	733	1333
الغني بالله محمد بن يوسف الأول (للمرة الأولى)	755	1354
إسماعيل الثاني (استولى على الحكم في عهده صهره محمد بن إسماعيل)	762	1361
الغني بالله (للمرة الثانية)	794	1392
أبو الحجاج يوسف الثاني بن محمد الخامس	795	1393
الغني بالله محمد السادس بن يوسف الثاني	810	1408
يوسف الثالث	820	1417
أبو عبد الله محمد السابع بن يوسف الثالث	858	1454
سعد بن إسماعيل النصري	868	1464
أبو الحسن علي بن سعد بن إسماعيل (للمرة الأولى)	887	1482
أبو عبد الله محمد (للمرة الأولى)	888	1483
أبو الحسن علي بن سعد بن إسماعيل (للمرة الثانية)	890	1485
أبو عبد الله الزغل	892	1487

أبو عبد الله محمد (للمرة الثانية	897	1492/1491

جدول رقم (5)

سلاطين المماليك البحرية

أسماء السلاطين	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي
المعز لدين الله أيبك	648	1250
المنصور نور الدين علي بن المعز	655	1257
المظفر سيف الدين قطز	657	1259
الظاهر ركن الدين بيبرس	658	1260
السعيد ناصر الدين محمد بركة خان بن بيبرس	676	1277
العادل بدر الدين سلامش بن بيبرس	678	1279
المنصور سيف الدين قلاوون	679	1279
الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون	689	1290
الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون	693	1292
العادل زين الدين كتبغا	694	1294
المنصور حسام الدين لاجين	696	1296
الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون (سلطنته الثانية)	698	1298
المظفر ركن الدين بيبرس (الثاني) الجاشنكير	708	1308

الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون (سلطنته الثالثة)	709	1309
المنصور سيف الدين أبو بكر بن الناصر محمد	741	1341
الأشرف علاء الدين كجك بن الناصر محمد	742	1341
الناصر شهاب الدين احمد بن الناصر محمد	742	1342
الصالح عماد الدين إسماعيل بن الناصر محمد	743	1342
الكامل سيف الدين شعبان بن الناصر محمد	746	1345
المظفر زين الدين حاجي بن الناصر محمد	747	1346
الناصر ناصر الدين بدر الدين الحسن بن الناصر محمد	748	1347
الصالح صلاح الدين بن الناصر محمد (سلطنته الثانية)	754	1351
الناصر ناصر الدين بدر الدين الحسن بن الناصر(سلطنته الثانية)	755	1354
المنصور صلاح الدين محمد بن سيف الدين حاجي بن الناصر محمد	9جمادي الاخر761	1361
الأشرف ناصر الدين زين الدين شعبان بن حسن بن الناصر محمد	15 شعبان764	1364
المنصور علاء الدين علي بن شعبان بن حسين بن الناصر بن محمد	ذي القعدة 778	1376
الصالح صلاح الدين زين الدين حاجي بن شعبان بن حسين بن الناصر محمد	783	1381

جدول رقم (6)

سلاطين المماليك البرجية / الجراكسة

أسماء السلاطين	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي
الظاهر سيف الدين برقوق	**784**	**1382**
الصالح حاجي بن شعبان (سلطنته الثانية)	**791**	**1388**
الظاهر سيف الدين برقوق (سلطنته الثانية)	**792**	**1389**
الناصر ناصر الدين أبو السادات فرج	**801**	**1398**
المنصور عبد العزيز علي	**26 ربيع الأول 808**	**1405**
الناصر ناصر الدين فرج (سلطنته الثانية)	**5 جمادي الآخر 808**	**1405**
الخليفة العادل المستعين بالله العباسي	**15 شوال 815**	**1412**
الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي	**20 جمادي الآخر 815**	**1412**
المظفر بن المؤيد شيخ	**محرم 824**	**1421**
الظاهر سيف الدين أبو الفتح ططر	**شعبان 824**	**1421**
الصالح ناصر الدين محمد بن ططر	**ذي الحجة 824**	**1421**
الأشرف سيف الدين برسباي	**825**	**1421**
العزيز جمال الدين يوسف بن برسباي	**841**	**1438**

الظاهر سيف الدين جقمق	842	1438
المنصور فخر الدين عثمان بن جقمق	11محرم 857	1453
الأشرف سيف الدين إينال	13ربيع الأول 857	1453
المؤيد شهاب الدين احمد بن إينال	14جمادى الاول 865	1461
الظاهر سيف الدين خشقدم	19رمضان 865	1461
الظاهر سيف الدين بلباي	4ربيع الأول 872	1467
الظاهر تمربغا	جمادى الأول 872	1467
الأشرف سيف الدين قايتباي	رجب 872	1467
الناصر محمد بن قايتباي	901	1495
الظاهر قانصوه الأشرفي	904	1498
الأشرف جان بلاط	905	1499
الأشرف طومان باي قانصوه الأشرفي	جمادى الآخر 906	1500
الأشرف قانصوه الغوري	شوال 906	1500
الأشرف طومان باي الثاني	923	1517

جدول رقم (7)

الخلفاء العباسيون بمصر في عهد سلاطين المماليك البحرية

أسماء الخلفاء	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي
أبو القاسم احمد المستنصر بالله	**659**	**1261**
الحاكم بأمر الله احمد بن الخليفة الراشد بالله	**660**	**1262**
المستكفي بالله أبو الربيع	**701**	**1302**
الواثق بالله إبراهيم بن المستمسك بالله بن المستكفي	**740**	**1339**
الحاكم بأمر الله (الثاني) احمد بن المستكفي بالله	**741**	**1340**
المعتضد بالله أبو بكر بن المستكفي بالله	**753**	**1352**
المتوكل على الله محمد أبو عبد الله	**763**	**1362**
الواثق بالله أبو يحيى زكريا المعتصم	**ربيع الأول 779**	**1377**

جدول رقم (8)

الخلفاء العباسيون في مصر على عصر سلاطين المماليك البرجية

أسماء الخلفاء	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي
الواثق بالله (الثاني) عمر بن الواثق بالله إبراهيم	**785**	**1382**
المعتصم بالله زكريا	**788**	**1386**
المتوكل (للمرة الثانية)	**791**	**1388**
المستعين بالله عباس بن المتوكل	**رجب 808**	**1405**
المتوكل (للمرة الثالثة)	**815**	**1412**

المعتضد بالله داود (الثاني)	ذي الحجة 816	1413
المستكفي بالله سليمان (الثاني)	ربيع الأول 845	1441
القائم بأمر الله حمزة	محرم 855	1451
المستنجد بالله يوسف	رجب 859	1454
المتوكل على الله عبد العزيز (الثاني) بن يوسف بن المتوكل	محرم 884	1479
المستمسك بالله يعقوب	صفر 903	1497
المتوكل على الله (الثالث) بن المستمسك	914	1508
المستمسك (للمرة الثانية)	922	1516
المتوكل (الثالث) (للمرة الثانية)	923	1517

تم الاعتماد في إنجاز هذه الجداول على معظم المصادر المراجع الخاصة بالتاريخ السياسي لدول المغرب الإسلامي ودولة المماليك بين القرنين 7-9هـ/13-15م .

رسالة أبي الحسن المريني إلى الناصر المملوكي

" من عبد الله علي أمير المسلمين، وناصر الدين، المجاهد في سبيل رب العالمين، ملك البرين، ومالك العدوتين، أبي سعيد (الصواب أنه يقصد أبو الحسن المريني)، ابن مولانا أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين، ملك البرين، وسلطان العدوتين، أبي سعيد ابن مولانا أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين، ملك البرين، وسلطان العدوتين، القائم لله بإعلاء دين الحق، أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، منح الله التأييد مقامه، وفسح لفتح معاقل الكفر وكسر جحافل الصفر أيامه.

إلى السلطان، الجليل، الكبير، الشهير، العادل، الفاضل، الكامل، الحافل، الملك، الناصر، المجاهد، المرابط، المثاغر، المؤيد، المظفر، المنصور، الأسعد، الأصعد، الأرقى، الأوقى، ناصر الدنيا والدين، وقامع البغاة والمعتدين، ومفيد الأوطار، مبيد الكفار، هازم الجيوش الأرمن والفرنج والكرج والتتار، مالي صدور البراري والبحار، حامي القبلتين، خديم الحرمين، غيث العفاة، عون العناة، مصرف الكتائب، مشرف المواكب، ناصر الإسلام، ناشر الأعلام، فخر الأنام، ذخر الأيام قائد الجنود، عاقد البنود، حافظ الثغور، حامي الجمهور، نظام المصالح، بقية السلف الصالح، ظهير الخلافة وعضدها، ولي الإمامة وسندها، عاضد كلمة الموحدين، ولي

أمير المؤمنين، أبي المعالي (محمد) ابن السلطان، الكبير، الجليل، الشهير، الشهيد، الخطير، لعادل، الفاضل، الكامل، الحافظ، الحافل، المؤيد، المظفر، المعظم، المبجل، المكبر، الموقر، المعزز، المجاهد،المرابط، المثاغر، الأوحد، سيف الدين (قلاوون) أدام الله فضل عزمه الماضي بتأييده، وأدار الأفلاك بتشييد ملكه الشامخ وتمهيده، وطهر أرجاءه من أرجاس المنافقين، وأدناس المارقين، بما يريق عليها من دمائهم، فما كل متطهر يجزئ عنه غسل مائه أو تيمم مائه.

سلام كريم، طيب عميم، أريج الشميم، متضوع النسيم، تستمد الشمس باهر سناه، ويستعير المسلك عاطر شذاه، يخص إخاءكم العلي، ووفاءكم الوفي، ورحمة الله وبركاته.

أما بعد حمد الله الذي أيد المؤمنين، على عدوهم فأصبحوا ظاهرين، وعرف الإسلام وأهله من السر العجيب، والصنع الغريب، ما فيه عبرة للسامعين والناظرين، حكمة عجزت عن فهم سرها المكتوم، وقصرت عن كنهها المختوم، ألباب عبيده القاصرين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذي أرشد به الحائدين الحائرين، وأرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله برغم الجاحدين الكافرين، وعلى آله وصحبه الذين هاجروا إليه وبلادهم هجروا، والذين آووا من آوى إليهم ونصروا، والذين جاهدوا في الله فصبروا، ففازوا بذكر المجاهدين والأنصار وأجر المجاهدين الصابرين، وصلة الدعاء لحزب الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، بفضل لا يزالون معه لأعدائهم قاهرين، وسعد لا ينفكون له بآمالهم ظافرين، ونصر من عند الله وما النصر إلا من عند الله وهو خير الناصرين.

فإنا كتبنا إليكم – كتب الله لكم مجدا مديد الظلال، وعضدا حديد الإلال، وسعدا جديد السربال – من منصورة "تلمسان" حرسها الله تعالى، والصنائع الربانية تكيف العجائب، وتعرف العوارف الرغائب، وتشنف الأسماع بما تسمعها من إجزال المنوح والمواهب، وتفوف الرقاع بما تودعها من أحاديث الفتوح الغرائب، والحمد لله على ما يسر من المآرب، وسهل من المواهب، وإخاؤكم الصادق مبرور الجوانب، مأثور المناقب، مشرق الكواكب، مغدق السحائب، نامي المراتب، سامي المراقب، والله تعالى يبقيه في ذاته، ويقيه من صرف الدهر وأداته، وإلى هذا وصل الله لكم سعدا جديدا، وجدا سعيدا، ومجدا حميدا، وحمدا مجيدا، فقد وصل كتابكم الأثير، المزرى بالمسك النثير، فاجتلينا منه روضة جادها البيان فأمرعها، ورادها البنان فوشعها، واجتنينا من غصون سطوره ثمرات وداد ما أينعها، إنباءا عما تلقاه الإخاء الكريم من قبل الشيخ الأجل، **أبي عبد الله محمد بن الجراح** مما عنا تحمل، وفي إلقائه وأدائه بحضرتكم الكريمة أحسن وأجمل، وهو ما كان عليه عزم مولاتنا الوالدة ألحقها الله تعالى رضوانه، وبوأها جنانه، من حج البيت المحرم وزيارة (القبر) المعظم المكرم، والصلاة بالمسجد الحرام ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم، وثالثها في شد الرحال المسجد الأقصى ونعم المغتنم، وقضاء النسك، بتلك المناسك والمشاهد، والتبرك بتلك المعالم المنيفة والمعاهد، وما وصف مع ذلك بهذا الجانب الغربي، ورصف من أمر بقتالنا من كل مارق أبي وكافر حربي، وما منحنا الله من نصر لقلوب أهل الإيمان مبهج، ولصدور عبدة الصلبان محرج، وأن الإخاء الكريم حصل له بذلك أبهى ابتهاج، وحل منه محل القبول الذي انتهج له من اقتفى سبيل القصد أنهى انتهاج، فعقد العزم على تلقي الوافد من

تلقائنا، والوارد رجاء أداء فرض الحج من أرجائنا، بتسهيل سبيله، وتيسير ارتحاله إلى بيت الله ورسوله، وأنه متى وقع الشعور بمقدم المولاة رحمها الله تعالىعلى بلاده، وقربها من جهاته المجودة من جود جوده بعهاده، يقدم للخروج من يتلقى ركابها، ويعتمد بالبر والتكريم جنابها، حتى تحمد وجهتها الشريفة بجميل نظره وإيابها، وقام عنا بما نوده من برها، وساهم فيما تقدمه إلى الله عز وجل من صالح أجرها، وقد قابلنا هذا الفضل من الشكر بأجزله، ومن البر بأحفاه وأحفله، وحصل لدينا بإزائه سليم وده وكريم إخائه، من تخليص ولائه، وتمحيص صفائه، منا ما يزال عهده الأنيق في نمائه، وعقده الوثيق في ازدياده ونمائه، وغصنه الوريق في رونق غلوائه، ولئن كانت المولاة الوالدة قدس الله روحها، وبرد ضريحها، قد وافت بما قدمت عند الله من صالح العمل، وماتت على ما أبرمته في قصد البيت الشريف من نية وأمل، اذ كانت رحمة الله تعالى عليها قد تأهبت لذلك، واعتدت لسلوك تلك المسالك، وأداء ما فرض الله من السعاية والمناسك، وعلى الله إجزال ثوابها، وعنده نحتسب ما ألم من مصابها- فإن لدينا ممن يمت بحرمة المحرم إلينا، ويلزم بحق التربية علينا، من يقوم مقامها، ويروم من ذلك المقصد الشريف مرامها، وسنوردها إن شاء الله تعالى على تلكم البقاع، ونوردها من تلكم الأقطار والأصقاع، ما يجمل بحسن نظركم مورده ومصدره، ويطابق في جميل اعتنائكم وحفيل احتفالكم خبره ومخبره، بفضل الله وعونه.

وأما تشوق ذلكم الإخاء، لمواصلة الكتب بسار الأنباء، فإن من أقربها عهدا، وأعذبها حديثا يهادى ويهدى، ما كان من أمر العاق قاتل أبيه، الحال من إقليم تلمسان وممالكها بالمحل النبيه، وذلك أن أسلافه بني زيان، كانوا قد استولوا على هذه المملكة في سالف الزمان، ولم يزل بينهم وبين أسلافي المحتوين على ملك المغرب الأقصى وقائع تورد الحمام، وتذيقهم الموت الزؤام، فيدعون المنازعة، ويعودون للموادعة، ثم لم يلبثوا، أن ينكثوا، ولم يصبروا، أن يغدروا،إلى أن كان من حصار عمنا المقدس المرحوم أبي يعقوب قدس الله تربته إياهم، فأكثر موتهم وكدر محياهم، وتمادى بهم الحصار تسع سنين، وما كانوا غير شرذمة قليلين، وهنالكم اتصلت بينكما المراسلة، وحصلت الصداقة والمواصلة، حتى حم موته، وتم فوقه، رحمة الله تؤمه، ورضوانه يشمله ويعمه، فنفس خناقهم، وعاد إلى الإبدار محاقهم، وصرف القائم بعده عنهم الحين، عما كان هو رحمه الله قد طوع من بلاده مغراوة وتجين، فاتسعت عليهم المسالك، وملكوا ما لم يكن فيه لأوائلهم طمع من الممالك، لكن هذا الخائن وعمه كانا ممن أسأرته الفتن، وعم به من غوامر المحن، فسلكا مسلك أسلافهما في إذاعة المهادنة، والزوغان من الإعلان بالمفاتنة.

ولما سول الشيطان لهذا العاق قتل والده، والاستيلاء على طارفه وتالده، لم يقدم عملا على إشخاص إرساله بحضرة مولانا المقدس أبي سعيد، قدس الله مثواه، وجعل الجنة مأواه، في السلم راغبا، وللحكم بموادعته طالبا، فاقتضى النظر المصلحي حينئذ موافقته في غرضه، وإن كان باطنه على مرضه، فقوى أمره، وضرى ضره، وشرى شره، ووقد تحت الرماد جمره، وسرى إلى بلاد جيرانه الموحدين داؤه، وطال عليهم تضييقه واعتداؤه، واستشعر ضعفهم عن مدافعته، ووهنهم عن مقاومته، فبغى وطغى، ولم يدر أن من فوقه سقب السماء رغا، وباطن جماعة من أهل عرب إفريقية المفسدين وجروه بحبل الأطماع إليها، وأقام على بجاية

عشرين سنة يشد على بجاية الحصار، ويشن على أحواز تونس الغار، حتى كان من هزيمة جيشه لصاحبها ما كان، بمالأة منهم ومن غيرهم من وراتيه(؟) كابن اللحياني، وابن الشهيد، وابن عمران، فأدى ذلك صاحبها السلطان أبا يحيى أعزه الله تعالى أن بعث إلينا وزيره في طلب النصرة رسولا، وأوفد علينا أعز ولده أبا زكريا في ذهاب المضرة عنه دخيلا، فخاطبنا إذ ذاك هذا الخائن العاق مبصرين، وبقوله تعالى " وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما" مذكرين، فما زادته الموعظة إلا أشرا، ولا أفادته التذكرة إلا بطرا، وحين ذكر فلم تنفعه الذكرى، وفكر فلم يتيسر لليسرى، امتثلنا فيه أمر الله تعالى المرتب على قوله " فإن بغت إحداهما على الأخرى" فأزمعنا قدعه، وأجمعنا رد ردعه. وفي أثناء ذلكم وصل إلينا أيضا سلطان الأندلس مستغيثا على النصارى أعداء الله جيرانه على طاغيتهم، المصر على عداوته وعداوتهم، فجهزنا معه ولدنا عبد الواحد في أربعة آلاف من الأبطال، وأمددناهم بما كفاهم من الطعام والعدة والمال، فأجاز من سبتة إلى الخضراء عجلا، ولم يقدم على منازلة جبل الفتح عملا، وكان هذا الجبل الخطير شأنه منذ استولى عليه العدو قصمه الله في سنة تسع وستين شجا في لهوات أهل العدوتين، وغصة في نفوس الساكنين بالجهتين، لاطلاعه عليهما، وإرساله جوارح جواريه إليهما، تخطف من رام العبور ببحر الزقاق، وما يقرب الملجأ إلى هذا المعقل المستقر من اللحاق، فكم أرمل وأيتم، وأثكل وأيم فأحاطت به العاديات السوابح برا وبحرا، وأذاقت من به هم من أهماج الأعلاج شرا وحصرا، إلى أن أسلموه للمسلمين قهرا وقسرا، ومنح الله حزبه المؤمنين فتحا ونصرا، وسمع الطاغية الغادر إجابة الله تعالى بأمره، فطار بما قدر عليه من حشوده وجنوده إلى إغاثته ونصره، فوصله بعد ثمانية أيام، من تسليمه للإسلام، فنزل بخيله ورجله إزاءه، وأقسم بمعبوده لا يبرح فناءه، حتى يعيد إليه دينه، أو يلقى منونه دونه، فأكذب الله زعمه، وأوهن عزمه، وأحنث يمينه، وأقلع بعد شهرين وأيام مدلجا، وأسرع العود إلى مستقره، واسأله كيف نجا، وكان ذلك سبب إنابته للسلم وانقياده، وإجابته لترك ما كان له على أصحاب غرناطة من معتاده، وكانو يعطونه ما ينيف على الأربعين ألفا من الذهب في العام، ضريبة ألزمهم الطاغية أداءها في عقد مصالحته أي إلزام، فسمناه تركها وإسقاطها، وألزمناه فيما عقدناه له من السلم أن يدع اشتراطها، والحمد لله أعز بنا دين الإسلام، وأذل رقاب عبدة الأصنام، وقد اعتنينا بتحصين حصن هذا الجبل تتميما لها وتكميلا، وابتدأنا من تحصين أسواره وأبراجه بما يغدو على جبينه تاجا وإكليلا. وكنا في هذه المدة التي جرت بها هذه الأحوال، وعرت فيها هذه الأهواء والأهوال، منازلين أخانا الممتنع بسجلماسة من بعض بلاد القبلة، ومحاولين من إزاحة ضره، والإراحة من شره، ما فيه الصلاح والفلاح على التفصيل والجملة، لعثايته في الفساد، ودعايته إلى العناد، ومعاضدته صاحب تلمسان، ومساعدته على البغي والعدوان، فسهل الله افتتاحها وعجل من صنائعه الجميلة منها مباحها، وذلك بعد تسليم جبل الفتح بثلاثة أشهر ونصف، ويسر الله تعالى من ذلك من بدائع الصنائع ما يقصر عنه كل نعت ووصف.

وفي خلال تلكم المنازلة، وحال تلكم المحاولة، لاحت للخائن التلمساني فرصه، جرع منها غصه، إذ ظن أنا عنه مشغولون، وفي أمر ما عرض من سجلماسة وجبل الفتح معتملون، فخرج من بلده على حين غفلة بالعزيمة والجد، إلى حصن ماوربرت(لعلها تامزدكت على الحدود) الذي هو بين بلاده وبلادنا كالحد،

فوجد هنالك ولدنا الأسعد تاشفين، في ثلة من بني مرين، آساد العرين، فلما نذروا به ثاروا إليه مسرعين، فنكص على عقبه، ولم ير له جنة أوقى من هربه، وعاد لذلك ثانية، فلم تكن عساكرنا عن طرده وأنيه، بل ردته في الحافرة، وأنشدته بلسان حالها الساخرة:

إن عادت العقرب عدنا لها """" وكانت النعل لها حاضرة

ولما فرغنا والحمد لله من تلكم الشواغل، وأرغنا من الخائن التلمساني ترك ما هو فيه من إثارة الفتن واغل، فأعرض وأشاح، وما لاحت عليه مخيلة فلاح، نهدنا نحو أرضه، لنجزيه بقرضه، بجيوش يضيق عنها فسيح كل مدى، وخيول تذر الأكم للحوافر سجدا، تنقض على الأقران أمثال الأجادل، فكنفنا بتسلم منازله منزلا فمنزلا، وتسنم معاقله معقلا معقلا فمعقلا، وجل رعاياه تقر بفضلنا، وتفر من جوره إلى عدلنا، ومن تمسك منهم بحبله، أو سلك من الغي في سبله، قاده السيف برغمه، واستنزله على حكمه، والعفو مع ذلك يؤمهم، والإحسان يشملهم ويعمهم، حتى لم يبق إلا معقله الأشب، ومنزله الذي رأى أنه عن عين الشوائب محتجب، قد شمخ أنفا حميا، وصافح كفا للثريا، ولم يرض لها منه عمائم إلا الغمائم، ولا لأنامل شرفاته خواتم، إلا النجوم العواتم، فنزلنا بساحه، وأقبلنا على كفاحه، وجعلنا نقذفهم من حجارة المجانيق، بأمثال النيق، ومن كيزان النفط الموقدة، بأمثال الشهب المرصدة، ومن السهام العقارة، بأمثال العقارب الجرارة، حتى غدت جدرانهم مهدومة، وجسومهم مكلومة، وثغور شرفاتهم في أفواه أبراجهم مهتومة، وظلت الفعلة تشيد إزاء أبراجهم أبراجا، وتمهد منها لتسوير أسوارهم أدراجا، وللمعاول في أسافلها إعوال، وللعواسل على أعاليها أعمال، وللأشقياء مع ذلك شدة وجلد، وعدة وعدد، وحدة ولدد، يقاتلون حمية، وينازلون بنفوس أبية، وحجارة المجانيق تشدخ هامهم، وبنات الكنائن تزلزل أقدامهم، وهم في مثل ذلك لازمون إقدامهم، إلا أن اشتدت أزمتهم فلم يجدوا لها من فارج، وأحاطت بهم الأوجال من خارج، وهدمت أبراجهم الشواهق، وردمت حفائرهم والخنادق، وأخذت الكماة، في العروج إلى البروج، والحماة في السباق إلى الأنفاق، والرماة في النضال بالنصال، فمن مرتق سلما غير متق مؤلما، ومشتغل بالنقب، غير محتفل بشابور الحجارة المنصب، وأفرج المضيق، وانتهج الطريق، واقتحمته أطلاب الأبطال، وولجته أقيال القبائل وولى الأشقياء الأدبار، وعاذوا بالفرار، وبدت عليهم علامات الإدبار، وسابقوا إلى الأبواب، فكان مجيئهم من أقوى الأسباب، وقتل منهم الزحام من أسأره الهدم والحسام، فتملكنا ما دارت عليه الأسوار الخارجية: كفرار السبع والملعب، وجميع الجنان والعروش التي ما انفك الشقي يجتهد في عمارتها ويتعب، وأعلنا بالنداء أن كل من جاءنا هاربا ووصل إلينا آتيا، منحناه العفو ومحونا عنه الهفو، وأوردناه من إحساننا الصفو، فتبادروا عند ذلك يتساقطون من الأسوار تساقط جنيات الثمار، فرادى ومثنى آيبين إلى الحسنى، فيسعهم الصفحن ويحسبهم المن والمنح.

ولما رأى الخائن قلة من بقي معه، وشاهد تفرق من ذلك الموقف جمعه، أمر بسراح من في قبضته وسجنه، واعتقدهم عونا له فكانوا أعون شيئ على وهيه ووهنه، واعتمد الناس في بقية يومهم السور متوسع أنقابه، وتتخرق أبوابه، إلى أن جنهم الليل، وحاق منهم بالأعداء الويل، ولزم كل مركزه، ولم يكن الليل

ليحجبه من عمله ولا يحجزه، وبات الفرار إلينا يهربون، ومن كل نفق يتسربون، فلما ارتفع الضياء ومتع الضحاء، أمرنا ولدينا: يعقوب وعبد الواحد ووزيرنا القاعد له بالمراصد، بأن زحفوا إليها مع أطلابنا تحت راياتنا المنصورة عليها، فرجفت قلوبهم، ووجبت جنوبهم ولم يكن إلا كلا حتى امتطيت تلك الصهوة، وتسنمت فيها الذروة، وتسلمت بيد العنوة وفصمت عراها عروة عروة، وأنزلوا من صياصيهم، وتمكنت يد القهر من نواصيهم، وحقت عليهم كلمة العذاب من معاصيهم، وفر الشقي إلى فناء داره، في نفر من ذويه وأنصاره وفيهم ولداه مسعود وعثمان، ووزيره موسى ابن علي معينه على البغي والعصيان، وعبد الحق بن عثمان الخائن الغادر، وابن أخيه العامل بعمله ثابت بن عامر، فتكنفهم هنالك أولياء دولتنا العلية، فأوردوهم ويوسف ولد الشقي السالب حياض المنية، ونبذت بالعراء أجسامهم، وتقدمنا للحين بأن يمد على الرعية ظل التأمين، ويوطأ لهم كنف التهدئة والتسكين، ويوطد لهم مهاد العافية، وتكف عنهم الأكف العادية، حتى لا تمتد إليهم كف منتهب، ولا يلتفت نحوهم طرف مستلب، ومن انتهب شيئا أمر برده، وصد عن قصده، وكمل لنا والحمد لله بالاستيلاء على هذا القطر جميع البلاد الداخلة في ولاية بني عبد الواد، ونسخت منها دولتهم، ومحيت من صحيفتها دعوتهم، وعوض الرعايا من خوفهم أمنا، ومن شؤمهم يمنا، وشملتهم كلمتنا الراقية، المنصورة بكلمة الله الباقية، وفي ذلك معتبر لأهل اليقين، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

والحمد لله على هذه النعمة التي أفاضت على النعم جلالا، والصنيعة التي بهرت الصنائع جمالا، وأضفت على المسلمين من الصلاح والعافية سربالا. وقد رأينا من حق هذا الإنعام الجسيم، والصنع الرائق الوسيم، أن نتبع العفو بعد المقدرة، بالإحسان لمن أسلف لنا غمطه أو شكره، فمننا على قبائل بني عبد الواد، وأضفينا عليهم صنوف الملابس نساءا ورجالا، وأوسعنا لهم في العطاء مجالا، وأفعمنا لهم من الحباء سجالا، وأقطعنا لهم من بلاد المغرب حاطا الله تعالى ما هو خير من بلادهم، وحبوناهم منها بما كفل بإحساب مرادهم، وإخصاب مرادهم، وخلطناهم بقبائل بني مرين، وحطناهم باتحاد الكلمة من تقول المتقولين، وتزوير المزورين، وأعددنا منهم لأوان الجهاد أوفر عدد، واعتدنا من فرسانهم ورجالهم لطعان الأعادي أكبر مدد، وأزيل عن الرعايا بهذه البلاد الشرقية إصرهم، وأزيح عنهم بتوخي العدل فيهم جورهم ووزرهم، وخففنا عنهم ما آد من المغارم، وهاد من المكارم، فانشرحت صدورهم وصلحت أمورهم.

والحمد لله ثل محال الباغين ومجالهم، وأورثنا أرضهم وديارهم وأموالهم، وأخذهم بما احتقبوا من المآثم، واكتسبوا من الجرائم واستحلوا من المحارم، وأباحوا من المسكرات وأذاعوا من المنكرات، وطالما أصبح ربعهم معدن الفسوق وموطن العقوق، ومقطن إضاعة الحقوق، لا سيما في أيام المسرور بهناته، المغرور بما سول له الشيطان وأملى له من ترهاته، المشهور بقتل أبيه، المأثور من مثالبه ومعايبه بما لم يأت الدهر له بشبيه، ولقد طبقت الآفاق معاصيه، وبلغت أخبار خيانته من بأطراف المعمور وأقاصيه، ولكن الله تعالى أملى له ليكثر مآثمه، حتى إذا شاء أخذه أخذ القرى وهي ظالمة.

والحمد لله الذي طهر بأيدينا هذه الأرجاء من أرجاسه، ورحض عنها بأيدينا أوضار أدناسه وأنجاسه، وأتاح لأهلها بهلاك هذا المريد المراد، وأراح منه ومن شيعته البلاد والعباد، ولو لم يكن إلا ما نال الحجا من تعنيه وتعديه، وطال عليهم من تعرضه لهم وتصديه، حتى حجز عن الحجاز الشريف قصاده، وحجر بقطع السبيل عن بيت الله الحرام من أراده، فكم سلب الحجاج وسد عليهم المسالك والفجاج، وفرق فريقهم وعوق طريقهم. والآن بحمد الله حقت الحقائق، وارتفعت العوائق، وصح العليل، ووضح السبيل، وتسهل المرام، وتيسر القصد إلى البيت الحرام، مكان ترده الزوار عليكم أرسالا، ووفود الأبرار للسلم خفافا وثقالا، يأتون من كل فج عميق، ويقضون ما يقضون من مناسكهم، آمنين في مسالكهم إلى البيت العتيق، وهكذا أيضا خلا وجهنا لجهاد الروم، ولإعداد من يغزونهم في عقر دارهم للقصد المروم، وأن نجدد من هذا العمل بجزيرة الأندلس حماها الله تعالى ما لسلفنا بها سلف، ونبدد من شمل عباد الصليب ما يخلفهم بفضل الله تعالى خير خلف، فعمل الجهاد بهذه البلاد هو الفضيلة التي لنا الله سبحانه ذخرها، والحسنة التي في صحائف أعمالنا سطرها، وبجيوشنا المنصورة عز دين الإسلام بهذا المغرب الغريب، وبسيوفنا المشكورة والله المشكور ذل بها الصليب، أوزعنا الله تعالى شكر آلائه، وأمتعنا بتواتر نعمائه، بمنه وفضله.

وأنهينا لعلمكم الكريم هذه الأنباء السارة والآلاء الدائرة، لما ذكرتم من تشوفكم لاستطلاعها، وسطرتم من تشوقكم لاستماعها، ولعلمنا أنكم تسرون بقطع دابر الباغين، وتستبشرون بحسم أدواء الطاغين، وتؤثرون الإخبار بائتلاف الكلمة على أعداء الله الكافرين إيثار الحامدين لفعل الله تعالى في إظهار دينه للشاكرين. لازلتم تشرع نحوكم البشائر، وتفرع بذكركم المنابر، وترفع لاجتلاء آثار أمركم الستائر، واستجلاء أخبار سيركم الباهرة النواظر، وتجمع لسجاياكم السنية العلاء، ومزاياكم العلية السناء، وثواقب المناقب وقول خير المفاخر، إن شاء الله، والسلام الأتم، الأضوع الأنم، يخص إخاءكم الأوفى، ورحمة الله وبركاته"[1].

رسالة أبي تاشفين عبد الرّحمن الأوّل إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون
مؤرّخة في 725هـ/1325م

---

[1] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 87 وما يليها.

" إلى الحضرة العالية السامية، السنِّية، الماجدةِ، المحْسِنة، الفاضِلة، المؤيّدة، المظفّرة، المنصورة، المالِكة، حضرةِ السلطان، الملكِ، الجليلِ، الفاضلِ، المؤيّد، المنصور، المظفّر، المعظّم، ناصِر الإسلام، و مُذِلّ عَبَدَة الأصنام الذي أيّده الله بالبراهينِ القاطعة، و الأنوارِ المنيرة الساطعة، الأعْلى، الأوْحَد، الأكمل، الأرْفَع، الأمْجَد، الأسمى، الأسْرى، ذِي المجدِ الظاهر، والشّرف الباهر، الملكِ الناصر، ابن السلطان، المالكِ، الجليلِ، العادل، الفاضِل، المؤيَّد، المظفّر، الأعْلى، الأوْحد، الأكمل، الأرفع، الأمْجد، الأسمى، الأسْمى، ناصر الإسلام والمسلمين، ومُعلِي كلمة الموحّدين، المقدس، المرحوم، ذي المجدِ المشهور، والفَخْرِ المنْشُور، والذكر المذْخُور، الملك المنصور؛ أدام الله علُو قدره في الدُّنْيا والآخرة، وأسبغ عليه نعمة باطنةً وظاهرة، وجعل وُجوهَ مَحَاسنِهم في صَفَحات الدهر سارَّة سافره، وصفْقة أعدائهم خائبةَ خاسِره.

وبعدَ حمد الله الّذي أظهر الأمْرَ العلى الناصري وأيّده، وبَسَط في قول الحق وفِعْلِه لسانه ويَدَه، وسدد نحو الصّواب مَنحاه كُلّه ومقصده، ولصلاة التّامة المباركة على سيّدنا محمّد رسوله المصطفى، الذي خصّه الله بعُمُوم الدّعوة وأفرَدَه، وقَرَن ذِكْره بذِكْره فأبْقَاه أبد الدّهر وخلّده. والرّضا عن آله الكِرام، وصَحَابَتِه الأعلام، الذين حَفِظَوا بالتوقير والتعزير مَغيبه ومشْهده ؛ وكانُوا عند استِلالِ السُّيُوف، ومَجَال الحُتُوف، عدده المظَفّر وعُدده. والدعاء لذلكم المقامِ الشريفِ بسعْدٍ يُطيل في شرف الدين والدنيا مُدَده وأمَده.

سلامٌ عليكم ورحمةُ الله وبركاته، من أخيكم، البرّ بكم، الحريص على تَصَافيكم، عبد الرحمن بن أبي موسى بن يغمراسن، وإنا كتَبْنا إليكم كتبَ الله لكم أنجحَ المقاصد وأرجحها، و أثبتَها عزًّا وأوضَحَها، من حصن "تلمسان" حَرَسها الله تعالى، ولا ناشِئَ بفضْل الله تعالى إلاّ ما عوَد من بشائِر تُحَثّ جِيادُها، ومَسارَ يتطاولُ إلى المزيد اعتِيَادُها – وإلى هذا أعلى الله كلمتكم، وأمتَع المسلمين بطول بقائكم، فإنا تعرّفكم بوصول كتابكِم الخطير الأثير، فتلقيناه بما يجب من التكريم والتعظيم، وتَتَبّعنا فُصولَه، واستوعَبْنا فُروعَه وأُصُوله، وتحقّقنا مقتضاه ومَحْصُولَه، وعلمنا ما انْطوى عليه من المنن ولإفضال. واشتمل عليه من التفصيل والإجمال، ومن أعظم ذلك إذنكم لنا في أداء فرض الحجّ المبرور وزيارة سيّد البشر، الشفيع في المحشر، الذي وجبت له نبوّته، ومُثَنّي الغيب عليه مُنْسدل، وآدم صلواتُ الله عليه في طينته مجندل ؛ وعلم الله أنّنا لم تزل آمالُنا متعلّقة بتلكم المشاعر الكريمة، وقلوبُنا متشوّقة إلى تِلْكُم المشاهد العظيمة ؛ فلنا في ذلك نيّات صادقة التّحويم، وعزمات داعية التصميم، وكان بوَدّنا لو ساعدنا المِقْدار، وجَرَى الأمر على ما نُحبُّه من ذلك ونَخْتَارهُ، أن نُمتّع برؤية المواطن التي تُقِرّ أبصارا، و يُتَشَفّى بها إيرادا، و لعلّ الله تعالى ينفعُنا بخالص نيَّاتنا، وصادف طوياتنا، بمنه وكرمه.

وقد وجب شُكْرُكم علينا من كلّ الجهات، واتّصلت المحبّة والمودّة طُولَ الحياة، غير أنّ في قلوبنا شيئًا من مَيْلكم إلى غيرها واستِئْناسكم، ونحن والحمد لله أعلم النّاس بما يجب من حقوق ذلكم المقام الشريف، ولنا القُدْرة على القيام بواجِبكم، والوفاء بكريم حقكم، وليس بيْنَنا وبين بلادكم مَنْ يُخْشى والحمد لله من كيده، ولا يُبَالى بهَزْله ولا جِدّه ؛ وقد توجّه إلى بابكم الشّريف قرابتنا الشيخ الصالح الحسيب الأروع محمد، بن جرار الوادي، وهو من أهل الدّين والخير، وقد شافَهْناه بما يُلْقِيه إلى ذلكم المقام الشريف من تقرير الوُدّ والإخاء، والمحبّة، والصّفاء، مما يَعْجِز عنه الكتاب ؛ فالمقام الشريف يَثِق إلى قوله ويعامله بما يليق ببَيْتِه ودِينه، وعرضْنا أنْ تعرّفوه بجميع ما يصلُح

لذلكم المقام الشريف ممّا في بلادنا، و يصِلُكم إن شاء الله في أقَّرب الأوقات، على أحْسَن الحالات، ولكم بذلك علينا المِنّة العُظْمى، المزيّة القُصْوى، والله تعالى يُبْقى ذلكم المقام الشريف محروسَ المذاهب، مشكورَ المَنَاقب ؛ إن شاء الله تعالى "[1].

رسالة أبي عبد الله محمد بن الحجاج يوسف بن نصر إلى الملك الأشرف شعبان من إنشاء الوزير لسان الدين بن الخطيب[2]

"الأبواب الشريفة التي تعنو لعزة قدرها الأبواب، وتعتزي إلى نسب عدلها الحكمة والصواب، وتناديها الأقطار البعيدة مفتخرة بولائها واصلة بعلائها بما يشفي الجوى منها الجواب، فإن حسن مناب عن أئمة الهدى وسباق المدى كان منها عن عمومة النبوة النواب، وإذا ضفت على العفاة بغيرها أثواب الصلات ضفت منها على الكعبة المقدسة الأثواب، أبواب السلطان الكبير، الجليل الشهير، الطاهر الظاهر، الأوحد الأسعد، الأصعد الأمجد، الأعلى العادل، العالم العامل، الكامل الفاضل الكافل، سلطان الإسلام والمسلمين، رافع ظلال العدل، وحيد الفضل على العالمين، جمال الإسلام، علم الأعلام، فخر الليالي والأيام، ملك البرين والبحرين، إمام الحرمين، مؤمل الأمصار والأقطار، عاصب تاج الفخار، هازم الفرنج والترك والتتار، الملك المنصور أبي الفتوح شعبان، ابن الأمير الرفيع المجادة، الكريم البنوة والولادة، الطاهر الظاهر، الكبير الشهير، المعظم الممجد، الأسمى، الموقر الأعلى، فخر الملة، سيف الأمة، تاج الإمارة، عز الإسلام، جمال الأيام، قمر الميادين، أسد أجمة الدين، سمام الطغاة والمعتدين، المقدس المظفر، الأمير أبي علي حسين، ابن السلطان الكبير الشهير، ملك الإسلام والمسلمين، والد السلاطين، سيف خلافة الله في العالمين، ولي أمير المؤمنين، وظهير الدين، سلطان الحج والجهاد وكاسي الحرمين الأمين، قامع المعتدين، قاهر الخوارج والمتمردين، ناصر السنة، محيي الملة، ملك البرين والبحرين، مقيم رسوم الحرمين الشريفين، العادل، العالم العامل، الطاهر الظاهر، الأسعد الأصعد، الأوحد، الأعلى المنصور، المؤيد المعان، المرفع المعظم، المبجل المؤمل، المجاهد، المرابط الغازي، أبي عبد الله محمد بن قلاوون الصالحي، أبقاه الله وفلق الصبح يشهد بكماله، وخدمة الحرمين الشريفين طراز مذهب على حلة أعماله، ومسورات الإسلام آمنة على طول الأيام من إهماله، ولا زال ركنا للدين الحنيف تتزاحم على مستلمه الشريف شفاه أماله.

سلام كريم، بر عميم، كما استودعت الرياض أسرارها صدر النسيم، وأرسلت مطالع الفجر أنهارها من بحر الصباح الوسيم، يسري من الطيب والحمد المطيل المطيب في الصوان الكريم، ويقف موقف الأدب والفهامة بما استحفظ من الأمانة إلى محل الإمامة وقوف الحفيظ العليم، يعتمد مشارع تلك الأبواب الشارعة

---

[1] -القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص85-87.

[2] – لسان الدين بن الخطيب، ريحانة الكتاب، ج1، ص295-303 – القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص107-115.

إلى الفضل العيم، المقابلة لذمام وسائل الإسلام بالصدر المشروح والبر الممنوح والقلب السليم، من معظم سلطانه، ومجل شأنه المفتخر بالانتظام في سلك خلصانه، أمير المسلمين بالأندلس عبد الله، الغالب بالله، محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر، بلغه الله من رضاه أقصى سؤل، وأعانه على جهاد عدوه وعدو رسوله.

أما بعد حمد الله جاعل قلادة الإسلام على الدوام آمنة من الانخرام والانتثار، مفصلة النظام بخرز المآثر العظام والآثار، معرف أهلها في حزن البسيطة وسهلها عوارف الصنع المثار وإقالة العثار، القوي العزيز الذي لا يغالب قدره بالاحتشاد والاستكثار، حتى تظهر خبيئة عنايته بأوليائه المعترفين بآلائه بادية للأبصار، فيما قرب وبعد من الأعصار، ورحمته عند الاستغاثة به والانتصار، في مختلف الأقطار والأمصار، الولي الذي لا تكدر هبات فضله شروط الاعتصار، ولا تشين خطب حمده ضرائر الاقتصار والاختصار، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله نخبة الأكوان وسر الدهور والأزمان وفائدة الأدوار، نور الله المتميز باختصاصه واستصفائه قبل خلق الظلمات والنور ورحمته الوارفة الشاملة الهامية الهاملة على الهضاب والوهاد والنجاد والأغوار، أقرب عوالم الشهادة والخلق إلى حضرة الحق على تعدد الرتب وتفاضل الأطوار، منقذ الناس من البوار، ومبوئهم من جوار الله خير الجوار، نبي الرحمة والجهاد والغوار، المنصور على الأحزاب عندما استداروا بمثوى نبوته على الأطم والأسوار دور السوار، الواعد عن ربه بظهور دينه الحق على الأديان فمهما أوقدوا نارا للحرب تكفل الله لهم بإطفار النار وإخماد الأوار، والرضى عن آله وأصحابه حماة الذمار ومقتحمي الغمار، وباذلي كرائم الأموال من دونه ونفائس الأعمار، القائمين في سماء ملته للاهتداء بسننهم والاقتداء بسننهم مقام النجوم الهادية والأقمار، ما صقلت مداوس النسيم سيوف الأنهار وخجل الورد من تبسم البهار، وغازلت عيون زهر المجرة عيون الأزهار، وطرد أدهم الليل أشهب النهار، والدعاء لتلك الأبواب، المتعددة الحجاب، المعودة باجتلاء غرر الفتوح، والمطالع المشيدة المصانع على الغرر الممنوح، والأواوين المؤيدة الدواوين بالملائكة والروح، بإعلاء المظاهر والصروح، وإنارة الله تعالى بأهلة تلك السروج ساحات تلاك السروج، ولا زالت أقلام بشائرها تأتي على سورة الفتح بأكمل الشروح.

فإنا كتبناه لمثابتكم السلطانية دار العز الأحمى، والملك الأشرف الأسمى، والصيت البعيد المرمى، كتب الله له من عنايته وقد فعل أوفر مقاسم النعمى، كواكب سعودها تمزق جلابيب الظلما، وأخبار بأسها وجودها وسعادة وجودها تهديها على البعد ركائب الدأما، وترفرف برياح ارتياحها أجنحة بنات الما،من منزلنا المحبور، بسعادة سلطانكم المنصور، وخزي عدوه المدحور، بحمراء غرناطة، دار ملك الجهاد بجزيرة ثغر الأندلس، والى الله عنها الدفاع، وأنار بمشكاة نوره ال ذي وعد بإتمامه الأعلام منها والأيفاع، ووصل لها بشرف مخاطبتكم الارتفاع والانتفاع، حتى تشفع بتهانيكم الأوتار وتوتر الأشفاع، وآلاء الله لدينا بنعمة دين الإسلام علينا قد أخجلت اللسان الشكور، وإن استنفذت الرواح والبكور، والثقة بالله في هذا الثغر الغريب قد كثرت العدد المنزور، والحق الصريح قد كافح الزرو، والتوطين على الشهادة قد شرح الصدور، واقتطع في الجنة المنازل والدور، والمعرفة بمقام تلك الأبواب الشريفة عقيدة لا سمائها الألوة والمندل، والحال ما علمتم: بحر

زاخر الأمواج، وعدو وافر الأفواج، وحرم لولا اتقاء الله مقتحم السياج، وجياد ضمرتها مصابرة الهياج، وداء على الأيام متوقع الاهتياج، وعدد إلى الإمداد والإصراخ والإنجاد عظيم الاحتياج، فالنفوس إلى الله تجهز وتسلم، والصبيان في المكاتب تدرب على مواقف الشهادة وتعلم، والألسنة بغير شعار الإسلام لا تنبس غالبا ولا تتكلم، إلا أن عادة الخبير اللطيف، تخفيف الذعر المطيف، ونصر النزر الضعيف على عدد التضعيف، والحال تجزى بين الحرب والسلم، والمكالمة والكلم، وتأميل الجبر وارتقاب عاقبة الصبر على حماة الدبر.

وإلى هذا، فإننا اتصل بنا ما رامت الروم من المكيدة التي كان دفاع من دونها سدا، والملائكة الكرام جندا، والعصمة سورا، والروح الأمين مددا منصورا، وأنها استنفدت الوسعفي احتشادها، حتى ضاقت اللجج عن أعوادها، وبلغت المجهود في استنفاذها، حتى غص كافر البحر بكفارها يصيح بهم التأليب، ويذمرهم الصليب، وقد سول لهم الشيطان كياد ثغر الإسكندرية شجى صدورهم، ومرمى آمال غرورهم، ومحوم قديمهم، ومتعلل غريمهم، ليهتموا ثغر الإسلام بصدمتها، ويقودوا جنائب الساحل في رمتها، ويرفعوا عن دينهم المعرة، ويتلقفوا في القدس كرة الكرة، ويقلصوا ما امتد من ظلال الإسلام، ويشيموا سيوف التغلب على الشام، ويحولوا بين المسلمين وبين محط أوزارهم، وحجهم ومزارهم، وبيت ربهم الذي يقصدونه من كل فج عميق، ويركبون إليه نهج كل طريق، وقبر نبيهم الذي يطفئون بزيارته من الشوق كل حريق، ويكحلون الجفون بمشاهدة آثاره عن بكاء وشهيق، وشوق بذلك الحبيب خليق، ويقطعون حبل المسلمين حتى لا يتأتى بلوغ فريق ولا غرض تشريق، " والله من ورائهم محيط"، وبدمائهم مشيط، وبعباده بصير، ولدينه الحق ولي ونصير،" هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون"، فما هو إلا أن طما جرادهم، وخلص إليها مرادهم، وفاض عليها بحرهم، وعظم من المحاولة أمرهم، حتى اشترك الشرك بعض أسوارها، ونال النهب مستطرف ديارها، وظنت أنها الوهية التي لا ترقع، والمصيبة التي غلتها لا تنقع، واشتملا لباس، وذعر الناس، وأرى الشدة من تدارك بالفرج، وأعاد إلى السعة من الحرج وأنشأ ريح النصر عاطرة الأرج، ونصر حزب الإسلام من لا غالب لمن ينصره، وحصر العدو بخصره من كان العدو يحصره، وظهر الحق على الباطل، والحالي بزينة الله على العاطل، فخرج العدو الخاسر عما حازه والسيوف ترهقه حيث تلفيه، والسهام تثبته وتنفيه، وغرماء كرة الإسلام تستقضي منه دينها وتستوفيه، والخزي قد جلل سباله الصهب، وحناء الدماء قد خضبت مشيخته الشهب، والغلب قد أخضع رقابة الغلب، فكم من غريق أردته دروعه لما حشي بالروع روعه، وطعين نظمت بالسمهري ضلوعه، " فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين" ، وأحق الله الحق بكلماته وقطع دابر الكافرين، و" كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين"، فأي رحمة منشورة ضفت على الإسلام ظلالها، وخطةنعمة اتسع نطاقها ورحب مجالها، ومجلى صنيعة راق عيون المومنين جمالها، فاهتزت بها الأرض وربت، وبشكر الله جل جلاله أعربت، واستبشرت النفوس،وذهب البوس، وضفى بمنة الله اللبوس، وظهرت عناية الله بمقامكم، وإقالة عثرة الإسلام في أيامكم، فما كان الله سبحانه ليضع لكم خدمة الحرمين وإنها للوسيلة الكبرى، والذريعة إلى سعادة الدنيا والأخرى، وهي عهدة الله التي يصونها من كل اهتضام، وقلادته التي ما كان يتركها بغير نظام.

وكان من لطائف هذا الفتح الذي أجزل البشرى، وأوسع أعلام الإسلام نشرا، وروده بعد أن شفيت العلة، ونصرت الملة، وبعد أن جفا الدهر وتجافى، وعادى ثم صافى، وهجر ووافى، وأمرض ثم عافى، فلو ورد مقدمه قبل تاليه، ونقده متأخرا عن كاليه، أو كانت أواخره بعيدا ما بينها وبين أواليه، لأوحشت الظنون وساءت، وبلغت الهموم من النفوس ما شاءت، فإن الإسلام كالجسد يتداعى كله لتألم بعضه، ويتساهم إخوانه في بسطه وقبضه، وسماؤه مرتبطة بأرضه، ونفله متعلق بفضه، فالحمد لله الذي خفف الأثقال، وألهم حال الضر الانتقال، وسوغ في الشكر المقال، وزار وأقال وجمع بين إيقاظ القلوب، وإنالة المطلوب، وأن وجد العدو طعم الإسلام مرا لما ذاقه، وعوده صلبا فما أطاقه، ورفع عن طريق بيت الله ما عاقه، وقاد إليكم في بيوتكم فضل الجهاد وساقه، ورد المكر السيئ على العدو وأحاقه، فما كانت هذه المكيدة إلا داهية للكفر طارقة، ونكثة لعضب التثليث عارقة، ومعجز من آثار النبي الشريف لهذا الدين المنيف خارقة، استأصلت للعدو المال، وقطعت الآمال، وأوهنت اليمين والشمال.

فبادرنا عند تعرف الخبر المختال من أثواب المسرة في أبهى الحبر، إلى تهنئتكم تطير بنا أجنحة الارتياح، مبارية للرياح، وتستفزنا دواعي الأفراح، بحسب الود الصراح، وكيف لا يسر اليسار بيمينه، والوجه بجبينه، والمسلم بدينه، وخاطبناكم مهنئين ولولا العوائق التي لا تبرح، والموانع التي وضحت حتى لا تشرح ومكايدة هذا العدو الذي يأسو به الدهر ويجرح، لم نجتز بإعلام القلم، عن إعمال القدم، حتى نتشرف بالورود على تلك المثابة الشريفة، ونمتاز بزيارة الأبواب المنيفة، فنقضي الفرض تحت رعيها، وبركة سعيها، لكن المرء جنيب أمله، ونية المومن أبلغ من عمله، فهنيئا بما خولكم الله من ظفر شهدت برضى الله مراسمه، وافترت عن ثغور العناية الربانية مباسمه، وتوفرت لديكم مواهبه ومقاسمه، ويهنئ البيت المقدس مكان فضل الله ومنه وسلامة مجنه، والإسلام عصمة ثغره المؤشر، وطهارة كتابه المنشر، وجمال عنوانه، وقفل صوانه، وباب إيوانه مرفأ الفسطاط، ومرمز لواء الرباط، ومحط رحال الاغتباط، ومتخير الإسكندر عند البناء والاختطاط.

ومما زادنا بجحا بهذا الفتح، وسرورا زائدا بهذا المنح، ما تحققنا أنه يثير من شفقة المسلمين لهذا القطر الذي لا يزال يطرقه ما طرق الإسكندرية على مر الأيام، وتجلب عليه برا وبحرا عبدة الأصنام، بحيث البر موصول، والكفر بكثرة العدد يصول، ونيران الجوار متراثية للعيان، والفراسخ القليلة متوسطة بين مختلف النحل والأديان، والعدد لا ينسب، والصريخ إلا من عند الله لا يحسب، فتنجدنا بالدعاء ألسنة فضلائه، وتسهمنا خواطر صالحيه وأوليائه، والله لا يقطع عن الجميع عوائد آلائه، ويعرفنا بركة خاتم أنبيائه، وينصرنا في أرضه بملائكة سمائه.

وقد كان اتصل بنا في هذه الأيام الفارطة الذخر الذي ملأ اليد استكثارا، والخلد اعتدادا واستظهارا، والهمم فخارا، وأضاء القطر أنوارا، جوابكم الكريم يشم من نفحاته شذى الإذخر والجليل، وتلتمس من خلال حافاته بركات الخليل، وتعري الوجوه به آثار المعاهد، وتلتمح من ثنايا وفادته بوارق الفوائد، فأكرم به من وافد مخطوب، وزائر مرقوب صدعنا به في حفل الجهار انتحاءا وافتخارا، ثم صناه في كرائم الخزائن اقتناءا للخلف وادخارا، وجعلنا قراه شكرا معطارا، وثناءا يبقى في الخافقين مطارا، ودعاءا يعلي الله به لمقامكم

السني في أوليائه مقدارا، ويجهز به لملككم كما فعل أنصارا، ويثيبكم الجنة التي لا يرضى السعداء بغيرها قرارا، والله تعالى يجعل لأفلاك الهناء على مخاطبة مقامكم الرفيع العلاء مدارا، ويقيم الشكر ألزم الوظائف لحقكم ابتدارا، والثناء أولى ما تحلى به مجدكم شعارا، ويبقيكم للإسلام ركنا شديدا وظلا مديدا وسماءا مدرارا، ما استنف البدور إبدارا، وعاقب الليل نهارا، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته".

رسالة نبوية من السلطان أبي الحجاج يوسف يشتكي حال الأندلس من إنشاء لسان الدين بن الخطيب مؤرخة حوالي 750هـ/1350م

" إلى رسول الحق إلى كافة الخلق، وغمام الرحمة الصادق البرق، والحائز في ميدان اصطفاء الرحمن قصب السبق، خاتم الأنبياء، وإمام ملائكة السماء، ومن وجبت له النبوة وآدم بين الطين والماء، شفيع أرباب الذنوب، وطبيب أدواء القلوب، ووسيلة الخلق إلى علام الغيوب، نبي الهدى الذي طهر قلبه، وغفر ذنبه، وختم به الرسالة ربه، وجرى في النفوس مجرى الأنفاس حبه، المشفع يوم العرض، المحمود في ملإ السموات والأرض، صاحب اللواء المنشور، والمؤتمن على سر الكتاب المسطور، ومخرج الناس من الظلمات إلى النور، المؤيد بكفاية الله وعصمته، الموفور حظه من عنايته ونعمته، الظل الخفاق على أمته، من لو حازت الشمس بعض كماله ما عدمت إشراقان أو كانت للآباء رحمة قلبه ذابت نفوسهم إشفاقا، فائدة الكون ومعناه، وسر الوجود الذي بهر الوجود سناه، وصفي حضرة القدس الذي لا ينام قلبه إذا نامت عيناه، البشير الذي سبقت له البشرى، و" **رأى من آيات ربه الكبرى**" ، ونزل عليه " **سبحان الذي أسرى**"، النوار من عنصر نوره مستمدة، والآثار تخلق وآثاره مستجدة، من طوي بساط الوحي لفقده، وسد باب النبوة والرسالة من بعده، وأوتي جوامع الكلم فوقف البلغاء حسرى دون حده، الذي انتقل في الغرر الكريمة نوره، وأضاءت لميلاده مصانع الشام وقصوره، وطفقت الملائكة تحييه ووفودها تزوره، وأخبرت الكتب المنزلة على الأنبياء بأسمائه وصفاته، فجاء بتصديق الخبر ظهوره، وأخذ عهد الإيمان على من اتصلت بمبعثه منهم أيام حياته، المفزع الأمنع يوم الفزع الأكبر، والسند المعتمد عليه في أهوال المحشر، ذو المعجزات التي أثبتتها المشاهدة والحس، وأقر بها الجن والإنس، من جماد يتكلم، وجذع لفراقه يتألم، وقمر له ينشق، وحجر يشهد أن ما جاء به هو الحق، وشمس بدعائه عن مسيرها تحبس، وماء من أصابعه الكريمة يتبجس، وغمام باستسقائه يصوب، وركية بصق في أجاجها فأصبح مائها وهو العذب المشروب، المخصوص بمناقب الكمال وكمال المناقب، المسمى بالحاشر والعاقب، ذو المجد البعيد المراقي والمراقب، أكرم من رفعت عليه وسيلة المعترف والمغترب، سيد الرسل محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، الذي فاز بطاعته المحسنون، واستنقذ بشفاعته المذنبون، وسعد باتباعه الذين " **لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**"، صلى الله عليه وسلم، ما لمع برق، وهمع ودق، وطلعت شمس، ونسخ اليوم أمس.

من عتيق شفاعته وعبد طاعته، المعتصم بسببه المؤتمن بالله ثم به، المستشفي بذكره كلما تألم، المفتتح بالصلاة عليه كلما تكلم، الذي إن ذكر تمثل طلوعه بين أصحابه وآله، وإن هب النسيم العاطر وجد فيه طيب خلاله، وإن سمع الآذان تذكر صوت بلاله، وإن ذكر القرآن استشعر تردد جبريل بين معاهده وخلاله، لاثم تربه، ومؤمل قربه، وهين طاعته وحبه، المتوسل به إلى رضى ربه، **يوسف بن إسماعيل بن نصر**.

كتبه إليك يا رسول الله والدمع ماح، وخيل الوجد ات جماح، عن شوق يزداد كلما نقص الصبر، وانكسار لا يتاح له إلا بدنو مزارك الجبر، وكيف لا يعيي مشوقك الأمر، وتوطأ على كبده الجمر، وقد مطلت الأيام بالقدوم، على تربتك المقدسة اللحد، ووعدت الآمال ودانت بإخلاف الوعد، وانصرفت الرفاق والعين باثمد ضريحك ما اكتحلت، والركائب إليك ما ارتحلت، والعزائم قالت وما فعلت، والنواظر في تلك المشاهدة الكريمة لم تسرح، وظهور الآمال عن ركوب العجز لم تبرح، فيا لها معاهد فاز من حياها، ومشاهد ما أعطر رياها، بلاد نيطت بها عليك الملك، وانجلى بضياء فرقانك فيها الحلك، مدارس الآيات والسور، ومطالع المعجزات السافرة والغرر، حيث قضيت الفروض وحتمت، وافتتحت سور الوحي وختمت، وابتديت الملة الحنيفية وتممت، ونسخت الآيات وأحكمت، أما والذي بعثك بالحق هاديا، وأطلعك للخلق نورا باديا، لا يطفي غلتي إلا شربك، ولا يسكن لوعتي إلا قربك، فما أسعد من أفاض من حرم الله إلى حرمك، وأصبح بعد أداء ما فرضت عن الله ضيف كرمك، وعفر الخد في معاهدك ومعاهد أسرتك، وتردد ما بين داري بعثتك وهجرتك، وإني لما عاقتني عن زيارتك العوائق وإن كان شغلي عنك بك، وصدتني الأعداء فيك عن وصل سببي بسببك، وأصبحت بين بحر تتلاطم أمواجه، وعدو تتكاثف أفواجه، ويحجب الشمس عن الظهيرة عجاجه، في طائفة من المؤمنين بك وطنوا على الصبر نفوسهم، ورفعوا إلى مصارحتك رؤوسهم، واستعذبوا في مرضاة الله ومرضاتك بوسهم، يطيرون من هيعة إلى أخرى، ويلتفتون والمخاوف عن يمنى ويسرى، ويقارعون وهم الفئة القليلة جموعا كجموع قيصر وكسرى، لا يبلغون من عدو وهو الذر عند انتشاره عشر معشاره، قد باعوا من الله تعالى الحياة الدنيا، لأن تكون كلمة الله هي العليا، فياله من سرب مروع، وصريخ إلا منك ممنوع، ودعاء إلى الله وإليك مرفوع، وصبية حمر الحواصل، تخفق فوق أوكارها أجنحة المناصل، والصليب قد تمطى فمد ذراعيه، ورفعت الأطماع بضبعيه وقد حجبت بالقتام السماء، وتلاطمت أمواج الحديد والبأس الشديد فالتقى الماء ولم يبق إلا الدماء، وعلى ذلك فما ضعفت البصائر ولا ساءت الظنون، وما وعد به الشهداء تعتقده القلوب حتى تكاد تشاهده العيون، إلى أن نلقاك غدا إن شاء الله وقد أبلينا العذر، وأرغمنا الكفر، وأعملنا في سبيل الله وفي سبيلك البيض والسمر.

أستنبت رقعتي هذه لتطير إليك من شوقي بجناح خافق، وتسعد من نيتي التي تصحبها برفيق موافق، فتؤدي عن عبدك وتبلغ، وتعفر الخد في تربك وتمرغ، وتطيب برياها معاهدك الطاهرة وبيوتك، وتقف وقوف الخشوع والخضوع تجاه تابوتك، وتقول بلسان التملق عند التشبث بأسبابك والتعلق منكسرة الطرف، حذرا بهرجها من عدم الصرفك يا غياث الأمة، وغمام الرحمة، ارحم غربتي وانقطاعي، وتغمد بطولك قصر باعي، وقو على هيبتك خور طباعي، فكم جزت من لج مهول، وجبت من حزون وسهول، وقابل بالقبول نيابتي،

وعجل بالرضى إجابتي، ومعلوم من كمال تلك الشيم، وسخاء تلك الديم، أن لا يخيب قصد من حط بفنائها، ولا يظمأ وارد أكب على إنائها، اللهم يا من جعلته أول الأنبياء بالمعنى وآخرهم بالصورة، وأعطيته لواء الحمد يسير آدم فمن دونه تحت ظلاله المنشورة، وملكت أمته ما زوي لها من زوايا البسيطة المعمورة، وجعلتني من أمته المجبولة على حبه، المؤملة لقربه المفطورة، وشوقتني إلى معاهده المبرورة ومشاهده المزورة، ووكلت لساني بالصلاة عليه وقلبي بالحنين إليه، ورغبتني في التماس ما لديه، فلا تقطع عنه أسبابي، ولا تحرمني في حبهأجر ثوابي، وتداركني بشفاعته يوم آخذ كتابي.

هذه يا رسول الله وسيلة من بعدت داره، وشط مزاره، ولم يجعل بيده اختياره، فإن لم تكن هذه للقبول أهلا، فأنت للأغضاء والسمح أهل، وإن كانت ألفاظها وعرة فجنابك للقاصدين سهل، وإذا كان الحب يتوارث كما أخبرت والعروق تدس حسبما عليه أشرت فلي بانتسابي إلى سعد بن عميد أنصارك مزية، ووسيلة أثيرة حفية، فإن لم يكن لي عمل ترتضيه فلي نية، فلا تنسني ومن بهذه الجزيرة التي افتتحت بسيف كلمتك على أيدي خيار أمتك، فإنما نحن وديعة تحت بعض أقفالك، نعوذ بوجه ربك من إغفالك ونستنشق من ريح عنايتك نفحة، ونترقب من محيا قبولك لمحة، ندافع بها عدوا طغى وبغى، وبلغ من مضايقتنا ما ابتغى، فمواقف التمحيص قد أعيت من كتب وأرخ، والبحر قد أصمتت بواعث لجحه من استصرخ، والطاغية في العدوان مستبصر، والعدو محلق والولي مقصر، وبجاهك نستدفع ما لانطيق، وبعنايتك نعالج سقيم الدين فيفيق، فلا تفردنا ولا تهملنا، وناد ربك فينا " ربنا ولا تحملنا"، وطوائف أمتك حيث كانوا عناية منك تكفيهم، وربك يقول لك وقوله الحق " وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم".

والصلاة والسلام عليك يا خير من طاف وسعى، وأجاب داعيا إذا دعا، وصلى الله على جميع أحزابك وآلك صلاة تليق بجلالك، وتحق لكمالك، وعلى ضجيعك وصديقك وحبيبك ورفيقك، خليفتك في أمتك، وفاروقك المستخلف بعده على ملتك، وصهرك ذي النورين المخصوص ببرك ونحلتك، وابن عمك سيفك المسلول على حلتك، بدر سمائك ووالد أهلتك، والسلام الكريم عليك وعليهم كثيرا أثيرا ورحمة الله تعالى وبركاته.

وكتب بحضرة جزيرة الأندلس غرناطة صانها الله تعالى ووقاها، ودفع عنها ببركاته كيد عداها"[1].

رسالة من الغني بالله النصري إلى أمير مكة يخبره فيها باسترجاع الجزيرة الخضراء مؤرخة في ربيع أول 771هـ وهي من إنشاء لسان الدين بن الخطيب

"المقر الأشرف الذي فضل المحال الدينية محله، وكرم في بر زمزم منبط إسماعيل صلى الله عليه وسلم نهله وعله، وخصه بإمرة الحرم االشريف الأمين من بيده الأمر كله، فأسفر عن النصر العزيز فضله، واشتمل

---

[1] - المقري، نفح الطيب، ج6، ص ص 354 – 360.

على خواص الشرف الوضاح جنسه وفصله، وطابت فروعه لما استمد من ريحانتي الجنة أصله، مقر السلطان الجليل، الكبير الشهير، الظاهر الطاهر، الأمجد الأنجد الأسعد الأوحد الأسمى الشهير البيت الكريم الحي والميت، الموقر المعظم، ذي الحسنيين، وحافد سيد الثقلين، تاج المعالي الكبير الشهير الرفيع الخطير الجليل المثيل الظاهر الطاهر الشريف الأصيل، المعظم الأرضر المقدس المنعم أسد الدين، أبي الفضل رميثة بن محمد بن أبي سعيد الحسني أبقاه الله، وجعل أفئدة من الناس تهوي إلى قاطني مثواه، على بعد الدار وتتقرب فيه إلى الله بالتثام التراب واستلام الجدار، وتجيب أذان نبيه إبراهيم بالحج إجابة البدار، وهنأه المزية التي خصه بها من بين ملوك الأقطار، وأولي المراتب في عباده والأخطار، كما رفع قدره على الأقدار، وسجل له بسقاية الحج وعمارة المسجد الحرام عقد الفخار، وينهي إليه أكرم التحيات تتأرج على شذى الروضة المعطار عقب الأمطار.

معظم ما عظم الله من شعائر مثواه، وملتمس البركة من أبواب مفاتحته ولكل امرئ ما نواه، وموجب حقه الذي يليق بمن البتول والرضا أبواه، الشيق إلى الوفادة عليه وإن مطله الدهر ولواه، الأمير عبد الله محمد بن أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر، كان الله له في غربته عن جرثومة الإسلام وانفراده، وتولى عونه على الجهاد فيه حق جهاده.

أما بعد حمد الله ولي الحمد في الأولى والآخرة، ومطمح النفوس العالية والهمم الفاخرة، مؤيد العزائم المتعاضدة في سبيله المتناصرة، ومعز الطائفة المومنة ومذل الطائفة الكافرة ومنفل خزائن القياصرة الغلب والأكاسرة، وتارك أرضها عبرة للآذان السامعة والعيون الباصرة، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد عبده ورسوله نبي الرحمة الهامية الهامرة، والبركات الباطنة والظاهرة، المجاهد في سبيل الله بالعزائم الماضية والصوارم الباترة، مصمت الشقاشق الهادرة، ومرغم الضلالة المكابرة، المنصور بالرعب من جنود ربه الناصرة، المحروس بحراسة الملائكة الواقية الوافرة، الموعود ملك أمته بما زوي له من أطراف البسيطة العامرة حسبما ثبت بالدلائل المتواترة، والرضى عن آله وأصحابه وعترته وأحزابه المجاهدة الصابرة، أولي القلوب المراقبة والألسنة الذاكرة، والآداب الحريصة على الاهتداء بهداه المثابرة، الذين جاهدوا في الله حق جهاده يخوضون لأن تكون كلمة الله هي العليا في بحار الروع الزاخرة، ويقدمون بالجموع القليلة على الآلاف المتكاثرة، حتى قرت بظهور الإسلام العيون الناظرة، وحلت في العدو الفاقرة، فكانوا في الذب عن أمته كالأسود الخادرة، وفي الهداية بسنى ملته كالنجوم الزاهرة، والدعاء لشرفكم الأصيل ذي المناسب الطاهرة، والمكارم الزاهية ببنوة الزهراء البتول بضعة الرسول الزاهرة، بالصنع الذي يسفر عن الغرر المشرقة السافرة، والعز الذي يضفو منه الجناح على الوفود الزائرة والفضلاء المجاورة، ولا زال ذكركم بالجميل هجيرى الركائب الواردة والصادرة، والثناء على مكارمكم يخجل أنفاس الرياض العاطرة عقب الغمائم الماطرة.

فإنا كتبناه إليكم كتب الله لكم عناية تحجب الأسواء بجننها الساترة، ورعاية تجمع الأهواء المختلفة وتضم القلوب المنافرة، من حمراء غرناطة حرسها الله، دار ملك الإسلام بجزيرة الأندلس حرسها الله، ووفر جموع حاميتها المثاغرة، ورم بيد قدرته ما هم بها من أفواه العدى الفاغرة، ولا زالت سحائب رحمة الله الحائطة

لها الغامرة تظلل جموع جهادها الظافرة، وتجود رمم شهدائها الناخرة، ونعم الله تحط رطائب المزيد في نواديها الحامدة الشاكرة، والحمد لله كما هو أهله، فلا فضل إلا فضله، وجانبكم موفى حقه من التعظيم الذي أناف وأربى، وقدركم يعرفه من صام وصلى فضلا عمن حج ولبى، ومستند ودكم " قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى".

وإلى هذا حرس الله مقركم الأشرف، كما سحب على بيته العتيق ظلكم الأورف، فإن الجهاد والحج أخوان، شهد بذلك الملوان، يرتضعان ثدي المناسبة، ويكادان يتكافآن في المحاسبة، سفرا وزادا، ونية واستعدادا، وإتلافا لمصون المال إنفادا، وخروجا إلى الله لا يؤثر أهلا ولا ولدا، وإن افترقا محلا فقد اجتمعا جهادا، ورفعا للملة منارا ساميا وعمادا، ووطننا والحمد لله على هذا العهد هو المخصوص بكمال هذه المزية والقيام بفرض كفايتها البحرية والبرية، السليمة من الضلال البرية، وهذا نسب واشجة عروقه وذمام صادقة بروقه، ومتات لا يفضله ولا يفوته.

ونحن نعرفكم بأحوال هذا القطر المتمسكة فروعه بتلك الجرثومة الراسية، الممدودة أيديه إلى مثابتها المتصدقة بالدعاء المواسية، فاعلموا أن الإسلام به مع الحيات في سفط حرج، وفي أمر مرج، وطائفة الحق قليل عددها، منقطع إلا من الله مددها، مستغرق يومها في الشدة وغدها، فالطلائع في قنن الجبال تنور والمصحر من بيته مغرر، والصيحة مع الأحيان مسموعة، والأعداء لرد ما حازه الفتح الأول مجموعة، والصبر قد لبست مدارعه، والنصر قد التمست مشارعه، والشهداء تنوش أشلاءهم القشاعم، وتحتفل منها للعوافي الولائم والمطاعم، والصبيان تدرب على العمل بالسلاح، وتعلم أحكام الجهاد تعلم القرآن في الألواح، وآذان الخيل مستشرفة للصياح، ومطارف الطاعنين في سبيل الله تبلي بأيدي الرياح، والمآذن تجيبها النواقيس مناقضة، وتراجعها معاصية معارضة، وعدد المسلمين لا يبلغ من عدد الكفار عند الانتثار معشار المعشار ولا برة من جلود العشار.

إلا أن الله عز وجل حل بولايتنا المخنق المشدود، وفتح إلى التيسير المهيع المسدود، وأضفى ظل الأمن الممدود، وألهم وله الشكر على الإلهام وتسديد السهام والحمد لله الذي يقود مدارك الأفهام إلى اجتهاد قرن به التوفيق، وجهاد فتح به إلى التجارة المنجية الطريق، سبحانه من رحيم يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب، وكريم يلهم للعمل ليثيب، ولطيف يأمر بالدعاء ليجيب، فتحركنا حركات ساعدها والمنة لله السعد، وتولى أمرها ونصرها من له الأمر من قبل ومن بعد، ففتحنا مدينة برغة الفاصلة كانت بين البلاد المسلمة، والشجي المعترض في نحر الكلمة، وتبعتها بنات كن يرتضعن أخلاف درتها، ويتعلقن في الحرب والسلام بأرزيتها، ثم نازلنا حصن أشر ركاب الغارات الكافرة، ومستقر الشوكة الوافرة، فرفع الله إصره الثقيل، وكان من عثرة الدين فيه المقيل، ثم قصدنا مدينة إطريرة بنت حاضرة الكفر، وعرين الأسود الغلب، وكناس الظباء العفر، فاستبحناها عنوة أضرمت البلد نارا، وأدارت بأسواره سوارا، واستأصلت أهله قتلا وإسارا، وملأت البلاد سبيا تعددت آلافه، وغنما شذت عن العبارة أوصافه.

ثم كانت الحركة إلى مدينة جيان وشهرتها في المعمور، وشياع وصفها المشهور، يغني عن بسط ما لها من الأمور، ففتحها الله على أيدينا عنوة وجعل مقاتلتها نهبا للسيوف الرقاق، وسبيها ملكة الاسترقاق، وأهلة مبانيها البيض دريئة للمحاق، واستولت على جميعها أيدي القوم والاحتراق، ثم دكت الأسوار، وعقرت الأشجار، واستخلف على خارجها النار، فهي اليوم صفصف ينشأ بها الاعتبار وتعجب الأبصار.

وغزونا بعدها مدينة أبذة أختها الكبرى ولدتها ذات المحل الأسرى، فكانت إسوة لها في التدمير والتتبير والعفاء والمبير.

ثم نازلنا مدينة قرطبة وهي أم هذه البلاد الكافرة، ودار النعم الوافرة، فكدنا أن نستبيح حماها المنيع، ونشتت شملها الجميع، ونحتفل بفتحها الذي هو للدين أجل صنيع، لولا عوائق أمطار، وأجل منتهي إلى مقدار، فرحلنا عنها بعد انتهاك زلزل الطود، ووعدناها بمشيئة الله العود، ونأمل من فضل الله إيفاد البشرى بفتحها على بلاد الإسلام، ومتاحفة من بها من الملوك الأعلام، بالإخبار بها والإعلام.

ثم فتحنا بعدها ثغورا مقفلة الأبواب، ومعاقل متعلقة بالسحاب، كحصن روط وحصن الحوار وحصن قنبيل أمن الإسلام جورها، وعمر بالمجاهدين أقطارها، وبلغ من صنع الله لنا وهو كاف من توكل عليه، وفوض الأمور إليه، أن لاطفنا النصارى بحصون أربعة لم نوجف عليها ركابا، ولا تملكتها غلابا، فطهرنا بيوت الله بها من دنس الأوثان، وعوضنا النواقيس بكلمة الإيمان، والحمد لله على مواهب الامتنان ومنه نستزيد عوائد الإحسان.

وأقرب المدائن بافتتاحها الجزيرة الخضراء وهي باب الإسلام التي منها دخل الفتح، وعظم عليها بكلمة الله المن والمنح، وقدرها الكبير أعظم من أن يستوفي وصفه التعبير، فانبسطت الآمال، وضفت على الإسلام ملابس اليمن والإقبال.

وهذه المجملات تحتمل شرحا، تسبح في بحره الأقلام سبحا، من أوصاف مغانم شذت عن الحصر، ومواقف لتنزل السكينة وهبوب النصر، وما ظهر من جد المسلمين في افتتاح تلك المعاقل المنيعة المنيفة، ومقارعة الجموع الكثيفة، وبركة الحرم الشريف في كل حال موجودة، وأقطار الإسلام بها موجودة، والوسائل إلى الله بأهله في القديم والحديث لا مخيبة ولا مردودة فهو الأصل، والغمد الذي سل منه النصل، حتى بلغ النجوم القاصية، وذلل المهالك المتعاصية، وقاد من تقاعد أو تقاعس بالناصية.

وقد ظهر لنا أن وجهنا إلى المدينة المقدسة صلوات الله على من بها وسلامه رسالة نعرفه بهذه البركات الهامية من سماء عنايته، المعدود خارقها آية من آياته، وكلنا جناه، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله بهداه، وأصحبناها شخاصا، من نواقيس الفرنج مما تأتى حمله، وأمكن نقله، زما سواه فكانت جبالا، لا يقبل نقلهاراحتيالا، فتناول درعها المسح والتكسير، وشفي بذهاب رسومها الإقامة والتكبير، والأذان الجهير، ومرادنا أن تعرض بمجتمع الوفود تذكرة تستدعي الإمداد بالدعاء، وتقتضي بتلك المعاهد المقدسة النصر على الأعداء، ثم تصحب ركاب الزيارة إلى أبواب النبوة ومطالع الإنارة، وأنتم تعلمون في توفية هذه الأحوال

ورعايتها، وإبلاغها إلى غايتها، وما يليق بحسبكم الوضاح، ومجدكم الصراح، وشرفكم المتبلجة أنواره تبلج الإصباح.

فأنتم خير من ركب المطايا   وأندى العالمين بطون راح

ولكم بذلك الحظ الرغيب في هذه الأعمال البرة، والله سبحانه لا يضيع مثقال الذرة، وهو سبحانه يتولاكم بما تولى به من أعز شعائره وعظمها، ورعى وسائله واحترمها، ويصل أسباب سعدكم وينفعكم بقصدكم، والسلام الكريم، الطيب البر العميم، يحيي معاهدكم الكريمة على الله عهودها الهامية، بغمائم الرحمات والبركات معهودها، ورحمة الله وبركاته".[1]

رسالة من السلطان الغني بالله النصري إلى الملك المنصور المملوكي من إنشاء لسان الدين بن الخطيب

" الأبواب التي تفتح لنصرها أبواب السماء، وتستدر من آفاقها سحاب النعماء، وتجلى بأنوار سعدها دياجي الظلماء، وتعرف نكرة البلاد والعباد بالانتساب إلى محبتها والانتماء، على اختلاف العروض وتباين الحدود وتعدد الأسماء، ويجتزأ من صلات صلاتها عند الموانع من كمال حالاتها، وتحمل لها التحية ذات الدسر والألواح طاعنة نحر الصباح على كتد الماء، أبواب السلطان الكبير، الجليل الشهير، الطاهر، الظاهر الأوحد الأسعد، الأصعد الأمجد، الأعلى العادل، العالم العلم العامل، الفاضل الكامل، سلطان الإسلام والمسلمين، عماد الدنيا والدين، رافع ظلال العدل على العالمين، جمال الإسلام، علم الأعلام، فخر الليالي والأيام، ملك البرين والبحرين، إمام الحرمين، مؤمل الأمصار والأقطار، عاصب تاج الفخار، هازم الفرنج والترك والتطار، الملك المنصور، ابن الأمير الرفيع المجادة، الكريم الولادة، الطاهر الظاهر، الكبير الشهير، المعظم الممجد، الأسنى، الموقر الأعلى، فخر الملة، سيف الأمة، تاج الإمارة، عز الإسلام، مستظل الأنام، قمر الميدان، أسد الحرب العوان، المقدس المطهر، الأمير الأحمد ابن والد السلاطين، وملك المسلمين، وسيف خلافة الله في العالمين، وولي أمير المؤمنين، سلطان الجهاد والحج، ومقيم رسم العج والبج والثج، محيي معالم الدين، قامع المعتدين، قاهر الخوارج والمرتدين، ناصر السنة، محيي الملة، ملك البرين والبحرين، سلطان الحرمين، الملك العادل، العالم العامل، الطاهر الظاهر، الأصعد الأسعد، الأوحد الأعلى، المنصور المؤيد، المعان المرفع، المعظم، المبجل، المؤمل، المجاهد المرابط، الغازي الممجد، المكمل، المطهر الكبير، الشهير المقدس، الملك الناصر أبي عبد الله محمد بن قلاوون الصالحي، جعل الله فسطاط دعوته معمودا بعمود الصبح، وحركات

---

[1] – لسان الدين بن الخطيب، ريحانة الكتاب، ص ص 206-212.

عزمه مبنية على الفتح، ومجمل سعادته غنيا عن الشرح، وجياد أوصافه متبارية في ميدان المدح، وزناد آرائه وارية عند القدح.

موجب حقه وجوب الشعائر الخمس، المرحب لأجل أفقه الشرقي بوفادة الشمس، المجدد في اليوم حكم ما تقرر بين السلف – رحمهم الله – في الأمس، أمير المسلمين بالأندلس عبد الله الغالب به محمد بن يوسف بن اسماعيل بن فرج بن نصر، سلام كريم طيب كما زحفت راية الصباح، تقدمها طلائع مبشرات الرياح، تفاوح زهر الأوداح، وتحاسن طرر الوجوه الملاح، يخص أبوابكم التي رتب العز فصولها، وعضدت نصوص النصر نصولها، ورحمة الله تعالى وبركاته.

أما بعد حمد الله الذي جعله فاتحة القرآن، وخاتمة أهل الجنان، وشكره على ما أولى من مواهب الإحسان، حمدا وشكرا يستخدمان من الإنسان ملكتي القلب واللسان، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله زهرة كمامة الأكوان، وسيد ولد آدم على اختلاف اللغات والألوان، الذي أذل بعزة الله أنوف الطغيان، وغطى بدينه الحق على الأديان، وزويت له الأرض فرأى ملك أمته يبلغ ما زوي له، فكان الخبر وفق العيان، والرضى عمن له من الأصحاب والأحباب والأعمام والأخوال والإخوان، صلاة يجددها الجديدان ويمليها الملوان، وتتزاحم على تربته المقدسة مع الأحيان، ما سجعت طيور البراعة من أعواد اليراعة على الأفنان، والتفتت عيون الالتفات من بين أجفان البيان، والدعاء لمقام أبوتكم الشريفة جعل الله عصمته تقيم بها وظيفتي الحجابة والاستيذان، وضرب بدعوتها التي هي لذة الإقامة والأذان على الآذان، واستخدم بروج الفلك الدوار في مرضاة أمرها العزيز مخالب السرحان، وفي الإشادة بعدلها كفتي الميزان، ويهدي لها من الزهرة كرة الميدان، ومن الهلال عوض الصولجان، وأبقى في عواملها ضمير الأمر والشان، إلى تعنو وجوه الملوك إلى الملك الديان.

فإن كتبناه إلى الأبواب – كتب الله لعبتها النصرة الداخلة، كما أخجل بمكارمها السحب الباخلة، وقرن بكل سبب من أضدادها فاصلة –، من دار ملك الإسلام بالأندلس حمراء غرناطة، وصل الله سبحانه عادة الدفاع عن أرجائها، وشد بأيدي اليقين عرى أملها في الله ورجائها، حيث المصاف المعقود، وثمن النفوس المنقود، ونار الحرب ذات الوقود، حيث الأفق قد تردى بالقتام وتعمم، والسيف قد تجرد وتيمم، وغبار الجهاد يقول: أنا الأمان من دخان نار جهنم، حيث الإسلام من عدوه كالشامة في جلد البعير، والتمرة في أوسق العير، حيث المصارع تتزاحم الحور على شهدائها، والأبطال يعلو بالتكبير مسمع ندائها، حيث الوجوه الضاحكة المستبشرة قد زينتها الكلوم، وفر عن سماتها اللوم، ودارت بها الجوامع تواريها، وسلمت منها النفوس إلى الله مشتريها، حيث لا إله إلا الله قد اقتطعها عمن وراءها بحر يزخر، وكفر عن الإقدام عليها لا يتأخر، وكلمة بتثليث الله تفخر، تعالى الله عن ذلك، وأمة لا تصون نفسها عن الموت ولا تذخر، وعندنا من التعظيم لتلك الأبواب ما لو اعتمدته الرياح لسكنت وقارا، أو الأفلاك ما ألفت مدارا، نوسع عن أنبائكم مطالع الصباح استخبارا، ونستهدي لطائفها أنفاس الرياح أصائل وأسحارا، ونقنع بالقليل قنوع المحب إذا لم يجد مزارا، ونعد من الاستغراق بجهاد المراد المراق عن مراسلة تلك الآفاق أعذارا، لا يوسعها

الحق إلا قبولا وإيثارا، ولما ضاق نطاق الصبر من ذلك عما كان يواريه، وأصبح بين خجل يلقيه، وأمل يغريه، وبري اليراع إلى بثه شوق يكاد يغنيه عمن يبريه، أصدرنا هذه المخاطبة الحمراء قد ورد خدها الخجل، وقصر عن القيام بعذرها المروي المرتجل، تنوب عن الكلام بالإشارة، وتخاف الود لإغفال الزيارة، واقفة بباب الإيوان، متقاصرة بدارة الخوان عن رتب الإخوان، قصاراها تحصيل الإغضاء عن قصورها، ودفع الإهمال عن سورها، والإرعاء على غربتها وبعد رتبتها، ورعي وسيلتها وقربتها.

فلتنعم الأبواب الشريفة بالإصغاء، ولتلغ عن باب الإلغاء، ولتعلم مجالسها الممهدة المؤسسة، وعلومها المشرفة المقدسة أن هذا القطر الذي أفضت إلينا رعاية رعاياه، ومهدت لسياستنا أكوار مطاياه، وجعلت بيدنا – والمنة لله- عياب مطاياه، قطر مستقل بنفسه، مرب يومه في البر على أمسه، زكي المنابت عذب المشارب، متمم المآل مكمل المآرب، فاره الحيوان، معتدل السحن والألوان، وسيط في الأقاليم السبعة، شاهد لله بإحكام الصنعة، أما خيله ففارهة، وإلى الركض شارهة، وأما سيوفه فلمواطن الغمود كارهة، وأما أسله فحسن النعت لين العطف، وأما أسنته فمتداركة الخطف، وأما عوامله فبينة الحذف، إلا أن الإسلام به في سفط مع الحيات، وذريعة للمنيات الوحيات، وهدف للنبال وأكلة للصهب السبال، تطأهم الغارات المتعاقبة وتتحيفهم الحدود المصاقبة، وتجوس خلالهم العيون المراقبة، وتريب من أشكال مختطهم إلا أن الله بحسن العاقبة، فليس الصبر، والضرب والهبر، والهمز والنبر، والمقابلة والجبر، وقد حال البحر بينهم بين إخوان ملتهم، وأساة علتهم، يقومون بهذا الفرض عن أهل الأرض، ويقرضون ملك يوم العرض أحسن القرض، فلولا بعد المدى، وغول الردى، وما عدا مما بدا، لسمعتم تكبير الحملات، وزئير أسود تلك الفلاة، ودوي الحوافر، وصليل السيوف من فوق المغافر، وصراخ الثكالى، وارتفاع الأصوات إلى الله تعالى، ولو ارتفع قيد المكان وهي للأولياء مثلكم من حيز الإمكان، لمقلتكم مقل الأسنة الزرق، حالة من أطراف قضب الرماح محال الورق، وأبصرتم القنا القطار وقد عاد أخلة، والسيوف قد صارت فوق بدور الخدود أهلة، وعقود الشهادة عند قاضي السعادة مستقلة.

وكان –كما تحصره علومكم الشريفة – حدق سورة الفتح، وآخر دلاء ذلك المنح، عرض على الفاروق فاحتاط، وأغري به من بعده فاستشاط، واختط وخاط، وسرحت خيل ابن أبي سرح، في خبر يدعو إلى شرح، حتى إذا ولد مروان تقلدوا كرتها التي هوت، وخضموا ما أنضجت ورثة الحق وشوت، وأيديهم على ما احتوت، وفازت منه بما نوت، نفل ولائده الوليد، وجلب له الطارف والتليد، وطرقته خيل طارق، وضاقت عن أخباره المهارق، وجلت الفائدة، وظهر على الذخيرة التي منها المائدة، ثم استرسل المهب، ونصر الرب، ويكثر الطير حيث ينتشر الحب، وصرفت أشراف الشام أعنتها إلى التماس خيره، وطارت بأجنحة العزائم تيما بطيره، وقصدته الطلائع صحبة بلج بن بشر وغيره، ففتحت الأقفال، ونفلت الأنفال، ونجح الفال، ووسمت الأغفال، وافتتحت البلاد الشهيرة، زانتقيت العذارى الخيرة، واقتنيت الذخيرة، وتجاوز الإسلام الدروب وتخطى الأرطى، وأركب وأمطى، واستوثق واستوطا، وتثاءب وتمطى، حتى إذا تعددت مراحل البريد، وسخنت عين الشيطان المريد، واستوسق للإسلام ملك ضخم السرادق، موهوب البوارق، رفيع العمد، بعيد الأمد،

تشهد بذلك الآثار والأخبار، والوقائع الكبار، والأوراق والأسطار، وهل يخفى النهار، ولكل هبوب ركود، والدهر حسود لمن يسود، فرجعت الفرنج كرتها، واستدركت معرتها، فدومت جوارحها وحلقت، وأومضت بوارقها وتألقت، وتشبثت وتعلقت، وأرسلت الأعنة وأطلقت، وراجعت العقائل التي طلقت، حتى لم يبق من الكتاب إلا الحاشية، ولا من الليل إلا الناشية، وسقطت الغاشية، وأخلدت الفئة المتلاشية، وتقلصت الظلال الفاشية.

إلا أن الله تدارك بقوم رجح من سلفنا أثبتوا في مستنقع الموت أقدامهم، وأخلصوا لله بأسهم وإقدامهم، ووصلوا سيوفهم الباترة بخطاهم، وأعطاهم منشور العز من أعطاهم، حتى تعين الدين وتحيز، واشتهر بالمدافعة وتميز، وعادت الحروب سجالا، وعلم الروم أن لله رجالا، وقد أوفد جدنا — رضي الله عنه — على أبواب سلفكم من وقائعه في العدو كل مبشرة، ووجودية منتشرة ضحكت لها ثغور الثغور، وسرت بها في الأعطاف حميا السرور، وكانت المراجعة عنها شفاء للصدور، وتمائم في الدور، وخفرا في وجوه البدور، فإن ذمام الإسلام موصول، وفروعه تجمعها في الله أصول، وما أقرب الحزن ممن داره صول، والملة والمنة واحدة، والنفوس لا منكرة للحق ولا جاحدة، والأقدار مرفوعة والآمال إلى ما يوصل إلى الله مصروفة، فإذا لم يكن الاستدعاء، أمكن الدعاء، والخواطر فعالة، والكل على الله عالة، والدين غريب، والغريب يحن لى أهله، والمرء كثير بأخيه على بعد محله.

ولما صير الله لنا تراثهم الهني، وأمرهم السني، وبناءهم العبادي، وملكهم الجهادي، أجرانا ولهم الطول على سننهم، ورفع أعلامنا في هضابهم المشرفة وقننهم، وحملنا فيهم خير محمل، ونظم بنا لهم أي شمل، وألبس أيامنا سلما فسيح الإثارة، وأحكم الإدارة، وهنأ الإمارة، ومكن العمارة، وأمن في البحر العبارة والسيارة،لولا ما طرقهم فينا من تمحيص، أجلى عن تخصيص، وتمحض تبره بعد تخليص ومرام عويص، نبثكم بثه، ونوالي لديكم حثه، ونجمع منبثه، فإن في قص الحوادث ذكرى، ومعروف الدهر لا يؤمن أن يعود نكرا، وشر الوجود معاقب بخيره، والسعيد من اتعظ بغيره، والحزم أفضل ما إليه ينتسب، وعقل التجربة بالمران يكتسب، وهو أن بعضا ممن ينتسب إلى بيتنا بوشائج الأعراق، لا بمكارم الأخلاق، ويمت إلينا بالقرابة البعيدة لا بالنسبة السعيدة، ممن كفلناه يتيما، وصناه ذميما شتيما، وبوأناه مبوأ كريما، بعد أن نشأ حرفوشا ذميما وملعونا لئيما، ونوهنا من خموله بالولاية، ونسخنا حكم تسحيه بآية العناية، داخل أخا لنا كنا ألزمناه الاقتصار على قصره، ولم نجعل أداة تدل على حصره، وسامحناه في كثير من أمره، ولم نرتب بزيده ولا عمره، واغتررنا برماد على جمره، فاستدع له من الصعاليك شيعته، كل درب بفك الأغلاق وتسرب أنفاق النفاق، وخارق للإجماع والإصفاق، وخبير بمكائد الخراب ومذاهب الفساق، وتسور بهم القلعة من ثلم في سده بعد هده، ولم تكمل الأقدار المميزة في جده، في ليلة آثرنا بيتتنا فيها ببعض البساتين خارج صورنا، واستنبنا من يضطلع بأمورنا، فاستتم الحيلة التي شرعها، واقتحم القلعة وافترعها، وجدل حرس النوبة وصرعها، وكبس محل النائب عنا وجد له، ولم ينشب أن جدله، واستخرج الأخ البائس فنصبه، وشد به تاج الولاية وعصبه، وابتز أمرنا وغصبه، وتوهم الناس أن الحادثة على ذاتنا قد تمت، والدبرة بنا قد ألمت، ولقد همت، فخذل الناصر، وانقطعت

الأواصر، وأقدم المتقاصر، واقتحمت الأبهاء والمقاصر، وتفرقت الأجزاء وتحللت العناصر، وفقد من عين الأعيان النور الباصر، فأعطوه طاعة معروفة، وأصبحت إليه الوجوه مصروفة، وركضنا وسرعان الخيل تقفوا أثر منجاتنا والظلام يخفيها، وتكفي علينا السماء والله يكفيها، إلى أن خلصنا إلى مدينة وادي آش خلوص القمر من السرار، لا نملك إلا نفسا مسلمة لحكم الأقدار، ملقية لله مقادة الاختيار، مسلوبة الملك والبلد والأهل والولد والشعار والدثار، لا نعرف سببا لنكث العهد من بعد العمل بموجبه والاستقرار، وناصحنا أهل تلك المدينة فعملوا على الحصار، واستبصروا في الدفاع عنا أتم الاستبصار، ورضوا لبيوتهم المصحرة وبساتينهم المستبحرة بفساد الحديد وعياث النار، ولم يرضوا لجوارهم بالإخفار ولا لبيوتهم بالعار، إلا أن كان الخروج عن الوطن بعد خطوب تسبح فيها الأقلام سبحا طويلا، وتوسعها الشجون شرحا وتأويلا، ويلقى القصص منها على الآذان قولا ثقيلا.

وجزنا البحر وضلوع موجه إشفاقا علينا تخفق، وأكف رياحه حسرة تصفق، ونزلنا من جناب سلطان بني مرين على المثوى الذي رحب بنا ذرعه، ودل على كرم الأصول فرعه، والكريم الذي وهب فأجزل، ونزل لنا عن الصهوة وتنزل، وخير وحكم، ورد على الدهر الذي تهكم، واستعبر وتبسم، وآلى وأقسم، وبسمل وقدم، واسترکب لنا واستخدم، ولما لمن وراءنا سيئات ما كسبوا، وحققوا ما حسبوا، وطفا الغثاء ورسبوا، ولم ينشب الشقي الجريئ أن قتل البائس الذي موه بزيفه، وطوقه بسيفه، ودل ركب المخافة على خيفه، إذ أمن المضعوف من كيده، وجعل ضرغامه بازيا لصيده، واستقل على أريكته استقلال الظليم على تريكته، حاسر الهامة، متنقبا بالشجاعة والشهامة، مستظهرا بأولي الجهالة والجهامة، وساءت في محاولة عدوه الدين سيرته، ولما حصحص الحق انتكثت مريرته، وخبثت سريرته، وارتابت لحينه المستور جيرته، وفغر عليه طاغية الروم فمه فالتقمه، ومد عليه الصليب ذراعه فراعه، وشد عليه الكفر يده، فما عضده الله ولا أيده، وتخرمت ثغور الإسلام بعد انتظامها، وشكت إلى الله باهتضامها، وغصت بأشلاء عباد الله وعظامها، وركلت السنة والجماعة، وانقطعت من النجع الطاعة، واشتدت المجاعة، وطلعت شمس دعوتنا من المغرب فقامت عليها الساعة.

وأجزنا البحر تكاد جهتاه تتقاربان تيسيرا، ورياحه لا تعرف في غير وجهتنا مسيرا، وكأن ماءه ذوب لقي إكسيرا، ونهضنا يتقدمنا الرعب ويتبعنا الدعاء، وتجأجئ بنا الإشارة ويحفزنا الاستدعاء، وأقصر الطاغية عن البلاد بعد أن ترك ثغورها مهتومة، والإخافة عليها محتومة، وطوالعها مفضوضة وكانت وكانت قبل بنا مختومة، وأخذت الخائن الصيحة عن البلاد فاختبل، وظهر تهوره الذي عليه جبل، فجمع أوباشه السفلة وأوشابه، وطرقه الذي غش به المحض وشابه، وعمد إلى الذخيرة التي صانتها الأغلاق الحريزة، والمعاقل العزيزة، فملأ بها المناطق، واستوعب الصامت والناطق، والوشح والقراطق، واحتمل عدد الحرب والزينة، وخرج ليلا عن المدينة، واقتضت آراؤه الفائلة، ونعامته الشائلة، ودولة بغيه الزائلة، أن يقصد الروم بقضه وقضيضه، وأوجه وحضيضه، وطويله وعريضه، من غير عهد اقتضى وثيقته، ولا أمر عرف حقيقته، إلا ما أمل اشتراطه من تبديل الكلمة، واستئصال الأمة المسلمة، فلم يكن إلا أن تحصل في قبضته، ودنا من مضجع ربضته،

واستشار نصحاءه في أمره، وحكم الحيلة في جناية غدره، وشهره ببلده، وتولى بعد قتله بيده، وألحق به بعد جميع من أمده في غيه، وظاهره على سوء سعيه، ووجه إلينا برؤوسهم فنصبت بمتسور غدرها، وقلدت لبة تلك البنية بشذرها، وأصبحت عبرة للمعتبرين، وآية للمستبصرين، وأحق الله الحق بكلماته وقطع دابر الكافرين.

وعدنا إلى أريكة ملكنا كما عاد القمر إلى بيته، بعد كيته وكيته، أو العقد إلى جيده، بعد انتثار فريده، أو الطير إلى وكره، مفلتا من غول الشرك ومكره، ينظر إلينا الناس بعيون لم تر مذ غبنا ممن محيا رحمة، ولا طشت عليها بعدنا غمامة نعمة، ولا باتت للسياسة في ذمة، ولا ركبت لدين ولا همة، فطوينا بساط العتاب طي الكتاب، وعاجلنا سطور المؤاخذة بالإضراب، وأنسنا نفوس أولي الاقتراف بالاقتراب، وسهلنا الوصول إلينا، واستغفرنا الله لنفسنا ولمن جنى علينا، فلا تسألوا عما أثار ذلك من استدراك ندم، وسوخ قدم، واستمتاع بوجود بعد عدم، فسبحان الذي يمحص ليثيب، ويأمر بالدعاء ليجيب، وينبه من الغفلة ويهيب، و" يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب"[1].

ورأينا أن نطالع علومكم المشرفة بهذا الواقع تسبيبا للمفاتحة المعتمدة، وتمهيدا للموالاة المجددة، فأخبار الأقطار مما تنفقه الملوك على أسمارها، وترقم ببدائعه هالات أقمارها، وتستفيد منه حسن السير، والأمان من الغير، وتستعين على الدهر بالتجارب، وتستدل بالشاهد على الغائب، وبلادكم ينبوع الخير وأهله، ورواق الإسلام الذي يأوي قريبه وبعيده إلى ظله، ومطلع نور الرسالة، وأفق الرحمة المنثالة، منه تقدم علينا الكواكب تضرب آباط أفلاكها، وتتخلل مداريها المذهبة غدائر أحلاكها، وتستعلي البدور، ثم يدعوها إلى المغرب الحدور، وتطلع الشمس متجرة من كمام ليلها، متهادية في دكان ميلها، ثم تسحب إلى الغروب فضل ذيلها ومن تلقائكم ورد العلم والعمل، وأرعي الهمل فنحن نستوهب مظان الإجابة لديكم دعاء يقوم لدينا مقام المدد، ويعدل منه الشيئ بالمال والعدد، ففي دعاء المؤمن يظهر الغيب ما فيه، والله يعلم ما يبديه العبد وما يخفيه، وإياه نسأل أن يدفع عنا وعنكم عوادي الفتن، وغوائل المحن، ويحملنا على سنن السنن، ويلبسنا من تقواه أوقى الجنن، وهو سبحانه وتعالى يصل لأبوابكم سعدا تستقل لدى قاضي القضاة رسومه، فتكتب حقوقه وتكبت خصومه، ولا تكلفه الأيام فسخا ولا تسومه، بفضل الله وعونه، وكرمه ومنه، والسلام الكريم الطيب المبارك بدء عود، وجودا إثر وجود، ورحمة الله تعالى وبركاته"[2].

رسالة من السلطان الغني بالله النصري إلى الوزير المملوكي

---

[1] - سورة الشورى، الآية 11.

[2] - أوردها كل من لسان الدين بن الخطيب في كتابه نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، ج3، الدار البيضاء، 1989، ص193-200. والمقري في كتابه نفح الطيب، ج1، ص321-326.أحمد عزاوي، العلاقات بين العالمين الإسلامي والمسيحي، ج2، ص147-158.

المتغلب على السلطان المنصور بن أحمد بن الناصر

ثم على السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر

من إنشاء لسان الدين بن الخطيب

الرسالة المرفقة إلى الأمير يلبغا الناصري الوزير المملوكي بشأن تجديد المراسلة مع سلطان غرناطة:

" إلى الأمير المؤتمن على أمر سلطان المسلمين، المقلد تدبيره السديد قلادة الدين، المثني على رسوم بره المقامة لسان الحرم الأمين، الآوي من مرضاة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم إلى الربوة ذات القرار المعين، سيف الدعوة، ركن الدولة، قوام الملة، مؤمل الأمة، تاج الخواص، أسد الجيوش، كافي الكفاة، زين الأمراء، علم الكبراء، عين الأعيان، حسنة الزمان، الأجل المرفع الأسنى، الكبير الأشهر الأسمى، الحافل الفاضل، الكامل المعظم، الموقر، الأمير يلبغا الخاصكي، وصل الله له سعادة تشرق غرتها، وصنائع تسح فلا تشح درتها، وأبقى تلك المثابة قلادة الله تعالى وهو درتها، سلام كريم، طيب بر عميم، يخص إمارتكم التي جعل الله تعالى الفضل على سعادتها أمارة، واليسر لها شارة، فيساعد الفلك الدوار مهما أملت إدارة، وتمثلت الرسوم كلما أشارت إشارة.

أما بعد حمد الله تعالى الذي هو بعلمه في كل مكان من قاص ودان، وإليه توجه الوجوه وإن اختلفت السير وتباعدت البلدان، ومنه يلتمس الإحسان، وبذكره ينشرح الصدر ويطمئن القلب ويمرح اللسان، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا رسوله العظيم الشان، ونبيه الصادق البيان، الواضح البرهان، والرضى عن آله وأصحابه وأعمامه وأصحابه أحلاس الخيل ورهبان الليل وأسود الميدان.

فإنا كتبنا إليكم كتب الله تعالى لكم حظا من فضله وافرا، وصنعا من محيا السرور سافرا، وفي حق الإعلام بالنعم الجسام مسافرا، من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى دار ملك الأندلس دافع الله سبحانه عن حوزتها كيد العداة، وأتحف نصلها ببواكر النصر المهداة، ولا زائد بفضل الله إلا تشوق إلى التعارف بتلكم الأبواب الشريفة التي أنتم عنوان كتابها المرقوم، وبيت قصيدها المنظوم، والتماس بركتها الثابتة الرسوم، وتقرير المثول في سبيل زيارتها بالأرواح عند تعذرها بالجسوم.

وإلى هذا، فإننا كانت بين سلفنا تقبل الله تعالى جهادهم، وقدس نفوسهم وأمن معادهم، وبين تلك الأبواب السلطانية أبقى الله على الإسلام والمسلمين ظلالها، كما عرفهم عدلها وأفضالها، مراسلة ينم عرف الخلوص من خلالها، وتسطع أنوار السعادة من آفاق كمالها، وتلتمح من أسطار طروسها محاسن تلك المعاهد الزاكية المشاهد، وتعرب عن فضل المذاهب وكرم المقاصد، اشتقنا إلى أن نجددها بحسن منابكم، ونصلها بمواصلة جنابكم، ونغتنم في عودها الحميد مكانكم، ونؤمل لها زمانكم، فخاطبنا الأبواب الشريفة في هذا الغرض مخاطبة خجلة من التقصير، وجلة من الناقد البصير، نؤمل الوصول ف خفارة يدكم التي لها الأيادي البيض، والموارد التي لا تغيض، ومثلكم من لا تخيب المقاصد في شمائله، ولا تضحى المآمل في ظل خمائله، فقد اشتهر من حميد سيركم ما طبق الآفاق، وصحب الرفاق، واستلزم الإصفاق، وهذه البلاد مباركة، ما

أسلف أحد فيها مشاركة، إلا وجدها في نفسه ودينه وماله وعياله، والله سبحانه أكرم من وفى لامرئ بمكياله، وهو جل جلاله يجمع القلوب على شفاعته، ويبقي تلك الأبواب ملجأ للإسلام والمسلمين، وظلا لله تعالى على العالمين، وإقامة لشعائر الحرم الأمين، ويتولى إعانة إمارتكم على وظائف الدين، ويجعلكم ممن أنعم عليه تعالى من المجاهدين، والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته"[1].

الرسالة الجوابية الصادرة من السلطان المملوكي[2]:

" تخص الحضرة العلية حضرة الأمير فلان وألقابه، جعل الله له النصر أين سار قرينا، والظفر والاستظهار مصاحبا وخدينا، وزاد في محله الأسنى تمكينا وتأمينا، ومنح أفقه الغربي من أسرة وجهه المتلألئ الإشراق، ومهابة بطشه الذي يورد العدى موارد الردى بالاتفاق، تحسينا وتحصينا بإهداء السلام الذي يتأرج عرفا، ويتبلج وصفا، ويكاد يمازح النسيم لطفا، وإبداء الشكر الذي جلله ملابس الإكرام وأضفى، وأجمل منه نفائس عقد المودة التي أظهرها فلم تكن تخفى.

ثم بعد حمد الله مؤكد أسباب علاه، ومؤيد موجبات نصره (وما النَصر إلاَ من عند الله)[3]، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله الذي أمدده بملائكته المقربين، ونصره بالرعب مسيرة شهر كما ورد بالنص والتعيين، ورفع باسمه ألوية المؤمنين الموحدين، وقمع ببأسه ثائرة البغاة والمتمردين، وعلى آله وصحبه الذين لازموا التمسك بأسباب الدين، وجاهدوا في إقامة منابر الإسلام لما علموا مقدار أجرهم علم اليقين، صلاة متوالية متواترة على ممر الأحقاب والسنين، فإنا نوضح لعلمه الكريم أن كتابه ورد علينا مشتملا على المحاسن الغراء، مغربا بل معربا لنا بحمرة لونه أن نسبته إلى الحمراء مشبها ورد الخدود والنقس فيه كالخال، أو شقائق النعمان كما بدا روضه غب السحاب المتوال. فوقفنا على مضمونه جميعه، وتلمحنا بديع معانيه من جميل توشيعه وترصيعه، وعلمنا ما شرحه فيه، من استمراره على عادة سلفه في القيام بأمر الجهاد، وقطع دابر الكفرة ذوي الشقاق والعناد، وتوطيد ما لديه من تلك البلاد، وتطمين ما بها من العباد، وما اتفق من قريبه في الصورة لا في المعنى، وكيف أساء إليه فعلا وقد أحسن به ظنا، وأنه رصد الغفلة من جنابه، وأقدم على ما أقدم عليه من افتراق البغي والتمسك بأسبابه، ولم يزل يراعي غيبة الرقيب وهجوع السامر، على أن تمكن من الاستيلاء على ذلك الملك الذي ظن أن أمره إليه صائر، لكنه مع كونه قد اقتحم في فعلته هذه الأهوال، وتوهم أنه قد حصل بمكره على بلوغ بعض الآمال، فإنه ما سلم ولله الحمد والمنة حتى ودع، ولا أقبل سحاب استيلائه حتى أقشع، بما قدره الله تعالى لحضرة الأمير من نصرته، وعوده إلى محل أمره وإمرته. وأنه آثر اطلاع علومنا الشريفة على هذه الواقعة، لما يعلم من تأكيد المودة التي غدت حمائمها على أفنان المحبة ساجعة، وقد

---

[1] – أرخت بشهر شوال إلى ذو القعدة 763هـ ووردت في: لسان الدين بن الخطيب، ريحانة الكتاب، ص507 – 509، المقري ،نفح الطيب، ج6، ص 271–273، أحمد عزاوي، العلاقات، ج2، ص 159–160.

[2] الرسالة مؤرخة ب جمادى الأولى سنة 765هـ، وكانت مكتوبة في ورق أحمر. القلقشندي، صبح الأعشى، ج7 ص413–416.

[3] سورة آل عمران، الآية 126. سورة الأنفال، الآية 10.

علمنا هذا الأمر وشكرنا جميل محبته التي لم ينسج على منوالها زيد ولا عمرو، وابتهجنا بما يسره الله تعالى له من ذلك، وانتهزنا فرص السرور بما منحه الله من ظفره المتقارب المتدارك، وحمدنا الله تعالى على تأييد هذه العصابة الإسلامية، وما منّ به من عود شمس هذا الأفق الغربي إلى مطالعها السنية، ولا جرم إن كانت له النصرة، والاستيلاء والقدرة، لأن الله تعالى قد تكفل سبحانه لأوليائه بمزيد التكريم والتعزيز، إذ قال عز وجل: (ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله)[1] (إن الله لقوي عزيز)[2].

وأما غير ذلك، فقد وصل رسول الحضرة العلية إلينا وتمثل بمواقفنا المعظمة، ومحال مملكتنا المكرمة، وأقبلنا عليه، وضاعفنا الإحسان إليه، وأدى إلينا ما تحمله من المشافهة الكريمة، ورسائل المحبة والمودة القديمة، فرسمنا بإجابة قصده، وتوفير بره ورفده، وقضاء شغله الذي حضر فيه، وتسهيل مآربه بمزيد التنويل والتنويه، ومسامحة الحضرة العلية بما يتعين على ما قيمته ألفا دينار مصرية حسب ما عينه رسوله المذكور، ولو كان سألنا أضعاف ذلك لأجبنا سؤاله من غير ترو ولا فتور، وقد جهزنا إليه صحبة ما أنعمت به صدقتنا الشريفة عليه من الدرياق ودهن البلسان، فليتحقق ماله عندنا من المكانة والمحل الرفيع الشأن، وقد أعدنا رسوله المذكور إلى جهته الكريمة بهذا الجواب الشريف، محترما مكرما مشمولا من إحساننا بالتليد والطريف، فيحيط علما بذلك والله تعالى يمده بمزيد التأييد، ويمنحه من جميل الإقبال، وجزيل النوال، ما يربي على الأمل ويزيد."

تقليد الخليفة المستنصر بالله العباسي للملك الظاهر بيبرس بالسلطنة سنة 658هـ/ 1258 م، من إنشاء فخر الدين بن لقمان

"الحمد لله الذي أصفى على الإسلام ملابس الشرف، واظهر بهجة درره، كانت خافية، بما استحكم عليها من الصدق، وشيد ما وهي من علائه حتى أنسى ذكر من سلف، وقبض لنصره ملوكا اتفق عليهم من اختلف، احمده على نعمته التي رفعت الأعين منها في الروض الأنف، والطافة التي وقف الشكر عليها فليس له عنها منصرف، واشهد أن لا اله ألا الله وحده لاشريك له شهادة توجب من المخاوف أمنا، وتسهل من الأمور ما كان حزنا، واشهد أن محمد عبده الذي جبر من الدين رهنا، ورسوله الذي اظهر من المكارم فنونا لافنا، صلى الله علية وسلم وعلى اله الذين أصبحت مناقبهم باقية لا تفنى،....ولما كانت هذه المناقب الشريفة مختصة بالمقام العالي المولى السلطاني الملكي الظاهري الركني . شرفه الله وعلاه . ذكرها الديوان العزيز النبوي الأمامي المستنصري . اعز الله سلطانه . تنويها يشرف قدره، واعترفا بصنعة الذي تنفذه العبارة المسهبة ولا تقوم بشكره، وكيف لا وقد أقام الدولة العباسية بعد أن أقعدتها زمانة الزمان و أذهبت ما كان لها من محاسن وإحسان، وعتب دهرها المسيء لها فأعتب،

[1] – سورة الحج، الآية 58.

[2] – سورة الحج، الآية 40 و78.

وأرضى عنها زمنها وقد كان صال عليها صوات مغضب، فأعاده لها سلما بعد أن كان (عليها) حربا، وصرف أليها اهتمامه فرجع كل متضايق من أمورها واسعا رحبا، ومنح أمير المؤمنين عند القدوم علية حنوا وعطفا، واظهر من الولاء رغبة في (ثواب) الله مالا يخفى، و أبدى من الاهتمام بأمر البيعة أمرا لو رامه غيره لامتنع عليه، ولو تمسك بحبله متمسك لا تقطع به قبل الوصول إليه، ولكن الله ادخر هذه الحسنة ليثقل بها (في) الميزان ثوابه، ويخفف بها يوم القيامة حسابه، والسعيد من خفف حسابه، فهذه منقبة أبى الله إلا أن يخلدها في صحيفة صنعه، ومكرمة قضت لهذا البيت الشريف بجمعه......

وقد قلدك الديار المصرية والبلاد الشامية، والديار البكرية، والحجازية واليمنية والفراتية، وما يتجدد من الفتوحات غورا ونجدا، وفوض أمر جندها ورعاياها إليك حين أصبحت بالمكارم فردا......."[1].

كتاب مبايعة السلطان المنصور أبو بكر بن الناصر محمد قلاوون سنة 741هـ/ 1340م للخليفة العباسي احمد بن المستكفي بالله بالخلافة، من إنشاء ابن فضل الله العمري

"..... بيعة يصلح الله بها الأمة، ويمنح بسببها النعمة، ويجازي الرفاق، ويسري ألهنا في الأفاق، ويتزاحم زهر الكواكب على حوض المجرة الدقاق، بيعة سعيدة ميمونة بها السلامة في الدين والدنيا مضمونة، ببيعة صحيحة شرعية، بيعة ملحوظة مرعية، تسابق أليها كل نية، وتطاوع كل طويه، ويجمع عليها شتات البرية، يستهل بها العام، ويتهلل البدر التمام، بيعة متفق على الإجماع عليها، والإجماع يبسط الأيدي إليها، انعقد عليها، فاعتقد صحتها من سمع الله وأطاع، وبذل في تمامها كل امرئ من استطاع، حصل عليه اتفاق الأبصار والأسماع، ووصل بها الحق إلى مستحقه، واقر الخصم وانقطع النزاع تضمنها كتاب مرقوم يشهده المقربون، وتلقاه الائمة الأقربون، ﴿الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ ﴾.

أنه الحائز لما زرت عليه جيوب المشارق والمغارب، والفائز يملك مابين المشارق و المغارب، الرامي في صفيح السماء هذه الدرة المتيفة، الراقي بعد الأئمة الماضين ونعم الخليفة، المجتمع فيه شروط الإمامة، المتضع لله وهو أبن بيت لا يزال الملك فيهم إلى يوم القيامة، الذي يفضح السحاب نائلة، والذي لا يقره عاذرة، ولا يقبره عاذلة والذي ما ارتقى صهوة المنبر بحضرة سلطان زمان، إلا قال ناصرة وقام قائمة ولا قعد على سرير الخلافة إلا وعرف أنه خاب مستكفية ولا عاب حاكمة...

أيد الله ببقائه الدين، وطوق سيفه رقاب الملحدين، وكبت تحت لوائه المعتدين، وكتب له النصر إلى يوم الدين، وكب بجهاده على الأذقان طوائف المفسدين، وأعاذ به الأرض ممن لا يدين بدين، وأعاد بعدله أيام آبائه الخلفاء الراشدين والأئمة المجتهدين، الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، وعملة كانوا يعملون، ونصر أنصاره وقدر اقتداره واسكن في القلوب سكينته ووقاره، ومكن له في الجود وجمع له أقطاره....."[2].

---

[1]- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص ص 111- 113.

[2]- السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص 59.

القصيدة التي بعثها أبو زيان الثاني عبد الرحم بنأبي حمو الزياني
إلى الظاهر برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة

لمن الركاب سيرهن دميل   فالصبر إلا بعدهن جميل
يا أيها الحادي رويدك إنا   ظعن يميل القلب حيث تميل
رفقا بمن حملته فوق ظهورها   فالحسن فوق ظهورها محمول
لله أية أنجم شفا فة   ينجاب عنها للظلام سدول
شهب بآفاق الصدور طلوعها   ولها بأستار الخدور أفول
في الهودج المزرور منها غادة   تزع الدجى بجبينها فيحول
فكأنها قمر على غصن على   منمى كثيب والكثيب مهيل
ثارت مطاياها فثار بي الهوى   واعتاد قلبي زفرة وغليل
أومت لتوديعي فغالب عبرتي   نظر تخالسه العيون كليل
والباب ليس بمرتج عن مرتج   والظن في المولى الجليل جميل
من لي بزروة روضة الهادي الذي   ما مثله في المرسلين رسول
هو أحمد ومحمد والمصطفى   والمجتبى وله انتهى التفضيل
يا خير من أهدى الهدى وأجل من   أثنى عليه الوحي والتنزيل
وحي من الرحمن يلقيه على   قلب النبي محمد جبريل
مدحتك آيات الكتاب وبشرت   بقدومك التوراة والانجيل
صلة الصلاة عليك تحلو في فمي   مهما تكرر ذكرك المعول
فوربعك الماهول أن بأضلعي   قلبا يحبك ربعه مأهول
هل من سبيل للسرى حتى أرى   خير الورى فهو المنى والسول
حتام تمتطلني اللالي وعدها   أن الزمان بوعده لبخيل
ما عاقني إلا عظيم جرائمي   أن الجرائم حملهن ثقيل
دمع أغيض منه خوف رقيبها   طورا ويغلبني الأسى فيسيل
ويح المحب وشت به عبراته   فكأنها قال عليه وقيل
صان الهوى وجفونه يوم النوى   لمصون جوهر دمعهن تديل
وتهابه أسد الشرى في خيسها   ويروعه ظبي الحمى المكول
تأبى النفوس الضيم إلا في الهوى   فالحر عبد والعزيز دليل
يا بانة الوادي ويا أثل الحمى   هل ساعة تصغين لي فأقول
ما لي إذا هب النسيم من الحمى   أرتاح شوقا للحمى وأميل
خلوا الصبا يخلص إلي نسيمها   أن الصبا لصبابتي تعلل
يا ليت شعري هل لحومي مورد   أو للحمى قبل الحمام سبيل
ما لي أحلا عن ورود محله   وأداد عنه وورده منهول
أنا مغرم فتعطفوا أنا مذنب   فتجاوزوا أنا عاثر فأقيلوا
وأنا البعيد فقربوا والمستجير   فأمنوا والمرتجي فأنيلوا
ما للفؤاد وللهوى من بعدها   رحل الشباب وللمشيب حلول
أو ما قبيح بي فؤاد بالهوى   درن وفود بالمشيب غسيل
أن الشباب له نصول كلما   نضيت عليه من المشيب نصول
صال المشيب على الشباب كأنه   سيف الأمير على الطغاة يصول

يا سايقا نحو الحجاز حموله ... والقلب بين حموله محمول
لمحمد بلغ سلام سميه ... فدمامه بمحمد موصول
وسل الاله له اغتفار دنوبه ... يسمع هناك دعاؤك المقبول
وعن الأمير أبي سعيد فلتنب ... فلكم له نحو الرسول رسول
متحمل لله كسوة بيته ... يا حبذاك المحمل المحمول
سعد الأمير أبو سعيد أنه ... سيف على هام العدى مسلول
ملك يحج المغرب الأقصى به ... فلهم به نحو الرسول وصول
ملك به نام الأنام وأمنت ... سبل المخاف فلا يخاف سبل
فالملك ضخم والجناب مؤمل ... والفضل جم والعطاء جزيل
والصنع أجمل والفخار مؤثل ... والمجد أكمل والوفاء أيل
والصنع أجمل والفخار مؤثل ... وحباك من روح الإله قبول
يا متحفي ومفاتحي برسالة ... سلسلة يزهى بها الترسيل
واقت محاسنها فأهوى نحوها ... بفم القبول اللثم والتقبيل
يا مسعدي وأخي العزيز ومنجدي ... ومن القلوب إلى الهواه تميل
إن كان رسم الود منك مذيلا ... بالبر وهو بديله موصول
فنظيره عندي وليس يضيره ... بمعارض وهم ولا تخليل
ود يزيد وثابت شهدا به ... ولخالد بخلوده تذييل
واليكها تنبيك صدق مودتي ... مع الدليل فوافق المدلول
فإذا بذلك المجلس السامي سمت ... فلديك إقبال لها وقبول
دام الوداد على البعاد موصلا ... بين القلوب وحبله موصول
وبقيت في نعم لديك مزيدها ... وعليك يضفو ظلها المسدول[1]

وثيقة وقف مدرسة أيتمش البجاسي

" فأمّا المدرسة المذكورة أوّلا في هذا الكتاب فإنّه وقف الإيوان القبلي الّذي يصدره المحراب مسجدا لله تعالى وبيتنا من بيوته قيام فيه الصلوات ويعتكف فيه على العبادات ويتلى فيه كتاب الله العظيم وحديث نبيه عليه أفضل الصلاة والتسليم ويشتغل فيه بالعلم الشريف وإفادته واستفادته ودراسته وجعل التطرق إليه من الباب الكبير المقدم ذكره في الواجهة المذكورة ودور القاعة وأمّا الخزانة التي بها الرفوف بالإيوان المذكور فإنه وقفها لحفظ ما لعلّه يكون بهذه المدرسة من ربعات شريفات وختم كريمات وكتب تفسير وحديث، وقفه وغير ذلك من الكتب على جارى العادة في مثل ذلك وأمّا الطباق الثلاث، المذكورات المتوصل إليها من الإيوان المذكور فإنّه وقفها لسكنى من يعينه الناظر من المشايخ، والطّلبة فأرباب الوظائف بالمدرسة المذكورة وأمّا المئذنة فإنّه وقفها ليعلن عليها، بالأذان للصلوات الخمس والأذكار في أوقات الأسحار على جارى العادة في مثل ذلك وأمّا القبّة الّتي يتوصل إليها من دور القاعة المذكورة فإنّه جعل الفسقية التي بها مرصده لدفنه ودفن أولاده وأولاد أولاده وذريته ومن يختار دفنه فيه من الأموات وأمّا الشباكان اللذان بها فإنّه جعلهما ليجلس فيهما ويتلى فيهما القرآن العظيم في أوقات الصلوات وغير ذلك، و ينتفع بهما الانتفاع بمثلهما بمثل ذلك على الوجه الشرعي. وأمّا دور القاعة المقدم ذكرها والفسقية الّتي بها فإنّها تكون وقفا على جميع المسلمين المترددين و الواردين لهذه المدرسة والمقيمين بها، ينتفعون بذلك انتفاع

[1] – التنسي، تاريخ بني زيان، ص220-227.

مثلهم بمثل ذلك على العادة في ذلك وأمّا الخزانة التي بدور القاعة المذكورة فيه، فإنّها تكون وقفا لحف ما لعلّه يكون بهذه المدرسة من آلات وبغال و غير ذلك على ما يراه الناظر، وأمّا الحاصل المجاور للسلّم المذكور فإنّه وقفه لحفظ ما لعلّه يكون لهذه المدرسة من الآلات والبسط وغير ذلك, وأمّا المرحاض المذكور فإنّه سبله لجميع المسلمين والواردين لهذه المدرسة والقاطنين بها، وأمّا باب السر المذكور فإنّه وقف ليتطرق منه إلى المدرسة المذكورة وإلى الطبقتين المجاورتين له الآتي ذكرهما فيه، وأمّا الطبقتين المذكورتان فيه المتوصل إليهما من السلّم المذكور فإنّهما مرصدتان لسكن سيدنا العبد الفقير إلى الله تعالى الشيخ العالم الكامل الفاضل، شمس الدين صدر المدرسين مفيد الطالبين أبي عبد الله محمد الأقصراني الحنفي عاد الله تعالى من بركاته، و أجاب صالح دعواته ينتفع بالسكن في هذا ما دام مدرسا بالمدرسة المذكورة ثمّ من بعده لمن يكون مدرسا عوضا عنه مدرسا بعد مدرس على العادة في مثل ذلك. وأمّا المكان المعروف بالسبيل فإنّه وقفه ليسبل الماء على الناس أجمعين و الاستقرار ما لعلّه يكون به من آلات الاستقاء من أزيار، و كيزان و أباريق غير ذلك على العادة في مثل ذلك".

ثمّ في موضع آخر من الوثيقة يتحدث عمّا قرّره الواقف من وظائف مدرسته بما نصّه: " ورتّب الناظر في هذا الوقف المذكور بالمدرسة التي أنشأها بالقاهرة المحروسة المشار إليها أعلاه.... مدرسين من أهل الخير عارفين بالعلوم الشرعية ومقدماتها عالمين بالعلوم العربية ومشكلاتها متكلمين بلسان العربي والعجمي والتركي فإن لم يكونوا متكلمين باللسان العربي والعجمي والتركي فباللسان العربي وأحد اللسانين المذكورين... فيه ورتب معهما معيدين وأربعة عشر من الطلبة المذكورين فيه بالإيوان الذي بالمدرسة المذكورة فيه الذي صيره مسجدا في الأيام الّتي جرت العادة بالاشتغال بالدروس فيها فيما بين طلوع الشمس و للزوال مقدار ما بين الظهر والعصر من كلّ زمان خلا أيام الجمعة والاثنين والثلاثاء كلّ جمعة، والأيام التي جرت العادة ببطالة الدروس فيها على أن يستفتح المدرس و المعهد و الطلبة، المذكورين فيه بقراءة سورة البقرة وتبارك الذي بيده الملك ثم يقرأ أحدهم ما تيسر له قراءته من كتاب الله العظيم رافعا صوته و يدعو عقب القراءة لمولانا السلطان الملك الظاهر. خلد الله ملكه وأدام دولته والواقف المشار إليه فيه ولجميع المسلمين ثم يقرأ عليه بعد ذلك من تأهل القراءة ما يختار من وفقه مدرسة وأصول ومن العلوم الشرعية والأحاديث النبويّة وغير ذلك على جارى العادة في مثلا ذلك، ويحل له الشيخ ما يظهر له من كشف غامض وحلّ مشكل ويبحث من تأهل للبحث على العادة في مثل ذلك ويسلك المدرس معهم في ذلك الإفادة والتعليم على العادة و على المعيد أن يجلس بعد فراغ الدرس أو قبله ويقرأ عليه ما يختار القراءة، من الطلبة المذكورين ما أحب قراءته ويبين المعيد المذكور له ما أشكل عليه من شرح فيمده بمواد علومه الذي وصلت إليه، والمدرس الثاني يجلس، هو ومعيد واحد وأربعة عشر من الطلبة المذكورين بالإيوان المذكور فيه من بعد أذان الظهر إلى وقت العصر ويفعل المدرس و المعيد والطلبة كما شرط في الدرس الأوّل ورتب الناظر رجلا من أهل الخير نقيبا بالدرسين المذكورين فيه على أن يتولى ضبط الغيبة و تفريق الربعة بعد صلاة العصر عند حضور الشيخين والطلبة والمعيدين وظيفة التصوف بالمدرسة المذكورة على الجاري العادة في مثل ذلك ويصرف له في كلّ شهر ما مبلغه ثلاثون درهما ويقرر الناظر رجلا حسن الصوت حافظا لكتاب الله تعالى و مديح نبيه صلى الله عليه وسلّم على أن يحضر كلّ يوم بعد صلاة العصر وظيفة التصوف مع الشيخ أو الطلبة المذكورين ويفعل ما يذكر فيه ويصرف له في كلّ شهر ثلاثون درهما، وشرط مولانا الواقف المذكور وقاه الله كل محذور أن يجتمع المعيدان والمدرسان، والطّلبة المذكورين فيه في كلّ يوم بعد صلاة العصر بالمدرسة المذكور فيه، ويجلس الإمام العالم شمس الدين محمّد الأقصراني المشار إليه فيه بالمحراب الّذي بالإيوان المذكور، ويجلس الشيخ الثاني إلى جانبه

والمعيدان والطّلبة المذكورون حوله ويفرق النقيب المقدم ذكره أجزاء الربعة الشريفة فيبدأ الشيخ شمس الدين محمد المذكور فيه ثمّ من يليه ويقرأ كلّ منهم جزءا كاملا من تجزئة ثلاثين جزءا ويقرؤون عقب ذلك سورة الإخلاص و المعوذتين وفاتحة الكتاب، ثمّ يقرأ القارئ المادح المقدم ذكره عشر من القرآن العظيم.... صوته ويمدح النبي صلّى الله عليه وسلّم عقب ذلك ثمّ يدعو لمولانا السلطان الملك الظاهر، ولواقف المذكور ولذريتهما ولجميع المسلمين ورتب الناظر رجلا من أهل الخير والدّين من القراء الحافظين لكتاب الله المتقنين لقراءته الجامعين لروايته ومعناه على أن يجلس لتلقين القرآن العظيم بالمدرسة المذكورة في يوم في الوقت الذي يعينه الناظر له لمن عسا يحضر إليه راغبا في تلقين القرآن العظيم و حفظه فيلقنه من يحتمل تلقينه من كتاب الله تعالى على العادة في مثل ذلك. ورتب الناظر في هذا الوقف رجلين من أهل الخير والدين أحدهما يكون عالم تفسير القرآن العظيم، وعلم العربيّة حافظا لحديث سيدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومتونه و طرق إسناده وحسنه، وغريبه شيخا متصدرا والثاني حسن الصوت علي بقراءة المواعيد، على أن يجلس الشيخ المذكور بالمدرسة المذكورة فيه ويجلس القارئ المذكور بين يديه في كلّ يوم اثنين وثلاثاء بعد صلاة الظهر ويقرأ القارئ المذكور ما تيسر له قراءته من القرآن العظيم وتفسيره، ومن صحيح البخاري مسلم أو من أحدهما أو من شروحهما أو من الكتب الصحيحة ومن كتب الرقائق المعتمدة ومناقب الأبرار الصالحين ويحلّ الشيخ المذكور من ذلك ما أشكل على السامعين من تفسير وحديث أو غير ذلك على عادة، أمثاله في ذلك ويختم القارئ بعد ذلك قراءته بسورة الإخلاص ثلث مرّات والمعوذتين وفاتحة الكتاب وأوائل سورة البقرة وأواخرها ويدعو عقب ذلك لمولانا السلطان الملك الظاهر، وللواقف المذكور ولذريتهما ولجميع المسلمين و يختم ذلك بالصلاة على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ".[1]

وثيقة شروط الواقف الخاصّة بالسكنى والتوظّف في العصر المملوكي

" وشرط الواقف أثابه الله تعالى الجنّة وضاعف عليه المنة أن يكون من هو ساكن بالخانقاه المذكورة، عازبا غير متزوج بحيث لا تدنس بسكنى الحيض إلاّ الشيخ خاصة فإنّه يرخص له بالسكنى بزوجته للضرورة، وشرط على أرباب البيوت بها الإقامة والمبيت بها ويسامح كلّ منهم بالمبيت خارج الخانقات لخمس ليالي في كلّ شهر وأن لا يعطي لأحد بيت بالخانقات بعد تكفية المجردين كما ذكر أعلاه ولا يعطي لأحد غير أهل الخانقات بها إلاّ أن لا يوجد له ساكن من أهلها، فحينئذ يعطى لمن يكون من أهل الخير والديانة والصيانة من أهل الصوفية و يصير مترددا للخانقات بشرط المبيت والعزوبة ويقدم بالتنزيل في أوّل وظيفة شغلت بالخانقات، بما يوجد فيها شروطها ولا يجمع لأحديها بين بيتين ومن أراد التزويج ممن معه بيت بها أخذ منه وأعطى لمن شرط فيه الشروط المتقدّمة ومن أراد من المتجردين الانتقال إلى وظيفة طلب علم أو غيرها وكان في جماعة الطلبة أو غيرها ممن هو متصف بصفات المتجردين وتراضى هو الآخر على ذلك نقل أحدهما مكان الآخر وإذا انتهى أحد من قراء السبع في علم القرآن، خرج من الطلب المذكور وقرّر صوفيا ونزل مكانه غيره من أرباب الوظائف بالخانقات وأن لا يجمع لأحد

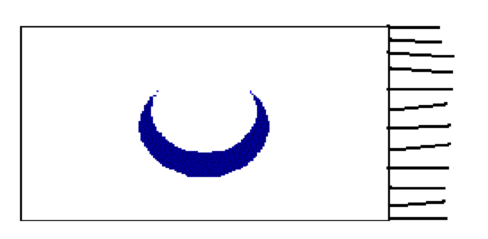
---

[1]- عبد الستار عثمان، نظرية الوظيفة بالعمائر الدينية المملوكية، ص 474- 477.

من أهلها والمنزلين في وظيفة بها بين وظيفتين بها، ولما بغيرها يتعارض في وقت واحد يحصل الخلل في أحد منهما للاشتغال في الأخرى إلاّ من قرره الواقف وشرط أيضا إذا نزل أحد عن وظيفة بالخانقات المذكورة لأحد فلا يقر الناظر النازل ولا المتزول له بل يستدل بهما وإن مات من الشيخ والمتصدرين بها وشيخ القراء والإمام أو رغب عن وظيفته لها أو قطع لصانع شرعي وكان أحد من الطلبة المنزل بالخانقات المذكورة أهلا لتلك الوظيفة التي شغرت فينزله الناظر فيها بشرط أن يكون متّصفا بصفات من كان بها ولا يقدم عليه غيره إلاّ من هو أفضل منه ، أكثر نفعا عربيّا كان أو عجميّا مصريّا كان أو آفاقيا وإن استوي في الأهلية أكثر منهما قدم الأمثل الأنفع فإن استووا في ذلك أقرع بينهم فا لم يوجد أهل الخانقات من يصلح فمن غير أهلها ممن هو متأهل لتلك الوظيفة الّتي تصل فيها الخلل بغيبته عنها استناب في وظيفته من يسدها عنه إلى حين منضو ره وأجرى عليه معلومه وإن لم تكن الوظيفة يحصل بغيته فيها خلل إن الطالب والصوفي و غير ذلك. فإنّ كان لسفر الحج الفريضة أجرى عليه علمه إلى حين حضوره و إن كان لحج تطوع أو مجاوره وفر معلومه يستمر على وظيفته إلى حين حضوره فتجرى عليه ويستقر مكانه، ويفسح لكلّ من أرباب الوظائف و المنزلين بالخانقات المذكورة مدّة المجاورة و هي سنة كاملة وثلاثة أشهر فإن زادت غيبة أحدهم على ذلك قطع ونزل غيره كلّ ذلك في طائفة المجردين فإن شرطهم قد تقدّم و من سافر لغير الحج ممن تقدّم فإن كان سفره لزيارة أهل و أقارب فيسمح له بالسفر مدّة ثلاثة أشهر و لا يصرف فيها، معلوم مدّة غيبته فإن حضر عاد إلى حاله فإن زادت غيبته على ثلاثة أشهر قطع و نزل غيره و هذا الحكم فيمن لا وظيفة له يتعطّل بغيبته، فإنّ عقب في السفر المذكور أحد ممن تتعطل وظيفته بغيبته أو يحصل منها خلل، فسح له في الإستنابة لمن يسد وظيفته عنه مع استمرار معلومه مدّة ستّة أشهر فإن زادت غيبته على ذلك قطع و نزل غيره و إن كان السفر و زيارة الأهل و الأقارب فسح له في ذلك مدّة عشر أيام ثمّ يقطع كلّ ذلك فإنّ حقّ المذكورين خلا طائفة المجردين فإن شرطهم تقدم و خلا المتصدرين أنّ من شرطهم تقدم و منه ما يأتي نيابة وهو أنّه من غاب من المتصدرين للخانقات المذكورة لسفر حج أو زيارة أهل أو أقارب أو لتعاهد بقعة شريفة يستنيب عنه من يقوم بوظيفته، و يسدها على الوجه الشرعي إلى حين حضوره بحيث لا تزيد غيبته على مدّة سفر الحج أو مدّة المجاورة إن كان مجاورا و إن زادت على ذلك لغير عذر شرعي قطع و نزل غيره مكانه، وشرط أيضا أن المتصدرين و شيخ القراءة و الحديث و مدرس الشافعية يلازمون الاشتغال بالخانقات المذكورة. في كلّ يوم خلا الثلاثاء و يوم الجمعة من كلّ أسبوع و خلا شهر شعبان و شهر رمضان و غرة شوال و غرة ذي الحجة و يوم عاشوراء و أيام التشريق و الأعياد من كلّ سنة و أيام المطر للخوف من... وشدّة الرّيح و البرد و خلا شيخ الحديث فإنّه يسمع الحديث في الأشهر الثلاثة كما تقدّم و أن يسامح المتصدرون و طلبة العلم و الصوفية طيلة ثلاثة أيام متفرقة في كلّ شهر سواء غاب أحدهم عن وظيفته أو أكثر فإن زادت غيبته على ذلك حوسب بالغيبة و إن كانت الغيبة عن وظيفة خاصّة مثال درس أو أذان قطع نظير ذلك ممّا يقابل الوظيفة المذكورة من الدروس و إن كان من التصوف قطع ما يقابله من الخبز و غيره، و إن كان عن المجموع قطع ما يقابل ذلك كلّه و وفر للخانقات و من كثرت غيبته لغير عذر و زادت على عشرة أيام في كلّ شهر و ثلاثة أشهر في سنة واحدة قطعه الناظر و نزل غيره، و كلّ ذلك خلا الفراشين والقومة و الإمام و المؤذنين و الرئيسين و السقاء و كاتب الغيبة و النواب و قراء السبع و الشباك و قراءه الصفة و المادح فإن من غاب منهم يستنيب مدّة العشرة أيام فإن زادت غيبته عن العشرة أيام المذكورة بغير سفر و لا مرض قطع أيضا كذلك يستنيب كلّ من خادم الكتب و خدام الربعات و خادم السجادات المدّة الّتي فسح لهم فيها و يجري عليه المعلوم إلى حين عودة ما لم يتعد بزيادة الغيبة

عمّا عيّن له أعلاه و شرط أيضا أن ينزل بإحدى الخانقات المذكورة في وظيفة و لا يعطى بها بيتا بجاه و لا بشفاعة و لا بذي قوّة شوكة و أن ينزل بها أحد من الصوفيّة من الشهود المكتتبين بحوانيت الشهود و لا أن يكون مباشرا عند الأمراء فإن.... واحد من هؤلاء التنزيل بها ترك ما يمنعه عن ذلك و نزل إن كان صالحا لما.... و كانت الوظيفة شاغرة كلّ ذلك فيما يتعلّق بوظيفة الطلب و التصوّف و الملزم الحضور في الوظيفة لا تتعارض الوظيفتان فإن لم يتعارضا وكان المنزل بالخانقات مستحقا نزل و أما بقية أرباب الوظائف بها فلا يمنعون عن ذلك، إلاّ أن يحصل تعارض في وقت واحد و يحصل خلل أو نقص عمل في الوظيفة الّتي بالخانقات أو توقع تعارض منعوا من ذلك و شرط أيضا ألاّ ينزل بها شرير أو من يكثر الخصومات، و لا من هو معروف بالسلاطة و الافتراء على النّاس والكذب"[1].

[1]– عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص478-480.



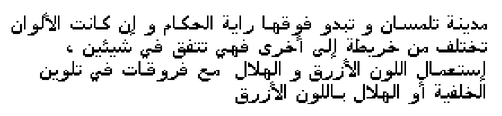
على الرغم من ندرة إستعماله بين مختلف السلالات الإسلامية التي تعاقبت على المنطقة غلب على بنو عبد الواد إستعمال اللون الأزرق – كما تشير المصادر على ذلك –

مدينة تلمسان و راية المدينة كما تظهر من الخريطة، و شكل الراية يعتبر الأكثر دقة من بين مجموعة الخرائط التي لدينا هنا. وضع الهلال أفقي و لونه أزرق –و هو المشهور–

بيتروس روزيلي– خريطة ملاحة بحرية 1466م.

ينتمي روزيلي إلى عائلة يهودية الأصل إعتنقت النصرانية مع بدأ حملات التنصير في الأندلس و هما ما يفسر المعلومات المتوفرة له عن منطقة شمال إفريقية و الأندلس حيث عرف اليهود بدور الوساطة بين المسلمين و النصرانيين – المعاملات التجارية و غيرها–، و قد إشتغل لفترة طويلة من حياته في رسم الخرائط، و الخريطة التالية أنجزت عام 1466م في مدينة ميورقة على الساحل الأندلسي.

جامعة مينوسوتا– الولايات المتحدة

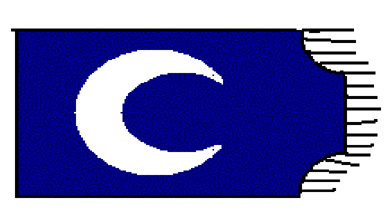


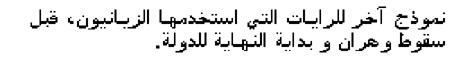
مدينة تلمسان و تبدو فوقها راية الحكام و إن كانت الألوان تختلف من خريطة إلى أخرى فهي تتفق في شيئين ، إستعمال اللون الأزرق و الهلال مع فروقات في تلوين الخلفية أو الهلال باللون الأزرق

خريطة ملاحة بحرية –أبينو كانيبا– من مدينة جنوة أنجزت عام 1489م.

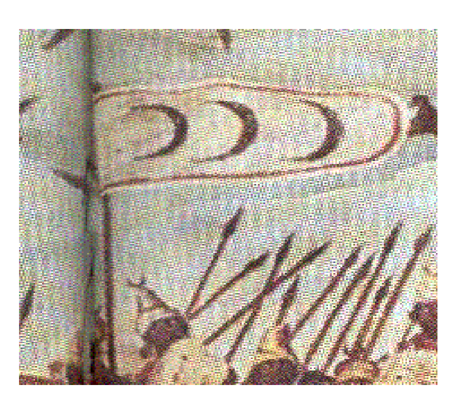
جامعة مينوسوتا– الولايات المتحدة



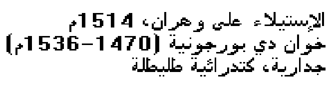




نموذج آخر للرايات التي استخدمها الزيانيون، قبل سقوط وهران و بداية النهاية للدولة.







الإستيلاء على وهران، 1514م
خوان دي بورجونية (1470–1536م)
جدارية، كتدرائية طليطلة



راية الدولة الزيانية



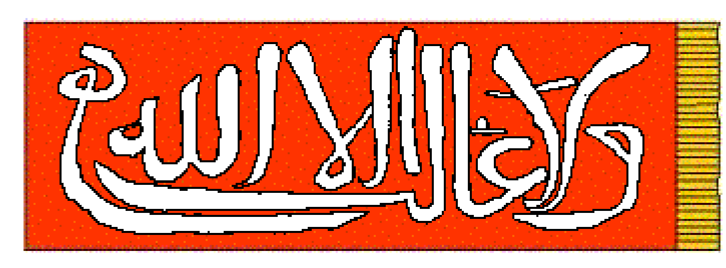
راية ترجع إلى عهد المرينيين، استولى عليها ملك قشتالة ألفونسو الثالث عشر ح **1340** م بعد هزيمة المرينيين في وادي سالة ؟؟؟
القطعة محفوظة بكتدرائية طليطلة، إسبانية



بيتروس روزيلي- خريطة ملاحة بحرية **1466**م:
جامعة مينوسوتا- الولايات المتحدة

ينتمي روزيلي إلى عائلة يهودية الأصل إعتنقت النصرانية مع بدأ حملات التنصير في الأندلس و هما ما يفسر المعلومات المتوفرة له عن منطقة شمال إفريقية و الأندلس حيث عرف اليهود بدور الوساطة بين المسلمين و النصرانيين - المعاملات التجارية و غيرها-، و قد إشتغل لفرة طويلة من حياته في رسم الخرائط، و الخريطة التالية أنجزت عام **1466**م في مدينة ميورقة على الساحل الأندلسي.

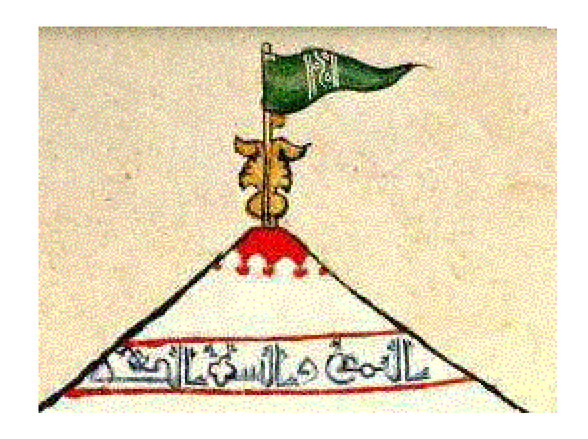
راية الدولة المرينية



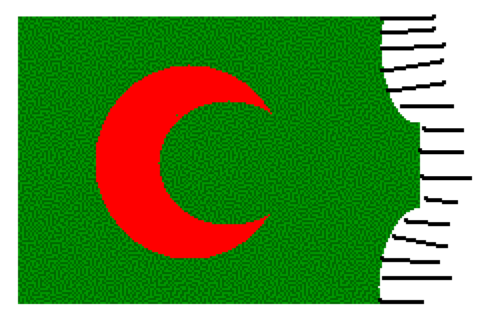


راية مملكة غرناطة أو الشكل التقريبي، غالبا ما كان لون الراية أحمرا مع بعض الكتابات عليها، يكمن لنا أن نخمن نوع الكتابات التي استعملت كعبارة "ولا غالب إلا الله"، قد تستعمل عبارات أخرى عند الضرورة.

الأطلس الكتالاني 1375م.
يرجح اسم كريسك أبراهام كصاحب العمل إلا أنه يبقى غير مؤكد
المكتبة الوطنية الفرنسية
- باريس. مخطوطة Esp.30



نماذج أخرى لرايات استعملت أو قد تكون استعملت، رغم أن الروايات المتواترة تقر باستعمال اللون الأحمر. قد يكون اللون الأخضر استعمل في بعض العهود القصيرة. والله أعلم



راية مدينة غرناطة



خريطة ملاحة بحرية 1489م

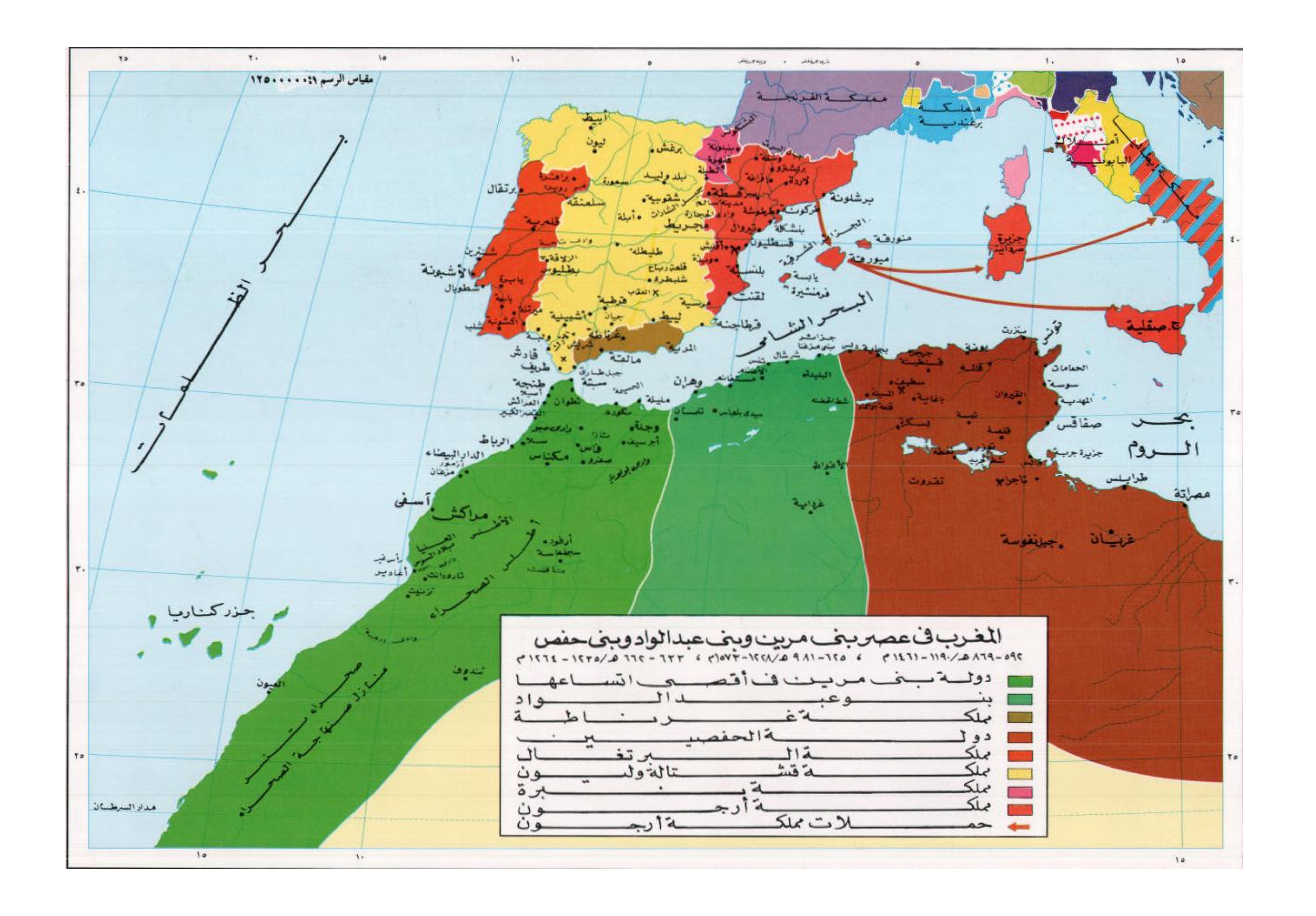
أنجزت من طرف ألبينو دي كانيبا من مدينة جنوة عام 1489م.
جامعة مينوسوتا- الولايات المتحدة

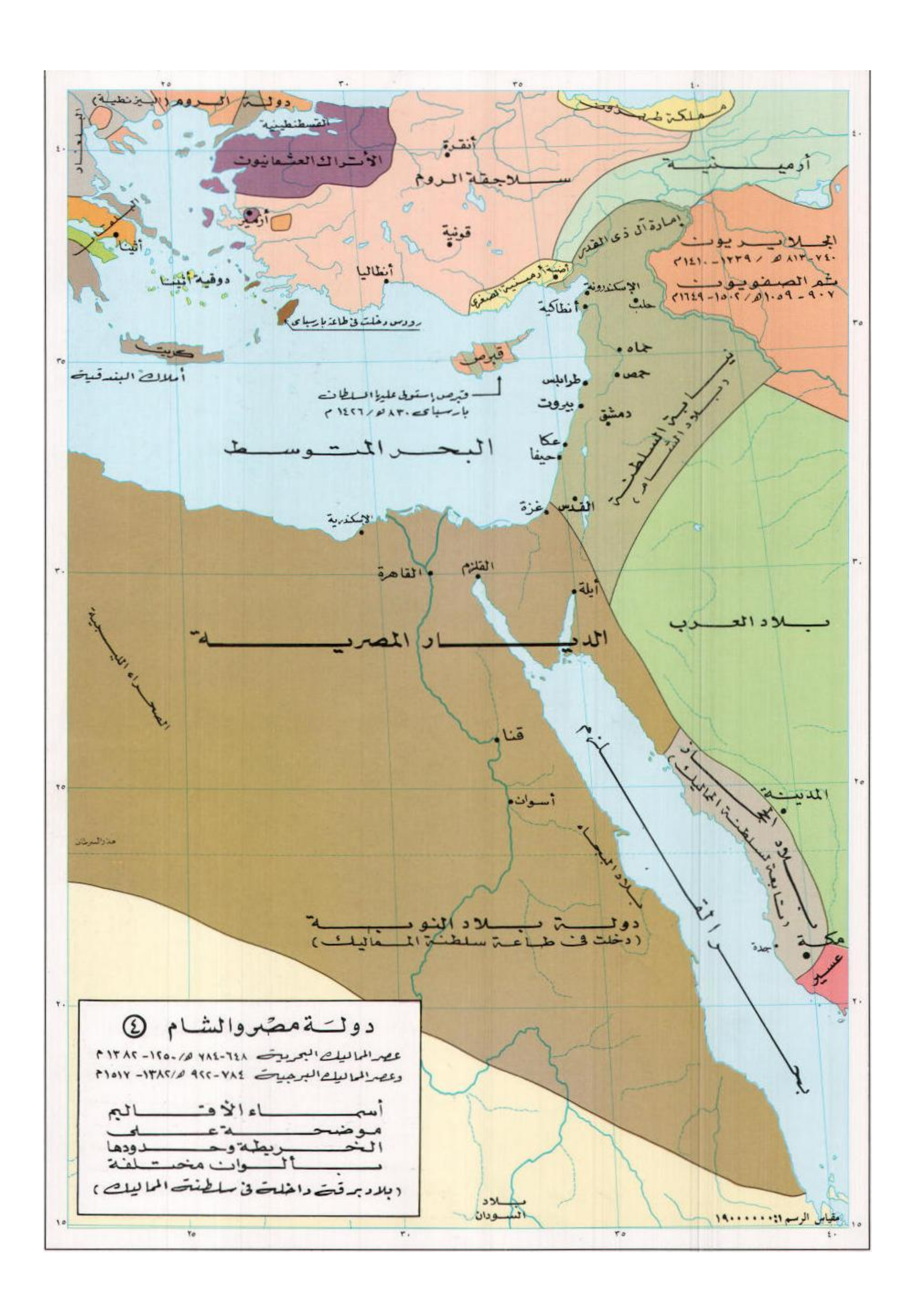
راية الدولة النصرية



راية الدولة المملوكية

18:00http://www.hukam.net/family/04-05-2013/

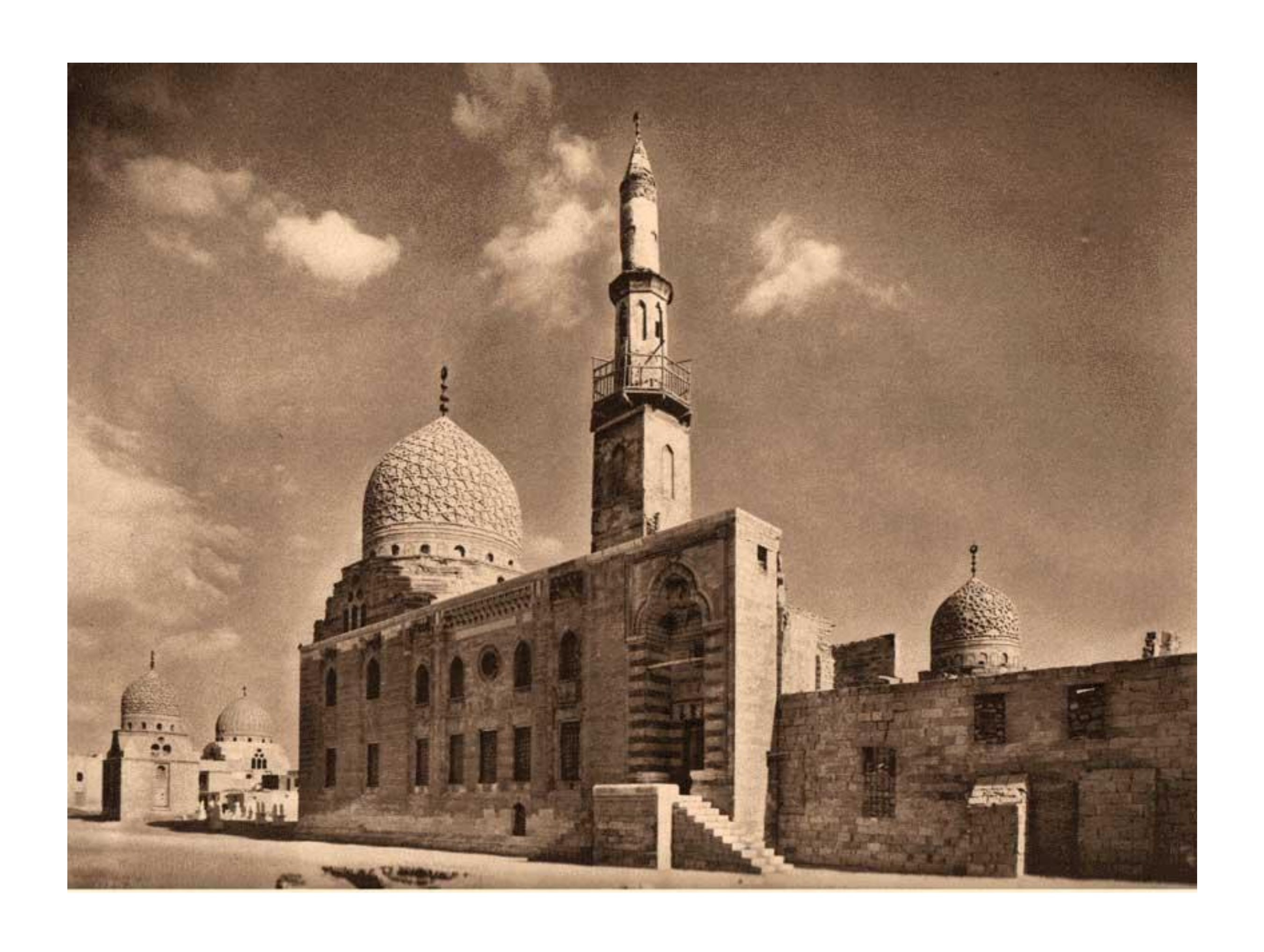

المغرب في عصر بني مرين وبني عبد الواد وبني حفص
٥٩٢-٨٦٩ هـ/١١٩٠-١٤٦١م ، ٦٢٥-٩٨١ هـ/١٢٢٨-١٥٧٣م ، ٦٣٣-٦٦٢ هـ/١٢٣٥-١٢٦٤م
دولة بني مرين في أقصى اتساعها
بنو عبد الواد
مملكة غرناطة
دولة الحفصيين
مملكة البرتغال
مملكة قشتالة وليون
مملكة نبرة
مملكة أرجون
حملات مملكة أرجون
مقياس الرسم ١: ١٢٥٠٠٠٠٠
مملكة الفرنجة
البحر الشامي
بحر الروم
جزر كناريا



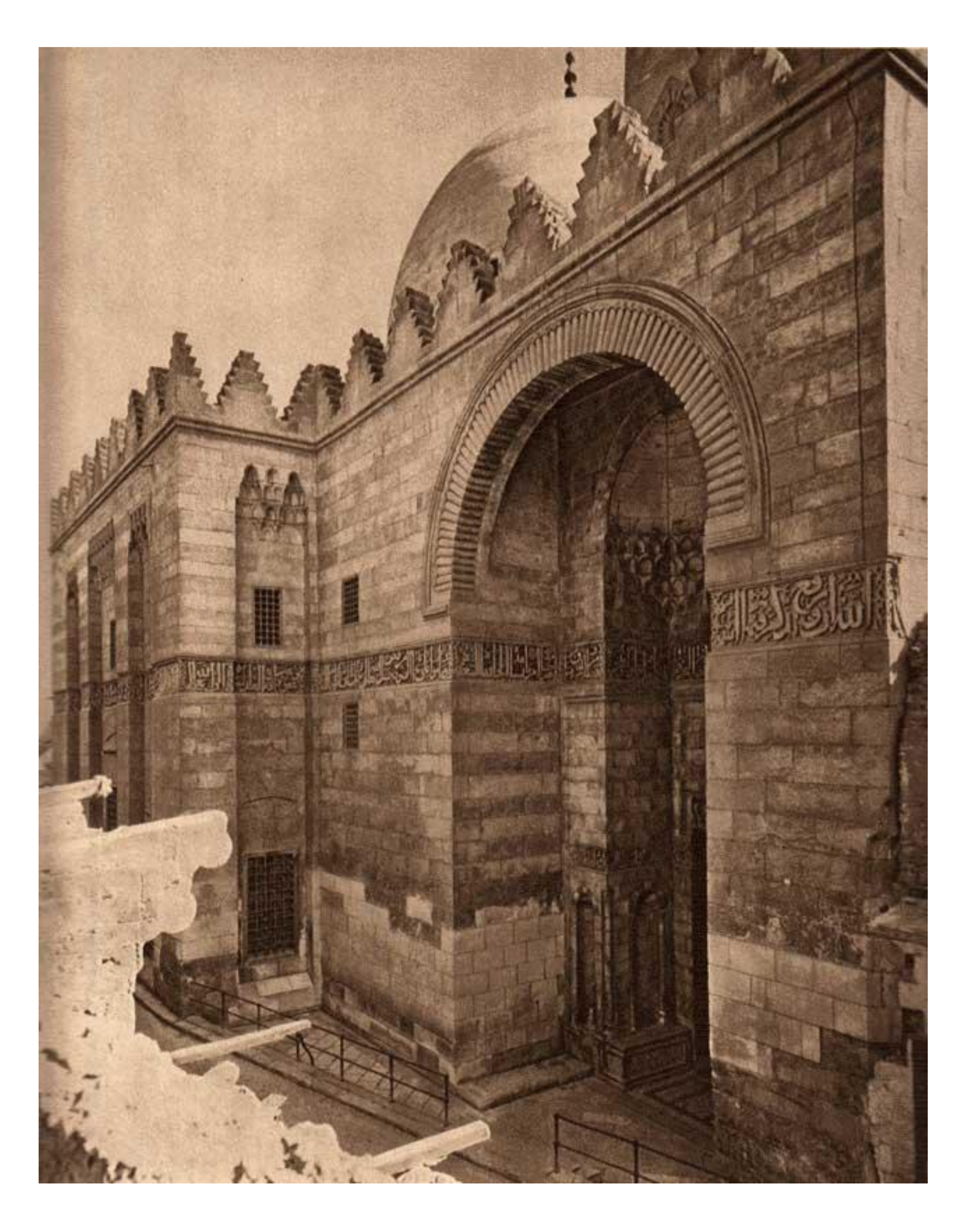
دولة مصر والشام ④
عصر المماليك البحرية ٦٤٨-٧٨٤ هـ/١٢٥٠-١٣٨٢م
وعصر المماليك البرجية ٧٨٤-٩٢٢ هـ/١٣٨٢-١٥١٧م
أسماء الأقاليم موضحة على الخريطة وحدودها بألوان مختلفة
(بلاد برقة داخلة في سلطنة المماليك)
دولة الروم (البيزنطية)
القسطنطينية
الأتراك العثمانيون
أنقرة
سلاجقة الروم
مملكة طرابزون
أرمينية
أزمير
قونية
أنطاليا
أثينا
دوقية أثينا
رودس دخلت في طاعة بارسباي
إمارة آل ذي القدر
أرمينية الصغرى
الإسكندرونة
أنطاكية
حلب
الجلايريون
٧٤٠-٨١٣ هـ/١٣٣٩-١٤١٠م
ثم الصفويون
٩٠٧-١٠٥٩ هـ/١٥٠٢-١٦٤٩م
كريت
أملاك البندقية
قبرص
قبرص استولى عليها السلطان بارسباي ٨٣٠ هـ/١٤٢٦م
حماه
حمص
طرابلس
بيروت
دمشق
عكا
حيفا
نيابة السلطنة (بلاد الشام)
البحر المتوسط
غزة
القدس
الإسكندرية
القاهرة
القلزم
أيلة
بلاد العرب
الديار المصرية
الصحراء الليبية
قنا
أسوان
بلاد البجاة
دولة بلاد النوبة
(دخلت في طاعة سلطنة المماليك)
المدينة
بلاد الحجاز (تابعة لسلطنة المماليك)
مكة
جدة
عسير
بحر القلزم
بلاد السودان
مقياس الرسم ١: ١٩٠٠٠٠٠٠



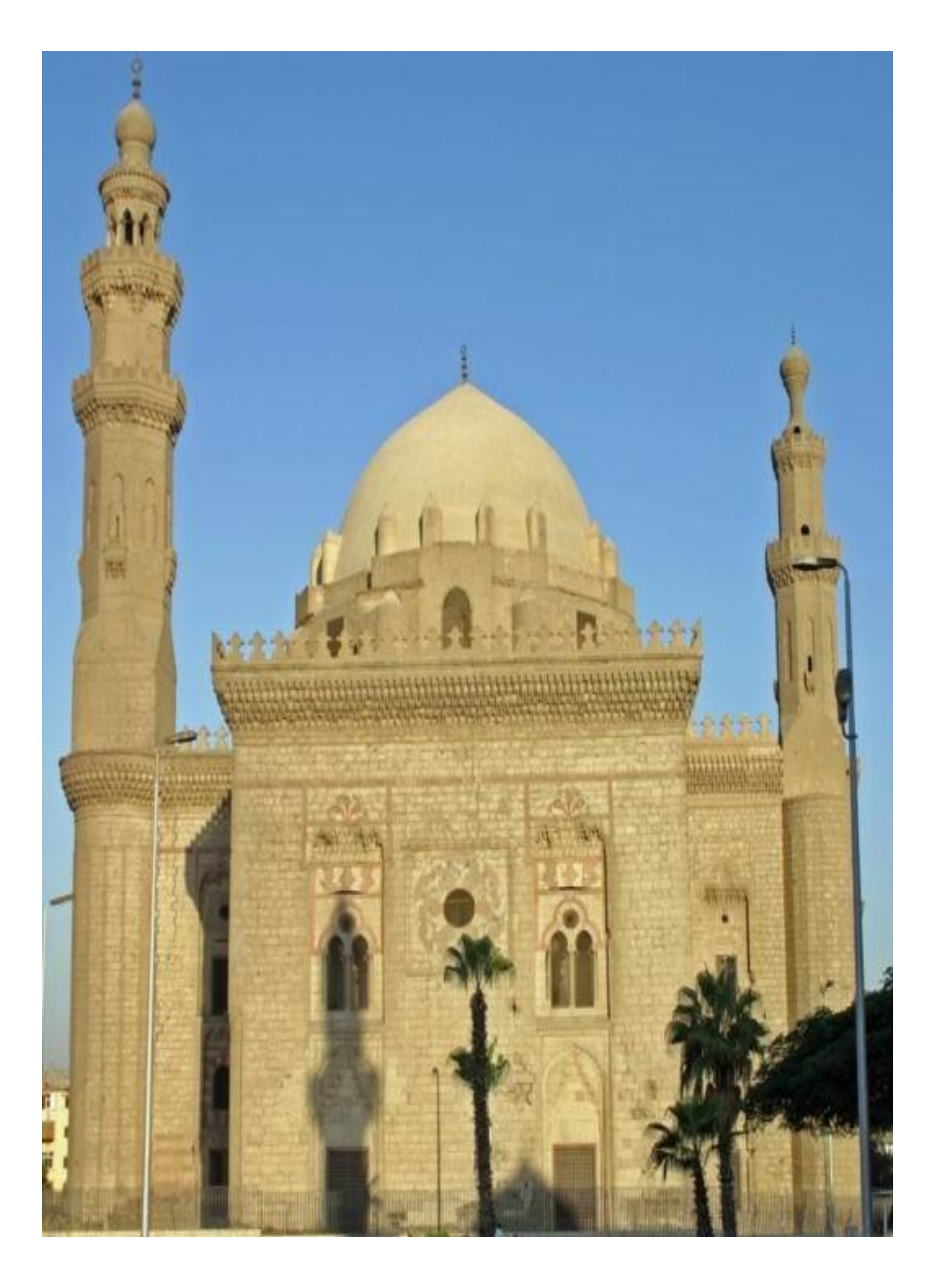
الجامع الأزهر



الخانقاه الأشرفية برسباي



الخـــانقـاه البيبرسية



جامع ومدرسة السلطان الناصر حسن

البيبليوغرافيا

1- بالعربية:

1-1- المصادر:

1. ابن أبي دينار (أبو عبد الله محمّد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني ت 1110هـ/1699م)، **المؤنس في أخبار إفريقيّة و تونس**، الطبعة الثالثة، دار المسيرة، بيروت، 1993.

2. ابن الأثير (عز الدّين أبي الحسن الجزري ت 630هـ/1232م)، **الكامل في التاريخ**، الطبعة الثانية، الجزء التاسع، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967.

3.(ـ)، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، الجزء الثالث، دون مكان وتاريخ طبع.

4. ابن إياس (محمد بن أحمد الحنفي ت 930هـ/1524م)،**بدائع الزهور في وقائع الدّهور**، (5 أجزاء)، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، القاهرة، 1983.

5. ابن أيبك الصفدي (صلاح الدين خليل ت 764هـ/1362م)، **تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء و الملوك و النواب**، الطبعة الثانية، تحقيق: إحسان بنت سعيد الخلوصي، زهير حميدان، دار صادر – دار البشائر، بيروت، 1999.

6. (ـ)، **نكت الهميان في نكت العميان**، دار المدينة، مصر، 1911.

7. ابن بطوطة (محمد بن عبد الله اللّواتي الطنجي ت 776هـ/1373م)، رحلة **ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار**، (جزآن)، تحقيق: محمد عبد المنعم العريان، مراجعة: مصطفى القصاص، دار إحياء العلوم، بيروت، 1996.

8. ابن تغري بردي (جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي ت 774هـ/1470م)، **النجوم الزّاهرة في ملوك مصر و القاهرة**، (16 جزءًا)، تحقيق: إبراهيم علي طرخان، المؤسّسة المصرية العامّة، القاهرة، 1972.

9. (ـ)، **المنهل الصافي و المستوفى بعد الوافي**، (7 أجزاء)، تحقيق: محمد أمين، نبيل محمد عبد العزيز، دار الكتب، القاهرة، 1984-1990.

10. ابن تومرت (محمد المهدي ت 524هـ/1130م)، **أعز ما يطلب**، تحقيق: عمار طالبي، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

11. ابن تيمية (تقي أبي العبّاس أحمد ت 728هـ/1328م)، **القاعدة المرّاكشية**، تحقيق: دغش بن شنب العجمي، دار ابن حزم، بيروت، 2002.

12.(ـ)، **مجموع فتاوي ابن تيمية**، الجزء الخامس، جمع وترتيب : عبد الرّحمان النجدي، مطابع الرّياض، السعوديّة، 1381هـ.

13.(ـ)، **الفرقان بين أولياء الرّحمان و أولياء الشيطان**، دار البعث، قسنطينة، 1987.

14. ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد البلنسي ت 614هـ/1217م)، **رحلة ابن جبير**، المؤسّسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1987.

15. ابن جماعة (بدر الدّين ت 733هـ/1333م)، **المنهل الرّوي في مختصر علوم الحديث النّبوي**، الطبعة الثانية، تحقيق: محي الدين عبد الرّحمان، دار الفكر، دمشق، 1986.

16. ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي ت 852هـ/1448م)، **الإصابة في تمييز الصّحابة**، الجزء الثالث، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1939.

17. (ـــ)، **الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، (5 أجزاء)، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، مطبعة المدني، القاهرة، 1966.

18.(ـــ)،**تقريب التهذيب**، الطبعة الثانية، الجزء الأوّل، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللّطيف، القاهرة، 1975.

19. ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد)، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، 1962.

20. ابن حوقل (أبو القاسم محمد النّصيبي ق 4هـ/10م)، **كتاب صورة الأرض**، الطبعة الثانية، (جزآن)، ليدن، (دار صادر، بيروت)، 1938.

21. ابن خرداذبة (أبو القاسم عبد الله)، **المسالك و الممالك**، ليدن، 1889.

22. ابن الخطيب (لسان الدين ت 776هـ/1374م)، **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام و ما يجر ذلك من شجون الكلام**، تحقيق: أحمد مختار العبادي، إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدّار البيضاء، 1964.

23. (ـ)، **تاريخ اسبانيا الإسلاميّة أو كتاب أعمال الأعلام**، تحقيق: ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدّينيّة، القاهرة، 2006.

24. (ـ)، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، (جزآن)، مطبعة الموسوعات، مصر، 1901.

25. (ـ)، **كنّاسة الدّكان بعد انتقال السكان**، تحقيق: كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينيّة، القاهرة، 2003.

26. ابن خلدون (أبو زيد عبد الرّحمان ت 808هـ/1406م)، **كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**،(الأجزاء 5 – 6 – 7)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981.

27. (ـ)، **التعريف بابن خلدون و رحلته شرقا و غربًا**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981.

28. (ـ)، **المقدّمة**، (جزآن)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981.

29. (ـ)، **شفاء السائل لتهذيب المسائل**، تحقيق: الأب أغناطيوس عبده خليفة اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1959.

30. ابن خلدون (أبو زكرياء يحي ت 780هـ/1378م)، **بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، (جزآن)، ترجمة و نشر بالفرنسيّة: ألفرد بل، الجزائر، 1903-1910.

31. (ـ)، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، الجزء الأوّل، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1980.

32. ابن خلّكان (أبو العبّاس شمس الدّين أحمد بن محمد ت 681هـ/1282م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، (جزآن)، المطبعة الميمنية، مصر، 1310هـ.

33. ابن خليل (عبد الباسط ت 920هـ/1514م)، **رحلة عبد الباسط**، نشر و تحقيق بالفرنسيّة: روبرت برونشفك، باريس، 1936.

34. ابن دقماق (صارم الدّين إبراهيم بن محمد ت 809هـ/1406م)، **نزهة الأنام في تاريخ الإسلام**، تحقيق: سمير طبارة، المكتبة العصريّة، بيروت، 1999.

35. ابن زكري (أبو العبّاس أحمد بن محمد التلمساني ت 900هـ/1493م) **غاية المرام في شرح مقدمة الإمام**، تحقيق: محند أوإدير مشنان، (جزآن)، دار التراث ناشرون، دار ابن حزم، الجزائر، 2005.

36. ابن زيد الجراعي (تقي الدين أبي بكر ت 883 هـ/1480م)، **تحفة الراكع و الساجد في أحكام المساجد**، تحقيق: طه الولي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1981.

37. ابن سحنون (محمد)، **كتاب آداب المعلمين**، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب: مراجعة: محمد العروسي المطوي، دار الكتب الشرقية: تونس، 1972.

38. ابن سحنون الرّاشدي (أحمد)، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تحقيق: المهدي بوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1973.

39. ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، الجزء السابع، دار صادر– دار بيروت، بيروت، 1958.

40. ابن شاكر الكتبي (محمد بن شاكر بن أحمد ت 764 هـ/1363م)، **فوات الوفيات والذيل عليها**، الجزء الأوّل والثاني، تحقيق: محي الدّين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1951.

41. ابن شدّاد (عزّ الدّين أبي عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم ت 684 هـ/1285م)، **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة**، تحقيق: سامي الدّهان، المعهد الفرنسي للدّراسات العربيّة، دمشق، 1956.

42. ابن طبطابا (محمد بن علي الطقطقي)، **الفخري في الآداب السلطانية و الدّول الإسلاميّة**، تحقيق: عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، حلب (سوريا)، 1997.

43. ابن عبّاد الرّندي (أبو عبد الله محمد النفزي الحميري ت 792 هـ/1390م)، **الرّسائل الصغرى**، تحقيق: الأب بولس يوحنا اليسوعي، دار المشرق، بيروت، 1974.

44. ابن عبد الهادي (محمد بن أحمد ت 744 هـ/1343م)، **العقود الدّرّية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية**، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، دون تاريخ طبع.

45. ابن عجيبة (أحمد بن محمّد الحسني)، **ألقاظ الهمم في شرح الحكم و شرح الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية**، الطبعة الثانية، (جزآن)، المطبعة الجمالية، مصر، 1913.

46. ابن العديم (كمال الدّين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله ت 660 هـ/1261م)، **زبدة الحلب في تاريخ حلب**، (جزآن)، تحقيق: سامي الدّهّان، دمشق، 1952.

47. ابن عذاري المراكشي (أبو الحسن أحمد كان حياته 712 هـ/1312م)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب**، الجزء الأوّل، نشر: كولان و ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1980.

48. ابن العراقي (ولي الدين أبي زرعة أحمد بن عبد الرّحيم بن الحسين ت 826 هـ/1423م)، **الذّيل على العبر في خبر من عبر**، (3 أجزاء)، تحقيق: صالح مهدي عبّاس، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، 1989.

49. ابن عساكر الدّمشقي (أبو القاسم علي بن أبي محمد ت 571 هـ)، **تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1979.

50. ابن العماد الحنبلي (عبد الحي بن أحمد بن محمد ت 1089 هـ/1678م)، **شذرات الذّهب في أخبار من ذهب**، (8 أجزاء)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ طبع.

51. ابن العميد (المكين جرجس)، **أخبار الأيوبيين**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دون تاريخ طبع.

52. ابن فرحون اليعمري (برهان الدّين إبراهيم بن علي بن محمد ت 799 هـ/1397م)، **الدّيباج المذهب في معرفة أعيان المذهب**، مصر، 1351هـ.

53. ابن القاضي (أبو العبّاس أحمد بن محمد بن أحمد المكناسي ت 1025 هـ/1615م)، **درّة الحجّال في أسماء الرّجال**، (4 أجزاء)، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النّور، دار النصر للطباعة، القاهرة، 1970.

54. ابن قاضي شهبة (تقي الدّين أبي بكر بن أحمد ت 851 هـ/1448م)، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، المجلد الأوّل، الجزء الثالث، تحقيق: عدنان درويش، المعهد العلمي الفرنسي للدّراسات العربيّة، دمشق، 1977.

55. ابن قنفذ (أبو العبّاس أحمد القسنطيني ت 810 هـ/1407م، **أنس الفقير و عزّ الحقير**، تحقيق: محمد الفاسي – أدولف فور، دار المغرب للتأليف و الترجمة و النّشر، الرّباط، 1965.

56. (-)، الوفيات، تحقيق: هنري بيرس، المطبعة الثعالبيّة، الجزائر، دون تاريخ طبع.

57. ابن كثير الدّمشقي (أبو الفداء إسماعيل بن عمر ت 774 هـ/1373م)، **البداية والنّهاية**، الطبعة السّادسة، (14 جزءًا)، مكتبة المعارف، بيروت، 1985.

58. ابن مرزوق الخطيب (أبو عبد الله محمد التلمساني ت 781 هـ/1379م)، **المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن**، تحقيق: ماريا خيسوس بغيرا، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981.

59. ابن مريم (أبو عبد الله بن أحمد المليتي التلمساني كان حيّا سنة 1014 هـ/1605م)، **البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان**، تحقيق: محمد بن أبي شنب، نشر: عبد الرّحمان طالب، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1986.

60. ابن الملقّن (سراج الدّين أبي حفص عمبر بن علي بن أحمد المصري ت 804 هـ/1401م)، **طبقات الأولياء**، تحقيق: نور الدّين شريبة، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973.

61. ابن منظور (المصري محمد بن مكرم بن علي ت 711 هـ/1311م)، **لسان العرب**، الجزء العاشر، دار صادر، بيروت، 1990.

62. ابن النّجار (محمد بن محمود ت 647 هـ/1249م)، **الدّرّة الثمينة في تاريخ المدينة**، مكتبة النهضة الحديثة، مكّة المكرّمة، 1956.

63. ابن نظيف الحموي (أبو الفضائل محمد بن علي ت ق 7 هـ/13م)، **التاريخ المنصوري تلخيص الكشف و البيان في حوادث الزمان**، تحقيق: أبو العيد دودو، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.

64. ابن هشام الأنصاري (أبو محمد عبد الله جمال الدّين بن يوسف (ت 761 هـ/1360م)، **شرح قطر النّدى و بلّ الصّدى**، تحقيق حنّا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، 1988.

65. أبو شامة (شهاب الدّين أبي محمّد عبد الرّحمان بن إسماعيل المقدسي ت 665 هـ/1267م)، **كتاب الرّوضتين في أخبار الدولتين**، الجزء الأوّل، تحقيق: محمد حلمي، محمد أحمد، مراجعة: محمد مصطفى زيادة، المؤسسة المصرية العامّة للتأليف و التّرجمة والطباعة و النّشر، القاهرة، 1962.

66. أبو الفداء (عماد الدّين إسماعيل الملك المؤيد ت 732 هـ/1331م)، **المختصر في أخبار البشر**، الجزء الثاني، تحقيق: محمود ديوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.

67. الإدريسي (أبو عبد الله الشّريف ت 548 هـ/1154م)، **القارة الإفريقيّة و جزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق**، تحقيق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1983.

68. الأصفهاني (أبو نعيم أحمد عبد الله ت 430 هـ)، **معرفة الصّحابة**، الجزآن الثالث والرّابع، تحقيق: محمد حسن، مسعد عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.

69. الأصفهاني (عماد الدّين أبو عبد الله محمد بن محمد الكاتب)، **الفتح القسي في الفتح القدسي**، المطبعة الخيريّة، مصر، 1322 هـ.

70. الأنباري (كمال الدّين أبي البركات)، **نزهة الألباب في طبقات الأدباء**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998.

71. البغدادي السويدي (محمد أمين)، **سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب**، دار الكتب العلميّة، بيروت، دون تاريخ طبع.

72. البكري (أبو عبيد الله بن عبد العزيز ت 487 هـ/1094م)، **المغرب في ذكر بلاد إفريقيّة و المغرب، مقتطف من المسالك و الممالك**، ترجمة و تحقيق بالفرنسيّة: البارون دي سلان، مكتبة أمريكا و الشرق، باريس، 1965.

73. بيبرس الدّوادار (الأمير ركن الدّين بن عبد الله المنصوري ت 725 هـ/1324م)، **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة**، تحقيق: زبيدة محمد عطا، عين للدّراسات و البحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة، القاهرة، 2001.

74. البيذق (أبو بكر بن علي الصنهاجي ت أواخر ق 6هـ/12م)، **أخبار المهدي بن تومرت**، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، المؤسّسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975.

75. التنبكتي (أبو العبّاس أحمد بن أحمد بابا ت 1032 هـ/1624م)، **نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج**، طُبِعَ على هامش الدّيباج لابن فرحون، مصر، 1351 هـ.

76. التنسي (محمد بن عبد الجليل ت 899 هـ/1493م)، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدّر و العقيان في بيان شرف بني زيان**، تحقيق: محمود بوعياد، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1985.

77. (-)، **تاريخ دولة الأدارسة من كتاب نظم الدّر و العقيان**، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1984.

78. (-)، **الجانب الأدبي من مخطوطة نظم الدّر والعقيان في بيان شرف بني زيان ملوك الدّولة الزيانيّة الجزائريّة**، تحقيق: بوطالب محي الدّين ، منشورات دحلب، الجزائر، 1993.

79. الجبرتي (عبد الرّحمان)، **عجائب الآثار في التراجم و الأخبار**، المطبعة العامريّة، مصر، 1322 هـ.

80. الجويني (إمام الحرمين أبي المعالي النيسابوري ت 478 هـ)، **الشامل في أصول الدين**، تحقيق: هملوت كلوبفر، دار العرب، القاهرة، 1960.

81. حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله كاتب حلبي 1067 هـ/1656م)، **كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون**، استانبول، 1941.

82. الذّهبي (شمس الدّين محمد بن أحمد ت 748 هـ/1348م) **سير أعلام النبلاء**، (الجزآن 17/16)، تحقيق: خيري سعيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دون تاريخ طبع.

83. الرّاشدي (أحمد بن عبد الرّحمان)، **القول الأوسط في أخبار بعض من حلّ بالمغرب الأوسط**، تحقيق: ناصر الدّين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.
84. الرّفاعي (حسن محمد)، **كتاب الأنوار في فضائل و تراجم و تواريخ و مناقب ومزارات آل البيت الأطهار**، مصر، 1356 هـ.
85. الزركشي (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم كان حيّا سنة 894 هـ/1488م)، **تاريخ الدّولتين الموحديّة و الحفصيّة**، تحقيق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966.
86. السّخاوي (شمس الدّين محمد بن عبد الرّحمان ت 902 هـ/1497م)، **الضّوء اللاّمع لأهل القرن التّاسع**، (12 جزءًا)، دار مكتبة الحياة، بيروت، دون تاريخ طبع.
87. السّيوطي (جلال الدّين عبد الرّحمان بن أبي بكر ت 911 هـ/1505م)، **تاريخ الخلفاء**، تحقيق: أحمد إبراهيم زهوة، سعيد بن أحمد العيدروسي، دار الكتاب العربي، بيروت، 2005.
88. (-)، **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**، (جزآن)، دار التراث، بيروت، 1978.
89. (-)، **طبقات الحفّاظ**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983.
90. (-)، **نظم العقيان في أعيان الأعيان**، حرّره، فليب حتي، المطبعة السورية الأمريكية، نيويورك، 1927.
91. (-)، **الإتقان في علوم القرآن**، الجزء الأوّل، تحقيق: سعيد المندوه، دار الفكر، بيروت، 1996.
92. (-)، **ألفية السيوطي في علم الحديث**، تصحيح و شرح: أحمد محمد شاكر، دار الرّجاء، الجزائر، 1984.
93. (-)، **بغية الوعّاة في طبقات اللّغويين و النّحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1964.
94. الشعراني (عبد الوهّاب)، **الطبقات الكبرى المسماة لواقع الأنوار في طبقات الأخيار**، (جزآن)، المطبعة العامرية، مصر، 1315 هـ.
95. الشوكاني (محمد بن علي بن محمد ت 1255 هـ/1834م)، **البدر الطّالع بمحاسن من بعد القرن السّابع**، (جزآن)، مطبعة السعادة، القاهرة، 1348 هـ/1929م.
96. العيني (بدر الدّين محمود بن أحمد بن موسى ت 855 هـ/1451م)، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزّمان**، (3 أجزاء)، تحقيق: محمد محمد أمين، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1987-1989.

97. الغبريني (أبو العبّاس أحمد بن أحمد ت 704 هـ/1304م)، **عنوان الدّراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981.

98. الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد ت 505 هـ/1111م)، **إحياء علوم الدّين**، الجزء الأوّل، دار المعرفة، بيروت، دون تاريخ طبع.

99. (-)، **المستصفى من علم الأصول**، الجزء الأوّل، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1937.

100. الفاسي (أبو الطيب تقي الدّين محمد بن أحمد الحسني المكي ت 832 هـ/1428م)، **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**، الجزء الثاني، مكتبة النهضة الحديثة، دار إحياء الكتب العربيّة، مكّة المكرّمة، 1956.

101. القزويني (زكريا بن محمود)، **آثار البلاد و أخبار العباد**، دار صادر، بيروت، دون تاريخ.

102. القلصادي (أبو الحسن علي بن محمد بن محمد القرشي البسطي ت 891 هـ/1486م)، **رحلة القلصادي تمهيد الطالب و منتهى للرّاغب إلى أعلى المنازل و المناقب**، تحقيق: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978.

103. القلقشندي (أبو العبّاس أحمد بن علي بن أحمد ت 821 هـ/1418م)، **نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري – دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، 1990.

104. (-)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، (14 جزءًا)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة و النّشر، القاهرة، 1985.

105. كار بخال (مارمول)، **إفريقيا**، ترجمة: محمد حجي و آخرون، دار نشر المعرفة، الرّباط، 1989.

106. الكتاني (عبد الحي الفاسي)، **التراتيب الإداريّة أو كتاب نظام الحكومة النبويّة**، (جزآن)، دار الكتاب العربي، بيروت، دون تاريخ طبع.

107. الكندي (محمد بن يوسف)، **ولاة مصر**، دار صادر، بيروت، دون تاريخ.

108. المالكي (أبو بكر عبد الله محمد ت ق 5 هـ/11م)، **رياض النفوس**، الجزء الأوّل، تحقيق: بشير بكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984.

109. الماوردي، أبو الحسن علي بن أحمد (ت 450 هـ/1058م)، **الأحكام السلطانية و الولايات الدّينيّة**، تحقيق: عصام فارس الحرستاني، محمد إبراهيم الزّغلي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1996.

110. مجهول (مؤلف)، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشيّة**، تحقيق: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرّشاد الحديثة، المغرب، 1979.

111. مخلوف (محمد بن محمد)، **شجرة النّور الزّكيّة في طبقات المالكيّة**، دار الكتاب العربي، بيروت، 1349 هـ.

112. المراكشي (محي الدّين عبد الواحد ت ق 7 هـ/13م)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق: صلاح الدّين الهوا ري، المكتبة العصرية، بيروت، 2006.

113. المغيلي (محمد بن عبد الكريم ت 909 هـ/1503م)، **مصباح الأرواح في أصول الفلاح**، تحقيق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1968.

114. المقدسي (المطهّر طاهر)، **كتاب البدء و التاريخ**، المجلد السّادس، مكتبة الثقافة الدّينيّة، مصر، دون تاريخ طبع.

115. المقدسي (أبو عبد الله محمد بن أحمد)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، الطبعة الثانية، ليدن، 1909.

116. المقدسي (أحمد بن قدامة)، **مختصر منهاج القاصدين** ، المكتب الإسلامي، بيروت، 1394 هـ.

117. المقري (أبو العبّاس أحمد بن محمد التلمساني ت 1041 هـ/1631م)، نفح **الطيب من غصن الأندلس الرّطيب و ذكر وزيرها لسان الدّين بن الخطيب**، (10 أجزاء)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر العربي، بيروت، 1998.

118. (-)، **أزهار الرّياض في أخبار القاضي عيّاض**، تحقيق: مصطفى السّقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف و التّرجمة و النّشر، القاهرة، 1939.

119. المقريزي (تقيّ الدّين أبي العبّاس أحمد بن علي ت 845 هـ/1442م)، **كتاب المقفى الكبير**، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987.

120. (-)، **كتاب السلوك لمعرفة دوّل الملوك**، الجزآن الأوّل و الثاني (6 أقسام)، تحقيق: مصطفى زيادة، الجزآن الثالث و الرّابع (6 أقسام)، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، لجنة التأليف و التّرجمة و النّشر، القاهرة، 1934-.1972

121. (-)، **كتاب المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار المعروف بالخطط المقريزية**، الطبعة الثانية، (جزآن)، مكتبة الثقافة الدينيّة، القاهرة، .1987

122. الموصلي (موسى بن حسن ت 700 هـ/1300م)، **البرد و الموشي في صناعة الإنشاء**، تحقيق: عفاف سيد صبرة، دار الكتب العلميّة، بيروت، .1990

123. النّاصري السلاوي (أبو العبّاس أحمد ت 1315 هـ/1897م)، **الاستقصاء لأخبار دوّل المغرب الأقصى**، الجزء الأوّل، تحقيق: محمد و جعفر الناصري، دار الكتب، الدّار البيضاء، 1954.

124. النّباهي (أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي كان حيّا سنة 793 هـ/1390م)، **تاريخ قضاة الأندلس المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء و الفتيا**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983.

125. النّجفي (محمد علي الدّين الحسني)، **كتاب بحر الأنساب المسمى المشجّر الكشاف لأصول السّادة الأشراف**، مصرن دون تاريخ طبع.

126. النعيمي (عبد القادر بن محمد الدمشقي ت 927 هـ/1521م)، **الدّارس في تاريخ المدارس**، (جزآن)، دار الكتب العلميّة، بيروت، .1990

127. النويري (الشهاب الدّين أحمد بن عبد الوهّاب ت 732 هـ/1332م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، الأجزاء 27- 28 – 29 – 30، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، .1985

128. الهروي (أبو الحسن علي بن أبي بكر ت 611 هـ)، **كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات**، تحقيق: جانين سورديل طومين، المعهد الفرنسي للدراسات العربيّة، دمشق، .1953

129. الهمذاني (محمد بن عبد الملك)، **تكملة تاريخ الطبري**، الطبعة الثانية، تحقيق: ألبرت يوسف كنعان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، .1961

130. الوزان (الحسن بن محمد الفاسي المعروف بليون الإفريقي ت 957 هـ/1552م)، **وصف إفريقيا**، (جزآن)، تحقيق: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، .1983

131. الونشريسي (أبو العبّاس أحمد بن يحي ت 914 هـ/1511م)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية و الأندلس و المغرب**، (12 جزءًا)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.

132. ياقوت الحموي (شهاب الدين ت 626 هـ/1228م)، **معجم البلدان**، (5 أجزاء)، دار صادر، بيروت، 1986.

133. اليعقوبي (أحمد بن واضح)، **البلدان**، تحقيق: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، 2002.

1-2- المراجع العربية والمعربة:

1. أبو زهرة (محمد)، **أبو حنيفة حياته و عصره و آراؤه و فقه**، الطبعة الثالثة، دار الفكر العربي، مصر، 1960.

2. (-)، **ابن تيمية حياته و عصره و آراؤه و فقه**، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي، مصر، 1958.

3. ابن ضويان (إبراهيم بن محمد بن سالم)، **كتاب منار السبيل في شرح الدليل على مذهب الإمام المبجّل أحمد بن حنبل**، الجزء الأوّل، منشورات مؤسّسة دار السلام، دمشق 1378هـ.

4. أبو ضيف (أحمد عمر مصطفى) ، **القبائل العربيّة في المغرب في عصري الموحدين و بني مرين**، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1982.

5. أبو عليان (عزمي عَبَدْ)، **مسيرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في عهد المماليك**، دار النفائس، عُمَانْ، 1995.

6. إيرڤينج (واشنطون)، **سقوط غرناطة آخر الممالك الإسلاميّة بالأندلس**، ترجمة: إسماعيل العربي، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب الجزائر، 1988.

7. البتنوني (محمد لبيب)، **الرّحلة الحجازيّة، الطبعة الثانيّة** ، مطبعة الجماليّة، مصر،1329 هـ.

8. بشتاوي (عادل سعد)، **الأندلسيون المواركة**، المقطّم للنشر و التوزيع، القاهرة، 1983.

9. البغدادي (إسماعيل باشا)، **هدية العارفين في أسماء المؤلفين و آثار المصنفين**، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1992.

10. بل (ألفرد)، **الفرق الإسلاميّة في الشمال الإفريقي من الفتح إلى اليوم**، الطبعة الثالثة، ترجمة: عبد الرّحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987.

11. بلعربي (خالد)، **الدّولة الزيانيّة في عهد يغمرا سن دراسة تاريخيّة و حضاريّة 633-681 هـ/1235-1282م**، R. N.Imprimerie، تلمسان، 2005.

12. بلغيث (محمد الأمين)، **النظريّة السياسيّة عند المرادي و أثرها في المغرب والأندلس**، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1989.

13. بن قربة (صالح)، **المئذنة المغربيّة الأندلسية في العصور الوسطى**، الشركة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1986.

14. بن عبد الله (محمد)، **الوقف في الفكر الإسلامي**، الجزء الأوّل، مطبعة فضالة، المغرب، 1996.

15. بن عميرة (محمد)، **دور زناتة في الحركة المذهبيّة بالمغرب الإسلامي**، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1984.

16. بوتشيش (إبراهيم القادري)، **إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي و تاريخه الاقتصادي والاجتماعي**، دار الطليعة، بيروت، 2002.

17. بورويبة (رشيد)، **الكتابات الأثرية في المساجد الجزائريّة**، ترجمة: إبراهيم شبّوح، الشركة الوطنيّة للنشر و التوزيع، الجزائر، 1979.

18. (-)، **الحياة الفنيّة في عهد الزيانيين و المرينيين**، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ، الجزء الثالث، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1984.

19. بوكلي (حسن جمال الدين)، **الإمام ابن يوسف السنوسي و علم التوحيد**، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

20. التفتازاني (أبو الوفاء الغنيمي)، **مدخل إلى التصوف الإسلامي**، الطبعة الثالثة، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، 1975.

21. توات (الطاهر)، **ابن خميس شعره و نثره**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991.

22. توفيق (محمد)، **تذييل كتاب بحر الأنساب للنجفي**، مصر، 1336 هـ.

23. جوزف (دللي و لفرد)، **العمارة العربيّة بمصر**، ترجمة: محمود أحمد، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، 2000.

24. الجيلالي (عبد الرّحمان)، **تاريخ الجزائر العام**، الجزء الأوّل، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر – دار الثقافة، بيروت، 1982.

25. حاجيات (عبد الحميد)، **أبو حمو موسى الزياني حياته و آثاره**، الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

26. (-)، **تاريخ الجزائر السياسي في عهد الموحدين**، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ، الجزء الثالث، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1984.

27. (-)، **الحياة الفكريّة بالجزائر**، ضمن كتاب: الجزائر في التاريخ، الجزء الثالث، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1984.

28. الحدّاد (محمد إسماعيل)، **السلطان المنصور قلاوون**، الطبعة الثانيّة، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998.

29. حسام الدين (إسماعيل محمد)، **الأصول المملوكيّة للعمائر العثمانيّة**، دار الوفاء، الإسكندريّة، 2002.

30. حسن (إبراهيم حسن)، **تاريخ الدّولة الفاطميّة**، الطبعة الثانية مكتبة النهضة العربيّة، القاهرة، 1958.

31. حسن (حسن علي)، **الحضارة الإسلاميّة في المغرب والأندلس (عصر المرابطين والموحدين)**، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980.

32. الحفناوي (أبو القاسم محمد)، **تعريف الخلف برجال السلف**، قسمان، مؤسّسة الرّسالة – المكتبة العتيقة، تونس، 1985.

33. حقي (إحسان)، **تونس العربيّة**، دار الثقافة، بيروت، دون تاريخ.

34. حمزة (عبد اللّطيف)، **الحركة الفكريّة في مصر في العصرين الأيوبي و المملوكي الأوّل**، الطبعة الثامنة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1968.

35. الدراجي (بوزياني)، **نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانيّة**، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1993.

36. دهمان (أحمد)، **ولاة دمشق في عهد المماليك**، الطبعة الثانيّة، دار الفكر، دمشق، 1981.

37. دهينة (عطاء الله)، **العصر الذهبي الزيانيين**، ضمن كتاب: الجزائر في التاريخ، الجزء الثالث، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1984.

38. (-)، **الدّولة الزيانيّة في عهد يغمرا سن**، ضمن كتاب: الجزائر في التاريخ، الجزء الثالث، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1984.

39. الرفاعي (أحمد أمين)، **عصر المأمون**، الجزء الأوّل، مطبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة، 1927.

40. رنسيمان (ستيفن)، **تاريخ الحروب الصليبيّة**، ترجمة: السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، 1954.

41. زبادية (عبد القادر)، **الحضارة العربيّة الإسلاميّة و التأثير الأوروبي في إفريقيا الغربيّة جنوب الصحراء**، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1989.

42. الزركلي (خير الدين)، **الأعلام قاموس تراجم**، دار العلم للملايين، بيروت، 1969.

43. زغلول (عبد الحميد سعد)، **تاريخ المغرب العربي**، الجزء الأوّل، منشأة المعارف، الإسكندريّة، 1997.

44. زكي (محمد حسن)، الرّحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت، 1981.

45. (-)، **فنون الإسلام**، دار الرائد العربي، بيروت، 1981.

46. (-)، **الفن الإسلامي**، دار الرائد العربي، بيروت، 1981.

47. زيتون (محمد محمود)، **الحافظ السلفي أشهر علماء الزمان**، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندريّة، دون تاريخ طبع.

48. زيدان (جرجي)، **تاريخ آداب اللّغة العربيّة**، الجزء الثالث، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1967.

49. سالم (عبد العزيز)، **مدينة المرية قاعدة أسطول الأندلس**، دار النهضة العربيّة، بيروت، 1967.

50. (-)، **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس**، الجزء الثاني، دار النهضة العربيّة، بيروت، 1972.

51. سالم (عبد العزيز)، سحر السيد سالم عبد العزيز، دراسة **في تاريخ الأيوبيين والمماليك**، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندريّة، 1997.

52. سالم (عبد العزيز)، العبادي (أحمد مختار)، **تاريخ البحريّة الإسلاميّة في المغرب والأندلس**، دار النهضة العربيّة، بيروت، 1969.

53. سالم (سحر السيد عبد العزيز)، **العراقيون في مصر في القرن السابع الهجري**، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندريّة، 1991.

54. سزكين (فؤاد)، **تاريخ التراث العربي**، الجزء الثاني، ترجمة: محمود فهمي حجازي، فهمي أبو الفضل، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، 1978.

55. سعد الله (أبو القاسم)، **تاريخ الجزائر الثقافي**، الجزء الثاني، الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

56. سليمان (حسين محمد)، **التراث العربي الإسلامي دراسة تاريخيّة مقارنة**، ديوان المطبوعات الجامعيّة، 1988.

57. السيد النّشّار (السيّد)، **تاريخ المكتبات بمصر العصر المملوكي**، الدّار المصريّة اللّبنانيّة، القاهرة، 1993.

58. السيد (محمود)، **تاريخ عرب الشام في العصر المملوكي**، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندريّة، دون تاريخ طبع.

59. (ـ)، **تاريخ العرب في الأندلس**، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندريّة، 2003.

60. شاوش (محمّد رمضان)، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان**، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1995.

61. شاوش (محمّد بن رمضان)، بن رحمان (الغوثي)، **الأديب العربي الجزائري عبر النصوص**، الجزء الأوّل، دار بريكسي، تلمسان، 2001.

62. شريفي (محمّد سعيد)، **خطوط المصاحف عند المشارقة و المغاربة من ق 4 – 10 هـ**، الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

63. شلبي (أحمد)، **تاريخ التربيّة الإسلاميّة**، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة، 1973.

64. الشنتاوي (أحمد)، **دائرة المعارف الإسلاميّة**، المجلد العاشر، مصر، دون تاريخ طبع.

65. الصّلابي (علي محمّد)، **إعلام أهل العلم و الدّين بأحوال دولة الموحدين**، دار التوزيع والنّشر الإسلاميّة، القاهرة، 2003.

66. الصياد (فؤاد عبد المعطي)، **المغول في التاريخ**، الجزء الأوّل، دار النهضة العربيّة، بيروت، 1970.

67. ضومط (أنطوان خليل)، **الدّولة المملوكيّة التاريخ السياسي و الاقتصادي**، الطّبعة الثانية، دار الحداثة، بيروت، 1982.
68. الطّمار (محمد بن عمرو)، **تلمسان عبر العصور**، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1984.
69. (-)، **الرّوابط الثقافيّة بين الجزائر و الخارج**، الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.
70. الطّوخي (أحمد محمد)، **مظاهر الحضارة في عصر بني الأحمر**، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندريّة، 1997.
71. عاشور (سعيد عبد الفتاح)، **المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك**، دار النّهضة العربيّة، القاهرة، 1962.
72. (-)، **مصر و الشّام في عصر الأيوبيين و المماليك**، دار النّهضة العربيّة، بيروت، 1972.
73. عاصي (حسن)، **ابن إياس مؤرّخ الفتح العثماني لمصر**، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1993.
74. العبادي (أحمد مختار)، **في التاريخ الأيوبي و المملوكي**، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندريّة، 1992.
75. (-)، **في تاريخ المغرب و الأندلس**، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندريّة، 2003.
76. (-)، سالم (عبد العزيز)، **تاريخ البحريّة الإسلاميّة في مصر و الشام**، دار النّهضة، بيروت، 1981.
77. عبد الرّحيم (إبراهيم جمال)، **الفنون الزّخرفيّة في العصرين الأيوبي و المملوكي**، مصر، 2000.
78. عبد الرزّاق (أحمد)، **تاريخ و آثار مصر الإسلاميّة**، دار الفكر العربية، القاهرة، 1999.
79. عبد الستار (عثمان محمّد)، **نظريّة الوظيفة بالعمائر الدينيّة المملوكيّة الباقيّة بمدينة القاهرة**، دار الوفاء، الإسكندريّة، 2000.
80. عبد المنعم (جاد الله منال)، **التصوف في مصر والمغرب**، منشأة المعارف، الإسكندريّة، 1997.
81. عبد الوهّاب (حسن)، **تاريخ المساجد الأثريّة بالقاهرة**، (جزآن)، أوراق شرقيّة للطباعة والنّشر والتوزيع، القاهرة، 1946.

82. العريني (السيّد الباز)، **المماليك**، دار النّهضة العربيّة، بيروت، 1967.

83. عيسى بك (أحمد)،تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار الرّائد العربي، بيروت، 1981.

84. فروخ (عمر)، **تاريخ الفكر العربي**، دار العلم للملايين، بيروت، 1966.

85. فيلا لي (عبد العزيز)، **تلمسان في العهد الزياني**، (جزآن)، المؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، الجزائر، 2002.

86. فيلا لي (مختار الطّاهر)، **نشأة المرابطين و الطرق الصوفية و أثرهما في الجزائر خلال العثماني**، دار الفن الغرافيكي، باتنة، دون تاريخ طبع.

87. قاسم عبد الحكيم (عبد الغني)، **المذاهب الصوفيّة ومدارسها**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999.

88. قسوم (عبد الرزّاق)، **عبد الرّحمن الثعالبي والتصوّف**، الشركة الوطنيّة للنشر **والتوزيع**، الجزائر، 1978.

89. كاردياك (لوي)، **الموركسيون و المسيحيون**، ترجمة: عبد الجليل التميمي، منشورات المجلّة التاريخيّة المغربية – ديوان المطبوعات الجامعيّة، تونس – الجزائر، 1983.

90. كحيلة (عبادة)، **المغرب في تاريخ الأندلس و المغرب**، المطبعة الإسلاميّة الحديثة، القاهرة، 1997.

91. كراتشكوفسكي (أغناطيوس يوليا نوفيتش)، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، الجزء الأوّل، ترجمة : صلاح الدين عثمان هاشم، مطبعة لجنة التأليف و التّرجمة و النّشر، القاهرة 1963.

92. لي تورنو (روجي)، **حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر و الثالث عشر**، ترجمة: أمين الطيبي، الدار العربيّة للكتاب، ليبيا – تونس، 1982.

93. ماجد (عبد المنعم)، **الدّولة الأيوبيّة في تاريخ مصر الإسلاميّة**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997.

94. (ــ)، **دولة سلاطين المماليك و رسومهم في مصر**، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، 1964.

95. مارسي (جورج)، **بلاد المغرب و علاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، ترجمة: محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، الإسكندريّة، 1991.

96. متز (آدم)، **الحضارة الإسلاميّة في القرن الرّابع الهجري عصر النّهضة في الإسلام**، ط 4، الجزء الأوّل، ترجمة: محمّد عبد الهادي أبوريدة، دار الكتاب العربي – مكتبة الخانجي، القاهرة، بيروت، 1967.

97. محمد بهجت (منى محمّد بدر)، **أثر الحضارة السلجوقيّة في دوّل شرق العالم الإسلامي على الحضارتين الأيوبيّة و المملوكيّة بمصر**، الجزء الأوّل، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2002.

98. محمّد رزق (عاصم)، **خانقا وات الصوفيّة في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي**، (جزآن)، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1997.

99. موسى (عز الدين أحمد)، **دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي**، دار الشروق، بيروت، 1983.

100. الميلي (مبارك)، **تاريخ الجزائر في القديم و الحديث**، الجزء الثاني، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، دون تاريخ طبع.

101. الندوي (أبو الحسن)، **رجال الفكر و الدّعوة في الإسلام**، (جزآن)، دار القلم، دمشق، 2002.

102. نويهض (عادل)، **معجم أعلام الجزائر**، منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1971.

103. هلال (عمار)، **العلماء الجزائريون في البلدان العربيّة و الإسلاميّة فيما بين القرنين التاسع و العشرين الميلاديين (3 هـ/14م)**، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1995.

104. وليم موير (السير)، **تاريخ دولة المماليك في مصر**، ترجمة، محمد عابدين ، سليم حسن، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995.

1-3 – المقالات و الدّوريات والملتقيات:

1. أبو اليزيد (أشرف)، "رحلة الحج رحلات المحمل الشريف"، **مجلة العربي**، العدد 566، يناير 2006.

2. البكري (بكري)، "تمنطيط رمز تاريخ و عنوان حضارة"، **مجلة الحضارة الإسلاميّة**، العدد الأوّل، أبريل .1993

3. بلحميسي (مولاي)، "دور بجاية في البحر الأبيض المتوسط في عهد الحماديين والحفصيين", **الملتقى الثامن للفكر الإسلامي**، بجاية .1974

4. بودواية (مبخوت)، "دور علماء تلمسان الزيانيّة في ترسيخ الحضارة الإسلاميّة بالسودان الغربي (ق 15-16م)"، **مجلة الواحات**، العدد الأوّل، ديسمبر 2006.

5. بورويبة (رشيد)، " جولة عبر مساجد تلمسان"، **مجلة الأصالة**، العدد 26، 1975.

6. البوعبدلي (المهدي)، "أهم الأحداث الفكريّة بتلمسان عبر العصور و نبذ مجهولة من تاريخ بعض أعلامها"، **مجلة الأصالة**، السّنة الرّابعة، العدد 26 جويلية/أوت 1975.

7. بوعزيز (يحي)، "مركز بجاية الحضاري"، **مجلّة الحضارة الإسلاميّة**، العدد الأوّل، أبريل 1993.

8. بوعياد (محمود)، "رحالة مصري يزور الجزائر خلال القرن 9هـ"، **مجلة الأصالة**، العدد 24، 1975.

9. الجميلي (رشيد عبد الله)، "حملة هو لاكو على بغداد (656هـ)"، **مجلة المورد**، المجلد الثامن، العدد الرّابع، بغداد، 1979.

10. حاجيات (عبد الحميد)، "ملاحظات حول تطور الحريات الدينيّة بالجزائر في عهد الموحدين"، **مجلة كلية الآداب**، المجلد الثاني، العدد الأوّل، نوفمبر 2000.

11. (-)، "تلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط، **مجلة الحضارة الإسلاميّة**، العدد الأوّل، أبريل 1993.

12. (-)، "الحياة الفكريّة في عهد بني زيان"، **مجلّة الأصالة**، العدد 26، 1975.

13. خرماش (محمد)، "نظام التعليم بالقرويين بين القديم و الحديث"، **مجلة الحضارة الإسلاميّة**، العدد الأوّل، 1993.

14. رعد (سعيد محمّد)، "دور بجاية الحماديّة في تكوين نظرية ابن خلدون التاريخيّة عن العمران البشري و أثر ذلك في تاريخ الفكر الإسلاميّ"، **الملتقى الثامن للفكر الإسلامي**، بجاية، 1974

15. الزوادي (رشيد)، "التبادل العلمي بين المشرق والمغرب الإسلاميّ"، **مجلة الحضارة الإسلاميّة**، العدد الأوّل، أبريل 1993

16. زيادة (نقولا)، "المعلّم"، **مجلة العربي**، العدد 516، نوفمبر 2001

17. سعد (أحمد صادق)، "المغول"، **مجلة آفاق عربيّة**، العدد 4، ديسمبر 1976

18. عامر (إبراهيم)، تأثيرات معماريّة وافدة على العمائر المملوكيّة بمدينة القاهرة 648 - 923هـ / 1250-1517م"، ضمن كتاب دراسات في الوطن العربي، الجزء الثاني، **الملتقى الثالث لجمعية الآثاريين العرب**، القاهرة، نوفمبر 2002

19. عزوزي (إدريس)، "الكراسي العلميّة بجاية القرويين أيام ازدهارها و إشعاعها الفكري"، **مجلة الحضارة الإسلاميّة**، العدد الأوّل، أبريل 1993

20. عزوزي (حسن)، "التأليف في القراءات في المغرب و الأندلس"، **مجلة الحضارة الإسلاميّة**، العدد الأوّل، أبريل 1993

21. الغيطاني (جمال)، "أسيلة القاهرة"، **مجلة العربي**، العدد، 308، جويلية 1983.

22. قاسم (قاسم عبده)، المقريزي شاهد عصره"، **مجلة العربي**، العدد 566، يناير 2006.

23. القاضي (وداد)، "النظريّة السياسيّة للسلطان أبي حمو الزياني و مكانتها بين النظريات السياسيّة المعاصرة، **مجلة الأصالة**، العدد 27، 1975.

24. قلاينة (المكي)، "التعديل عند ابن حزم" **مجلة الحضارة الإسلاميّة**، العدد الأوّل، أبريل 1993

25. الكعاك (عثمان)، "البجائيون"، **الملتقى الثامن للفكر الإسلاميّ**، بجاية، مارس – أبريل، 1974

26. لعرج (عبد العزيز)، "حفريّة المنصورة بتلمسان"، **الملتقى الثالث لجمعيّة الآثاريين العرب**، القاهرة، نوفمبر 2002.

27. المنوني (محمد)، إبراهيم التازي نموذج بارز للتبادل الثقافي بين المغربين خلال ق 9ه/15م "، **مجلة الثقافة**، العدد 91، 1986.

1-4 – الرّسائل الجامعية:

- بالأعرج عبد الرحمن، **العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والمماليك**، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2008.

- بسنوسي (سيدي محمد الغوثي)، **الأصول العميقة لمعايير التناسق في العمارة الدينيّة الإسلاميّة بالمغرب العربي**، رسالة دكتورة، قسم الثقافة الشعبيّة، جامعة تلمسان، 2000

- بن داود (نصر الدين)، **علماء أسرة المرازقة و دورهم الثقافي بتلمسان من ق 7 – 10 ه/ 13 – 16م**، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2002-2003

- (ـ)، **ظاهرة بيوتات العلم بمدينة تلمسان بين القرنين 7-10ه/13-16م**، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ والآثار، جامعة تلمسان، 2011

- بودواية (مبخوت)، **العلاقات الثقافيّة والتجارية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي خلال عهد بني زيان**، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2005 – 2006

- بوشقيف (محمد)، **العلوم الدينيّة بالمغرب الأوسط خلال القرن 9 هـ/15م**، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2004

- (ـ)، **تطور العلوم بالمغرب الأوسط بين القرنين 8-9هـ/14-15م**، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ والآثار، جامعة تلمسان، 2011

- خوالد (فرحات الشريف)، **أبو عبد الله بن خميس التلمساني**، حياته و أدبه، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنيّة، 1993

- عبدلي (لخضر)، **الحياة الثقافيّة بالمغرب الأوسط خلال عهد بني زيان**، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2005

2- باللّغة الأجنبيّة:

2-1 – المراجع:

1. Barges (L.J), **complément de l'histoire des Béni-Ziyan Rois de Tlemcen**, Paris 1887.
2. Bouali (S.A), **les deux grandes siéges de Tlemcen**, ENAL, Alger, 1984.
3. Bourouiba (R.), **Ibn-Tumait**, SNED, Alger, 1982.
4. ( ), **l'art religieux Musulman en Algérie**, SNED, Alger, 1993.
5. Brignon (J.), **histoire du Maroc**, Librairie Nationale, Casablanca, 1967.
6. Brunshrik, **deux récits de voyage inédits en Afrique du nord au XVéme siècle : Abdel-basit B. Halil et Adoine**, Larose, éditeurs, Paris 1936.
7. Dhina (A.), **les Etats de l'Occident Musulmane**, ENAL, O.P.U, Alger, 1984.
8. Gaïd (M.), **les Berbers dans l'histoire**, tome 2, édition Mimouni, Alger, (S.D).
9. Julien (CH.A.), **histoire de l'Afrique du Nord**, tome 2, SNED, Alger, 1975.
10. Léon (H.), **histoire d'Oran**, édition Dar El Gharb, Oran, 2002.
11. Marçais (G.), **Tlemcen**, édition de Tell, Blida, 2003.
12. Marçais (G. et W.), **les monuments Arabes de Tlemcen**, librairie Thom, Paris, 1903.
13. Rinn (L.), **Marabouts et Khouans**, Alger, 1884.

2–2 المقالات :

1. Ben Ghoaib, les Marabouts petits monuments funéraires et notifs du Nord de l'Afrique, **revu Africaine**, n° 64, 1923.
2. Ben Ridouan (A.), étude sur les Soufisme, traduction : Arnaud (M.), in : **revu Africaine**, n° 32, 1898.
3. Berbrugger (M.), Tlemcen, (Pomaria), in : **revu Africaine**, n° 2, 1857-1858.
4. (   ), notes historique sur les mosquées et autres édifiés religieuse d'Alger, **revu Africaine**, n° 4, 1859-1860.
5. Boualga (H.A), Sidi El Houari saint Patron de la ville d'Oran, **bulletin de la Société de géographie d'archéologie d'Oran**, 1977-1978.
6. Bouali (S.A), un maître Maghrébin méconnu de XII siècle, ALABILI, **bulletin de la société de géographie d'archéologie d'Oran**, 1977-1978.
7. Brosslard (C.H), Habous des mosquées –Sidi-Senouci, **revu Africaine**, n° 29, Septembre 1861.
8. Cauvet, les marabouts petits monuments funéraires et notifs du Nord de l'Afrique, **revu Africaine**, n° 64, 1923.

الفهارس

- فهرس الأعلام
- فهرس الأماكن
- فهرس الموضوعات

فهرس الأعلام

ـ أـ

- ت -

- ج -

- ح -

- خ -

- د -

- ر -

- ز -

- س -

- ش -

- ص -

- ط -

- ع -

- ف-

- ق-

- ن -

- ه -

- و-

- ي-

فهرس المدن والبلدان

ـ أـ

-ب-

-ت-

-ج-

-ش-

-ص-

-ط-

-ع-

- غ-

- م-

- ي-

فهرس الشعوب والقبائل والجماعات

– أ–

فهرس المواضيع

الملخص:

تهتم هذه الدراسة بالبحث في تطور العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين دول المغرب الإسلامي ودول المماليك خلال القرنين 7-9هـ/13-15م . وتركز على المراسلات الدبلوماسية ورحلات العلماء والحجيج بين المغرب الإسلامي وبلاد المشرق.

الكلمات المفتاحية:

المغرب الإسلامي – المماليك – العلاقات السياسية – المراسلات الدبلوماسية – الرحلة.

Résumé:

Cette étude porte sur le suivi du développement des relations politiques et les liens culturels entre les pays islamiques du Maghreb et de l'état mamelouk au cours des 7-9 siècles AH / 13-15. Et se concentrer sur la correspondance et les voyages des savants et des pèlerins entre le Maghreb islamique et Orient.

Mots-clés:

Maghreb islamique - les relations politiques - la correspondance diplomatique - voyage scientifique - les Mamelouks.

Summary:

This study is concerned with tracking the development of political relations and cultural ties between the Islamic countries of the Maghreb and the Mamluk state during the 7-9 centuries AH / 13-15.And focus on diplomatic correspondence and trips scholars and pilgrims between the Islamic Maghreb and Orient.

Keywords:

Islamic Maghreb - political relations -diplomatic correspondence - the Scientific journey- the Mamluks.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم التاريخ وعلم الآثار

ملخص رسالة الدكتوراه

علاقات دول المغرب الإسلامي بدول المماليك سياسيا وثقافيا بين القرنين السابع والتاسع هجريين 7- 9هـ / 13- 15م

إعداد الطالب:

عبد الرحمن بالأعرج

إشراف الأستاذ الدكتور:

مبخوت بودواية

السنة الجامعية:

2012 - 2013

يندرج موضوع هذه الرسالة المعنونة بـ:" **علاقات دول المغرب الإسلامي بدول المماليك سياسيا وثقافيا بين القرنين السابع والتاسع الهجريين/ 13 - 15م**" ، في إطار دراسة تاريخ المغرب الإسلامي وعلاقاته مع دول الجوار خلال العصر الوسيط.

ويكتسي الموضوع أهمية خاصة من حيث بعده وإطاره الزماني والمكاني، إذ يغطي فترة تميزت بالكثير من التحولات السياسية والفكرية في بلاد المغرب والمشرق على السواء، ويهدف إلى تبيان دور التواصل بين أقطار العالم الإسلامي في إرساء معالم النهضة الحضارية الشاملة للأمة الإسلامية.

وكان اختياره مبنيا على دوافع وعوامل موضوعية وأخرى ذاتية، حيث أن قلة الدراسات التي تخصصت في الروابط المغاربية المشرقية عبر كل مراحل التاريخ قد جعلتنا نهتم بتتبع هذه العلاقات في شقيها السياسي والثقافي خلال المرحلة الأخيرة من العصور الوسطى، كما أن طبيعة الدراسات الموجودة تركز على البعد السياسي وتهمل أو تغفل ذكر الروابط الثقافية التي كانت انعكاسا للعلاقات السياسية ومدعمة لها في الكثير من الأحيان، إضافة إلى تعاملي مع موضوع العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والمماليك في مذكرة الماجستير قد فتح الباب أمامي لمحاولة استطلاع علاقات بقية دول المغرب التي عاصرت الزيانيين مع المماليك.

أما العوامل الذاتية فكانت محاولة تلبية رغبة كامنة في نفس الباحث، تتمثل في إظهار المكانة الحقيقية للغرب الإسلامي أمام المشرق سياسيا وثقافيا في ظل تغييب دور المغرب الإسلامي في صناعة الحضارة الإسلامية في الكتابات المشرقية، وكذلك إظهار المكانة التي ارتقاها علماء بلدان المغرب أمام نظرائهم من المشرق.

وعليه ترتسم إشكالية الموضوع التي مفادها: ما هي طبيعة العلاقات التي سادت بين دول المغرب الإسلامي ودولة المماليك خلال الفترة الممتدة بين القرنين السابع والتاسع الهجريين/ 13-15م؟ وتندرج تحتها التساؤلات التالية:

– بما تميز الواقع السياسي لبلاد المغرب والمشرق الإسلاميين خلال القرنين السابع والتاسع الهجريين/ 13-15م؟

- ما هو موقف دويلات المغرب الإسلامي من قيام دولة المماليك، وكيف تعاملوا مع هذا العنصر الطارئ على سدة الحكم في أقوى دولة إسلامية بالعالم الإسلامي؟

- كيف تعامل المماليك مع أحداث المغرب الإسلامي والصراع الذي كان دائرا بين الكيانات المستقلة طيلة الفترة المدروسة؟

- بما تميز الواقع الثقافي لدول المغرب الإسلامي ودولة المماليك خلال الفترة المدروسة؟

- ما دور الرحلة والعلماء في توطيد وتوثيق العلاقات الثقافية بين المغرب والمشرق؟

- وما هي أبرز مظاهر الروابط الثقافية ؟ وكيف تم استثمارها في رسم معالم الوحدة الثقافية الإسلامية؟

وللإجابة على هذه التساؤلات اتبعنا المنهج التاريخي الذي يقوم على جمع المادة التاريخية من أصولها ودراستها ونقدها وتحليلها واستخراج ما أمكن من المعلومات التي تخدم موضوع الدراسة والبحث، واستعنا بالمنهج المقارن لمعرفة أوجه التقارب والاختلاف في ما يخص المواقف السياسية بين الدول، وكذلك طبيعة الإنتاج الفكري بين المغرب والمشرق.

أما خطة الرسالة فهي مكونة من مقدمة وفصل تمهيدي وبابين ينقسم كل منهما إلى مجموعة من الفصول، وخاتمة.

تعرضنا في الفصل التمهيدي للأوضاع السياسية التي عرفها المغرب الإسلامي خلال الفترة المدروسة والممتدة بين القرنين السابع والتاسع الهجريين/13 -15م، حيث شهد قيام الكيانات المستقلة عن دولة الموحدين والمتمثلة في الدولة الحفصية بالمغرب الأدنى، والدولة الزيانية بالمغرب الأوسط، والدولة المرينية بالمغرب الأقصى، والدولة النصرية بالأندلس. وبالمقابل شهدت بلاد المشرق في الفترة نفسها قيام دولة المماليك بمصر والشام عقب ضعف السلطة الأيوبية، فتعرضنا لذكر أصل المماليك وأدوار دولتهم البحرية والجركسية.

وفي الباب الأول المعنون بالعلاقات السياسية كان الدخول المباشر إلى لب موضوع الرسالة، وقد قسمناه إلى ثلاثة فصول، خصصنا الفصل الأول للعلاقات السياسية بين الحفصيين والمماليك مركزين على بعض المحطات مثل مسألة الخلافة الإسلامية التي وقع عليها التنازع بين تونس والقاهرة، وموقف المماليك من الحملة الصليبية الثامنة على المغرب الأدنى، والمراسلات والهدايا التي كانت متبادلة بين سلاطين الدولتين.

وخصص الفصل الثاني للحديث عن العلاقات بين الدولتين الزيانية والنصرية مع الدولة المملوكية، وذلك لطبيعة المادة وحجمها، وابتدأنا بالحديث عن العلاقات الزيانية المملوكية مبرزين موقف بني زيان من الدولة المملوكية في إطار تحالف هذه الأخيرة مع بني مرين الأعداء التقليديين لبني عبد الواد، والمراسلات التي تم توجيهها من تلمسان إلى القاهرة، وذلك زمن المماليك البحرية والجراكسة. ثم انتقلنا إلى الحديث عن العلاقات النصرية مع المماليك، والمراسلات التي تمت بينهما في إطار الوضع المتأزم الذي شهدته الأندلس أمام اشتداد حركة الاسترداد النصرانية، ومحاولة النصريين الاستنجاد بالقوة المملوكية لإنقاذ الموقف.

أما الفصل الثالث فحمل عنوان العلاقات السياسية المرينية المملوكية، وكانت الدولة المرينية بالمغرب الأقصى أكثر دول المغرب الإسلامي تعاملا مع المماليك وأكثر اتصالا بهم بالمراسلات والهدايا، لأنها كانت تمثل الدولة الحامية للجناح الغربي للعالم الإسلامي.

أما الباب الثاني فأفرد لمعالجة الشق الثاني من موضوع الرسالة وهو الروابط الثقافية بين دول المغرب الإسلامي والدولة المملوكية، وقسمناه بدوره إلى أربعة فصول، تعرضنا في الفصل الأول إلى معالم الحياة الثقافية بالمغرب الإسلامي ومدى مساهمة الحكام في ازدهارها من خلال إنشاء المؤسسات التعليمية والثقافية في أبرز المراكز الثقافية مثل تونس وبجاية وتلمسان وفاس وغيرها، وأصناف العلوم وأشهر العلماء في كل دولة من الدول المغاربية.

وفي الفصل الثاني تناولنا بالدراسة الحياة الثقافية بدولة المماليك التي صارت حواضرها مثل القاهرة ودمشق والمدينة المنورة ومكة المكرمة منارات علمية بما احتوت عليه من مدارس ومساجد وخوانق وزوايا كثيرة جدا بالمقارنة مع بلاد المغرب الإسلامي، ومدى النشاط الثقافي الذي بلغته في ظل اهتمام السلاطين المماليك بهذا الجانب.

أما الفصل الثالث فخصصناه للحديث عن ظاهرة الرحلة بين المغرب والمشرق، وكانت العامل الأساسي في مد وتقوية الروابط الثقافية، فذكرنا تعريفها ومسالكها ومصاعبها وأصنافها مركزين على رحلة الحج والدور الذي قام به الحجيج في مد جسور التواصل الثقافي بين أقطار العالم الإسلامي في المشرق والمغرب ودور مدينتي مكة والمدينة المنورة في هذا الجانب، ودراسة ظاهرة المجاورة التي اعتاد المغاربة القيام بها أمام المشاهد النبوية، وكذلك والرحلة في طلب العلم، مع ذكر عينات من العلماء الذين ارتحلوا من المغرب نحو المشرق

وكذلك من المشرق إلى المغرب طلبا للعلم أو للتدريس أو لتولي مناصب في الدولة أو لأخذ الإجازة أو للمناظرة.

وكان الفصل الرابع خاتمة هذا الباب وخص لذكر أبرز مظاهر التواصل الثقافي بين بلاد المغرب الإسلامي وبلاد المشرق، وما خلفته اللقاءات المتكررة بين العلماء من تبادل للعلوم والتصانيف، وما حدث بينهم من مناظرات وتبادل للإجازات، وكذالك انتقال التيارات الفكرية، والمذاهب الفقهية والطرق الصوفية ونمط التعليم في المؤسسات التعليمية.

وختمت الرسالة بخاتمة هي عبارة عن استنتاجات عامة حول موضوع البحث.

كما دعمناه بمجموعة من الملاحق هي عبارة عن نصوص للمراسلات التي تم تبادلها بين حكام دول المغرب الإسلامي ودولة المماليك، وخرائط تتعلق بالحدود السياسية للكيانات المغاربية والدولة المملوكية وخط الرحلة وأبرز مسالكها، وصور للمنشآت الثقافية التي كانت قائمة بالحواضر المغربية والمشرقية.

ومن بين المصادر المستخدمة في البحث:

- كتاب "**تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**" لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي الذي كان حيّا سنة 894 هـ/1488م، وتعرض فيه لتاريخ الدولة الموحدية المؤمنية وتلاه بتاريخ الدولة الحفصية إلى عصره اعتبارا أن هذه الأخيرة هي امتداد للأولى، وهو غني بالأحداث السياسية وذكر المنشآت الثقافية.

- كتاب"**الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**" لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن الشماع الذي ألفه سنة 861هـ/1457م، وهو خاص بذكر سلاطين بني حفص والإشادة بأعمالهم السياسية والعسكرية والثقافية ومنجزاتهم العمرانية.

- كتاب " **روضة النسرين في دولة بني مرين**" لمؤلفه الأمير اسماعيل بن الأحمر النصري الذي كتبه خصيصا لذكر ملوك بني مرين ذكرا كرونولوجيا مختصر، كما ذكر بالموازات مع ذلك ملوك تلمسان من بني عبد الواد لكنه كان متحاملا عليهم واصفا إياهم بأقبح الأوصاف.

- كتاب "**اللمحة البدرية في الدولة النصرية**" للوزير الغرناطي لسان الدين بن الخطيب السلماني (ت:776 هـ/1374م) والذي أرخ فيه لتاريخ دولة بني الأحمر من قيامها إلى غاية القرن الثامن الهجري /14م.

- كتاب "**فصل الخطاب في ترسيل أبي بكر بن خطاب**" لابن خطاب المرسي الذي وفد من الأندلس على تلمسان وصار الكاتب الخاص للأمير يغمراسن بن زيان وابنه أبي سعيد عثمان، وقد حققه الدكتور أحمد عزاوي بعنوان المغرب والأندلس في القرن السابع /13م.

- كتاب " **بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**" ، لأبي زكرياء يحي بن خلدون (ت:780هـ/1378م)، و هو في جزأين، خصّص الأوّل للتعريف بإقليم المغرب الأوسط وتاريخه إلى قيام الدّولة الزيانيّة و ذكر سلاطينها حتّى انتهاء الدّور الأوّل من تاريخها، كما احتوى هذا الجزء على تراجم مهمّة للعلماء لا توجد في غيره من المصادر. أمّا الجزء الثاني فقد خصّص لعهد أبي حمّو موسى الثاني وما شهده من نشاط سياسي وثقافي، وقد نشر الجزأين معًا ألفرد بل بين 1903-1910، كما قام الدكتور عبد الحميد حاجيات بتحقيق ونشر الجزء الأوّل.

- كتاب "**العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**" لـ: عبد الرّحمن بن خلدون (ت:808 هـ/1406م)، خاصّة الجزء السّابع الذي خصّصه للحديث عن قبيلة زناتة وفروعها بني مرين وبني عبد الواد ودولتيهما وتطور مسارهما السياسي، إضافة إلى حديثه عن الدولة الحفصية،كما اهتم بذكر علاقاتها الخارجيّة، وانفرد بإيراد الرّسالة الّتي بعث بها السلطان الزياني أبي حمو موسى الأوّل إلى الملك النّاصر محمّد بن قلاوون المملوكي في خضم تطوّر العلاقات الزيانيّة المملوكية، وذكر بعض المراسلات والهدايا التي تبادلها المرينيون والحفصيون والمماليك. كما تكمن أهمية هذا المصدر في كون مؤلّفه قد عاصر الأحداث في المغرب والمشرق ويعد شهادة حية فيما يخص العلاقات الحفصية المملوكية في عهد السلطان المملوكي الظاهر برقوق الجركسي الذي وفد عليه ابن خلدون وأكرمه وراسل بسببه السلطان الحفصي في مسائل شخصية. وتعد "**المقدمة**" لكتاب العبر من المصادر الهامّة لهذه الدّراسة لكونها تضمّ الجانب الثقافي والعلمي للدّول الإسلاميّة عمومًا، وتعرض فيها ابن خلدون لمناهج العلوم والتعليم وتطورها بالمشرق والمغرب،

ما يمكن الباحث من المقارنة بين المستوى الثقافي لكلّ من الإقليمين خلال القرن الثامن الهجري/14م على وجه التحديد.

- "**تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدّر والعقيان في بيان شرف بني زيان**" لأبي عبد الله محمّد بن عبد الجليل التنسي (ت:899 هـ/1493م)، وقد حقّقه محمود بوعياد ونشر سنة 1985، وتناول فيه صاحبه الأدوار التاريخيّة للدّولة الزيانيّة منذ قيامها حتّى عهده، كما اهتم بذكر ملوك بني زيان ومنجزاتهم الثقافيّة، وقد اعتمد في تأليفه على المؤرخين الذين سبقوه، كاِبني خلدون، لكنّه أورد أحداثا لم تذكرها المصادر الأخرى، كما تناول العلاقات الزيانية – المملوكية من خلال ذكر الهدية التي بعث بها أبو زيان محمّد بن أبي حمو إلى الملك الظّاهر برقوق أوّل ملوك الجراكسة بمصر.

-كتاب "**المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن**" لأبي عبد الله محمّد بن مرزوق الخطيب التلمساني (ت:781 هـ/1379م)، وقد اشتمل على معلومات تخصّ الجانب الثقافي للمغربين الأوسط والأقصى في عهد المرينيين، كما تكمن أهميته في مقدّمة المحققة ماريا خيسوس بغيرا الّتي اعتنت بالترجمة لعلماء أسرة المرازقة وخاصّة ابن مرزوق الخطيب، الّذي يعدّ من أبرز النماذج الّتي تتجلى من خلالها العلاقات الثقافيّة بين المغرب الإسلامي وبلاد المشرق. إضافة إلى كتابه " **المناقب المرزوقية**" لابن مرزوق الذي تعرض فيه إلى أسرة المرازقة وتاريخها وترجم لإفرادها من العلماء وشيوخهم، واستخلصنا منه الجو العام للحياة الثقافية بتلمسان والمغرب الإسلامي عموما إضافة إلى إشارات إلى الروابط الثقافية والروحية لعلماء أسرة المرازقة مع نظرائهم من المصريين والحجازيين.

- "**زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة**" للأمير المملوكي ركن الدّين بيبرس المنصوري الدّوادار، (ت:725 هـ/1324م)، وكان أحد كبار الأمراء المماليك وشارك في الأحداث السياسيّة لعصره، كما كان من العلماء البارزين، ويعدّ كتابه زبدة الفكرة من أدقّ المصادر التاريخيّة للفترة المدروسة، وقد اعتمد عليه الكثير من المؤرخين الذين جاؤوا بعده، ويشتمل في جزئه التاسع المحقّق من طرف زبيدة محمد عطا على الفترة ما بين 656 هـ/1217م إلى 709 هـ/1309م بطريقة الحوليات، حيث عالج كلّ سنة وما جرى فيها من أحداث سياسيّة واقتصاديّة واجتماعيّة ومنجزات ثقافيّة، وضمّنه جملة كبيرة من الرّسائل والوثائق

المملوكية، وتعرّض للعلاقات بين مصر وبلاد المغرب وباقي الدّول المجاورة، كما اعتنى بذكر وفيات أشهر العلماء بشكل مختصر في نهاية كلّ سنة .

- "**كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك**" لتقي الدّين أبي العبّاس أحمد بن علي المقريزي (ت:845 هـ/1442م)، وقد كان من ضمن كتاب الإنشاء، كما تقلّد مناصب القضاء والحسبة، ويعدّ كتاب السلوك من أهم المصادر المملوكية و قد رتّبه على السّنين في عدّة أجزاء وأقسام، وأرخ فيه للفترة الممتدّة بين 577- 844 هـ/1181-1440م، وركّز على الأحداث السياسيّة، ورغم ذلك لم يهمل ذكر بعض المنجزات الثقافيّة لسلاطين المماليك كما ترجم لبعض العلماء. كما يعد كتابه : "**المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار المعروف بالخطط المقريزية**" المصدر الأساسي الذي اعتمدناه في التعريف بالمؤسّسات التعليمية المصرية في عصر المماليك، حيث يعدّ هذا الكتاب سجلاّ شاملا لخطط مصر العمرانية والجغرافية وأحوالها الزراعية والصناعية والمالية والإدارية فضلا عن الثقافية، كما ترجم فيه صاحبه لمجموعة من السلاطين المماليك.

- "**عقد الجمان في تاريخ أهل الزّمان**" لبدر الدّين العيني (ت:855 هـ/1451م)، وهو تاريخ كبير، لكن الّذي يهمنا منه الأجزاء الثلاثة الأولى الّتي خصّصها صاحبها لعصر المماليك وهي محقّقة ومنشورة، و فيها ذكر الوقائع التاريخية بالاستناد إلى المصادر التي سبقته.

- "**النجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة**"، لأبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت:874 هـ/1469م)، الّذي كان أبوه من جملة الشخصيات السياسية بمصر، ما ساعده على التعرف على الوقائع بشكل دقيق، ويقع هذا الكتاب في عدّة أجزاء وفيه تناول المؤلّف تاريخ مصر والقاهرة منذ الفتح الإسلامي حتّى سنة 857 هـ/1453م وخصّص لتاريخ المماليك ثمانية أجزاء كاملة من كتابه، وتناول سيرة كلّ سلطان وما جرى في عهده من أحداث سياسيّة ومنجزات ثقافيّة وختم كلّ سيرة بملخّص، كما ترجم للكثير من العلماء المشارقة والمغاربة، وانفرد بذكر مقياس فيضان نهر النيل كلّ سنة متّبعًا طريقة الحوليات.

- "**نهاية الأرب في فنون الأدب**" لأبي العبّاس شهاب الدّين أحمد بن عبد الوهاب بن أحمد النّويري (ت:732 هـ/1332م)، وقد كان أحد رجال السلطان النّاصر محمد بن قلاوون، وتولى نظارة الجيش، كما اشتهر بموسوعته نهاية الأرب الّتي بلغت 31 مجلدا بها

خمسة فنون، وكلّ فنّ به خمسة أبواب، أطولها الفنّ الخامس وهو التاريخ الّذي خصّصت له قسما هامًا من كتابه وقد تناول في الأجزاء الأخيرة منه تاريخ المماليك مفصلاً كما عقد للظاهر بيبرس جزءًا خاصًا به، ولم يكفي بالأحداث السياسيّة بل أورد الكثير من المنجزات الثقافيّة وتراجم بعض العلماء.

- "**صبح الأعشى في صناعة الإنشا**" لأبي العبّاس أحمد بن علي القلقشندي (ت:821 هـ/1418م)، ويعتبر هذا الكتاب موسوعة و من أهم ما كتب بالعربيّة عن تاريخ مصر خلال عصر المماليك، خاصة وأنّ كاتبه اشتغل بديوان الإنشاء لفترة طويلة، ما مكنّه من الإطلاع على الوثائق الرّسميّة والمراسلات المملوكيّة الّتي قام بتوثيقها في موسوعته، كما سجّل لنا مواقع المدن والبلدان والممالك الإسلاميّة وأحوالها العامّة بما فيها الثقافية والعلميّة، واعتنى بذكر المؤسّسات التعليميّة بمصر، وأفادنا في التعرف على معاني المصطلحات المملوكيّة، والأهم من ذلك أنّه تفرد بإيراد الكثير من نصوص الرسائل التي تم تبادلها بين سلاطين المماليك والمغرب الإسلامي.

- "**حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**" لجلال الدّين عبد الرّحمن السيوطي (ت:911 هـ/1505م)، وقد جمع فيه تاريخ مصر ملخّصا منذ بداية الخليفة حتّى عصره، وأفادنا في كونه ترجم ولو بإيجاز للأعلام والعلماء المصريين وذكر نبذة من تاريخ المؤسّسات التعليميّة من المساجد والمدارس. إضافة إلى كتاب آخر له وهو "**تاريخ الخلفاء**" الّذي أورد فيه قائمة للخلفاء العبّاسيين بالقاهرة وعرّف بهم وبأحوال مصر في عهدهم و علاقة السلاطين بهم.

- "**بدائع الزّهور في وقائع الدّهور**" لمحمد بن إياس الجركسي الحنفي (ت:930 هـ/ 1523م)، وقد اشتغل بعدّة وظائف سامية وتمكّن من تحرّي الدّقة في مؤلّفه الّذي خصّصه لتاريخ مصر مركّزًا على الفترة المتأخرة من عصر المماليك حتى سقوط دولتهم، وقد رتّبه على الشهور والأعوام إلى غاية سنة 928 هـ/1521م، وضمّنه تراجم السلاطين والأعلام وذكر المنجزات الثقافيّة.

- "**البداية والنهاية**" لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدّمشقي (ت:774 هـ/1372م)، وهو عبارة عن تاريخ عام ومطوّل، وقد اعتمدنا على الأجزاء المتعلّقة بالفترة المدروسة خاصّة الثالث عشر والرّابع عشر وفيها ترجم للأعلام والعلماء من مختلف العالم الإسلامي.

- "**كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**" لأبي عبد الله محمّد المليتي التلمساني المعروف بابن مريم (كان حيّا سنة 1025 هـ/1611م)، و هو عبارة عن تراجم لعلماء تلمسان والمغرب الأوسط وبعض المغاربة والمشارقة بنوع من التفصيل الّذي ذكر فيه شيوخ المترجم له وتلاميذه ورحلاته العلميّة ومؤلفاته.

- "**كتاب نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج**"، لأبي العبّاس أحمد بن أحمد المعروف ببابا التنبكتي (ت:1032 هـ/1624م)، الّذي ترجم فيه لعلماء المغرب والأندلس والمشرق تراجم وافية، وقد طبع على هامش "**الدّيباج المذّهب في معرفة أعيان المذهب**" لبرهان الدين بن علي بن محمّد بن فرحون اليعمري (ت:799 هـ/1397م)، والّذي خصّص لتراجم علماء المالكية بدءًا بالإمام مالك حتّى عصر المؤلّف.

- "**نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب و ذكر وزيرها لسان الدّين بن الخطيب**"، لأبي العبّاس أحمد بن محمّد المقرّي التلمساني (ت:1041 هـ/1631م)، وهو عبارة عن موسوعة تراجم لأدباء وفقهاء المغرب والأندلس، وتعرّض من خلالها إلى رحلاتهم نحو مصر والشام والحجاز ومن التَقَوْهُ من نظرائهم هناك وأخذوا عنهم وذَكَر مصنفاتهم وتلاميذهم.

- "**شجرة النّور الزّكيّة في طبقات المالكيّة**" لمحمد بن محمد مخلوف المالكي، وفيه تراجم لعلماء المالكيّة من مصر والشام والحجاز والمغرب الإسلامي.

إضافة إلى كتاب "**عنوان الدّراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**" لأبي العبّاس أحمد بن أحمد الغبريني (ت:704 هـ/1307م) ، وكتاب "**تعريف الخلف برجال السّلف**" لأبي القاسم الحفناوي.

- "**المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**" لأبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي صاحب النّجوم الزّاهرة، ويتكوّن من عدّة أجزاء محقّقة، وفيه تراجم لأكثر من 2500 شخصيّة بين سلطان وأمير وخليفة وقاض وأديب ومتصوّف وطبيب وشاعر، مرتبا على الحروف.

- "**الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**" للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت:852 هـ/1449م)، في عدّة أجزاء خصّصها المؤلّف لتراجم مشاهير علماء ورجال القرن الثامن الهجري (14م مرتبا على حروف المعجم.

- "**الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**" لشمس الدّين السّخاوي (ت:902 هـ/1498م)، وهو تكملة لكتاب الدّرر الكامنة، وفيه جمع تراجم مشاهير القرن التاسع الهجري/ 15م من العلماء والقضاة والرّواة والأدباء والشعراء والخلفاء والملوك والأمراء من المشرق والمغرب ورتّبه على حروف المعجم، وهو يكتسي أهميّة كبيرة سوى ما نجده من بعض التحامل على بعض المترجمين لهم من العلماء .

- "**شذرات الذّهب في أخبار من ذهب**" لابن العماد الحنبلي (ت:1089 هـ/1678م) في ثمانية أجزاء، ترجم فيه للعلماء و الحكّام عبر العصور الإسلامية حتى القرن العاشر الهجري/16م.

- "**البدر الطّالع بمحاسن من بعد القرن السّابع**" للشّوكاني (ت:1250 هـ/1834م) في جزأين، وقد احتوى على تراجم لأعلام المشرق والمغرب من القرن السّابع حتّى عصر المؤلّف.

إضافة إلى كتاب "**نكت العميان في نكت العميان**" لخليل بن أيبك الصّفدي (ت:764 هـ/1362م)، وبعض الكتب الحديثة كالأعلام للزركلي.

–"**النفحة المسكية في الرحلة المكية**" لابن سعيد المغربي (ت 685هـ/1286م) وهو من الرحالين المغاربة الأوائل الذين زاروا الحجاز زمن المماليك.

- "**ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة**" لمحمد بن عمر بن رشيد السبتي (ت721هـ/1321م) دون فيها تراجم من لقيهم في رحلته إلى الحجاز من العلماء والحفاظ والفقهاء والأدباء في المدن المشرقية، وأوضح طرق التعليم التي كانت متبعة آنذاك، والبرنامج الدراسي الذي كان سائدا، والكتب التي أجيز فيها، فضلا عن ذكر أماكن التحصيل العلمي من المدارس والمساجد وبيوت الفقهاء.

– " **الرحلة المغربية**" لمحمد العبدري (مجهول تاريخ المولد والوفاة)، وصف فيه البلدان التي زارها في المغرب والمشرق وأحوال ساكنيها بشكل من الموضوعية ودون مبالغة، ولفت انتباهه قلة إقبال أهل المدن على العلم.

– ″ **مستفاد الرحلة والاغتراب**″ للقاسم بن يوسف التجيبي السبتي (ت 730هـ/1329م)، تحدث فيه عن القاهرة وجدة ومكة وتراجم العلماء الذين أخذ عنهم، كما صنف كتاب "**البرنامج**" وهو عبارة عن تراجم مستخلصة من الكتاب الأول، واعتنى في الرحلة بتدوين المشاهدات الجغرافية والعمرانية وضبط أسماء المدن وفيها إشارات سياسية واقتصادية واجتماعية كثيرة ، كما أعطى وصفا دقيقا للمسجد الحرام وحالة مكة المكرمة الدينية والعلمية والعمرانية.

– "**رحلة ابن خلدون**" لعبد الرّحمن بن خلدون والتي هي عبارة عن سيرة ذاتية كتبها لنفسه وعرّف فيها بشيوخه، وتعرّض لأحوال الدّول الّتي مرّ بها وعمل فيها بالمغرب والأندلس ومصر، والعلاقات فيها بينها والهدايا الّتي كانت متبادلة بين ملوك المغرب ومصر.

– ″ **رحلة عبد الباسط بن خليل**″ المعروفة بالرّوض الباسم في أخبار العمر والتراحم لعبد الباسط بن خليل المصري (ت:920 هـ/1514م)، و قد نشر الجزء الخاص ببلاد المغرب المستشرق الفرنسي روبرت برونشفك مترجما و محقّقا بالفرنسيّة إضافة إلى النّص العربي في كتاب رحلتان سنة 1936 بباريس. وتعدّ هذه الرّحلة سجلاّ هاما لرحّالة مصري زار المغرب الإسلامي خلال القرن 9 هـ/15م، حين قضى مدّة بتونس والجزائر وتلمسان ووهران والأندلس مكّنته من الالتقاء بالعلماء وتبادل المعارف معهم، كما قدّم لنا في رحلته وصفا للحياة السياسيّة والتجاريّة والاجتماعيّة والثقافيّة عمومًا.

– ″ **رحلة القلصادي**″ المسماة "**تمهيد الطالب ومنتهى الرّاغب إلى أعلى المنازل والمناقب**" لأبي الحسن علي بن محمد القرشي البسطي المعروف بالقلصادي (ت:891 هـ/1486م)، وتكمن أهميتها في التراجم الّتي أوردها القلصادي لشيوخه الذين أخذ عنهم بالمغرب الإسلامي ومصر.

– ″ **رحلة ابن بطوطة**″ المسماة تحفة النّظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار لمحمّد بن عبد الله الّلواتي الطنجي (ت:776 هـ/1373م)، وهي رحلة حافلة بالمشاهدات والأحداث التاريخيّة، كما تضمّنت وصفًا لمظاهر الحياة الثقافيّة فضلا عن السياسية والاقتصادية والاجتماعية للأقطار الّتي زارها ابن بطوطة خاصّة مصر والبلاد المشرقيّة عمومًا.

وتكملة لما أوردته المصادر حول الموضوع استعنّا بمجموعة من المراجع والدّراسات الحديثة المنشورة وغير المنشورة، وهي متخصّصة في تاريخ دول المغرب الإسلامي أو الدولة المملوكية سياسيا وثقافيّا، ومن تلك المراجع:

- كتاب " **ورقات عن حضارة المرينيين**" للمؤرخ المغربي محمد المنوني، وهو سجل لأحداث الدولة المرينية سياسيا وثقافيا بمنهج أكاديمي، وكتاب " **السلطنة الحفصية**" لمحمد العروسي المطوي، وهو دراسة وافية عن الأحوال السياسية التي شهدها المغرب الأدنى خلال الفترة المدروسة، وكتاب "**غرناطة في ظل بني الأحمر**" ليوسف شكري فرحات، وكتاب " **قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (6هـ - 9هـ /12م-15م) دراسة في دورها السياسي والحضاري**" للدكتور مفتاح خلفات، وهو من الكتب الأكاديمية الغنية بالأحداث السياسية والثقافية التي شهدتها منطقة المغرب الأوسط والأدنى مع عناية خاصة بدور علماء هذه القبيلة المغربية في بلاد مصر والشام.

كتاب "**أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره**"للأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات، وكتابي "**تلمسان عبر العصور**" و "**الروابط الثقافيّة بين الجزائر والخارج** "لمحمّد بن عمرو الطّمار، و" **تلمسان في العهد الزياني**" لعبد العزيز فيلالي، وكتاب "**نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية** "لبوزياني الدراجي وكتاب "**الدّولة الزيانية في عهد يغمراسن دراسة تاريخيّة وحضارية** للأستاذ الدكتور خالد بلعربي، وكتاب "**الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي**" لمجموعة من المؤلفين وكتاب "**تاريخ الجزائر العام**" للشيخ العلامة عبد الرّحمن الجيلالي، و"**العلماء الجزائريون في البلدان العربيّة و الإسلاميّة**" لعمار هلال، وكتاب " **مدخل إلى تاريخ العلوم بالغرب المسلم حتى القرن 15/9م**" بأجزائه الثلاثة لإبراهيم حركات.

إنّ نظرة نقدية إلى مادّة الموضوع تبين لنا مدى تفاوت المصادر في عرض المعلومات والأفكار والّتي تخدم موضوع البحث، وحاولت استثمار هذه المادة قدر الإمكان، ولجأت فيما يخص الروابط الثقافية إلى استنتاج ذلك من خلال تراجم العلماء المتوفرة في كتب الطبقات والتراجم، ومن خلال رحلات الحجيج والطلبة من المغرب إلى المشرق أو من المشرق إلى المغرب والمدونة في كتب الرّحلات.

وأهم ما أمكن التوصل إليه من نتائج من خلال هذا البحث:

أن العلاقات بين دول المغرب الإسلامي وبلاد المشرق في عصر المماليك هي تواصل لذلك الترابط التاريخي الذي شمل الأقطار الإسلامية منذ الفتح الإسلامي بعدما صار الدين واحدا والخطر مشتركا والمصير واحدا.

وكان سقوط دولة الموحدين بالمغرب الإسلامي في النصف الأول من القرن السابع الهجري/13م إيذانا بانقسامات سياسية وفوضى شملت كل أقطار بلاد المغرب، فظهرت دول مستقلة هي الدولة الحفصية في المغرب الأدنى ودولة بني عبد الواد الزيانية بالمغرب الأوسط ودولة بني مرين بالمغرب الأقصى والدولة النصرية بما تبقى للمسلمين في الجزء الجنوبي من شبه جزيرة الأندلس، فضلا عن بعض الإمارات الصغيرة مثل إمارة سبتة شمال المغرب الأقصى، وإمارة سكسيوة قرب مراكش.

هذا التردي والانقسام السياسي قد ولد صراعا داخليا مستمرا بين القبائل التي كانت تسعى إلى الزعامة وتأسيس الإمارات، وكانت الدولة الزيانية في وسط هذا الصراع ما جعلها تختفي من الوجود في كثير من الأحيان، أما الدولتان الحفصية والمرينية فكانتا من القوة ما مكنهما من إعلان الخلافة بالنسبة لسلاطين تونس، وتزعم الجهاد في الأندلس والسعي إلى توحيد المغرب الإسلامي تحت راية واحدة بالنسبة لسلاطين فاس.

أما بالمشرق الإسلامي فقد برزت دولة المماليك التي تزعمت الحرب ضد النصارى والمغول، واستحقت بكل جدارة لقب أقوى دولة في العالم الإسلامي خلال القرن السابع والثامن الهجريين/13-14م، كما تم نقل مقر الخلافة العباسية إلى القاهرة عاصمة المماليك بعد سقوط بغداد.

وارتبطت دول المغرب الإسلامي مع الدولة المملوكية بعلاقات دبلوماسية، ولم تتوقف المراسلات طيلة الفترة الممتدة بين القرنين 7-9هـ/13-15م، وكانت مواضيعها مختلفة بين تهنئة أو طلب وساطة أو دعم وتدخل، أو توصية بالحجيج.

ولما كانت الدولتان الحفصية والمرينية هما الأكثر تأثيرا بالمغرب الإسلامي فقد اعتنى المماليك بالتواصل السياسي معهما على خلاف الزيانيين الذين لم تسجل لنا المصادر الكثير من المراسلات الصادرة عن ديوان إنشائهم إلى المماليك.

أما بنو نصر فقد كان هدفهم من التواصل مع المماليك هو طلب الدعم المادي والعسكري من أجل تخليصهم من الخطر النصراني.

ومن الناحية الثقافية نسجل أن المغرب الإسلامي شهد خلال الفترة الممتدة من القرن 7- 9هـ/13- 15م، نشاطا ثقافيا ملحوظا ميزه اهتمام السلاطين بالعلم والعلماء وتقربهم لأهل الثقافة من مختلف الأقطار واستقدامهم إلى العواصم لتدعيم الهيئة العلمية وإفادة الطلبة، كما ازدهرت حركة إنشاء المؤسسات التعليمية تبعا لذلك من مساجد ومدارس في مختلف المدن المغربية، وقد تخرج من هذه المؤسسات الكثير من العلماء الذين ذاع صيتهم بالمغرب والمشرق في مختلف العلوم الدينية والإنسانية والاجتماعية والعقلية.

أما بالمشرق فكانت عاصمة المماليك القاهرة المركز الثقافي والعلمي الأول في العالم الإسلامي، ما جعلها مقصدا للطلبة من مختلف البلدان الإسلامية، وقد اهتم السلاطين المماليك بالمنجزات العلمية، فأكثروا من إنشاء المساجد والمدارس والخوانق والبيمارستانات، والتي كانت تؤدي عدة وظائف خاصة التعليم، وكان لهذه المؤسسات طاقم يسيرها وفق شروط معينة وكانت تنفق عليها الأموال بسخاء نظرا لوفرة المداخيل المالية من عائدات التجارة الدولية وتجارة العبور، ذلك ما مكن الطلبة من التفرغ التام للعلم والاستفادة من أعلام العلماء المصريين في شتى العلوم النقلية والعقلية.

والذي يمكن قوله أن الازدهار الثقافي بالمغرب الإسلامي والمشرق كان متوازيا خاصة خلال القرن الثامن الهجري/14م، ما جعل من عواصم دول المغرب الإسلامي تونس وتلمسان وفاس مراكز جذب ثقافي.

كما توطدت العلاقات بشكل أكبر عن طريق الرحلة بين المغرب والمشرق، وقد كانت الرحلة في طلب العلم ورحلة الحج من الفرص الثمينة التي توفرت لطلاب المغرب الإسلامي ومكنتهم من لقاء المشايخ والعلماء ونسج العلاقات فيما بينهم، وأتاحت لهم فرصة الاطلاع على علوم ومناهج المشارقة.

هذا وأتاح توفر مصر على بعض المنشآت التي خصصت للمغاربة على أراضيها، خاصة رواق المغاربة بالجامع الأزهر، من التفرغ لطلب العلم في جو ميزه وجود عدة طلبة من عدة أقطار إسلامية في مكان واحد ما سهل عملية التواصل الثقافي والتبادل العلمي.

كما ساهم العلماء الذين ارتحلوا من المغرب الإسلامي إلى مصر والشام والحجاز، أو الذين ارتحلوا من المشرق إلى المغرب الإسلامي في نسج علاقات قوية مع بعضهم البعض في المؤسسات التعليمية التي انتشرت بالمدن المملوكية خاصة القاهرة ودمشق والقدس ومكة والمدينة.

لقد أنتج الاتصال الثقافي بين المغاربة والمشارقة عدة مظاهر وآثار في الجوانب الدينية والروحية والعلمية، فانتشر المذهب السني. كما ألقت العلاقات الثقافية بظلالها على الحياة الروحية، فعم التصوف القطرين، وأصبح من مظاهر الحياة الدينية، وانتشرت تعاليم الطرق الصوفية التي بدأت تظهر بمصر وانتقلت إلى المغرب الإسلامي عن طريق الرحلة بين البلدين، خاصة الطريقة الشاذلية.

ونالت الجوانب العلمية النصيب الأوفر فيما يخص العلاقات الثقافية بين المغرب والمشرق، حيث كان التأثر والتأثير متبادلا بين العلماء في مناهج وأساليب التعليم، كما تبادلوا الكتب والمصنفات التى أصبحت من المقررات الدراسية بالبلدين. وكانت المناظرات العلمية من أبرز المظاهر التي تجلت من خلالها الروابط الثقافية، حيث أتاحت الفرصة لتقييم المستوى العلمي لعلماء البلدين.

إن التواصل السياسي والثقافي بين دول المغرب الإسلامي وبلاد المشرق، كان له أبعاد إيجابية، حيث توطدت روح التعاون والتقارب في وجهات النظر حول القضايا المصيرية المشتركة من خلال المراسلات الدبلوماسية بين السلاطين، ومن جهة أخرى استفاد أهل العلم والثقافة من إنتاج بعضهم البعض في عملية أخذ وعطاء علمي، وساهم ذلك في تشكيل معالم الوحدة الإسلامية بين البلدان الإسلامية.

الملخص:

تهتم هذه الدراسة بالبحث في تطور العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين دول المغرب الإسلامي ودول المماليك خلال القرنين 7-9هـ/13-15م . وتركز على المراسلات الدبلوماسية ورحلات العلماء والحجيج بين المغرب الإسلامي وبلاد المشرق.

الكلمات المفتاحية:

المغرب الإسلامي – المماليك – العلاقات السياسية – المراسلات الدبلوماسية – الرحلة.

Résumé:

Cette étude porte sur le suivi du développement des relations politiques et les liens culturels entre les pays islamiques du Maghreb et de l'état mamelouk au cours des 7-9 siècles AH / 13-15. Et se concentrer sur la correspondance et les voyages des savants et des pèlerins entre le Maghreb islamique et Orient.

Mots-clés:

Maghreb islamique - les relations politiques - la correspondance diplomatique - voyage scientifique - les Mamelouks.

Summary:

This study is concerned with tracking the development of political relations and cultural ties between the Islamic countries of the Maghreb and the Mamluk state during the 7-9 centuries AH / 13-15.And focus on diplomatic correspondence and trips scholars and pilgrims between the Islamic Maghreb and Orient.

Keywords:

Islamic Maghreb - political relations -diplomatic correspondence - the Scientific journey- the Mamluks.

المقالات

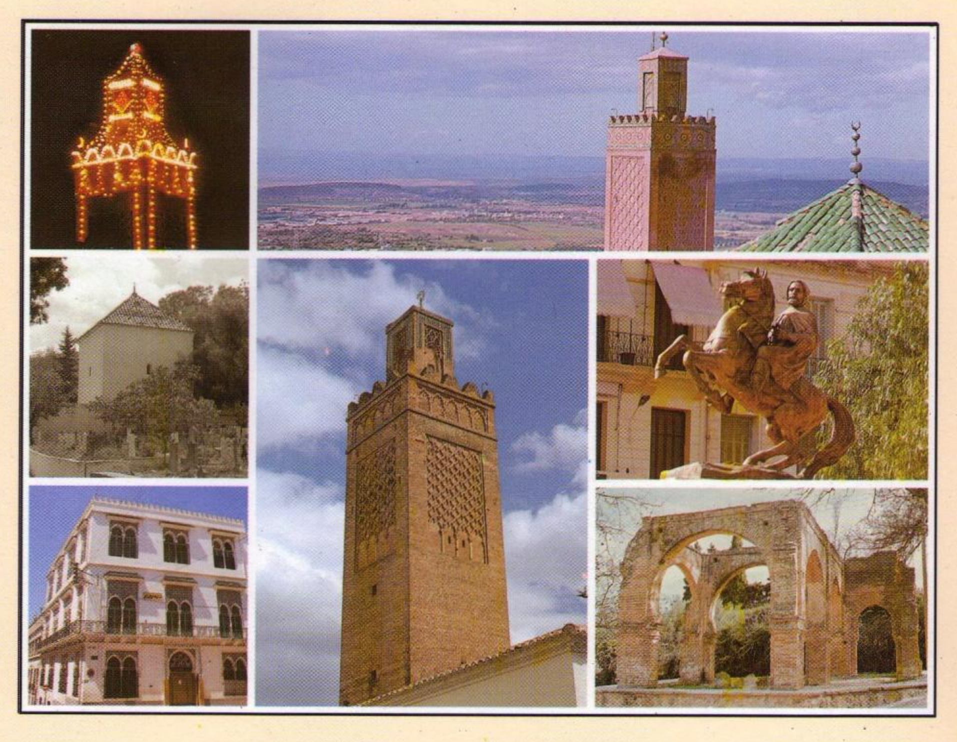
جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان



مخبر الدراسات الحضارية والفكرية
كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية

مجلة القرطاس

الدراسات الحضارية والفكرية



دورية علمية محكمة تعنى بالبحوث
في الحضارة والفكر ببلاد المغرب

ISSN 1112 - 993 X

العدد 01 - سبتمبر 2012

Université Abou-Bekr Belkaid - Tlemcen

Laboratoire des Etudes Civilisationelles et Intellectuelles

Faculté des Sciences Humaines et Sciences Sociales

Revue El-Kirtas

des études civilisationelles et intellectuelles





N° 01- Septembre 2012

ISSN 1112 - 993 X

بنقلفاط[1]، تعاني كباقي العائلات التلمسانية من تبعات هذا النظام، حيث حولت مصلحة الحالة المدنية الفرنسية اسم العائلة من مصلي إلى مصالي[2]، وكانت تعيش على موارد متواضعة من مردود أرض الصفصاف شرق تلمسان بالمشاركة مع عائلة ممشاوي، وهي تنتمي روحيا إلى الطريقة الدرقاوية[3].

في هذه الظروف وفي يوم 16 ماي 1898 ولد أحمد مصالي[4]، ونشأ تحت الرعاية المادية والمعنوية لجدته بنقلفاط، وبعد وفاتها انتقل رفقة العائلة إلى حي الرحيبة، وعاش هناك في جو يغلب عليه التدين والمحافظة على التقاليد وتعاليم الطريقة الدرقاوية، في حين لم تكن أحوال عائلته جيدة بسبب الفقر والحرمان الذي تشترك فيهما مع غالبية الجزائريين. وكان لأبيه الذي انتقل من العمل في الفلاحة إلى الاشتغال في شركة نقليات بين الحناية والرمشي أثر بالغ في لفت نظر مصالي إلى أن المعمرين هم السبب في تلك الأوضاع لاغتصابهم الأرض[5].

دخل مصالي الكتاب العربي بجامع سيدي الوزان وحفظ عدة أحزاب من القرآن، ولما بلغ السبعة من عمره أدخله أبوه إلى المدرسة الفرنسية التي لم يكن مداوما عليها، حيث كان بالموازاة مع ذلك يتردد على زاوية الشيخ بن يلس[6] الدرقاوية وفيها تعلم مبادئ العربية وأحاط بقسط من المعارف.

وقد تخلى مصالي لفترة عن المدرسة وعمل حلاقا متمرنا ثم إسكافيا، وفي سن العاشرة عمل عند أحد أقربائه بالحناية في محل للبقالة، وقد عانى كثيرا خلال هذه الفترة، ثم انتقل إلى العمل في مصنع للتبغ، وشارك في 1911 في مظاهرة بتلمسان ضد التجنيد الإجباري، وكانت تلمسان خلال هذه الفترة

تعيش حركة هجرة غير عادية خاصة نحو المشرق العربي دعا إليها كبار شيوخ المدينة أمثال الشيخ بن يلس والحاج جلول شلبي[7].

عاد مصالي إلى المدرسة سنة 1913 محاولا استدراك ما فاته، لكنه أخفق في الحصول على الشهادة الابتدائية سنة 1916، وكان رفاقه يلقبونه بمحامي الصف[8].

تأثر مصالي في المدرسة الفرنسية أو في الزاوية الدرقاوية بمعلميه وشيوخه أمثال أبي عياد الذي كان يحث تلاميذه على العمل المنظم، والشيخ بن عودة برصالي الذي كان يكلم مريديه عن العمليات الحربية وقيام مصطفى كمال[9].

إن هذا التكوين البسيط الذي حصل عليه مصالي في المدرسة والزاوية لم يكن كافيا ليفتح ذهنه على مجريات الأمور واستيعاب الأحداث، لكن دون شك قد أمده بأدوات هامة كإمكانية القراءة، غير أنه سيتأثر بعناصر وعوامل أخرى وكان استدعاؤه للخدمة العسكرية قد أحدث تحولا حاسما في مرحلة شبابه.

ففي سنة 1918 استدعي مصالي إلى الجندية، وحينها كانت الحرب العالمية الأولى في نهايتها، فغادر الجزائر في أفريل إلى فرنسا وحارب على الجبهة الأوربية، ثم استقر في بوردو، ولفت انتباهه الفرق الشاسع بين ريفها وتعاسة الفلاحين الجزائريين. وفي 1919 قام بزيارة قصيرة إلى تلمسان. ونظرا لمؤهلاته عين عريفا لكن دون مرتب إضافي وقد حاول الاحتجاج على هذا الإجحاف كتابيا وأجيب بالسلب كونه أهليا[10].

وخلال هذه الفترة كان مصالي يراسل أصدقاءه في الزاوية الدرقاوية والذين كانوا يقدمون له الإرشادات الدينية، وضمن عناصر فصيلته تعرف على

واحتك بالفرنسيين، وكان دائم التردد على مسرح بوردو، واهتم سجل نفسه كمستمع حر في جامعة المدينة ليتلقى دروسا في اللغة ما شارك في محاضرات جامعة السوربون وكوليج دي فرانس[11].

28 فبراير 1921 تحصل مصالي على التسريح من الخدمة العسكرية تلمسان وبحث عن عمل لكنه كان يصطدم باستبداد أصحاب العمل، يه أبوه مساعدته في خدمة ضريح سيدي بومدين، لكن ذلك لم يكن ع اهتماماته، فانكب على المطالعة رغبة منه في زيادة معارفه خاصة بالتاريخ العربي والإسلامي وهو ما كان محروما منه في المدرسة وانضم إلى جمعية أصدقاء الكتاب وبها تعلم أصول الخطابة[12]، كما علاقاته بالزاوية الدرقاوية وكان يحضر عقب كل صلاة مغرب دروس الشيخ محمد مرزوق الذي أثار اهتمامه[13].

إحدى الحفلات بإحدى المقاهي التي كانت غاصة بالسواح الإنجليز ن صعد مصالي على إحدى الطاولات وصاح يحيى مصطفى كمال، إلى مقر الشرطة وأخضع للتحقيق والاستنطاق، وقد أحدث ذلك اجه الثوري[14].

صادف وجوده بتلمسان زيارة الأمير خالد[15] للمدينة في نهاية 1922، محاضرة عبر مصالي من خلال مذكراته عن خيبته الكبيرة منها لكون محاطا خلالها ببرجوازية المدينة، ولم يصدر أي نداء للتنظيم[16].

وقد قارن هذه الزيارة بتلك التي قام بها المحامي بول فايون كوثريي[17] نائب الحزب الشيوعي الفرنسي إلى تلمسان واتصاله بالجماهير، وفضل خطابه على خطاب الأمير خالد وقد يكون مرد ذلك إلى اطلاعه على نداءات الشيوعية العالمية التي كانت توزع مناشيرها في الجزائر منذ 1922، وتأثره بدفاع الشيوعيين عن مصالح العمال والفلاحين وتأييدهم للشعوب المستعمرة[18].

ويبدو أن مصالي لم يجد ما يلبي طموحاته في تلمسان، فلم يعثر على عمل يستقر فيه كما أنه كان تحت ضغط تقاليد العائلة، وهو شاب في الرابعة والعشرين من عمره إذ كان عليه أن يتزوج ويستقر خاصة بعد وفاة والدته (1922)، إضافة إلى ضغط الظروف الاقتصادية لذلك قرر أن يسافر إلى فرنسا[19]، هذه الهجرة التي سوف تغير حياته كليا ويبدأ فصلا جديدا من النشاط والنضال السياسي الوطني.

إن أثر البيئة التلمسانية بثقلها التاريخي والحضاري لا يخفى في جعل مصالي الحاج ذلك الرجل المناضل السياسي المحنك، خاصة في توجهه العربي والإسلامي -دون إغفال تأثير شخصيات مثل الأمير شكيب أرسلان- فهي بلد القرآن والزوايا التي نشأ الرجل في أكفانها وحافظ على تقاليدها حتى مماته.

الهوامش

[1] Jacques Simon, « Messali Hadj, le messalisme et la crise de MTLD », leQuotidien d'Oran, n1126, 3 juin 1999, p9.

[2] بنيامين سطورا، مصالي الحاج (1898-1974) رائد الوطنية الجزائرية، تر: صادق عماري، مصطفى ماضي، دار القصبة للنشر، الجزائر 1999، ص19.

[3] طريقة صوفية كانت معادية للأتراك ثم من بعدهم الفرنسيون، ولها عدة فروع ويتميز مريدوها ببعض الخصائص منها: حمل العصا واتخاذ السبحة ذات الحبات الكبيرة، وإعفاء اللحية أبدا، والسير حفا أو انتعال نعال بسيطة. عبد الحكيم مرتاض، الطرق لصوفية في الجزائر أصولها وتطورها حتى 1939، (مذكرة ماجستير)، معهد الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 1998-1999، ص176.

[4] عقد ميلاد مصالي الحاج مستخرج من بلدية تلمسان.

[5] أحمد الخطيب، حزب الشعب الجزائري: جذوره ونشاطه السياسي والاجتماعي، ج1، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986، ص19.

[6] الشيخ بن يلس (1854-1927): مؤسس الطريقة اليلسية إحدى فروع الدرقاوية، وقد زاد الطريقة انتشارا بتلمسان ومنطقة وهران وأصبح أكبر شيوخها، هاجر إلى سوريا سنة 1911 وواصل نشاطه بها حتى وفاته بدمشق. محمد قنانش، محفوظ قداش، نجم الشمال الإفريقي 1926-1937، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص70.

[7] حول هذه الهجرة يمكن الرجوع إلى: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930)، ج2، ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص125 وما يليها.

[8] بنيامين سطورا، المرجع السابق، ص24.

[9] محمد قنانش، المصدرالسابق، ص70. وقد تولى الشيخ بن عودة برصالي التعليم بالزاوية خلفا للشيخ محمد بن يلس.

[10] Messali Hadj, les mémoires de Messali Hadj (1898-1938), éd.1 Lattés, paris, -10 1982, p.106.

[11] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص398.

[12] Messali, op.cit., p.119.

[13] Khaled Merzouk, L'itinéraire du Cheikh Si Mohammed Merzouk (1884–1939), Tlemcen, 2003, p.37.

[14] محمد قنانش، المصدر السابق، ص70.

[15] الأمير خالد الهاشمي حفيد الأمير عبد القادر الجزائري، ولد سنة 1875 وأصبح ضابطا أهليا سنة 1879. شارك في الحرب العالمية الأولى برتبة نقيب ثم تقاعد عقب ذلك واتجه للنشاط السياسي والنيابي، وأصدر جريدة الإقدام ورفع مطالبه إلى مؤتمر فرساي سنة 1919. توفي سنة 1936. علي بورنان، شخصيات بارزة في كفاح الجزائر، ج2، دار الأمل، الجزائر 2004، ص37-48.

[16] Messali, op.cit., p.121-124.

[17] قام المحامي كوثريي بجولة قادته إلى معظم المدن الجزائرية من سوق أهراس إلى تلمسان، ونشط خلالها 23 تجمعا، واستمع إليه حوالي 50 ألف شخص بين أوربيين وجزائريين، وقد كتب حول جولته هذه عدة حلقات في جريدة لومانيتي الفرنسية في الجزائر. لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى:

Jacques Jurquet, La révolution national algérienne et le P.C.F. (1920-1939), T.2, ed. du centenaire, paris 1974, p.143-148/431-458.

[18] حول العلاقة بين الحركة الوطنية الجزائرية والشيوعية ينظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص337-345. وكان كوثريي قد قدم تقريره حول إفريقيا والشيوعية إلى الأممية الشيوعية.

[19] أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص122.



الفسطاط
المجلة التاريخية

حركة العلماء بين المغرب الأوسط الزياني ومصر المملوكية و دورها في تمتين الروابط الثقافية بين البلدين

الأستاذ عبد الرحمن بالأعرج
قسم التاريخ وعلم الآثار – كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان

ظلت العلاقات الثقافيّة والتبادل العلمي بين المغرب والمشرق في نمو وازدياد منذ الفتح الإسلامي وطيلة فترة العصور الوسطى، وكانت الحواضر الكبرى خاصة تلمسان والقاهرة تستقبل الطلاب والعلماء الوافدين عليها، وكانت مراكز إشعاع تتوفر على عناصر الجذب الثقافي من حيث كونها مقرا لحكم والسلطان وميدان الحركة العلمية والمؤسسات التعليمية، واستمر تنقل الأساتذة والشيوخ والطلاب بينها حتى في أوقات الأزمات السياسية وأزمنة القطيعة بين الدول الّتي كانت تتنافر لأسباب سياسيّة بالخصوص([1]).

وكانت رحلات وتنقلات العلماء بين مدن المغرب الأوسط ومصر لمزيد الاستفادة وطلب العلم والمناظرة أو للتدريس في المساجد والمدارس والخانقاوات والزوايا، أو لنسخ بعض الكتب والمؤلفات ذات الصيت الذائع في العالم الإسلامي([2]).

ويمكن تحديد أبرز مميزات حركة العلماء بين البلدين بما يلي:

- فمن ناحية نسبة التوافد المتبادل، ما يمكن ملاحظته في هذا الجانب هو أنّ نسبة توافد علماء المغرب الأوسط على مصر كانت أكبر بكثرة من نسبة توافد علماء مصر على المغرب الأوسط، ويمكن تعليل ذلك بعدّة أسباب، منها أن بلاد المشرق عموما ومصر على وجه التحديد كانت المقصد الأول لعلماء البلاد والإسلاميّة قاطبة، بسبب مكانتها العلمية وازدهار الحياة الثقافية بها، خاصة بعدما صارت عاصمة للخلافة العباسيّة بعد سقوط بغداد و انتقال العلماء العراقيين إليها فرارًا من قمع المغول([3])،كما أنّها كانت المعبر الرئيسيّ للحجيج المغاربة القاصدين إلى الحجاز([4]).

ولم يكن علماء مصر بحاجة ماسة إلى الانتقال إلى بلاد المغرب خاصّة لطلب العلم، لأنّهم كانوا يلتقون بالعلماء المغاربة إمّا في القاهرة أو في الحجاز أين كان يتم بينهم التبادل العلمي والثقافي، لذلك لا تمدنا كتب التراجم بأسماء كثيرة للعلماء المصريين الّذين سجلت لهم رحلات إلى المغرب الأوسط([5]).

كانت حركة العلماء بين البلدين متأثرة بالظروف السياسيّة والثقافيّة والاجتماعيّ لكلّ من المغرب الأوسط ومصر، لذلك نسجل تفاوتًا في إحصاء أعداد العلماء المغاربة الّذين ارتحلوا إلى مصر عبر فترات تاريخ الدّولة الزيانيّة والمملوكيّة([6]).

وكان العلماء الذين يرتحلون بين البلدين وخاصّة من المغرب الأوسط باتجاه مصر ينسجون علاقات ثقافية وعلميّة قوية مع أقرانهم من خلال الجلسات العلميّة الّتي كانوا يتبادلون فيها الآراء في العلوم والمصنفات والمستجدات في المسائل الفقهية والعلمية المختلفة، وكانت هذه الجلسات تتم داخل المؤسسات التعليميّة كالمساجد والمدارس والخوانق والرّبط والزوايا الّتي كانت منتشرة بالقاهرة والمدن المصرية الأخرى، وكان علماء المغرب الأوسط عادة ما يعرض عليهم المماليك الوظائف العلمية كالتدريس و الإعادة بهذه المؤسسات مع الإكرام والرواتب المغرية، فيستفيد منهم الطلبة المصريون، ولم يكن التدريس بالنسبة للمغاربة مقتصرًا على المدارس الّتي كانت مخصّصة للمالكيّة فقط بل درس بعضهم في المدارس الشافعية وحتى الحنفيّة، كما لم يقتصر احتكامهم بالعلماء المالكيين فحسب بل اختلطوا وتبادلوا المعارف مع الفقهاء من جميع المذاهب وبدون تمييز ممّا يسمح لنا بالقول بأن مصر كانت تعيش جوا من التسامح والتعايش بين المذاهب الفقهية السنية المختلفة، وهو ما جعل مسألة التبادل الثقافي تتجاوز الأطر المذهبية والعرقيّة، فتوسعت المعارف العلمية لدى علماء البلدين .

وفيما يلي عينة عن بعض العلماء من المغرب الأوسط من الّذين قصدوا مصر ودرسوا بها وكذلك عيّنة عن علماء مصر ممن قصدوا والمغرب الأوسط واستفادوا من علماء تلمسان.

عينة من العلماء:

كثر عدد العلماء المرتحلين من المغرب الأوسط باتجاه مصر و منهم:

أبو إسحاق ابراهيم بن يخلف التنسي (ت:680هـ/1281م):

بعد ما درس بمسقط رأسه تنس، وبمليانة وشلف وتلمسان وبجاية وتونس، ارتحل إلى القاهرة والتقى في رحلته أعلام المصريين كالشمس الأصبهاني([7]) وشهاب الدين القرافي (ت 684هـ/1286م)([8]) والشيخ سيف الدين الحنفي، وأخذ عنهم مجموعة من العلوم والمصنفات والإجازات العلميّة([9]).

وعرض عليه نقيب الجيوش بالديار المصريّة الأمير طيبرس بن عبد الله الوزيري (ت719هـ/1419م) وظيفته التدريس بمدرسته الّتي أنشأها بجوار الجامع الأزهر بالقاهرة وقرر بها درسًا للفقهاء الشافعيّة([10])، لكن أبا إسحاق التنسي رفض الوظيفة واعتذر عنها رغم إصرار الأمير المملوكي الّذي قام بتكليف الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد قاضي القضاة لإقناعه، كما عرض عليه راتبا مغريًا لكنه أصرّ على عدم القبول([11]).

وقد وفرت هذه الرحلة لأبي إسحاق التنسي إضافة إلى زيادة معارفه في المنطق والجدل والعلوم الدينية أن صارت له سمعة طيبة في المشرق والمغرب، وعاد إلى تلمسان وقد انتهت إليه رئاسة المذهب المالكي واستفاد منه طلبة العلم بها ([12]).

محمد بن عبد الله حافي رأسه (ت:693هـ/1290م):

هو محي الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر المالكي التلمساني، ولد سنة 606هـ/1209 بتيهرت([13]) وتعلم بتلمسان([14]) ، ثمّ ارتحل إلى مصر واستقر بالإسكندريّة وأخذ بها عن جملة من العلماء ([15])، ثمّ تصدّر للتّدريس مدّة طويلة و تخرّج به الكثير من العلماء منهم تاج الدّين الفاكهاني([16])، و انتهت إليه رئاسة النّحو بالإسكندريّة و صار شيخ هذا العلم بها([17])، وكان أحد النّحاة الثلاثة المشهورين بالمشرق، حتّى قيل : حافي رأسه بالإسكندريّة و ابن ([18])

مالك بدمشق وابن النحاس بمصر([18]).
وكان في رأسه حفرة فقالوا حفي رأسه، و قيل كان أوّل أمره مكشوف الرّأس فأعطي ثيابا فقال : هذا لبدني ورأسي حافي؟ فأمر له بعمامة([19]).

محمد بن إبراهيم الآبلي (ت:757هـ/1356م):

ارتحل الآبلي إلى مصر، وقد واجهته محنة كبيرة في سفره بحرًا، حيث ركب السفينة من تونس إلى الإسكندرية و أصيب بمرض أثناء الرّحلة، مما تسبب في عدم تمكنه من استغلال رحلته بشكل جيد، و ممن التقى بهم من العلماء بمصر: ابن دقيق العيد، وابن الرّفعة، والصفي الهندي، والتبريزي([20])، ثمّ حجّ ورجع إلى تلمسان، ولازم علماء فاس ومرّاكش وانتصب للتدريس وغصت مجالسه بالطلبة وانتشر علمه العقلي والنقلي وبثّ آراءه التي كانت تبدو غريبة عن علماء ذلك العصر في نفوس وعقول تلاميذه الذين أخرجوها إلى الوجود من خلال مؤلفاتهم خاصة عبد الرّحمان بن خلدون([21]).

أبو عبد الله المقرّي (ت:759هـ/1359م):

ارتحل المقري إلى المشرق، وعند مروره بمصر التقى بالكثير من العلماء منهم: أثير الدين أبا حيّان الغرناطي وروى عنه واستفاد منه، وشمس الدين الأصبهاني وشمس الدين بن عدلان الذي سمع منه بعض شروحه على كتب المزني، وشمس الدين بن اللّبان، وفقيه المالكيّة أبا محمد المنوفي، وتاج الدين التبريزي([22]) وغيرهم، ثمّ انتقل إلى باقي المراكز الثقافيّة كمكّة و المدينة ودمشق وبيت المقدس وناظر وأفادوا استفاد، ثم رجع إلى تلمسان وانتهت به الرّحلة إلى غرناطة، وممّن تخرّج عنه ابن خلدون ولسان الدين بن الخطيب([23]).

ابن أبي حجلة التلمساني (ت:776هـ/1375م)([24]):

ولد بتلمسان سنة 725هـ/1325م وسط عائلة صوفيّة، وتعلّم على شيوخ المدينة، ثمّ ارتحل رفقة عائلته إلى المشرق فزرا الحجاز، واستقر بدمشق، ثم ارتحل منها إلى القاهرة، وتولى مشيخة الصوفيّة بجامع صهريج منجك([25]) بظاهر المدينة في أواخر حياته، وتوفي بالطاعون سنة 776هـ/1375م([26]). وكان ابن أبي حجلة شاعرًا وأديبًا، وألّف أكثر من ثمانين مصنفًا في العلوم الدينيّة والنّحو والآداب([27]) أهمها ديوانه الشعري المسمى "الصّبابة" والّذي كان موضوعه المحبّة، وقدّمه إلى السلطان النّاصر حسن([28]) سنة (756هـ/1355م)([29]).

ابن مرزوق الخطيب (ت 781هـ/1379م) :

يعد ابن مرزوق الخطيب من أبرز علماء المغرب الأوسط الّذين كان لهم أثر ملحوظ في مصر نظرًا لمكانته المعتبرة بين العلماء المصريين وعند السلطان المملوكي والأمراء المماليك، وكانت له عدة رحلات إلى مصر التقى خلالها كبار العلماء وتولى الوظائف العلمية بالمدارس المملوكيّة، فارتحل أول مرّة سنة 717هـ/1317م وعمره 15 سنة([30])، ثمّ ارتحل مرّة ثانيّة ما بين 724هـ/1324م و729هـ/1329 جاور خلالها مع والده بمكّة والمدينة مدّة خمس سنوات وزار خلالها القدس والخليل([31])، وفي سنة 734هـ/1334م ارتحل مع والده للمرّة الثالثة وأقام رفقة والده بالقاهرة لمدّة سنتين تزود خلالها بالعلوم على كبار الشيوخ المصريين في العلوم الدينية والتصوف ومنهم بالقاهرة علاء الدين القونوي (ت:729هـ/1329م): تقي الدين محمد الأقنائي (ت:750هـ/1349م)، جلال الدين القزويني (ت739هـ/1339م) والبرهان الحنبلي (ت:741 هـ/1340م) ومحمد بن نباتة الفارقي (ت:768هـ/1366م) وأبي محمد بن المنير (ت:733هـ/1353م)([32])، وأبي حيان (ت:745هـ/1344م) وتقي الدين السبكي (ت:756 هـ/1355م) وبالإسكندرية: أحمد المرادي بن العشاب، وأبي القاسم بن علي بن البراء، وناصر الدين بن منير (ت 733هـ/1337م)([33]).

وكان ابن مرزوق الخطيب لمّا ارتحل مع والده و كان عمره آنذاك 19 سنة، حمله إلى الشيخ المتصوف محمّد المرشدي([34]) الّذي قدّمه لإلقاء خطبة الجمعة، فاستحسن المرشدي خطبته وسمّاه بالخطيب، و أمره بأنّ يخطب بالجامع الغربي بالإسكندريّة([35]).

وقد ذاع صيت ابن مرزوق بمصر فعرض عليه العمل كمعيد للدّروس بجامع الحاكم وجامع ابن طولون و مرتّب مغر لكن والده الّذي كان يصاحبه في رحلته رفض ذلك([36]).

وفي سنة 763هـ/1360م، ارتحل ابن مرزوق إلى مصر بنية الاستقرار([37])، فنزل الإسكندريّة ثمّ قدم القاهرة، فأكرمه السلطان الأشرف شعبان وولاه الوظائف العلميّة والتدريس بالخانقاه الشيخونية([38]) والمدرسة الصرغتمشية([39]) والنّجمية، وكان له حرمة وقدر كبير عند المماليك، وظلّ ملازمًا لنفع الطلبة حتّى وفاته بالقاهرة سنة 781هـ/1379م، و كان من المرشحين لتولي قضاء قضاة المالكيّة بمصر([40]).

أبو الفضل محمّد بن إبراهيم بن عبد الرّحمن بن محمّد بن الإمام (ت845 هـ/1443م):

درس بتلمسان و تمكن في علوم البيان و التصوف و الطب و الآداب، وقد أثنى عليه كل من السخاوي و المقريزي([41])، ارتحل على القاهرة وزار القدس، وتزاحم عليه النّاس بدمشق، وهو أوّل من أدخل بعض الكتب المشرقية إلى بلاد المغرب منها كتاب شامل بهرام وشرحه على المختصر، و حاشية التفتازاني على العضد وشرح ابن هلال على ابن الحاجب الفرعي وغيرها من الكتب الّتي لم تكن معروفة ومتداولة بالمغرب([42])، وممّن أخذ عنه بمصر الشيخ تقي الدين الشمني شارح المغني([43]).

قاسم بن سعيد العقباني (ت 854هـ/1450م)([44]):

درس بتلمسان ثم ارتحل إلى مصر سنة 830هـ/1430م ، وحضر إملاء ابن حجر العسقلاني، واستجاز ابن حجر فأجازه، ابن حجر فأجازه، وحضر درس البساطي([45])، وانتفع بهما كثيرًا، وعاد إلى تلمسان بدرجة علمية كبيرة ما أهله لتولي التدريس وتخرج به الكثير من علماء تلمسان أمثال ابن زكري وابن مرزوق الكفيف وغيرهما([46]).

و من العلماء المصريين الذين ارتحلوا إلى المغرب الأوسط:

عبد الباسط بن خليل بن شاهين الشيخي الأصل الملطي ثمّ القاهري الحنفي (ت:920هـ/1514م)([47]):

([48])

ولد عبد الباسط بن خليل سنة 844هـ/1440م بملطية([48]) ونشا بها و بحلب و دمشق، التي قرأ فيها القرآن ومع القراءات، ثم حفظ منظومة النسفي والكنز ونصف المجمع، وأقرأه أبوه([49]) الكثير، وحضر دروس قوام الدين وحميد الدين النعماني وغيرهما من علماء الحنفية، وقرأ على جماعة من علماء الروم كالعلاء الرومي قاضي قضاة العسكر بدمشق، والبرهان البغدادي في مدينة طرابلس الشام، وقدم القاهرة ولازم النجم القرمي في العربية والمعاني والبيان، والشرف يونس الرومي نزيل الخانقاه الشيخونية في المنطق والحكمة والكلام، والمحيوي الكافياجي الّذي استفاد منه كثيرًا وأجاز له الشّمني وابن الدّيري وآخرون([50]).

ومال عبد الباسط إلى دراسة علم الطب، و لما كانت بلاد المغرب لا تزال مشهورة بهذا العلم قرّر أن يرتحل للأخذ عن كبار علماء الطب بها عبر حواضرها([51]).

وتحت ستار التجارة غادر الإسكندرية على ظهر سفينة للتجّار الجنوبيين سنة 866هـ/1465م، ونزل طرابلس ثم قصد تونس، الّتي وصلها في يوم الأربعاء 12 ذي القعدة 866هـ/1465م بعدما بقوافي البحر ثلاثا وثلاثين يومًا([52])، ثمّ توجّه على بجاية في ذي القعدة 868هـ/1467م واجتمع بالشيخ أبي القاسم محمّد المشدالي وأخذ عنه الكثير([53]) ثمّ دخل مدينة الجزائر وتبرّك بالشّيخ الوليّ عبد الرّحمان الثعالبي وسمع بعضا من فوائده وسأله بعض الأسئلة التي كانت تشكل عليه فأفاده بإجاباتها كما رأى تفسيره وقرأ عليه من أوائله بعض السطور وأجازه([54]).

ثم قصد تلمسان ومر في طريقه إليها مدينة مازونة وقلعة هوّارة والبطحاء ودخل تلمسان في أواخر ذي القعدة 868هـ/1468م([55])، وصادف وصله إليها مناسبة عدد النّحر أو عيد الأضحى فحضر الاحتفال في المصلّى بظاهر المدينة مع السلطان محمد بن أبي ثابت([56]). وفي المحرم سنة 869هـ/1467م قصد عبد الباسط العبّاد بظاهر تلمسان وزار ضريح القطب أبي مدين شعيب واجتمع بالشيخ أبي عبد الله محمد بن العبّاس([57]). وقال عنه: "عالِمها وخطيب جامع العبّاد تغمّده الله، فوجدته بحرًا في الفنون العلمية آية في ذلك، فأنسى بي ثم سمعت من خطبته الّتي شنف بها الأسماع و موعظته الّتي بها الانتفاع وترددت إليه بعد ذلك وحضرت كثيرًا من دروسه الحافلة في كثير من الفنون العلمية واستنفذت الجم من فوائده في مدة ستة شهور وكان أجل علماء تلمسان في عصره ذلك ولا من السّن نحو الثمانين سنة أو جاوزها مع تمتّعه بحواسه وسلامة بدنه"([58]).

كما التقى عبد الباسط من علماء تلمسان قاضي الجماعة بها الشيخ أبو عبد الله محمد العقباني أخيه أبي سالم إبراهيم([59]) خطيب جامع تلمسان الكبير وإمامه الشيخ محمد بن مرزوق الكفيف([60]) الشيخ ابن زكري مفتي تلمسان، والشريف يحي بن أبي الفرج([61]) قريب الشريف التلمساني قاضي غرناطة([62]).

كما التقى بالطبيب محمد بن علي بن فشوّش أحد أطبّاء تلمسان وسمع من فوائده وحضر دروسه و أجازه([63])، ولازم في الطّب الطبيب موشي بن سموال بن يهود الإسرائيلي المالقي الأندلسي اليهودي المعروف بابن الأشقر وقال عنه: " لم أسمع بذمي ولا رأيت كمثله في مهارته في هذا العلم وفي علم الوفق والميقات وبعض العلوم القديمة مع التعبد الزائد في دينه على ما يزعمه ويعتقده وهو في الأصل من يهود الأندلس وولد بمالقة قبل 820هـ وأخذ عن أبيه وغيره وشهر في صناعة الطب وانتقل إلى تلمسان فقطنها وقصده الكثير من الفضلاء للأخذ عنه، لازمته مدة وأخذت عنه نبذة كبيرة نافعة في الطّب وغيره وأجازني"([64]).

وفي 24 ربيع ثاني سنة 869هـ/24 ديسمبر 1464م اتجه عبد الباسط نحو مدينة وهران ووصلها بعد ثلاثة أيام و أقام بالقرب من زاوية الشيخ إبراهيم التازي والتقى بكبار علماء المدينة أمثال الشيخ أبو العبّاس أحمد بن العبّاس المالكي مفتي وهران والشيخ سليمان الحميدي([65]).

وفي وهران دائما حضر عبد الباسط وليمة في منزل خطيب المدينة بمناسبة ختم ولده للقرآن وحضرها جماعة من الأعيان المدينة و أهل البلد وحصل الشيخ عبد الرحمان بن عزوز إمام الزاوية التازية و فقيه المكتب الّذي أنشأه الشيخ المذكور وهو فقيه الصبي الّذي أتم حفظ القرآن كمية كبيرة من المال قدّرها عبد الباسط بـ 100 دينار ذهبا([66]).

ثم توجه من وهران إلى تلمسان في شهر رمضان 869هـ/1464م ونزل في بيت صاحب الأشغال عبد الرحمان بن النجّار وكان له نفوذ كبير في الدولة الزيانية، وسأله ابن النجّار أن ينظم قصيدة يمدح فيها السلطان الزياني يوم عيد الفطر فأجابه عبد الباسط نظم قصيدة مكونة من 40 بيتًا و لما وصلت إلى السلطان دعاه إليه ورفع من شأنه وشكره على ذلك وكتب له ظهيرًا بمسامحته في كل ما كان يتصرف فيه من البضائع لما أنه كان تاجرًا، وأمر بإقامة نزل له بوهران إلى حين سفره من المغرب الأوسط ورتّب له طعامًا، وسأله عن مواضع من القصيدة أشكلت عليه فأجابه عنها وباحثه في ذلك، فقال عبد الباسط عنه: " فوجدته ممن ينسب للعلم والفضيلة التامّة ومعرفة الأدب و نقد الشّعر"([67]).

وأمر السلطان الزياني بأن تكتب القصيدة بخطّ جيّد و أن يقرأها إنسان من أهل تلمسان ممّن له حسن الصوت حتى ينشدها بين يديه في يوم العيد، وممّا جاء فيها:

أعني المليك الّذي شاع مكارمه *من آل زيّان أقيـال أماجيد

هم الملوك وأبناء الملوك ومن *يقل سوى ذا فذاك القول مردود([68]).

ثمّ قصد عبد الباسط الأندلس من وهران و جال في بعض المدن، ثمّ عاد إليها واستقرّ بها مدّة، وسافر عائد على مصر سنة 871هـ/1464م([69])، وقد بلغت شهرته الآفاق كفقيه حنفي وكخبير في علم الطب، وزهد في آخر حياته([70]) وتوفي سنة 920هـ/1514م، وقد أثنى عليه علماء عصره كالسخاوي الّذي سمع من نظمه وفوائده([71]).

وساهمت حركة علماء المغرب الأوسط إلى بلاد المشرق في إدخال كتب مصريّة لقيت العناية من طرف الطبقة المثقفة علماء وطلبة فعكفوا على دراستها وشرحها واختصارها وتدريسها في المساجد والمدارس، ومن أشهر هذه المؤلفات:

- مختصر ابن الحاجب في فروع الفقه المالكي: [72]

وقد ألّفه أبو عمرو عثمان بن الحاجب (ت 646 هـ/1248م) ([72]) الذي يعد أوّل من جمع بين فقه المالكيّة في مصر وبلاد المغرب، و كتابه عبارة عن مؤلف لخص فيه طرق أهل المذهب المالكي في كلّ باب، وعدّد أقوالهم في كلّ مسألة، فجاء كالبرنامج للمذهب([73])، وأدخله إلى بلاد المغرب كبير مشائخ بجاية أبي علي ناصر الدين الزواوي الذي كان قد ارتحل إلى مصر وأخذ العلم على أصحاب أبي عمرو بن الحاجب، ونسخ مختصرة، وجاء به ونشره ببلده، ومن بجاية انتقل إلى سائر أقطار المغرب بما فيها تلمسان([74])، وأكب الطلبة على دراسته وقراءته وتداوله، حتّى صار من مصادر الفقه المالكي وأحد الكتب الأساسيّة في تدريس العلوم الدينيّة في بلاد المغرب بأكملها([75]).

وإضافة إلى هذا المختصر في الفروع، تداول علماء وطلبة المغرب الأوسط كتابا آخر لابن الحاجب في الأصول وهو مختصره الأصلي أو المختصر الكبير المسمّى "السول والأمل في علمي الأصول و الجدل"، واعتنوا بشرحه ودراسته مع المختصر الفرعي، وأهم ما كتب حولهما :

- صنف أبو زيد عبد الرّحمان بن الإمام (ت:743ه/1343م) كتابًا ضمنه شرحًا لمختصر ابن الحاجب في الفروع([76])، كما ألّف ابن أبي حجلة التلمساني (ت:776ه/1374م) شرحًا لمختصر ابن الحاجب الأصلي([77])، وألّف أبو عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب شرحًا لابن الحاجب الفرعي سماه "إزالة الحاجب على فروع ابن الحاجب"([78]) وصنف ابن مرزوق الحفيد "شرح فرعي ابن الحاجب"([79])، وألف ابن زاغو التلمساني شرحًا على مختصر ابن الحاجب الفرعي وبعض الأصلي([80])، وألّف سعيد العقباني شرحًا على ابن الحاجب الأصلي([81])، كما ألّف محمّد عبد الكريم المغيلي" شرح بيوع الآجال من ابن الحاجب"([82]) وألف الشيخ السنوسي تعليقا على فرعي ابن الحاجب([83])، وألّف أحمد بن يحي الونشريسي تعليقا على ابن الحاجب الفرعي في ثلاثة أسفار([84]). وألّف ابن زكري،"بغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب"([85])،وألّف أبو عبد الله المقري الجدّ حاشية على مختصر ابن الحاجب([86])،وألّف عبد الرّحمان الثعالبي:"شرح ابن الحاجب الفرعي"في سفرين([87]).

- مختصر خليل:

ألفه الشيخ خليل بن إسحاق بن موسى بن شعيب المالكي المصري (ت:767ه/1367م) ([88])، وهو عبارة عن مصنف في الفقه المالكي، وذكر أنّه بقي في تأليفه 25 سنة، وأنّه وصل فيه إلى فصل النكاح وباقيه وجد في تركته في أوراق مسودة فجمعه أصحابه وضموه إلى ما ألفه فكمل الكتاب([89]) .

وقد دخل هذا الكتاب إلى بلاد المغرب وانتشر وذاع صيته حتّى صار من الكتب المعتمدة في تدريس العلوم الدينية إضافة إلى الموطأ ومختصر ابن الحاجب والمدونة والرسالة لابن أبي زيد، وقد أثنى عليه علماء المغرب عامّة، وألّفوا عليه الشروح والتعاليق حتّى بلغت ستين تعليقًا بين شرح وحاشية([90]).

ومن العلماء الذّين اهتموا بدراسته وشرحه ابن مرزوق الحفيد الّذي ألّفه عليه:" المنزع النبيل في شرح مختصر خليل"([91]) وعبد الكريم المغيلي الذي صنّف"إيضاح السبيل في بيوع آجال خليل"([92])، وأبو عبد الله محمد بن عمر بن الفتوح التلمساني (ت 818هـ/1415م) الذي أدخله إلى فاس([93]).

- كتاب تنقيح الفصول في الأصول:

ألفه شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي الصنهاجي المصري (ت:684هـ/ 1286م) ([94]). وهو كتاب في مقدمات وقواعد علم الأصول، وقد لقي عناية علماء المغرب الأوسط و ألّفوا عليه الشروح وأصبح مقرّرًا في برنامج تدريس العلوم الدينيّة([95]).

- ألفية ابن مالك في النحو:

ألفها الشيخ العلامة جمال الدين أبي عبد الله محمّد بن عبد الله الطائي الجياني المعروف بابن مالك النحوي (ت:672هـ/ 1273م) ([96])، وهي عبارة عن مقدّمة جمع فيها مقاصد اللّغة العربيّة وسماها الخلاصة واشتهرت بالألفيّة لأنها نظمت في ألف بيت في الرجز ومطلعها:

قال محمد هو ابن مـــالك * أحمد ربّي الله خير مـــالك([97]) .

وأصبحت هذه الألفية من المقررات في تدريس آداب اللّغة العربيّة بالبلدين.

وقد ألّفت عدّة شروح عليها في كلّ من مصر والمغرب الأوسط و منها: شرح ابنه بدر الدّين أبي عبد الله محمّد (ت 686هـ/ 1286م) ([98])، وكتب على هذا الشرح عدّة حواشي منها حاشية للشيخ عز الدين محمّد بن أبي بكر بن جماعة الكناني (ت 819ه/ 1417م) ([99]) ، وتعليقا للشيخ جلال الدين السيوطي (ت 911ه/ 1505م) ([100])، وشرح العلامة تقي الدين الشمني (ت: 872ه/ 1470م) ([101])، وشرح أبي حيان النحوي (ت 715ه/ 1315م) ([102])، وشرح أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد (ت 842ه/1439م) ([103]) سماه إيضاح المسالك على ألفيّة ابن مالك انتهى فيه إلى إسم الإشارة أو الموصول في مجلد، كما ألّف مجلدا في شرح شواهد شراحها إلى باب كان وأخواتها، كما ألّف أرجوزة في اختصار الألفيّة([104]).

- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد في النّحو: لابن مالك صاحب الألفيّة، وهو عبارة عن كتاب جامع لمسائل النّحو، و اعتنى به العلماء و صنّفوا له شروحًا([105])، مثل شرح ابن مرزوق الحفيد([106]).

- **مغني اللبيب من كتب الأعاريب أو المغني لابن هشام (ت 761ه/1360م):** هو كتاب في علوم اللّغة العربية والنحو، و قد أثنى عليه عبد الرحمان بن خلدون كثيرًا و قال عن مؤلفه ابن هشام: " مثل ما وصل إلينا بالمغرب لهذا العهد من تأليف رجل من أهل صناعة العربية من أهل مصر يعرف بابن هشام، ظهر من كلامه أنّه استولى على غاية ملكة تلك الصناعة، لم تحصل إلاّ لسيبويه ([107]) وابن جني ([108]) وأهل طبقتهما لعظم ملكته وما أحاط به من أصول ذلك الفن وتفاريعه وحسن تصرفه

فيه"([109]).

وأضاف في موضع آخر: " ووصل إلينا بالمغرب لهذه العصور ديوان من مصر منسوب إلى جمال الدين بن هشام من علمائها استوفى فيه أحكام الإعراب مجملة ومفصلة. وتكلّم على الحروف والمفردات والجمل، وحذف ما في الصناعة من المتكرر في أكثر أبوابها وسماه المغني في الإعراب. و أشار إلى نكت إعراب القرآن كلّها وضبطها بأبواب وفصول وقواعد إنتظمت سائرها فوقفنا منه على جم يشهد بعلو قدره في هذه الصناعة و وفور بضاعة منها، وكأنّه ينحو في طريقته منحى نحاة أهل الموصل الّذين اقتفوا أثر ابن جنيّ واتبعوا مصطلح تعليمه، فأتى من ذلك بشيء عجيب دال على قوّة ملكته و اطّلاعه"([110]).

وأصبح هذا الكتاب من المقرّرات الأساسيّة لتدريس علوم اللّغة العربيّة في المؤسّسات التعليميّة بالمغرب الأوسط.

- البردة للبوصيري: ألّفها شرف الدّين البوصيري (ت 695 هـ/ 1296م) ([111])، و هي عبارة عن نظم في مدح الرسول صلّى الله عليه وسلّم، و اهتم علماء تلمسان خاصّة ذوي الميول الصوفيّة بشرحها، مثل شرح سعيد العقباني (ت 811 هـ/1408م) ([112])، كما ألّف ابن مرزوق الحفيد ثلاثة شروح عليها هي الشرح الأكبر المسمى "إظهار صدق المودة في شرح البردة"([113]) والأوسط، والأصغر المسمى" الاستيعاب لما فيها من البيان و الإعراب"([114]).

- الجمل في مختصر نهاية الأمل في المنطق: لمحمد بن نامارو بن عبد الملك الخونجي الشافعي (ت:646 هـ/ 1247م) نزيل مصر، و قد ألف عليه علماء المغرب الأوسط الكثير من الشروح([115]).

- حكم ابن عطاء الله السكندري: ألّفها تاج الدّين أحمد بن عطاء الله السكندري (ت:709هـ/1309م) تلميذ الشيخ أبي الحسن الشاذلي و أبي العبّاس المرسي، وهي عبارة عن أقوال منثورة في التصوّف لشيوخ الطريقة الشاذليّة، وأصبحت من المقرّرات الدراسيّة بالمغرب الأوسط إضافة إلى شرحها لابن عبّاد الرندي (ت 792هـ/1392م) ممثل الطريقة الشاذليّة بالأندلس([116]).

وقد انعكس دخول هذه الكتب وغيرها إلى بلاد المغرب الأوسط إيجابًا على تطور العلوم الدينيّة و اللّغويّة و العقليّة، ولما صارت من المقرّرات الّتي على طلاب العلم دراستها، فإنّها كانت من أبرز الوسائل الّتي ساهمت في تمتين الروابط العلميّة والمعرفيّة لدى طلبة وعلماء البلدين على حد سواء و تركت آثارًا في توحيد المعارف وطرق البحث والتأليف.

---

[1] - رشيد الزوادي، "التبادل العلمي بين المشرق والمغرب الإسلامي"، مجلة الحضارة الإسلاميّة، ع1، أبريل 1993، ص 325.

[2] - عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002،ص 329.

[3] - عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981، ص 750 – سحر السيد عبد العزيز سالم، العراقيون في مصر في القرن السابع الهجري، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندريّة، 1991، ص 46 .

[4] - القلصادي (أبو الحسن علي بن محمد بن محمد القرشي البسطي ت 891 هـ/1486م)، رحلة القلصادي تمهيد الطالب منتهى للرّاغب إلى أعلى المنازل والمناقب، تحقيق: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978، ص 65.

[5] - سبق لبلاد المغرب أن عرفت توافد عدّة علماء مشارقة في خضم تيار الفتح الإسلامي بالخصوص و الذين عملوا على نشر الإسلام وتوطيد أركانه وكذلك نشر التعريب. محمد بن محمد مخلوف، شجرة النّور الزّكيّة في طبقات المالكيّة، دار الكتاب العربي، بيروت، 1349 هـ ، ص 97-98- القلصادي، المصدر السابق، ص65.

[6] - عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربيّة والإسلاميّة فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين /3-14هـ ، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1995، ص 252.

[7] - أبو عبد الله محمد بن محمود بن عباد الكافي الأصبهاني نزيل مصر (ت 688هـ/ 1290م)، من تصانيفه شرح المحصول للرازي و كان أصوليا، كما ألّف كتاب القواعد، و عنه أخذ التنسي علوم المنطق و الجدل. الذّهبي (شمس الدّين محمد بن أحمد ت 748 هـ/1348م) سير أعلام النبلاء، ج16،تحقيق: خيري سعيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دون تاريخ طبع، ص 246.

[8] - درس على ابن الحاجب والعز بن عبد السلام، من تآليفه:كتاب التنقيح في أصول الفقه المالكي. مخلوف، المصدر السابق، ص 188-189.

[9] - ابن مريم (أبو عبد الله بن أحمد المليتي التلمساني كان حيّا سنة 1014 هـ/1605م)، البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان، تحقيق: محمد بن أبي شنب، نشر: عبد الرّحمان طالب، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1986، ص 67.

[10] - المقريزي (تقيّ الدّين أبي العبّاس أحمد بن علي ت 845 هـ/1442م)، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، الطبعة الثانية، ج2، مكتبة الثقافة الدينيّة، القاهرة، 1987، ص 383.

[11] - عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق،ج2، ص 329.

[12] - ابن مريم، المصدر السابق، ص 67 – ابن خلدون (أبو زكرياء يحي ت 780هـ/1378م)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج1، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1980، ص 114.
– التنسي (محمد بن عبد الجليل ت 899 هـ/1493م)، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدّر و العقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق: محمود بوعياد، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر،

1985، ص 126.

[13] - الذهبي، المصدر السابق، ج17، ص 175.

[14] - عمّار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربيّة والإسلاميّة فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين (3 هـ/14م)، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1995، ص 244.

[15] - منهم شيوخ الإسكندريّة في النحو: عبد العزيز بن مخلوف بن الجراد، ابن الصفراوي، ابن رواج، أبو زيد بن الزّيات، كما تلقى عن المعيد اليعمري صاحب ابن بري. انظر : الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، ص 175.

[16] - محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 201.

[17] - عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1971، ص 119.

[18] - شاوش (محمّد بن رمضان)، بن دحمان (الغوثي)، الأدب العربي الجزائري عبر النصوص، ج1، دار

بريكسي، تلمسان، 2001، ص 218.

[19] - الذهبي، المصدر السابق، ج17، ص 175.

[20] - عبد الرحمن بن خلدون ، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربًا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981، ص 325-828.

[21] - يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 120 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 214- المقري (أبو العبّاس أحمد بن محمد التلمساني ت 1041 هـ/1631م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب و ذكر وزيرها لسان الدّين بن الخطيب، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر العربي، بيروت، 1998، ج6، ص 202-205., Bouali (S.A), les deux grandes siéges de Tlemcen, ENAL, Alger, 1984. p. 8-21

[22] - المقري، نفح الطيب، ج6، ص 209-229- وللمزيد من التفاصيل انظر دراسة علي رحومة سحبون، الآبلي نابغة المغرب الكبير وأستاذ ابن خلدون (681 – 757ه)، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2009.

[23] - ابن الخطيب (لسان الدين ت 776هـ/1374م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، مطبعة الموسوعات، مصر، 1901، ج2، ص 136-165 – التنبكتي (أبو العبّاس أحمد بن أحمد بابا ت 1032 هـ/1624م)، نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج، طُبعَ على هامش الدّيباج لابن فرحون، مصر، 1351 هـ، ص 249-254 – النّباهي (أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي كان حيًّا سنة 793 هـ/1390م)، تاريخ قضاة الأندلس المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983، ص 169-170 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 154-164.

[24] - انظر ترجمته في: المقري، نفح الطيب، ج2، ص 337 – المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، ج2، القاهرة، 1939، ص 321 – ابن العراقي (ولي الدين أبي زرعة أحمد بن عبد الرّحيم بن الحسين ت 826 هـ/1423م)، الذّيل على العبر في خبر من عبر، ج2،تحقيق: صالح مهدي عبّاس، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، 1989، ص 383 – ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي ت 852هـ/1448م)، الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج1، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، مطبعة المدني، القاهرة، 1966، ص 350 – ابن تغري بردي (جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي ت 774هـ/1470م)، النجوم الزّاهرة في ملوك مصر و القاهرة، ج11، تحقيق: إبراهيم علي طرخان، المؤسّسة المصرية العامّة، القاهرة، 1972، ص 131 ، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، لجنة التأليف والتّرجمة والنّشر، القاهرة، 1934-1972، ص 243 – ابن العماد الحنبلي (عبد الحي بن أحمد بن محمد ت 1089 هـ/1678م)، شذرات الذّهب في أخبار من ذهب، ج6، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ طبع، ص 240 – الحفناوي، المرجع السابق، ص 55.

[25] - بناه الأمير سيف الدين منجك اليوسفي الوزيري سنة 751 هـ/1350م، و جعل به صهريجًا فعرف به و رتب فيه صوفية و خطيبًا للجمعة . انظر: المقريزي، الخطط، ج2، ص 320.

[26] - عبد الرّحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، الجزء الأوّل، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر -دار الثقافة، بيروت، 1982، ج1، ص 173.

[27] - عادل نويهض، المرجع السابق، ص 364-365.

[28] - الناصر بدر الدين أبو المعالي حسن بن محمد بن قلاوون، تسلطن سنة 748 هـ/1348م، وكان المتحدث في الدّولة وصاحب القرار في عهده الأمير شيخو صاحب الخانقاه الشيخونية. ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ج6، تحقيق: محمد محمد أمين، دار الكتب، القاهرة، 1990ص 257 – المقريزي، الخطط، ج2، ص 240.

[29] - ابن العراقي، المصدر السابق، ج2، ص 383 – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 403 – جرجي زيدان، تاريخ آداب اللّغة العربيّة، ج3، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1967، ص 129.

[30] - ماريا خيسوس بغيرا، مقدّمة تحقيق المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن لمحمد بن مرزوق التلمساني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2011، ص 23.

[31] - المقري، نفح الطيب، ج6، ص 323-324 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 184.

[32] - المقري، نفح الطيب، ج6، ص 325 – ماريا خيسوس بغيرا، مقدمة تحقيق المسند، ص 37.

[33] - ماريا خيسوس بغيرا، مقدمة تحقيق المسند، ص 41 – ابن فرحون، المصدر السابق، ص 305-307.

[34] - - محمد بن عبد الله بن إبراهيم المرشدي(ت 737هـ/1337م): محمد بن عبد الله بن أبي المجد إبراهيم المرشدي، كان يقيم بزاوية فوّة بقرية مرشد من قرى الوجه البحري بمصر قرب الإسكندريّة وكان يخدم الواردين بنفسه وكان كثير الإنفاق، وكانت تربطه علاقات قويّة مع الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن مرزوق (ت 741هـ/1341م) وابنه أبي عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب. ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص 116 – ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص 462 – الذهبي، المصدر

السابق، ج17، ص 570

[35] - المقري، نفح الطيب، ج6، ص 344-355.

[36] - عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 333.

[37] - كان للظروف السياسيّة دور كبير في دفع ابن مرزوق الخطيب إلى الارتحال والاستقرار بمصر. ابن الخطيب، كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق: كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينيّة، القاهرة، 2003ص 157-162 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 185 – ابن فرحون، المصدر السابق، ص 309.

[38] - الخانقاه الشيخونية: أنشأها الأمير الكبير شيخو العمري الناصري (ت 758 هـ/1357م) كان من كتابية الملك الناصر، سنة 756هـ/1355م وكان يقام بها درس الحديث والتفسير والقراءات والفقه على المذاهب الأربعة، وكان لكلّ درس شيخ و طلبة، واشترط عليهم حضور الدرس ووظيفة التصوف - المقريزي، الخطط، ج2، ص 420.

[39] - تقع هذه المدرسة خارج القاهرة بجوار جامع ابن طولون، بناها الأمير صرغتمش الناصريمن مماليك الناصر محمد بن قلاوون (ت 759 هـ/1359م) سنة 756-757 هـ/1356-1357م، و كانت من أبدع المباني و أحسنها. المقريزي، الخطط، ج2،ص 403-405 – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج6، ص 242.

[40]- عبد الرحمن بن خلدون، التعريف، ص 848 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 115 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 186-187 – الحفناوي، المرجع السابق، ص 143

[41] - ابن مريم، المصدر السابق، ص 220-221 – السّخاوي (شمس الدّين محمد بن عبد الرّحمان ت 902 هـ/1497م)، الضّوء اللاّمع لأهل القرن التّاسع،ج10، دار مكتبة الحياة، بيروت، دون تاريخ طبع، ص 74 - التنبكتي، المصدر السابق، ص 305 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 254.

[42] - ابن مريم، المصدر السابق، ص 221.

[43] - هو تقي الدين أبي العبّاس أحمد القسنطيني التميمي الحنفي، كان إمام النجاة في زمانه، برع في العلوم الدينية، ولد بالإسكندرية وقدم القاهرة وأخذ بها عن الشمس البساطي والولي العراقي وأبي الفضل بن الإمال التلمساني، توفي سنة 872 هـ/1468م، و من مؤلفاته: شرح مغني ابن هشام. انظر: القلصادي، المصدر السابق، ص 151 – عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 218.

[44] - ابن مريم، المصدر السابق، ص 147-149 – التنبكتي، المصدر السابق، ص 223-224 – السخاوي، الضوء اللامع، ج6، ص 181 – القلصادي، المصدر السابق، ص 106-107 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 255 – الحفناوي، المرجع السابق، ص 85.

[45] - هو قاضي القضاة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان البساطي المالكي (ت 842 هـ)، تخرّج به أغلب علماء مصر وأفتى ودرّس، انظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج15، ص 466 – مخلوف، المصدر السابق، ص 241-242.

[46] - ابن مريم، المصدر السابق، ص 149.

[47] - السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص 27 – السيوطي، نظم العقيان، ص 122 – محمود بوعياد، رحالة مصري يزور الجزائر في القرن 9 هـ، الأصالة، ع 24، 1975، ص 124-135 – زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت، 1981، ص 172 – كراتشكوفسكي (أغناطيوس يوليانوفيتش)، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج1، ترجمة : صلاح الدين عثمان هاشم، مطبعة لجنة التأليف والتّرجمة والنّشر، القاهرة 1963، ص 445.

[48] - ملطية: من مدن الشام، بناها الإسكندر، و بنى جامعها الصحابة بعد الفتح. ياقوت الحموي (شهاب الدين ت 626 هـ/1228م)، معجم البلدان، ج5، دار صادر، بيروت، 1986،ص 192.

[49] - أبوه خليل بن شاهين الظاهري كان من كبار أمراء المماليك و أعلام رجال الإدارة و هو صاحب كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق المسالك. جرجي زيدان، المرجع السابق، ج3، ص 273.

[50] - السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص 27.

[51] - السخاوي، المصدر نفسه، ج4، ص 27 – كرا تشكو فسكي، المرجع السابق، ص 445 –

[52] - عبد الباسط بن خليل، رحلة عبد الباسط، نشر و ترجمة إلى الفرنسيّة روبرت برونشفيك في كتاب :Deux récits de voyage inédits en Afrique du Nord au XV siècle ABDALABA Sit B.HALILET ADORNE, LAROSE éditeurs, Paris, 1936, p.17.

[53] - عبد الباسط بن خليل، المصدر نفسه، ص 41.

[54] - نفسه، ص 41، وهو أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم المشدالي البجائي عالم بجاية ومفتيها وخطيبها (ت 866 هـ)، مخلوف، المصدر السابق، ص263.

[55] - عبد الباسط بن خليل ، المصدر السابق، ص41.

[56] - هو أبو عبد الله محمد المتوكل الزياني، تولى الحكم سنة 866 هـ حتى 873 هـ /1469م. التنسي، المصدر السابق، ص 255.

[57]- هو محمد بن العباس بن محمد بن عيسى العبادي، أخذ عن ابن مرزوق الحفيد وأبي الفضل العقباني وأخذ عنه الحافظ التنسي وابن مرزوق الكفيف والسنوسي وابن زكري. توفي سنة 871 هـ/1469م. ابن مريم، المصدر السابق، ص 223 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 264 – القلصادي، المصدر السابق، ص 109.

[58] - عبد الباسط بن خليل، رحلة، ص 43-44.

[59]- إبراهيم بن قاسم بن سعيد بن محمد العقباني التلمساني قاضي الجماعة ولد سنة 808 هـ و توفي سنة 880 هـ – ابن مريم، المصدر السابق، ص 57-58 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 265.

[60]

- أبو عبد الله بن محمد بن أحمد بن الخطيب بن مرزوق الحفيد (ت 901 هـ)، تفقه بعلماء تلمسان ومصر كأبي الفضل العقباني وأبي زيد الثعالبي والبن حجر، وأخذ عنه الكثير من علماء تلمسان – المقري، نفح الطيب، ج6، ص 347 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 249 – مخلوف، المصدر السابق، ص 268.

[61] - قاضي الجماعة أبو جعفر أحمد بن أبي يحي الشريف التلمساني (ت 895 هـ) – ابن مريم البستان، ص 45 – مخلوف، المصدر السابق، ص 267.

[62] - عبد الباسط بن خليل، رحلة، ص 44.

[63] - المصدر نفسه، الصفحة نفسها – الطّمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1983، ص 230.

[64] - عبد الباسط بن خليل، المصدر السابق، ص 44 – و ص 107 من النّص الفرنسي.

[65] - المصدر نفسه، ص 45.

[66] - نفسه، ص 47.

[67] - نفسه، ص 48.

[68] - نفسه، ص 49.

[69] - كراتشكوفكي، المرجع السابق، ص 446.

[70] - عبد الباسط، المصدر السابق، ص 48.

[71] - السخاري، الضوء اللامع، ج4، ص 27.

[72] - هو أبو عمر وعثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الدوني ثم المصري الفقيه المالكي الذائع الصيت المعروف بابن الحاجب والملقب بجمال الدين. كان أبوه حاجبًا لأحد الأمراء و كان كرديا، واشتغل ابن الحاجب بالقرآن في القاهرة، ثم تفقه على مذهب مالك وفي العربيّة والقراءآت و برع فيها، ثم انتقل إلى دمشق و درس بجامعها، وأكب عليه الطلبة، ألف في الفقه المختصر الفرعي والأصلي وفي العربيّة والأدب والقراءات . توفي بالإسكندريّة سنة 646 هـ/1248م و كان مولده سنة 570 هـ/1174م. انظر ترجمته في: النعيمي الدمشقي، الدارس في تاريخ المدارس، ج2، ص 3- ابن فرحون، الديباج، ص 189- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج16، ص 492- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص 36- المنهل الصافي، ج7، ص 421-423- ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج5، ص 234- محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ص 167.

[73]- ابن خلدون، المقدّمة، ص 808.

[74] - ابن خلدون، المقدّمة، ص 809 – الغبريني (أبو العبّاس أحمد بن أحمد ت 704 هـ/1304م)، عنوان الدّراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 200 – محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ص 167-218.

[75] – ابن مريم، البستان ، ص99.

[76] - ابن مريم، البستان، ص 126.

[77] - عادل نويهض، المرجع السابق، ص 365.

[78] - ابن مريم، البستان، ص 189 – المقري، نفح الطيب، ج6، ص 346.

[79] - المصدر نفسه، ص 211 – المقري، نفح الطيب، ج6، ص 354-355.

[80] - القلصادي، المصدر السابق، ص 104 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 43.

[81] - ابن مريم، المصدر السابق، ص 106 – مخلوف، شجرة النور الزكية، ص 274.

[82] -ابن مريم، المصدر السابق، ص 255.

[83] - محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 266.

[84] - ابن مريم، البستان، ص 54 – محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ص 275.

[85] - الحفناوي، المرجع السابق، ص 42.

[86] - المقري، نفح الطيب، ج6، ص 254.

[87] - الحفناوي، تعريف الخلف، ص 70.

[88]- ابن العراقي، المصدر السابق، ج1، ص 196 – ابن مريم، البستان، ص 96 – محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ص 223.

[89] - ابن مريم، البستان، ص 100.

[90] - ابن مريم، المصدر نفسه، ص 99.

[91] - نفسه، ص 211.

[92] - نفسه، ص 255.

[93] - نفسه، ص 264.

[94] - محمّد مخلوف، المصدر السابق، ص 188 – حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله كاتب حلبي 1067 هـ/1656م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون، ج1، استانبول، 1941، ، ص 499.

[95] — ابن مريم، البستان، ص 222. – القلصادي، الرحلة، ص 87، 100.

[96] - ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص 339.

[97] - حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص 151.

[98] - المصدر نفسه، ص 151.

[99]

[99] - حاجي خليفة، نفسه، ص 152.

[100] - نفسه، ص 152.

[101] - نفسه، ص 152.

[102] - نفسه، ص 152.

[103] - حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص 153.

[104] - ابن مريم، البستان، ص 211.

[105] - حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص 405.

[106] - ابن مريم، البستان، ص 211.

[107] -أبو بشر عمر و بن عثمان بن قنبر فارسي الأصل، نشا بالبصرة و برع في النّحو (ت 194 ه) – الأنباري (كمال الدّين أبي البركات)، نزهة الألباب في طبقات الأدباء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص 60-65.

[108] - أبو عثمان بن جني كان من حذاق أهل الأدب و أعلمهم بالنحو و التصريف (ت 392 ه) – الأنباري، طبقات الأدباء، ص 287-288.

[109] - ابن خلدون، المقدمة، ص 1022.

[110] - ابن خلدون، المقدمة، ص 1059.

[111] - ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص 432.

[112] - ابن مريم، البستان، ص 106.

[113] - المقري، نفح الطيب، ج6، ص 354.

[114] - ابن مريم، البستان، ص 210.

[115] - الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج16، ص 469 – حاجي خليفة، كشف الظنون، ج2، ص 602.

[116] - حاجي خليفة، كشف الظنون، ج2، ص 675.